الأغاني

الجزء الرابع

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر
حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

سوى ما كان منها مع عتبة، فإنه أفرد لكثرة الصنعة في تشبيبه بها، وأنها اتسعت جدّاً فلم يَصْلُحْ ذكرها هنا، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء اللَّه تعالى.

[اسمه ولقبه وكنيته ونشأته]

أبو العَتَاهية لقبٌ غَلَبَ عليه. واسمه إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد بن كَيْسان، مولى عَنْزَة، وكنيتُهُ أبو إسحاق، وأمُّه أمّ زيد بنت زِياد المحاربِيّ مولى بني زُهْرَة؛ وفي ذلك يقول أبو قابُوس النَّصرانيّ وقد بلغه أن أبا العتاهية فَضَّلَ عليه العَتَّابيّ:

قُلْ لِلْمُكنِي نَفْسَهُ مُتخيراً بِعتاهِيهْ
والمُرْسلِ الكلم القَبيـ ـح وعنهُ أذنٌ وَاعيهْ
إن كنتَ سِرّاً سؤتني أو كانَ ذَاكَ عَلَانِيهْ
فَعليك لعنَةُ ذي الجلا ل وأُمُّ زيدٍ زانيهْ

[الكامل]

ومنشؤه بالكوفة. وكان في أوَّلِ أمره يَتَخَنَّثُ ويحمل زامِلةَ المخنَّثِين، ثم كان يبيع الفَخَّار بالكوفة، ثم قال الشعر فَبَرَعَ فيه وتقدَّم. ويُقالُ: أطبعُ الناس بشارٌ والسيِّد[1] أبو العتاهية. وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته.

[مناحيه الشعرية]

وكان غزيرَ البحرِ، لطيفَ المعاني، سهلَ الألفاظِ، كثيرَ الافتنان، قليلَ التَّكَلُّف، إلا إنَّه كثيرُ الساقط المرذول مع ذلك. وأكثرُ شعره في الزهد والأمثال. وكان قوم من

(١) السيد الحميري، إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري أبو هاشم أو أبوعامر. شاعر إمامي متقدم، وكان يتعصب لبني هاشم تعصباً شديداً. وأكثر شعره في مدحهم وذم غيرهم ممن هو عنده ضدهم وطرازه في الشعر قل ما يلحق به. ولد في نعمان قال ياقوت في سنة ١٠٥هـ: وهو واد قريب من الفرات على أرض الشام قريب من الرحبة، ومات في بغداد (وقيل واسط) سنة ١٧٣هـ، ونشأ بالبصرة.

أهل عصره ينسبُونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجُّون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشُور والمعاد. وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدّمه الأوائلُ فيها. وكان أبخلَ الناسِ مع يَساره وكثرة ما جمعه من الأموال.

[سبب كنيته]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال أخبرني محمد بن موسى بن حَمَّاد قال: قال المهديّ يوماً «لأبي العتاهية»: أنت إنسانٌ مُتَحَذْلِقٌ[١] معتَّه[٢]. فاستوتْ له من ذلك كنيةٌ غَلَبَتْ عليه دون اسمه وكنيتِه، وسارت له في الناس. قال: ويُقالُ للرجلِ المُتَحَذْلِق: عَتاهيةٌ، كما يُقالُ للرجل الطويل: شَناحِيةٌ. ويُقال: أبو عتاهية، بإسقاط الألف واللام.

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أَخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال: كُنِيَ بأبي العتاهية إن كان يُحِبُّ الشهرةَ والمُجونَ والتعتُّه.

[بلده الكوفة وبها مولده]

قال محمد بن سَلاَّم: وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلَهم من عَنزَة، وأنَّ جدَّهم كَيْسان كان من أهل عَيْن التَّمْر[٣]، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسان جَدُّهم هذا يتيماً «صغيراً» يكفُله قَرابةٌ له من عَنزة، فسباه خالدٌ مع جماعة صبيانٍ من أهلِها، فوَّجه بهم إلى أبي بكر، فوصلوا إليه وبحضْرتِهِ عَبَّاد بن رِفاعةَ العَنَزيّ بن أَسد بن ربيعة بن نِزار، فجعل أبو بكر رضي اللَّه عنه يسألُ الصبيانَ عن أنسابِهم فيُخْبِرُهُ كلُّ واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كَيْسانَ، فذكر له أنه من عَنَزة. فلما سمعه عَبَّاد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي اللَّه عنه، وقد كان خالصاً له، فوهبَهُ له؛ فأعتقه، فتوَّلى[٤] عَنَزة.

---

(١) حَذْلَقَ الرجلُ وتَحَذْلَقَ، إذا أظهر الحِذْقَ وادّعى أكثَرَ مما عنده.

(٢) وقيل: التَّعَتُّه الدَّهَشُ، وقد عُتِهَ الرجلُ عَتْهاً وعُتْهاً وعُتَاهاً. والمَعْتُوه: المَدْهُوشُ من غير مَسِّ جُنُونٍ. والمَعْتُوه والمَخْفُوقُ: المجنونُ، وقيل: المَعْتُوه الناقصُ العقل. ورجل مُعَتَّهٌ إذا كان مجنوناً مضطرباً في خَلْقِه.

(٣) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربيّ الكوفة غزاها خالد بن الوليد في أيام أبي بكر رضي اللَّه عنه.

(٤) تولى: اتخذهم أولياء له.

[استعداؤه مندل بن علي وأخاه]

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصَّيرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحَجَّاج الجَلاَّنيّ الكوفيّ قال: حدَّثني أبو دُؤَيل مُصعَب بن دُؤيل الجَلاَّنيّ، قال: لم أرّ قَطُّ مَنْدَلَ بن عليّ العَنزيّ وأخاه حيَّانَ بن عليّ غضِبا من شيء قطُّ إلا يوماً واحداً، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضمَّخٌ[١] بالدماء. فقالا له: وَيحك! ما بالُك؟ فقال لهما: من أنا؟ فقالا له: أنت أخونا وابنُ عمِّنا ومولانا؛ فقال: إن فلاناً الجزار قَتَلَني وضربني وزعم أنِّي نبطيٌّ[٢]، فإن كُنْتُ نبطيّاً هرَبت على وجهي، وإلا فقوما فخُذا لي بحقِّي. فقام معه مَنْدَل بن عليّ وما تعلَّق[٣] نعله غضباً؛ وقال له: واللَّه لو كان حقُّك على عيسى بن موسى لأخذتُهُ لك منه؛ ومرَّ معه حافياً حتى أخذ له بحقِّهِ.

أخبرني الصُّولِيُّ قال حدَّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمرَ بن معاوية عن جُبارة بن المغلِّس الحمانيّ قال: أبو العتاهية مولى عَطاء بن مِحجَن العَنزيّ.

[مولد أبي العتاهية وصنعته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُوَيه قال قال أبو عون أحمد بن المُنَجِّم أخبرني خِيارٌ الكاتب قال: كان أبو العتاهية وإبراهيمُ الموصليّ من أهل المذار[٤] جميعاً، وكان أبو العتاهية وأهله يعملون الجِرارَ الخُضر، فقدِما إلى بغداد ثم افترقا؛ فنزل إبراهيم الموصليّ ببغداد، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ. وذكر عن الرِّياشيّ أنه قال مثل ذلك، وأن أبا العتاهية نقله إلى الكوفة.

قال محمد بن موسى: فولاءُ أبي العتاهية من قِبل أبيه لعَنزة، ومن قِبل أُمِّه لبني زُهرة، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتبة بن أبي وَقَّاص، وكانت أمُّهُ مولاةً لهم، يُقالُ لها أمّ زيد.

---

(١) الضَّمْخُ: لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر.

(٢) وبابل أقدم بناء بني بعد الطوفان وأن منها تفرق ولد نوح عليه السلام، وأن الذي هدمها كسرى الأول ملك الفرس لما تغلب على أرض بابل، وملوك بابل هم النبط، وزعموا أنهم أول ملوك العالم وأن الفرس أخذت الملك منهم كما أخذته الروم من اليونانيين وأول ملوكهم نمرود، وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وشقوا الأنهار ورتبوا الجيوش وجعلوا الألوية والأعلام.

(٣) تعلق نعله: ما لبسها.

(٤) المذار في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن مَهرُويَه؛ قال: قال الخليل بن أسد: كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذِنُ ويقولُ: أبو إسحاق الخَزَّاف. وكان أبوه حجَّاماً من أهل ورجة[١]؛ ولذلك يقول أبو العتاهية:

أَلا إِنَّـمـا الـتَّـقـوى هُـوَ الـعِـزُّ وَالـكَـرَم ... وَحُـبُّـكَ لِـلـدُّنـيـا هُـوَ الـفـقـر وَالـعَـدَم
وَلَـيـسَ عَـلـى عَـبـدٍ تَـقِـيٍّ نَـقـيـصَـةٌ ... إِذا صَـحَّـحَ الـتَّـقـوى وَإِن حـاكَ أَو حَـجَـم

[الطويل]

[فاخره رجل من كنانة فقال شعراً]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا الغَلابيّ قال حدَّثنا محمد بن أبي العتاهية قال: جَاذَبَ رجلٌ من كِنانةَ أبا العتاهية في شيء، فَفَخِرَ عليه الكِنانيّ واستطال بقومٍ من أهله؛ فقال أبو العتاهية:

دَعـنـيَ مـن ذِكـر أَبٍ وجـدٍّ ... ونَـسَـبٍ يُـعـلِـيـكَ سُـورَ الـمـجـدِ
مـا الـفـخـرُ إلا فـي الـتُّـقـى والـزُّهـدِ ... وطـاعـةٍ تُـعـطـى جِـنـان الـخُـلـدِ
لا بُـدَّ مـن وِردٍ لأهـلِ الـورد ... إِمَّـا إلـى ضَـحـلٍ[٢] وإِمَّـا عِـدٍّ[٣]

[الكامل]

[آراؤه الدينية]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حَرْب قال: كان مذهب أبي العتاهية القولَ بالتوحيد، وأن اللَّه خلق جوهرين متضادين لا من شيء، ثم إنه بَنَى العالم هذه البِنْية منهما، وأن العالمَ حديثُ العين والصنعة لا مُحدِثَ له إلا اللَّهُ. وكان يزعم أن اللَّه سيردُّ كلَّ شيء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفنى الأعيانُ جميعاً. وكان يذهبُ إلى أن المعارف واقعةٌ بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعاً. وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب، ويتشَيَّع بمذهب الزَّيدية البَتَرية[٤] المبتدعة، لا ينتقَّص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروجَ على السلطان؛ وكان مُجْبَراً[٥].

---

(١) اسم موضع، والأرج أن يكون المقصود «ودج».
(٢) قال الليث: الضحل: الماء القريب القعر؛ هو الضحضاح إلا أن الضحضاح أعم منه. لانه فيما قل منه أو كثر.
(٣) العِدُّ بالكسر: الماء الذي له مادة لا تنقطع، كماء العين والبئر، والجمع الأعْدادُ.
(٤) الزيدية البترية: فرقة من أصحب كثير النوى الأبتر من أتباع المذهب الزيدي، الذي انطلق بعد استشهاد زيد بن عليّ بن الحسين بن أبي طالب رضي اللَّه عنهم، وهم فرقة فضلت الولاية بأبناء عليّ شرط الخروج.
(٥) الجَبر: الاسم، وهو أن تجبر إنساناً على ما لا يُريد وتُكرههُ جَبريَّةً على كذا. وأجبر القاضي على تسليم ما قضى عليه.

[مناظرته لثمامة بن أشرس في العقائد بين يدي المأمون]

قال الصُّوليّ: فحدَّثني يموتُ بن المُزرّع قال حدَّثني الجاحظ قال: قال أبو العتاهية لثُمامةَ بين يَدَي المأمون، وكان كثيراً ما يُعارضُهُ بقوله في الإجبار: أسألك عن مسألةٍ؛ فقال له المأمون: عليك بشعرك؛ فقال: إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأذنَ لي في مسألته ويأمرَه بإجابتي! فقال له: أجِبه إذا سألك. فقال: أنا أقول: إنَّ كُلَّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرٍّ فهو من اللَّه، وأنت تأبى ذلك، فمن حرَّك يدي هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحرِّكُها. فقال له ثُمامةُ: حرَّكها من أُمّه زانية؛ فقال: شتمني واللَّه يا أمير المؤمنين؛ فقال ثُمامةُ: ناقض الماصُّ بَظْر أُمّه واللَّه يا أمير المؤمنين! فَضَحِكَ المأمون وقال له: أَلَمْ أَقُلْ لك أن تشتغل بِشعْرِكَ وتدعَ ما ليس من عَملِكَ! قال ثُمامةُ: فلقيني بعد ذلك فقال لي: يا أبا مَعْن، أما أغناك الجواب عن السّفه؟! فَقُلْتُ: إنّ من أتمَّ الكلام ما قطع الحجة، وعاقَبَ على الإساءة وشَفَى من الغيظ، وانتصر من الجاهل.

قال محمد بن يحيى وحدَّثني عون بن محمد الكِنْديّ قال: سَمِعْتُ العبَّاس بن رُسْتم يقول: كان أبو العتاهية مُذبذباً في مذهبه: يعتقد شيئاً، فإذا سَمِعَ طاعناً عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره.

[خبره مع المخنثين]

حدَّثني أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عمَّار قال حدَّثني ابن أبي الدّنيا قال حدَّثني الحسين بن عبد ربه قال حدَّثني علي بن عُبيدة الرَّيحانيّ قال حدَّثني أبو الشَّمَقْمق: أنه رأى أبا العتاهية يحمل زَاملةَ المُخنَّثين، فَقُلْتُ له[1]: أمثلُك يضع نفسه هذا الموضعَ مع سِنِّك وشعرك وقدرك؟ فقال له: أريد أن أتعلم كيادَهم، وأتحفَّظ كلامَهم.

[محاورته بشر بن المعتمر]

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: ذَكَرَ أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنَّ بشر بن المُعْتَمِر قال يوماً لأبي العتاهية: بلغني أنَّك لما نسكتَ جلستَ تحجُم اليتامى والفقراءَ للسبيل، أكذلك كان؟ قال نعم؛ قال له: فما أردْتَ بِذلِكَ؟ قال: أردْتُ أن أضعَ من نفسي حسبما رَفَعَتْنِي الدُّنيا، وأضعَ منها لِيَسْقُطَ عنها الكِبر، واكتسب بما فعلتُه الثوابَ، وكُنْتُ أحجِمُ اليتامى والفقراء خاصة. فقال له بشر: دعني من تذليلك نفسك بالحِجامة؛ فإنَّه ليس بحجَّة لك أن تؤدِّبها

(١) لعلَّ من الأصوب القول: قال له.

وتُصْلِحها بما لعلَّك تُفْسِدُ به أمرَ غيرك؛ أُحبّ أن تُخبرني هل كُنت تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجمه إلى إخراج الدّم؟ قال: لا. قال: هل كُنْتَ تعرف مقدارَ ما يحتاج كلّ واحد منهم إلى أن يُخْرِجَهُ على قَدْرِ طبعه، مما إذا زدتَ فيه أو نقصت منه ضَرَّ المحجومَ؟ قال لا؛ قال: فما أُراك إلا أردتَ أن تتعلَّم الحِجامةَ على أَقْفاء اليتامى والمساكين!.

[تستره بالحجامة]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا أبو ذَكْوان قال حدثنا العباس بن رُسْتم قال: كان حَمْدُويَه صاحبُ الزنَّادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية، ففزع من ذلك وقعد حجَّاماً.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه قال: قال أبو دِعامة عليّ بن يزيد: أخبر يحيى بن خالد أن أبا العتاهية قد نَسَكَ، وأنه جلس يحجُم الناس للأجر تَواضعاً بذلك؛ فقال: ألم يَكُنْ يبيعُ الجِرار قبل ذلك؟ فقيل له: بلى؛ فقال: أما في بَيْع الجرار من الذُّل ما يكفيه ويستغني به عن الحجامة!.

[سُئِلَ عن خلق القرآن فأجاب]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدَّثني شيخٌ من مشايخِنا قال حدَّثني أبو شُعَيب صاحب ابن أبي داود قال: قُلْتُ لأبي العتاهية: القرآن عندك مخلوقٌ أم غير مخلوق؟ فقال: أسألتني عن اللَّه أم عن غير اللَّه؟ قُلْتُ: عن غير اللَّه، فأمسك. وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجوابَ، حتى فعل ذلك مِراراً؛ فَقُلْتُ له: ما لك لا تُجيبني؟ قال: قد أجبْتُكَ ولكنَّك حِمار.

[أوصافه وصناعته]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدَّثنا شيخ من مشايخِنا قال: حدَّثني محمد بن موسى قال: كان أبو العتاهية قَضِيفاً[١]، أبيضَ اللون، أسودَ الشعر، له وَفْرة[٢] جعدة،

(١) رجل قضيف: قليل اللحم، وامرأة قضيفة، وقضف قضافة، وفيه قضف.

(٢) شيء وافر وموفور وموفّر ومستوفر، وقد وفر ووفر، ووفرته، ووفرت عليه حقّه فاستوفره نحو: وفّيته إياه فاستوفاه. وهذه أرض في نبتها وشجرها وفرة أي وفور لم يرع ولم يحطمه المال. ولفلان وفر: مال وافر، وهو في فرة من المال. وسقاء أوفر، ومزادة وفراء: لم يقص من أديمها شيء. وجارية ذات وفرة: ذات جمّة إلى أذنيها. وأكلت من الوافرة وهي ألية الكبش إذا كانت عظيمة.

وهيئة حسنة ولَبَاقة وحَصافة، وكان له عَبِيد من السودان، ولأخيه زيدٍ أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخَزَف في أتون[1] لهم؛ فإذا اجتمعَ منه شيء ألقَوْه على أجير لهم يقال له أبو عباد اليزيديّ من أهل طاق الجِرار بالكوفة، فيبيعه على يديه ويرد فضله إليهم. وقيل: بل كان يفعلُ ذلك أخوه زيدٌ لا هو؛ وسُئِلَ عن ذلك فقال: أنا جرّار القوافي، وأخي جرّار التجارة.

قال محمد بن موسى: وحدَّثني عبد اللَّه بن محمد قال: حدَّثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عِجل قال: أنا رأيْتُ أبا العتاهية وهو جرَّار يأتيه الأحداثُ والمتأدّبون فينشدُهم أشعارَه، فيأخذون ما تكسَّر من الخزَفِ فيكتبونها فيها.

[كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابي]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدَّثني عَوْن بن محمد الكِنْديّ قال: حدَّثني محمد بن عمر الجُرجانيّ قال: لما هاجى أبو قابوس النَّصرانيّ كلثومَ بن عمرو العَتَّابيّ، جعل أبو العتاهية يشتمُ أبا قابوس ويضع منه؛ ويُفضِّل العَتَّابيّ عليه؛ فبلغَهُ ذلك فقال فيه:

قُلْ لِلْمُكني نَفْسهُ ... مُتخيراً بِعتاهِيةْ
والمُرْسلِ الكلم القَبيح ... وعنهُ أذنٌ وَاعيهْ
إن كنتَ سِرّاً سؤتني ... أو كانَ ذَاكَ عَلَانِيهْ
فَعليك لعنَةُ ذي الجلا ... ل وأُمُّ زيدٍ زانيهْ

[الكامل]

يعني أُمَّ أبي العتاهية، وهي أمّ زيد بنت زياد، فقيل له: أتشتمُ مُسْلِماً؟ فقال: لم أشتمه، وإنَّما قُلْتُ:

فَعليك لعنَةُ ذي الجلا ... ل ومَنْ عنينا زانيهْ

[الكامل]

[هجاء والبة بن الحباب]

قال: وفيه يقول والِبَةُ بن الحُباب وكان يُهاجيه:

كان فينا يُكْنى أبا إسحاقِ ... وبها الرَّكب سارَ في الآفاقِ
فتكنَّى مَعْتُوهُنا بعتاهٍ ... يا لها كُنْيةً أتت باتّفاقِ

(١) الأتُّونُ، بالتشديد: المَوْقِدُ، والعامّة تخفِّفه، والجمع الأتاتين.

خـلـقَ الـلَّـه لِـحـيـةً لـك لاتـنـفـكّ مـعـقـودةً بـداء الـحُـلاقِ[١]

[الخفيف]

[قصته مع النوشجاني]

أخبرنا محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكار قال: حدَّثنا النُّوشَجانيّ قال: أتاني البَّوابُ يوماً فقال لي: أبو إسحاق الخزّاف بالباب؛ فَقُلْتُ: ائذنَ له، فإذا أبو العتاهية قد دَخَلَ، فَوَضَعت بين يديه قِنْوَ[٢] موز؛ فقال: قد صِرْتَ تقتل العلماءَ بالموز، قَتَلْتَ أبا عُبَيدة بالموز، وتريد أن تقتلني به! لا واللَّه لا أذوقه. قال: فحدَّثني عُروة بن يوسف الثَّقَفيّ قال: رأيْتُ أبا عبيده قد خرج من دار النُّوشَجانيّ في شقّ محمل مُسجَّى، إلا أنَّه حيّ، وعند رأسه قِنْوُ موز وعند رجليه قِنوُ موز آخر، يُذهبُ به إلى أهلِهِ؛ فقال النُّوشَجانيّ وغيرُه: لما دخلنا عليه نعودُهُ قلنا: ما سبب عِلَّتك؟ قال: هذا النُّوشجانيّ جاءني بموز كأنه أُيُور المساكين، فأكْثَرْتُ منه، فكان سببَ علَّتي. قال: ومات في تلك العلَّة.

[رأي مصعب بن عبد اللَّه في شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن زُهير قال: سَمِعْتُ مُصعب بن عبد اللَّه يقول: أبو العتاهية أشعرُ الناس؛ فَقُلْتُ لَهُ: بأيِّ شيءٍ استحقّ ذلك عندك؟ فقال: بقوله:

تَـعـلَّـقـتُ[٣] بِـآمـالٍ طِـوالٍ أيّ آمـالِ
وَأَقـبَـلـتُ عَـلـى الـدُّنـيـا مُـلِـحّـاً[٤] أَيَّ إِقـبـالِ
أيـا هَـذا تَـجَـهَّـز لِـفِـراقِ الأَهـلِ وَالـمـالِ
فَـلا بُـدَّ مِـنَ الـمَـوتِ عَـلـى حـالٍ مِـنَ الـحـالِ

[الهزج]

ثم قال مُصْعَبٌ: هذا كلامٌ سهلٌ حقّ لا حشوَ فيه ولا نُقصان، يعرفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل.

---

(١) الحلاق: صفة السوء.
(٢) القِنْوُ: العذق بما عليه من الرطب. الكباسة، وهي كالعنقود من العنب.
(٣) ورد في الديوان «تمسكت» بدل «تعلقت».
(٤) ورد في الديوان «بعزمٍ» بدل «ملحاً».

[استحسان الأصمعي لشعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال: سَمِعْتُ الأصمعيّ يستحسنُ قول أبي العتاهية:

أَنتَ ما ٱستَغنَيتَ عَن صا ... حِبِكَ الدَّهرَ أَخوهُ
فَإِذا ٱحتَجتَ إِلَيهِ ... ساعَةً مَجَّكَ فوهُ

[مجزوء الرمل]

[قول سلم الخاسر هو أشعر الجن والإنس]

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيديّ إملاءً قال حدَّثني عمي الفَضْل بن محمد قال: حدَّثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُوريّ[1] قال: أتيت سلماً الخاسِرَ فَقُلْتُ له: أنشدني لنفسك. قال: ولكن أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس، لأبي العتاهية، ثم أنشدني قوله:

صوت

سَكَنٌ يَبقى لَهُ سَكَنُ ... ما بِهَذا يُؤذِنُ الزَّمَنُ
نَحنُ في دارٍ يُخَبِّرُنا ... بِبِلاها ناطِقٌ لَسِنُ
دارُ سَوءٍ لَم يَدُم فَرَحٌ ... لِامرِئٍ فيها وَلا حَزَنُ
في سَبيلِ اللَّهِ أَنفُسُنا ... كُلُّنا بِالمَوتِ مُرتَهَنُ
كُلُّ نَفسٍ عِندَ ميتَتِها[2] ... حَظُّها مِن مالِها الكَفَنُ
إِنَّ مالَ المَرءِ لَيسَ لَهُ ... مِنهُ إِلاّ ذِكرُهُ الحَسَنُ

[المديد]

فأخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عمَّار قال: حدَّثني محمد بن القاسم قال: حدَّثني رجل من أهل البَصرة أُنْسِيتُ اسمه، قال: حدَّثني حَمدون بن زيد قال: حدَّثني رجاء بن مَسلمة قال: قُلْتُ لسلم الخاسر: من أشعر الناس؟ فقال: إن شِئْتَ أخبرتُكَ بأشعر الجنّ والإنس. فَقُلْتُ: إنَّما أسألك عن الإنس، فإن زدتَني الجنَّ فقد أحسنتَ. فقال: أشعرُهُم الذي يقول:

---

(١) نسبة إلى شهرزور، وهي كورة واسعة بين أربل وهمذان.

(٢) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:

كُلُّ حَيٍّ عِندَ ميتَتِهِ

سَـكَـنٌ يَـبـقـى لَـهُ سَـكَـنُ مـا بِـهَـذا يُـؤذِنُ الـزَّمَـنُ
[المديد]

قال: والشعر لأبي العتاهية.

[ثناء جعفر بن يحيى على شعره]

حدَّثني اليزيديّ قال حدّثني محمد بن موسى قال: حدَّثني جعفر بن النَّضر الواسطيّ الضَّرير قال: حدَّثني محمد بن شِيرَوَيه الأنماطيّ قال: قُلْتُ لداود بن زيد ابن رَزِين الشاعر: من أشعرُ أهل زمانه؟ قال: أبو نواس. قُلْتُ: فما تقول في أبي العتاهية؟ فقال: أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ.

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني محمد بن موسى قال: قال الزُّبير بن بَكَّار: أخبرني إبراهيم بن المُنذِر عن الضحَّاك، قال: قال عبد اللَّه بن عبد العزيز العُمَريّ: أشعرُ الناس أبو العتاهية حيث يقول:

مـا ضَـرَّ مَـن جَـعـلَ الـتُّـرابَ فِـراشَـهُ أَلاّ يَـنـامَ عَـلـى الـحَـريـرِ إذا قَـنِـع
[الكامل]

صدق واللَّه وأحسن.

[مهارته في الشعر]

حدَّثني الصُّوليّ قال: حدَّثني محمد بن موسى قال: حدَّثني أحمد بن حَرْب قال: حدَّثني المعلَّى بن عثمان قال: قيل لأبي العتاهية: كيف تقول الشعر؟ قال: ما أردتُه قط إلا مَثَل لي، فأقول ما أريد وأتركُ ما لا أريد.

أخبرني ابن عمَّار قال: حدَّثني ابن مَهرُويه قال: حدَّثني رَوْح بن الفرج الحِرْمازيّ قال: جَلَسْتُ إلى أبي العتاهية فسمعتُهُ يقولُ: لو شئْتُ أن أجعل كلامي كُلَّهُ شعراً لفعلْتُ.

حدَّثنا الصُّوليّ قال: حدَّثنا العنزيّ قال: حدَّثنا أبو عِكْرمة قال: قال محمد بن أبي العتاهية: سُئِلَ أبي: هل تَعرف العروض؟ فقال: أنا أكبر من العروض. وله أوزانٌ لا تدخُل في العَروض.

[نظم شعراً للرشيد وهو مريض]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا العنزيّ قال حدَّثنا أبو عِكرمة قال: حُمَّ الرشيدُ، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الرَّبيع برقُعة فيها:

لَـو عَـلِـمَ الـنـاسُ كَـيـفَ أَنـتَ لَـهُـم ... مـاتـوا إِذا مـا أَلِـمـتَ أَجـمَـعُـهُـم
خَـلـيـفَـةُ الـلَّـهِ أَنـتَ تَـرجَـحُ بِـالـنـاسِ إِذا مـا وُزِنـتَ أَنـتَ وَهُـم
قَـد عَـلِـمَ الـنـاسُ أَنَّ وَجـهَـكَ يَـسـتَـغـنـي إِذا مـا رَآهُ مُـعـدِمُـهُـم
[المنسرح]

فأنشدها الفضلُ بن الرّبيع الرشيدَ؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية، فما زال يُسامِرُه ويُحدِّثُهُ إلى أن بَرِىء[1]، ووصل إليه بذلك السببِ مالٌ جَليلٌ.

[إعجاب ابن الأعرابي به وإفحامه من تنقص شعره]

قال: وحُدّثتُ أن ابن الأعرابيّ حَدَّث بهذا الحديث، فقال له الرجل بالمجلس: ما هذا الشعر بمستحق لما قلت؛ قال: ولم؟ قال: لأنَّه شعرٌ ضعيف؛ فقال ابن الأعرابيّ، ـ وكان أحَدَّ الناس: الضعيفُ واللَّه عقلُكَ لا شعرُ أبي العتاهية، ألِأبي العتاهية تقول: إنَّه ضعيفُ الشعرِ! فواللَّه ما رأيْتُ شاعراً قطّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه، وما أحسبُ مذهبَهُ إلا ضَرْباً من السحر، ثم أنشد له:

قَـطَّـعـتُ مِـنـكَ حَـبـائِـلَ الآمـالِ ... وَحَـطَـطـتُ عَـن ظَـهـرِ الـمَـطِـيِّ رِحـالـي
وَوَجَـدتُ بَـردَ الـيَـأسِ بَـيـنَ جَـوانِـحـي ... فَـأَرَحـتُ مِـن حَـلٍّ وَمِـن تَـرحـالِ
يـا أَيُّـهـا الـبَـطِـرُ الَّـذي هُـوَ مِـن غَـدٍ ... فـي قَـبـرِهِ مُـتَـفَـرِّقُ الأَوصـالِ
حَـذَفَ الـمُـنى عَـنـهُ الـمُـشَـمِّـرُ فـي الـهُـدى ... وَأَرى مُـنـاكَ طَـويـلَـةَ الأَذيـالِ
حِـيَـلُ ٱبـنِ آدَمَ فـي الأُمـورِ كَـثـيـرَةٌ ... وَالـمَـوتُ يَـقـطَـعُ حِـيـلَـةَ الـمُـحـتـالِ
قِـسـتُ الـسُّـؤالَ فَـكـانَ أَعـظَـمَ قـيـمَـةً ... مِـن كُـلِّ عـارِفَـةٍ جـرت بِـسُـؤالِ
فَـإِذا ٱبـتُـلـيـتَ بِـبَـذلِ وَجـهِـكَ سـائِـلاً ... فَـٱبـذُلـهُ لِـلـمُـتَـكَـرِّمِ الـمِـفـضـالِ
وَإِذا خَـشِـيـتَ تَـعَـذُّراً فـي بَـلـدَةٍ ... فَـٱشـدُد يَـدَيـكَ بِـعـاجِـلِ الـتَّـرحـالِ
وَٱصـبِـر عَـلـى غَـيَـرِ الـزَّمـانِ فَـإِنَّـمـا ... فَـرَجُ الـشَّـدائِـدِ مِـثـلُ حَـلِّ عِـقـالِ
[الكامل]

ثم قال للرجل: هل تعرف أحداً يُحْسِنُ أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل: يا أبا عبد اللَّه، جعلني اللَّه فداءَك! إنِّي لم أزْدُدْ عليك ما قُلْتَ، ولكنَّ الزُّهدّ مذهبُ أبي العتاهية، وشعرُه في المديح ليس كشعره في الزُّهدِ. فقال: أفليس الذي يقول في المديح:

---

(١) برىء: شفي.

وَهارونُ ماءُ المُزنِ يُشفى بِهِ الصَّدى[١] إذا ما الصَّدِي بِالرِّيقِ غَصَّت حَناجِرُه
وَأَوسَطُ بَيتٍ في قُرَيشٍ لَبَيتُهُ وَأَوَّلُ عِزٍّ في قُرَيشٍ وَآخِرُه
وَزَحفٍ لَهُ تَحكي البُروقَ سُيوفُهُ وَتَحكي الرُّعودَ القاصِفاتِ حَوافِرُه
إِذا حَمِيَتْ شَمسُ النَّهارِ تَضاحَكَت إِلى الشَّمسِ فيهِ بَيضُهُ[٢] وَمَغافِرُه[٣]
إِذا نُكِبَ الإِسلامُ يَوماً بِنَكبَةٍ فَهارونُ مِن بَينِ البَرِيَّةِ ثائِرُه
وَمَن ذا يَفوتُ المَوتَ وَالمَوتُ مُدرِكٌ كَذا لَم يَفُت هارونَ ضِدٌّ يُنافِرُه

[الطويل]

قال: فتخلَّص الرجلُ من شرِّ ابن الأعرابيّ بأن قال له: القولُ كما قُلتَ، وما كُنْتُ سَمِعْتُ له مثل هذين الشعرين، وكتبهما عنه.

[قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حي]

حدَّثني محمد قال: حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدَّثني ابن الأعرابيّ المُنجم قال حدَّثني هارون بن سعدان بن الحارث مولى عَبَّاد قال: حضرت أبا نُواس في مجلس وأنشد شعراً، فقال له: من حضر في المجلس: أنت أشعرُ الناس؛ قال: أمَّا والشيخ حيّ فلا. (يعني أبا العتاهية).

[بخله]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدَّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال: قال ثُمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية:

إذا المرءُ لم يُعتِقْ من المال نَفْسَهُ تَملَّكَهُ المالُ الذي هو مالكهْ
ألا إنَّما مالي الذي أنا مُنْفِقٌ وليس ليَ المالُ الذي أنا تاركُهْ
إذا كُنْتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي يَحِقّ وإلا استهلكته مَهالِكُهْ

[الطويل]

فَقُلْتُ له: من أين قضيتَ بهذا؟ فقال: من قول رسول اللَّه ﷺ: «إنَّما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لَبِسْتَ فأبلَيْتَ، أو تصدَّقْتَ فأمضيت». فقلت له: أتؤمِنُ بأنَّ هذا قولُ رسول اللَّه ﷺ وأنَّه الحقّ؟ قال: نعم. قُلْتُ: فَلِمَ تَحْبِسُ عندك سبعاً

(١) رجل صد وصاد وصديان، وامرأة صديا، وقد صدى، وقتله الصدى وهو العطش الشديد.
(٢) البيض(بفتح الباء): جمع بيضة وهو الخوذة تصنع من الحديد ليتقى بها في الحرب.
(٣) المِغْفَر: وقاية للراس.

وعشرين بَدْرَةً[١] في دارك، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزَكّي ولا تُقدِّمها ذُخراً ليوم فقرك وفاقتك؟ فقال: يا أبا مَعْن، واللَّه إنَّ ما قُلْتَ لهو الحقّ، ولكنِّي أخافُ الفقرَ والحاجةَ إلى الناسِ؛ فَقُلْتُ: وبِمَ تَزيد حالُ من افتقر على حالك وأنت دائمُ الحِرصِ دائمُ الجَمعِ شحيحٌ على نفسِكَ لا تشتري اللّحمَ إلا من عِيدٍ إلى عِيدٍ؟! فترك جواب كلامي كلَّه، ثم قال لي: واللَّه لقد اشترَيْتُ في يوم عاشوراء لحماً وتوابِلَه وما يتبعه بخمسة دراهم. فلما قال لي هذا القولَ أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومُعاتبته، فأمسَكْتُ عنه وعلمت أنه ليس ممن شَرَحَ اللَّه صدرَهُ للإسلام.

[بخله، ونوادر مختلفة في ذلك]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدَّثني عليّ بن المهديّ قال: قال الجاحظ: حدَّثني ثُمامة قال: دَخَلْتُ يوماً إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكلُ خُبزاً بلا شيء؛ فَقُلْتُ: كأنَّك رأيتَهُ يأكلُ خُبزاً وحده؛ قال: لا! ولكنِّي رأيته يتأدَّمُ بلا شيء؛ فَقُلْتُ: وكيف ذلك؟ فقال: رأيْتُ قُدَّامه خبزاً يابساً من رِقاقِ فَطير وقَدَحاً فيه لبنٌ حليبٌ، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها من اللبن ويُخرجُها ولم تتعلَّق منه بقليل ولا كثير؛ فَقُلْتُ له: كأنَّكَ اشتهيتَ أن تتأدَّم بلا شيء، وما رأيْتُ أحداً قبلك تأدَّمَ بلا شيء.

قال الجاحظ: وزعم لي بعضُ أصحابنا قال: دَخَلْتُ على أبي العتاهية في بعض المتنزَّهات، وقد دعا عيَّاشاً صاحبَ الجسر وتهيَّأ له بطعام، وقال لِغُلامِهِ: إذا وضعْتَ قُدَّامهم الغداء فقدِّمْ إليَّ ثَريدةً[٢] بخلٍّ وزيت. فَدَخَلْتُ عليه، وإذا هو يأكلُ منها أكْل مُتَكَمِّش[٣] غيرَ مُنكر لشيء، فدعاني فَمَدَدتُ يدي معه، فإذا بثريدة بخلّ وبزر بدلاً من الزيت؛ فَقُلْتُ له: أتدري ما تأكُل؟ قال: نعم ثريدة بخل وبِزر. فقلت: وما دعاك إلى هذا؟ قال: غَلِطَ الغلام بين دَبّة[٤] الزيت ودَبة البزر، فلما جاءني كرهت التجبُّر وقلت: دُهنٌ كدهن، فأكَلْتُ وما أنكرْتُ شيئاً.

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدَّثنا عُبيد اللَّه بن عطيَّة الكوفي قال: حدَّثنا محمد بن عيسى الجُزَيميّ، وكان جارَ أبي العتاهية، قال:

(١) البَدْرة كِيسٌ فيه عشرة آلاف دِرهم أو ألفٌ والجمع: البُدور، وثلاث بَدَرات.
(٢) قال الليث: الثَّرِيدُ: معروف قلتُ: أصل الثَّرْد الهشم، ومنه قيل لما يُهْشَمُ من الخبز ويُبلَّ بماء القِدْر وغيره: ثريدٌ.
(٣) تكمش الرجل: أسرع.
(٤) الدبة: الوعاء للبزر والزيت.

كان لأبي العتاهية جارٌ يلتقطُ النَّوى ضعيفٌ سيء الحال متجمِّل[١] عليه ثياب، فكان يمرُّ بأبي العتاهية طَرَفي النهار؛ فيقول أبو العتاهية: اللَّهم أغْنِهِ عمَّا هو بسبيله، شيخٌ ضعيف سيِّء الحال عليه ثيابٌ مُتجمِّل، اللَّهم أعِنْهُ، اصنعْ له، باركْ فيه. فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نحواً من عشرين سنة، ووالله ما إن تصدَّق عليه بدرهم ولا دانِق قطّ، وما زاد على الدعاء شيئاً. فَقُلْتُ له يوماً»: يا أبا إسحاق إنِّي أراك تُكثرُ الدّعاءَ لهذا الشيخ وتَزْعَمُ أنَّه فقيرٌ مُقلّ، فَلِمَ لا تتصدَّق عليه بشيء؟ فقال: أخشى أن يعتاد الصَّدقة، والصدقةُ آخر كسب العبد، وإنَّ في الدعاء لخيراً كثيراً.

قال محمد بن عيسى الجُزَيميّ هذا: وكان لأبي العتاهية خادمٌ أسودُ طويلٌ كأنه مِحراك أتُون، وكان يجري عليه في كلِّ يوم رغيفين، فجاءني الخادمُ يوماً فقال لي: واللَّه ما أشبع. فقلت: وكيف ذاك؟ قال: لأني ما أفْتُر من الكدِّ وهو يُجري عليّ رغيفين بغير إدام. فإن رأيْتَ أن تُكلِّمَهُ حتى يزيدَني رغيفاً فتُؤجر! فوعدتُهُ بذلك؛ فلما جَلَسْتُ معه مَرَّ بنا الخادم فَكَرِهْتُ إعلامَهُ أنَّه شكا إليّ ذلك، فقلت له: يا أبا إسحاق، كم تُجري على هذا الخادم في كلِّ يوم؟ قال رغيفين؛ فقلت له: لا يَكفيانه؛ قال: من لم يَكفه القليلُ لم يكفه الكثير، وكلُّ من أعطى نفسه شهوتَها هَلَكَ، وهذا خادمٌ يَدْخُلُ إلى حُرَمي وبناتي، فإن لم أعوِّده القناعةَ والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي؛ فمات الخادم بعد ذلك فكفَّنَه في إزارٍ وفِراشٍ له خَلَقٍ. فَقُلْتُ له: سبحان اللَّه! خادمٌ قديمُ الحُرمةِ طويلُ الخدمةِ واجِبُ الحقّ، تُكَفِّنه في خَلَق، وإنَّما يكفيك له كفنٌ بدينارٍ! فقال: إنَّهُ يصيرُ إلى البلى، والحيُّ أَولى بالجديد من الميِّتِ. فَقُلْتُ له: يرحمُكَ اللَّه أبا إسحاق! فلقد عوَّدَته الاقتصادَ حيّاً ومَيِّتاً.

قال محمد بن عيسى هذا: وَقَفَ عليه ذاتَ يوم سائِلٌ من العَيَّارينَ[٢] الظُّرفاء وجماعةٌ من جيرانِهِ حوله، فسألَهُ مِنْ بين الجيران؛ فقال: صَنَعَ اللَّهُ لك! فأعاد السُّؤالَ فأعاد عليه ثانيةً، فأعاد عليه ثالثة فردَّ عليه مثل ذلك، فَغَضِبَ وقال له: ألستَ القائلَ:

كُـلُّ حَـيٍّ عِـنـدَ مـيـتَـتِـهِ حَـظُّـهُ مِـن مـالِـهِ الـكَـفَـنُ

[المديد]

ثم قال: فباللَّه عليك أتُريدُ أن تَعِدَّ مالَك كُلّه لثمن كفنك؟ قال لا؛ قال: فباللَّه كم قدَّرت لكفنك؟ قال: خمسة دنانير. قال: فهي إذاً حظُّك من مالك كلِّه. قال:

(١) التجمل: الفقير الذي لم يظهر على نفسه المسكنة والمذلة.
(٢) العيار: الكثير الطواف والذي يتردّد بلا عمل.

نعم؛ قال: فتصدَّق عليَّ من غير حظِّك بدرهم واحد؛ قال: لو تصدَّقْتُ عليك لكان حظي؛ قال: فاعمل على أنَّ ديناراً من الخمسة الدنانير وَضِيعةُ[1] قيراط، وادفع إليَّ قيراطاً واحداً، ، وإلا فواحدة أخرى؛ قال: وما هي؟ قال: القبور تُحفَرُ بثلاثة دراهم، فأعطني درهماً وأُقيم لك كفيلاً بأنِّي أحفرُ لك قبرَكَ به متى مُتَّ، وتَربَح درهمين لم يكونا في حُسبانك، فإن لم أحتفر رددتُهُ على وَرَثَتِكَ أو ردّه كفيلي عليهم. فَخَجِلَ أبو العتاهية وقال: اعزُب لعنك اللَّه وغَضِبَ عليك؛ فَضَحِكَ جميعُ مَنْ حَضَرَ، ومرَّ السائِلُ يضحك؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال: من أجل هذا وأمثاله حُرِّمتِ الصّدقةُ؛ فقلنا له: ومن حرَّمَها ومتى حُرِّمت! فما رأينا أحداً أدَّعى أنَّ الصّدقةَ حُرمت قبله ولابعده!.

قال محمد بن عيسى هذا: وقُلْتُ لأبي العتاهية: أتُزكي مالك؟ فقال: واللَّه ما أُنفق على عيالي إلا من زكاة مالي. فقُلْتُ: سبحان اللَّه! إنَّما ينبغي أن تُخْرِجَ زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين؛ فقال: لو انقطعَتْ عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقرُ منهم.

[سُئِلَ عن أحكم شعره فأجاب]

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: قال سليمان ابن أبي شَيخ قُلْتُ لأبي العتاهية: أيَّ شعر قُلْتَهُ أَحْكم؟ قال قَوْلي:

عَـلِـمـتَ يـا مُـجـاشِـعَ بـنَ مَـسـعَـدَهْ أَنَّ الـشَّـبـابَ وَالـفَـراغَ وَالـجِـدَه
مَـفـسَـدَةٌ لِـلـمَـرءِ أَيُّ مَـفـسَـدَهْ

[الرجز]

[عتاب]

أخبرني عيسى قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال حدَّثنا أبو غَزيّة قال: كان مُجاشِع ابن مَسعدة أخو عمرو بن مَسعدة صَديقاً لأبي العتاهية، فكان يقوم بحوائِجِهِ كلِّها ويُخلِصُ مودّته، فمات، وعرَضَتْ لأبي العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

(١) الوَضِيعُ: الدَّنِيءُ من الناس، يقال: في حسبَه ضَعةٌ وضِعةٌ، والهاء عوض من الواو، حكى ابن بري عن سيبويه: وقالوا الضِّعةَ كما قالوا الرِّفْعةَ أَي حملوه على نقيضه، فكسروا أَوَّله وذكر ابن الأَثير في ترجمة ضعة قال: في الحديث ذكر الضَّعةِ؛ الضَّعةُ: الذّلُّ والهَوانُ والدَّناءةُ، قال: والهاء فيها عِوَضٌ من الواو المحذوفة.

غَـنـيـتَ عَـنِ الـعـهـد[١] الـقَـديـم غَـنـيـتـا وَضَـيَّـعـتَ وُداً بـيـنـنـا وَنَـسـيـتـا
وَمِـن عَـجَـبِ الأَيَّـامِ أَن مـات مَـألَـفـي وَمَـن كُـنـتَ تَـغـشـانـي بـه وَبَـقـيـتـا
[الطويل]

فقال عمرو: استطال أبو إسحاق أَعمارَنا وتوَّعدنا، ما بعد هذا خيرٌ، ثم قَضَى حاجتَهُ.

[فارق أبا غزية في المدينة وأنشده شعراً]

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبيرُ قال حدَّثنا أبو غَزيَّة قال: كان أبو العتاهية إذا قَدِمَ من المدينة يَجْلِسُ إليَّ؛ فأراد مرَّة الخروجَ من المدينة فودَّعني ثم قال:

إِن نَـعِـش نَـجـتَـمِـعْ وَإِلاّ فَـمـا أَشـغَـلَ مَـن مـاتَ عَـن جَـمـيـعِ الأَنَـامِ
[الخفيف]

[طالبَهُ غلام من التجار بمال فقال فيه شعراً أخجله]

أخبرني أحمد بن العبَّاس العسكريّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال حدَّثني عبد الرحمن بن إسحاق العُذْريّ قال: كان لبعض التُّجار من أهل باب الطَّاق[٢] على أبي العتاهية ثمنُ ثِياب أخذها منه. فمرَّ بِهِ يوماً، فقال صاحب الدُّكان لغلام ممن يخدُمُهُ حسنِ الوجه: أدرِك أبا العتاهية فلا تُفارِقه حتى تأخذَ منه ما لنا عنده؛ فَأدركَهُ على رأس الجسر، فأخذ بِعنانِ حماره ووقَفَهُ. فقال له: ما حاجتُكَ يا غلام؟ قال: أنا رسول فلان، بعثني إليك لآخُذَ مالَهُ عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية؛ وكان كلُّ من مَرَّ فرأى الغُلامَ مُتَعَلِّقاً بِهِ وقف ينظُرُ، حتى رضي أبو العتاهية جَمعَ الناس وحَفلَهم، ثم أَنشأَ يقولُ:

وَالـلَّـهِ رَبِّـكَ إِنَّـنـي لَأُجِـلُّ وَجـهَـكَ عَـن فِـعـالِـكْ
لَـو كـانَ فِـعـلُـكَ مِـثـلَ وَجـهِـكَ كُـنـتُ مُـكـتَـفـيـاً بِـذَلِـك
[مجزوء الكامل]

فَخَجِلَ الغلامُ وأرسل عِنانَ الحمار، ورَجَعَ إلى صاحبه، وقال: بعثتني إلى شيطان جمع عليّ الناس وقال فيّ الشعرَ حتى أخجلني فهربْتُ مِنْهُ.

(١) ورد في الديوان «الود»: بدل «العهد».
(٢) باب الطاق: محلة واسعة في بغداد بالجانب الشرقيّ تعرف بطاق أسماء.

[حجبه حاجب عمرو بن مسعدة فقال فيه شعراً]

أخبرني أحمد بن العباس قال حدَّثنا العنزيّ قال: قال إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التَّيْميّ: حدَّثني إبراهيم بن حَكيم قال: كان أبو العتاهية يختلفُ إلى عمرو ابن مسعدة لوُدٍّ كان بينه وبين أخيه مُجاشع، فاستأذن عليه يوماً فَحُجِبَ عنه، فَلَزَمَ منزلَهُ. فاستبطأَهُ عمرو؛ فكتب إليه: إنَّ الكسلَ يمنعني من لقائِكَ؛ وكتب في أسفل رقعته:

كَسَّلَني اليَأسُ مِنكَ عَنكَ فَما ... أَرفَعُ طَرفي إِلَيكَ مِن كَسَلِ
إِنّي إِذا لَم يَكُن أَخي ثِقَةً ... قَطَّعتُ مِنهُ حَبائِلَ الأَمَلِ

[المنسرح]

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمد بن يزيد النَّحويّ قال: استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فَحُجِبَ عنه؛ فكتب إليه:

ما لَكَ قَد حُلتَ عَن إِخائِكَ وَٱستَبدَلتَ يا عَمرُ شيمَةً كَدِرَهْ
إِنّي إِذا البابُ تاهَ حاجِبُهُ ... لَم يَكُ عِندي في هَجرِهِ نَظِرَهْ
لَستُم تُرَجَّونَ لِلحِسابِ وَلا ... يَومَ تَكونُ السَّماءُ مُنفَطِرَهْ
قَد كانَ وَجهي لَدَيكَ مَعرِفَةً ... فَاليَومَ أَضحى حَرفاً مِنَ النَّكِرَهْ

[المنسرح]

[قصيدته في هجو عبد اللَّه بن معن وما كان بينهما]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدَّثنا أبو عكْرمَة قال: كان الرَّشيدُ إذا رأى عبدَ اللَّه بن مَعن بن زائدة تَمثَّل قول أبي العتاهية:

أُختُ بَني شَيبانَ مَرَّت بِنا ... مَمشوطَةً كوراً[1] عَلى بَغلِ

[السريع]

وأوّلُ هذه الأبيات:

يا صاحِبَي رَحلِيَ لا تُكثِرا ... مِن شَتمِ عَبدِ اللَّهِ مِن عَذْلِ
سُبحانَ مَن خَصَّ ابنَ مَعنٍ بِما ... أَرى بِهِ مِن قِلَّةِ العَقلِ
قالَ ابنُ مَعنٍ وَجَلا نَفسَهُ ... عَلى مَنِ الجَلوَةُ[2] يا أَهلي
أَنا فَتاةُ الحَيِّ مِن وائِلٍ ... في الشَّرَفِ الشّامِخِ وَالنُّبلِ

(١) الكُورُ: الرحل، والجمع: الأَكْوار، والكِيران.
(٢) الجلوة: الواسعة الحسنة.

مـا فـي بَـنـي شَـيـبـانَ أَهـلِ الـحِـجـا جـــارِيَـــةٌ واحِـــدَةٌ مِـــثـــلـــي
وَيـلـي وَيـا لَـهـفـي عَـلـى أَمْـرَدٍ يُـلـصِـقُ مِـنّـي الـقُـرطَ بِـالـحِـجـلِ[1]
صـافَـحـتُـهُ يَـومـاً عَـلـى خَـلـوَةٍ فَـقـالَ دَع كَـفّـي وَخُـذ رِجـلـي
أُخـتُ بَـنـي شَـيـبـانَ مَـرَّت بِـنـا مَـمـشـوطَـةً كـوراً عَـلـى بَـغـلِ
تُـكـنـى أَبـا الـفَـضـلِ وَيـا مَـن رَأى جـارِيَـةً تُـكـنـى أَبـا الـفَـضـلِ
قَـد نَـقَّـطَـت فـي وَجـهِـهـا نُـقـطَـةً مَـخـافَـةَ الـعَـيـنِ مِـنَ الـكُـحـلِ
إِن زُرتُـمـوهـا قـالَ حُـجَّـابُـهـا نَـحـنُ عَـنِ الـزُّوّارِ فـي شُـغـلِ
مَـولاتُـنـا مَـشـغـولَـةٌ عِـنـدَهـا بَـعـلٌ وَلا إِذنَ عَـلـى الـبَـعـلِ
يـا بِـنـتَ مَـعـنِ الـخَـيـرِ لا تَـجـهَـلـي وَأَيـنَ إِقـصـارٌ عَـنِ الـجَـهـلِ
أَتَـجـلِـدُ الـنـاسَ وَأَنـتَ امـرُؤٌ تُـجـلَـدُ فـي الـدُّبـرِ وَفـي الـقُـبـلِ
مـا يَـنـبَـغـي لِـلـنـاسِ أَن يَـنـسُـبـوا مَـن كـانَ ذا جـودٍ إِلـى الـبُـخـلِ
يَـبـذُلُ مـا يَـمـنَـعُ أَهـلُ الـنَّـدى هَـذا لَـعَـمـري مُـنـتَـهـى الـبَـذلِ
مـا قُـلـتُ هَـذا فـيـكَ إِلاّ وَقَـد جَـفَّـت بِـهِ الأَقـلامُ مِـن قَـبـلـي

[السريع]

قال: فبعث إليه عبد اللَّه بن مَعن، فأُتي به؛ فدعا بِغلمان له ثم أمرَهُم أن يَرتكيبوا منه الفاحشةَ، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه وقال له: قد جَزَيتُك على قولك فيَّ، فهل لك في الصلح ومعه مَرْكَبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب؟ قال: بل الصلح؛ قال: فاسمعني ما تقوله في الصلح؛ فقال:

مـا لِـعُـذّالـي وَمـالـي أَمَـرونـي بِـالـضَّـلالِ
عَـذَلـونـي فـي اغـتِـفـاري لابـنِ مَـعـنٍ وَاحـتِـمـالـي
إِن يَـكُـن مـا كـانَ مِـنـهُ فَـبِـجُـرمـي وَفِـعـالـي
أَنـا مِـنـهُ كُـنـتُ أَسـوا عِـشـرةً فـي كُـلِّ حـالِ
قُـلْ لِـمَـن يَـعْـجَـبُ مـن حُـسـن رُجـوعـي ومَـقـالـي
رُبَّ وُدٍّ بـعـد صَـدٍّ وهـوًى بـعـد تـقـالـي[2]
قَـد رَأَيـنـا ذا كَـثـيـراً جـارِيـاً بَـيـنَ الـرِّجـالِ

(١) الحجل: الخلخال.
(٢) التقالي: البغض والكراهية.

إِنَّـمـا كـانَـت يَـمـيـنـي لـطَـمَـت مـنّـي شِـمـالـي

[مجزوء الرمل]

[خبره مع سعدى]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا محمد بن موسى اليزيديّ قال: حدَّثنا أبو سُوَيد عبد القَويّ محمد بن أبي العتاهية ومحمدُ بن سعد قالا: كان أبو العتاهية يَهوى في حَداثتِهِ امرأةً نائحةً من أهل الحيرة لها حُسن وجمال يُقالُ لها سُعدى، وكان عبد اللَّه بن مَعن بن زائدة المُكنَّى بأبي الفضل يَهواها أيضاً، وكانت مولاة لهم، ثم اتَّهمها أبو العتاهية بالنساء، فقال فيها:

أَلا يا ذَواتِ السَّحقِ في الغَربِ وَالشَّرقِ أَفِقنَ فَإِنَّ النيك أَشفى مِنَ السَّحقِ
أَفِقنَ فَإِنَّ الخُبزَ بِالأُدمِ يُشتَهى وَلَيسَ يَسوغُ الخُبزُ بِالخُبزِ في الحَلقِ
أَراكُنَّ تَرقَعنَ الخُروقَ بِمِثلِها وَأَيُّ لَبيبٍ يَرقَعُ الخَرقَ بِالخَرقِ
وَهَل يَصلُحُ المِهراسُ[1] إِلاّ بِعودِهِ إِذا اُحتيجَ مِنهُ ذاتَ يَومٍ إِلى الدَّقِّ

[الطويل]

حدَّثني الصولي قال حدَّثني الغَلابيّ قال حدَّثني مَهديّ بنُ سابق قال: تهدَّدَ عبد اللَّه بن مَعن أبا العتاهية وخوفَهُ ونهاه أن يَعرض لمولاته سُعدى؛ فقال أبو العتاهية:

أَلا قُل لِابنِ مَعنٍ ذا الَّذي في الوُدِّ قَد حالا لَقَد بُلِّغتُ ما قالا فَما بالَيتُ ما قالا
وَلَو كانَ مِنَ الأُسدِ لَما صالَ وَلا هالا[2] فَصُغ ما كُنتَ حَلَّيتَ بِهِ سَيفَكَ خَلخالا
فَما تَصنَعُ بِالسَّيفِ إِذا لَم تَكُ قَتَّالا وَلَو مَدَّ إِلى أُذنَيهِ كَفَّيهِ لَما نالا
قَصيرَ الطَّولِ وَالطِّيلَةِ[3] فَلا شَبَّ وَلا طالا أَرى قَومَكَ أَبطالا وَقَد أَصبَحتَ بَطّالا

[الهزج]

---

(١) المهراس من هرس وهو الوعاء الذي تسحق بها الأشياء، ويطلق العامة عليه اسم الهاون.
(٢) الهَوْلُ: المخافة من أمرٍ لا تدري على ما تَهْجمُ عليه منه، كهَوْل اللّيل، وهَوْل البَحْر.
(٣) الطيلة: العمر.

[ضربه عبد اللَّه بن معن فهجاه]

حدَّثنا الصُّوليّ قال: حدَّثنا محمد بن موسى قال: حدَّثني سُليمان المدائنيّ قال: احتال عبد اللَّه بن مَعْن على أبي العتاهية حتى أُخِذَ في مكان فضربه مائة سَوطٍ ضَرباً ليس بالمبرَّحِ غيظاً عليه، وإنما لم يَعنُفْ في ضربه خوفاً من كثرة ما يُعنى به؛ فقال أبو العتاهية يهجوه:

جَلَدَتني بِكَفِّها بِنتُ مَعنِ ... جَلَدَتني فَأَوجَعَت بِأَبي تِلكَ جالِدَة
وَتَراها مَعَ الخَصِيّ عَلى البابِ قاعِدَة ... تَتَكَنّى كُنى الرِّجالِ بِعَمدٍ مُكايِدَة
جَلَدَتني وَبالَغَت ماءَةً غَيرَ واحِدَة ... إِجلِديني وَأَجلِدي إِنَّما أَنتِ والِدَة

[مجزوء الخفيف]

وقال أيضاً:

ضَرَبَتني بِكَفِّها بِنتُ مَعنٍ ... أَوجَعَت كَفُّها وَما أَوجَعَتني
وَلَعَمري لَولا أَذى كَفِّها إِذ ... ضَرَبَتني بِالسوطِ ما تَرَكَتني

[الخفيف]

[توعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه]

قال الصُّولي: حدَّثنا عوَنُ بن محمد ومحمد بن موسى قالا: لما اتصل هِجَاء أبي العتاهية بعبد اللَّه بن معن وكَثُرَ، غَضِبَ أخوه يزيد بن معن من ذلك وتَوَّعدَ أبا العتاهية؛ فقال فيه قصيدته التي أولها:

بَني مَعنٌ وَيَهدِمُهُ يَزيدُ ... كَذاكَ اللَّهُ يَفعَلُ ما يُريدُ
فَمَعنٌ كانَ لِلحُسّادِ غَمّاً ... وَهَذا قَد يُسَرُّ بِهِ الحَسودُ
يَزيدُ يَزيدُ في مَنعٍ وَبُخلٍ ... وَيَنقُصُ في العَطاءِ وَلا يَزيدُ

[الوافر]

[مصالحته أولاد معن]

حدَّثني الصَّولي قال حدَّثني جَبَلَةُ بن محمد قال حدَّثني أبي قال: مضى بنو مَعن إلى مَنْدَلَ وحيَّان بن على العَنَزيَّين الفقيهين ــ وهما من بني

عمرو بن عامر بطنٍ مِن يَقْدُمَ بن عَنْزَة، وكانا من ساداتِ أهل الكوفة ـ فقالوا لهما: نحنُ بيتٌ واحدٌ وأهلٌ، ولا فرق بيننا، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الولاء لَوَجَبَ أن تَرْدعاه.؟ فأحضرا أبا العتاهية، ولم يكن يُمكِنُهُ الخلاف عليهما، فأصلحا بينه بين عبد اللَّه ويزيد ابني معن، وضمنا عنه خُلوصَ النيَّة، وعنهما ألا يَتبَعَاه بسوء، وكانا ممن لا يُمكن خلافُهما، فَرَجَعَت الحالُ إلى المودَّة والصَّفاء. فجعل الناسُ يَعْذِلون أبا العتاهية، على ما فرط منه، ولامه آخرون في صُلحِهِ فقال:

ما لِعُذالي ومالي . . . أمروني بالضَّلالِ

[الرمل]

وقد كُتِبَتْ مُتقدِمة.

[رثاؤه زائدة بن معن]

حدَّثني الصوليّ قال حدَّثنا محمد بن موسى قال: كان زائدةُ بن معنٍ صديقاً لأبي العتاهية ولم يُعِنْ إخوته عليه، فمات؛ فقال أبو العتاهية يرثيه:

حَزِنتُ لِمَوتِ زائِدَةَ بنِ مَعنٍ ... حَقيقٌ أَن يَطولَ عَلَيهِ حُزني
فَتى الفِتيانِ زائِدَةُ المُصَفَّى ... أَبو العَبّاسِ كانَ أَخي وَخِدْني
فَتى قَومٍ وَأَيُّ فَتًى تَوارَت ... بِهِ الأَكفانُ تَحتَ ثَرًى وَلِبنِ[1]
أَلا يا قَبرَ زائِدَةَ بنِ مَعنٍ ... دَعَوتُكَ كي تُجيبَ فَلَم تُجِبني
سَلِ الأَيّامَ عَن أَركانِ قَومي ... أُصِبتُ بِهِنَّ رُكناً بَعدَ رُكنِ

[الوافر]

[فكان ابن معن يخجل إذا لبس السيف]

أخبرني الصوليّ قال حدَّثنا الحسن بن عليّ الرازيّ القارىء قال: حدَّثني أحمد بن أبي فَنَن قال: كُنَّا عند ابن الأعرابيّ، فذكروا قول ابن نَوْفَل في عبد الملك بن عُمَير:

إذا ذاتُ دَلٍّ كَلَّمتهُ بِحاجةٍ ... فَهَمَّ بِأن يَقضِي تَنحنَح أو سَعَل

[الطويل]

وأن عبد الملك قال: تركني واللَّه وإنَّ السُّعلة لتَعرِضُ لي في الخلاء، فأذكُر

(١) اللّبن: اللّبن: لغة، وهو المضروب من الطين مُربعاً.

قولَهُ فأهاب أن أَسعُلَ. قال: فقلت لأبن الأعرابي: فهذا أبو العتاهية قال في عبد اللَّه بن مَعْن بن زائدة:

فَصُغ ما كُنتَ حَلَّيتَ بِهِ سَيفَكَ خَلخالا
فَما تَصنَعُ بِالسَيفِ إِذا لَم تَكُ قَتّالا

[الهزج]

فقال عبد اللَّه بن مَعْن: ما لَبِست سيفي قطّ فرأيْتُ إنساناً يلمَحُني إلا ظَنَنْتُ أنه يحفظُ قولَ أبي العتاهية فيَّ، فلذلك يتأمَّلُني فأخجل. فقال ابن الأعرابيّ: إعجبوا لعبد يَهجو مولاه. قال: وكان ابن الأعرابيّ مولى بني شيبان.

[مناظرته مسلم بن الوليد في قول الشعر]

نسخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدَّثني عليّ بن مَهدِيّ قال حدَّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال: اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاريّ في بعض المجالس، فجرى بينهما كلامٌ؛ فقال له مُسلم: واللَّه لو كُنْتُ أرضى أن أقول مثل قولك:

ألحَمدُ وَالنِّعمَةُ لَك وَالمُلكُ لا شَريكَ لَك
لَبَّيكَ إِنَّ المُلكَ لَك

[مجزوء الرجز]

لَقُلْتُ في اليوم عشرةَ آلاف بيت، ولكنِّي أقولُ:

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذي رهج[1] كأنَّه أجلٌ يسعى إلى أملِ
يَنَالُ بالرِّفقِ ما يَعيا الرجالُ بِهِ كالموتِ مُسْتَعْجِلاً يأتي على مَهَلِ
يكسو السيوفَ نُفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تِيجانَ القَنا الذُّبُلِ
للَّه من هاشمٍ في أرضِهِ جَبَلٌ وأنْتَ وابنك رُكنا ذلك الجَبلِ

[البسيط]

فقال له أبو العتاهية: قُلْ مثل قولي:

الحمدُ والنِّعمة لكْ

أقُلْ مِثلَ قولك:

كأنَّه أجلٌ يسعى إلى أمل

(١) يوم ذي رهج: يوم ذي غبار من الحرب.

[تقارض هو وبشار الثناء على شعريهما]

حدَّثني الصوليّ قال: حدَّثنا الغَلابيّ قال حدَّثنا مَهديّ بن سابِق قال: قال بشَّار لأبي العتاهية: أنا واللَّه أستَحْسِنُ اعتِذَارَكَ من دَمْعِكَ حيث تقول:

كَم مِن صَديقٍ لي أُساءِ رِقُّهُ البُكاءَ مِنَ الحَياءِ
فَإِذا تَأَمَّلَ لامَني فَأَقولُ ما بي مِن بُكاءِ
لَكِن ذَهَبتُ لِأَرتَدي فَطَرَفتُ عَيني بِالرِّداءِ

[مجزوء الكامل]

فقال له أبو العتاهية: لا واللَّه يا أبا مُعاذ، ما لُذتُ إلاَّ بمعناكَ ولااجتَنَيْتُ إلا من غَرْسك حيث تقول:

صوت

شَكَوتُ إِلى الغَواني ما أُلاقي وَقُلتُ لَهُنَّ ما يَومي بَعيدُ
فَقُلنَ بَكَيتَ قُلتُ لَهُنَّ كَلّا وَقَد يَبكي مِنَ الشَّوقِ الجَليدُ
وَلَكِنِّي أَصابَ سَوادَ عَيني عُوَيدُ قَذًى لَهُ طَرْفٌ حَديدُ
فَقُلنَ فَما لِدَمعِهِما سَواءً أَكِلتا مُقلَتَيكَ أَصابَ عودُ

[الوافر]

لإبراهيم الموصليّ في هذه الأبيات لَحْنٌ من الثَّقيل الأول بالوُسطى مُطلق.

[مع محمد بن الفضل الهاشمي]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّافُ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال: حدَّثني محمد بن هارون الأزرَقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابنٍ لمحمد بن الفضل الهاشميّ قال: جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدَّثا ساعةً، وجعل أبي يشكو إليه تَخَلُّف الصَّنعة[1] وجَفاءَ السلطان، فقال لي أبو العتاهية: اكتب:

كُلٌّ عَلى الدُّنيا لَهُ حِرصُ وَالحادِثاتُ أَناتُها غَفصُ[2]
وَكَأَنَّ مَن وارَوْه في جَدَثٍ لَم يَبدُ مِنهُ لِناظِرٍ شَخصُ
تَبغي مِنَ الدُّنيا زِيادَتَها وَزِيادَةُ الدُّنيا هِيَ النَّقصُ

(١) الصنعة: الصنيعة.
(٢) غافصه الأمر: فاجأه على غرّةٍ منه، وأخذه مغافصةً. ووقاك اللَّه غوافص الدهر.

لِـيَـدِ الـمَـنِـيَّـةِ فـي تَـلَـطُّـفِـهـا عَـن ذُخـرِ كُـلِّ شَـفـيـقَـةٍ فَـحـصُ

[الكامل]

[حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه]

حدَّثني عمرو قال حدَّثني عليّ بن محمد الهشاميّ عن جدِّهِ ابن حمدون قال أخبرني مُخارِق قال: لما تنسَّكَ أبو العتاهية ولَبِسَ الصوف، أمرَهُ الرشيد أن يقول شعراً في الغزَلِ، فامتنع؛ فضربَهُ الرشيد ستين عصاً، وحَلَفَ ألاَّ يَخرُج من حَبسِهِ حتى يقول شعراً في الغزل. فلمَّا رُفِعَتِ المقارعُ[1] عنه قال أبو العتاهية: كُلُّ مملوكٍ له حرّ وامرأته طالِقٌ إن تكلَّمَ سَنةً إلا بالقرآن أو بلا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه؛ فكأنَّ الرشيدُ تَحزَّنَ مما فعله، فأمر أن يُحبَسَ في دار ويُوَسَّعُ عليه، ولا يُمنَع من دخول من يُريد إليه، قال مُخارق: وكانت الحالُ بينه وبين إبراهيم الموصليّ لطيفةً، فكان يبعثُني إليه في الأيام أتعرَّف خبرَهُ. فإذا دَخَلْتُ وَجدتُ بين يديه ظهراً[2] ودواةً، فيكتب إليَّ ما يُريدُ، وأُكلمه. فمكث هكذا سنةً. واتفق أنَّ إبراهيم الموصليّ صَنَعَ صَوتَهُ:

صوت

أعـرَفـتَ دار الـحـيِّ بـالـحِـجـرِ فـشـدوريـان فـقُـنَّـة[3] الـغَـمْـرِ

وهـجـرتـنـا وأَلِـفْـتَ رسـمَ بـلًـى والـرّسـمُ كـان أحـقَّ بـالـهَـجْـرِ

[الكامل]

ـ لحنُ إبراهيم في هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسطى. وفيه لإسحاق رمل بالوسطى ـ قال مُخارق: فقال لي إبراهيم: اذهب إلى أبي العتاهية حتى تُغَنِّيَه هذا الصوتَ؛ فأتيته في اليوم الذي انقضت فيه يمينه، فغنَّيته إياه. فَكَتَبَ إلي بعد أن غنَّيتُهُ: هذا اليوم تَنْقَضِي فيه يميني، فأُحبّ أن تُقيمَ عندي إلى الليل؛ فأقَمْتُ عنده نهاري كُلَّه، حتى إذا أذَّنَ الناسُ المغربَ كلَّمني، فقال: يا مُخارق؛ قُلْتُ: لبيك. قال: قُلْ لصاحبِكَ: يابن الزانية! أما واللَّه لقد أبقيْتَ للناسِ فتنةً إلى يوم القيامة، فانظر أين أنت من اللَّه غداً! قال مُخارق: فَكُنْتُ أوّل من أفطر على كلامه؛ فقلت: دعني من هذا،

(١) المقارع: الشدائد.

(٢) لعلّ المقصود هنا الظُّهار من الرِّيش: الّذي يَظْهَر من ريشِ الطّائِرِ وهو في الجَناح، ويظهر أنه كان من عادتهم الكتابة به كالأقلام.

(٣) القنة: ذروة الجبل وأعلاه.

هل قلت شيئاً للتخلُّصِ من هذا الموضعِ؟ فقال: نعم، قد قُلْتُ في امرأتي شِعراً؛ قلت: هاتِهِ؛ فأنشدني:

صوت

مَـن لِـقَـلـبٍ مُـتَـيَّـمٍ مُـشـتـاقِ شَـفَّـهُ شَـوقُـهُ وَطـولُ الـفِـراقِ
طـالَ شَـوقـي إِلـى قَـعـيـدَةِ بـيـتـي لَـيـتَ شِـعـري فَـهَـل لَـنـا مِـن تَـلاقِ
هِـيَ حَـظّـي قَـدِ ٱقـتَـصَـرتُ عَـلَـيـهـا مِـن ذَواتِ الـعُـقـودِ وَالأَطـواقِ
جَـمَـعَ الـلَّـهُ عـاجِـلاً بِـكِ شَـمـلـي عَـن قَـريـبٍ وَفَـكَّـنـي مِـن وِثـاقـي

[الخفيف]

قال: فكتبتها وصِرْتُ إلى إبراهيم؛ فَصَنَعَ فيها لحناً، ودخل بها على الرشيد؛ فكان أوَّلُ صوت غنَّاه إياه في ذلك المجلس؛ وسألَهُ: لمن الشعرُ والغِناء؟ فقال إبراهيم: أمَّا الغناء فلي، وأما الشعر فلأسيرِك أبي العتاهية؛ فقال: أوَ قَد فَعَلَ؟ قال: نعم قد كان ذلك. فدعا به، ثم قال لمسرور الخادم: كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال: ستين عصاً، فأمَرَ له بستين ألف درهم وخَلَعَ عليه وأطلقه.

[غَضِبَ عليه الرشيد وترضاه له الفضل]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدَّثنا الحسين بن أبي السَّرِيّ قال: قال لي الفضل بن العباس: وَجَدَ الرشيدُ وهو بالرّقَّةِ على أبي العتاهية وهو بمدينة السلام، فكان أبو العتاهية يرجو أن يَتَكلَّمَ الفضلُ بن الربيع في أمرِهِ، فأبطأ عليه بذلك؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

أَجَـفَـوتَـنـي فـيـمَـن جَـفـانـي وَجَـعَـلـتَ شَـأنَـكَ غَـيـرَ شَـانـي
وَلَـطـالَـمـا أَمَّـنـتَـنـي مِـمّـا أَرى كُـلَّ الأَمـانِ
حَـتّـى إِذا انـقَـلَـبَ الـزَّمـا نُ عَـلَـيَّ صِـرتَ مَـعَ الـزَّمـانِ

[مجزوء الكامل]

فَكَلَّمَ الفضلُ فيه الرشيدَ فَرَضِيَ عنه. وأرسل إليه الفضلُ يأمُرُهُ بالشخوص، ويذكُرُ له أنَّ أميرَ المؤمنين قد رضي عنه؛ فَشَخَصَ إليه؛ فلما دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه:

قَـدْ دعـونـاه نـائـيـاً فـوجـدنـا ه عـلـى نَـأْيِـهِ قـريـبـاً سَـمِـيـعـا

[الخفيف]

فأدخلَهُ إلى الرشيد، فَرَجَعَ إلى حالتِهِ الأولى.

[رثاء الصديق]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدَّثني عليّ بن مَهدِيّ قال حدَّثني الحسين بن أبي السريّ قال: كان يزيدُ بن منصور خالُ المهديّ يَتَعصَّبُ لأبي العتاهية؛ لأنَّه كان يمدحُ اليمانيةَ أخوالَ المهديّ في شعرِهِ؛ فمن ذلك قوله:

صوت

سُقيتَ الغَيثَ يا قَصرَ السَّلام ... فَنِعمَ مَحَلَّةُ المَلِكِ الهُمام
لَقَد نَشَرَ الإِلَهُ عَلَيكَ نوراً ... وَحَفَّكَ بِالمَلائِكَةِ الكِرام
سَأَشكُرُ نِعمَةَ المَهدِيِّ حَتّى ... تَدورَ عَلَيَّ دائِرَةُ الحِمام
لَهُ بَيتانِ بَيتٌ تُبَّعِيٌّ ... وَبَيتٌ حَلَّ بِالبَلَدِ الحَرام

[الوافر]

قال: وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدَّعي أنَّه مولى لليَمن ويَنْتفي من عَنزَة؛ فلما مات يزيدُ رَجَعَ إلى ولائه الأول. فحدَّثني الفضل بن العبَّاس قال: قُلْتُ له: ألم تكن تَزْعَمُ أنَّ ولاءَك لليمن؟! قال: ذلك شيءٌ احتجنا إليه في ذلك الزمن، وما في واحدٍ ممن انتمَيْتُ إليه خيرٌ، ولكنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبعَ. وكان ادّعى ولاء اللَّخمِيِّين. قال: وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظِهم لِحُرْمةٍ، وأرعاهم لعهدٍ، وكان بارّاً بأبي العتاهية، كثيراً فضلُهُ عليه؛ وكان أبو العتاهية منه في مَنَعَة وحِصْن حَصِين مع كثرة ما يدفعُهُ إليه ويَمْنَعُهُ مِنَ المكارِهِ. فلمَّا مات قال أبو العتاهية يَرثيه:

أَنعى يَزيدَ بنَ مَنصورٍ إلى البَشَرِ ... أَنعى يَزيدَ لِأَهلِ البَدوِ وَالحَضَرِ
يا ساكِنَ الحُفرَةِ المَهجورِ ساكِنُها ... بَعدَ المَقاصِرِ وَالأَبوابِ وَالحُجَرِ
وَجَدتُ فَقدَكَ في مالي وَفي نَشَبي ... وَجَدتُ فَقدَكَ في شِعري وَفي بَشَري[1]
فَلَستُ أَدري جَزاكَ اللَّهُ صالِحَةً ... أَمَنظَري اليَومَ أَسوا فيكَ أَم خَبَري

[البسيط]

[إعجاب بشار بشعره]

حدَّثنا ابن عَمَّار قال حدَّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال حدَّثني أبي قال:

(١) ورد في الديوان «في شعري وفي نثري» بدل في «شعري وبشري».

حُدِّثْتُ أنَّ المهديّ جَلَسَ للشعراء يوماً، فأذِنَ لهم وفيهم بشار وأشجعُ، وكان أشجع يأخذ عن بشار ويُعَظِّمُهُ، وغيرُ هذين، وكان في القوم أبو العتاهية؛ قال أشجع: فلما سَمِعَ بشار كلامَهُ قال: يا أخا سُلَيم، أهذا ذلك الكوفيّ المُلَقَّب؟ قُلْتُ نعم. قال: لا جزى اللَّه خيراً من جَمَعَنا معه. ثم قال له المهديّ: أَنشدْ؛ فقال: ويحك! أو يبدأ فَيُستَنْشدَ أيضاً قبلنا؟! فَقُلْتُ: قد تَرى؛ فأنشد:

أَلا مـا لِـسَـيِّـدَتـي مـا لَـهـا ... أَدَلّاً فَـأَحـمِـلَ إِدلالَـهـا
وَإِلاّ فَـفـيـمَ تَـجَـنَّـت وَمـا ... جَـنـيـتُ سَـقـى الـلَّـهُ أَطـلالَـهـا
أَلا إِنَّ جـارِيَـةً لِـلإِمـا ... م قَـد أُسـكِـنَ الـحُـبُّ سِـربـالَـهـا
مَـشَـت بَـيـنَ حـورٍ قِـصـارِ الـخُـطـا ... تُـجـاذِبُ فـي الـمَـشـي أَكـفـالَـهـا
وَقَـد أَتـعَـبَ الـلَّـهُ نَـفـسـي بِـهـا ... وَأَتـعَـبَ بِـالـلَّـومِ عُـذّالَـهـا

[المتقارب]

قال أشجع: فقال لي بشار: ويَحك يا أخا سُلَيم! ما أدري من أيِّ أَمْريه أعجبُ: أمِن ضَعف شِعره، أم من تَشبيبه بجارية الخليفة، يسمع ذلك بأذنه! حتى أتى على قوله:

أَتَـتـهُ الـخِـلافَـةُ مُـنـقـادَةً ... إِلَـيـهِ تُـجَـرِّرُ أَذيـالَـهـا
وَلَـم تَـكُ تَـصـلُـحُ إِلاّ لَـهُ ... وَلَـم يَـكُ يَـصـلُـحُ إِلاّ لَـهـا
وَلَـو رامَـهـا أَحَـدٌ غَـيـرُهُ ... لَـزُلـزِلَـتِ الأَرضُ زِلـزالَـهـا
وَلَـو لَـم تُـطِـعـهُ بَـنـاتُ الـقُـلـوبِ[1] ... لَـمـا قَـبِـلَ الـلَّـهُ أَعـمـالَـهـا
وَإِنَّ الـخَـلـيـفَـةَ مِـن بُـغـضِ لا ... إِلَـيـهِ لَـيُـبـغِـضُ مَـن قـالَـهـا

[المتقارب]

[إتّهامه بالزّندقة]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدَّثني ابن مَهرُوَيه قال حدَّثني العبَّاس بن مَيمون قال: حدَّثني رَجاء بن سَلَمة قال: سَمِعْتُ أبا العتاهية يقول: قَرَأْتُ البارحة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]، ثم قُلْتُ قصيدةً أحسنَ منها؛ قال: وقد قيل: إنَّ منصورَ بن عمَّار شَنَعَ عليه بهذا.

قال يحيى بن عليّ حدَّثنا ابن مهرُوَيه قال حدَّثني أبو عُمَر القرشيّ قال: لمَّا قَصَّ

(١) بنات القلوب: كناية عن النيات.

منصور بن عَمَّار على الناس مجلسَ البعوضة[1] قال أبو العتاهية: إنَّما سرق منصور هذا الكلامَ من رجل كوفيّ؛ فبلغ قولُهُ منصوراً فقال: أبو العتاهية زِنديقٌ، أما تَرَونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار، وإنما يذكرُ الموتَ فقط! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه:

يا واعِظَ الناسِ قَد أَصبَحتَ مُتَّهماً ... إِذ عِبتَ مِنهُم أُموراً أَنتَ تأتيها
كَالمُلبِسِ الثَّوبَ مِن عُريٍ وَعَورَتُهُ ... لِلناسِ بادِيَةٌ ما إِن يُواريها
فَأَعظَمُ الإِثمِ بَعدَ الشِّركِ نَعلَمُهُ ... في كُلِّ نَفسٍ عَماها عَن مَساويها
عِرفانُها بِعُيوبِ الناسِ تُبصِرُها ... مِنهُم وَلا تُبصِرُ العَيبَ الَّذي فيها

[البسيط]

فلم تمضِ إلا أيامٌ يسيرةٌ حتى مات منصور بن عَمَّار، فوقف أبو العتاهية على قبرِهِ وقال: يَغْفِرُ اللَّه لك أبا السّرِّيّ ما كُنْتَ رميتَنِي بِهِ.

[الوشاية به إلى حمدويه صاحب الزنادقة]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدَّثنا محمد بن موسى قال: أخبرني النَّسائيّ عن محمد بن أبي العتاهية قال: كانت لأبي العتاهية جارةٌ تُشْرِفُ عليه، فرأتْهُ ليلةً يَقْنُت، فروت عنه أنه يُكلِّمُ القمرَ، واتصل الخبرُ بِحَمدُويه صاحب الزنادقة، فصارَ إلى منزلِها وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآهُ يُصلِّي، ولم يَزَلْ يرقُبه حتى قَنَتَ وانصرف إلى مَضْجَعِهِ، وانصرف حَمدُويه خاسئاً.

[قال شعراً يدلُ على توحيدِهِ ليتناقَلَهُ الناس]

حدَّثنا محمد بن يحيى قال حدَّثنا محمد بن الرِّياشيّ قال: حدَّثنا الخليلُ بن أسد النُّوشَجانِيّ قال: جاءنا أبو العتاهية إلى منزلِنا فقال: زَعَمَ الناسُ أنِّي زنديقٌ، واللَّه ما ديني إلا التَّوحيد! فَقُلنا لَهُ: فقل شيئاً نتحدَّثُ به عنك؛ فقال:

أَلا إِنَّنا كُلَّنا بائِدُ ... وَأَيُّ بَني آدَمٍ خالِدُ
وَبَدؤُهُم كانَ مِن رَبِّهِم ... وَكُلٌّ إِلى رَبِّهِ عائِدُ
فَيا عَجَباً كَيفَ يُعصى الإِلَهُ أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ
وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ

[المتقارب]

(١) يريد بذلك أنه قص ما يتعلق بالبعوضة من خلقها وصفتها وما أودعه اللَّه فيها من الأسرار، التي تشير الى حكمة اللَّه.

[أرجوزته المشهورة وقوة شعرها]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: تذاكروا يوماً شعرَ أبي العتاهية بحضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذكرُ أرجُوزته المُزدوجة التي سمَّاها «ذات الأمثال»؛ فأخذ بعضُ من حَضَرَ يُنْشِدُها حتى أتى على قوله:

يا لِلشَّبابِ المَرِحِ التَّصابي رَوائِحُ الجَنَّةِ في الشَّبابِ

[الرجز]

فقال الجاحظ للمُنْشِد: قِفْ: ثم قال: انظروا إلى قوله:

رَوائِحُ الجَنَّةِ في الشَّبابِ

فإنَّ لَهُ معنى كمعنى الطَّرَب الذي لايقدر على معرفته إلا القلوبُ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنةُ إلا بعد التطويل وإدامةِ التفكير. وخيرُ المعاني ما كان القلبُ إلى قَبوله أسرعَ من اللسان إلى وَصفِهِ. وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويُقالُ: إنَّ [له] فيها أربعة آلاف مَثَل. منها قوله:

حَسبُكَ مِمّا تَبتَغيهِ القوتُ ما أَكثَرَ القوتَ لِمَن يَموتُ
ألفَقرُ فيما جاوَزَ الكَفافا مَن اِتّقى اللَّهَ رَجا وَخافا
هِيَ المَقاديرُ فَلُمني أَو فَذَر إن كُنتُ أخطأْتُ فما أخطا القَدَر[1]
لِكُلِّ ما يُؤذي وَإِن قَلَّ أَلَم ما أَطوَلَ اللَّيلَ عَلى مَن لَم يَنَم
ما اُنتَفَعَ المَرءُ بِمِثلِ عَقلِه وَخَيرُ ذُخرِ المَرءِ حَسنُ فِعلِه
إِنَّ الفَسادَ ضِدُّهُ الصَّلاحُ ورُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ المِزاحُ
مَن جَعَلَ النَّمَّامَ عَيناً هَلَكا مُبلِغُكَ الشَّرَّ كَباغيهِ لَكا
إِنَّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَه مَفْسَدةٌ لِلمرءِ أيُّ مَفسده
يُغنيكَ عَن كُلِّ قَبيحٍ تَركُهُ يَرتَهِنُ الرَّأيَ الأَصيلَ شَكُّهُ
ما عَيْشُ من آفتُهُ بقاؤهُ نَغَّص عيشاً[2] كلَّه فَناؤهُ
يا رُبَّ مَن أَسخَطَنا بِجَهدِهِ قَد سَرَّنا اللَّهُ بَغَيرِ حَمدِهِ
ما تَطلُعُ الشَّمسُ وَلا تَغيبُ إِلاّ لِأَمرٍ شَأنُهُ عَجيبُ

(١) في الديوان ورد العجز التالي:

تَجري المَقاديرُ عَلى غَرزِ الإِبَر

(٢) ورد في الديوان «طيباً» بدل «عيشاً».

لِـكُـلِّ شَـيءٍ مَـعـدَنٌ وَجَـوهَـرُ وَأَوسَـطٌ وَأَصـغَـرٌ وَأَكـبَـرُ
مَـن لَـكَ بِـالـمَـحـضِ وَكُـلٌّ مُـمـتَـزِج وَسـاوِسٌ فـي الـصَّـدرِ مِـنـكَ تَـعـتَـلِـج[1]
وَكُـلُّ شَـيءٍ لاحِـقٌ بِـجَـوهَـرِه أَصـغَـرُهُ مُـتَّـصِـلٌ بِـأَكـبَـرِه
مـا زالَـتِ الـدُّنـيـا لَـنـا دارَ أَذى مَـمـزوجَـةَ الـصَّـفـوِ بِـأَلـوانِ الـقَـذى
أَلـخَـيـرُ وَالـشَّـرُّ بِـهـا أَزواجُ لِـذا نِـتـاجٌ وَلِـذا نِـتـاجُ
مَـن لَـكَ بَـالـمَـحـضِ وَلَـيـسَ مَـحـضُ يَـخـبُـثُ بَـعـضٌ وَيَـطـيـبُ بَـعـضُ
لِـكُـلِّ إِنـسـانٍ طَـبـيـعَـتـانِ خَـيـرٌ وَشَـرٌّ وَهُـمـا ضِـدّانِ
إِنَّـكَ لَـو تَـسـتَـنـشِـقُ الـشَّـحـيـحـا وَجَـدتَـهُ أَنـتـن شَـيءٍ ريـحـا
والـخـيـرُ والـشـرُّ إذا مـا عُـدّا بـيـنـهـمـا بَـوْنٌ بـعـيـدٌ جـدّا
عَـجِـبـتُ حـتـى غَـمَّـنـي[2] الـسُّـكـوتُ صِـرْتُ كَـأَنّـي حـائِـرٌ مَـبـهـوتُ
كَـذا قَـضـى الـلَّـهُ فَـكَـيـفَ أَصـنَـعُ [وَ] الـصَّـمـتُ إِن ضـاقَ الـكَـلامُ أَوسَـعُ[3]

[الرجز]

وهي طويلة جدّاً، وإنَّما ذَكَرْتُ هذا القدرَ منها حسب ما استاقَ الكلامُ من صفتها.

[برمه بالناس وذمهم في شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهرُويه عن رَوْح بن الفَرَجَ قال: شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشُه على خاتمه؛ فقال: انْقُش عليه: لَعنةُ اللَّه على الناس؛ وأنشد:

بَـرِمْـتُ بـالـنـاسِ وأخـلاقِـهـم فَـصِـرْتُ أستـأنِـسُ بـالـوَحـدةْ
مـا أكـثـرَ الـنـاسَ لـعَـمْـري ومـا أقـلَّـهـم فـي حـاصـل الـعِـدَّةْ

[السريع]

[مدح عمرو بن العلاء فأجازه]

حدَّثنا الصُّوليّ قال: حدَّثنا الغَلابِيّ قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن الضَّحاك: أنَّ عُمَرَ ابن العلاء مولى عمرو بن حُريث صاحبَ المهديّ كان مُمدَّحاً، فمدَحَهُ أبو العتاهية، فأمَرَ له بسبعين ألف درهم؛ فأنكَرَ ذلك بعضُ الشعراء وقال: كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ! وأيّ شيء مِقدارُ شعره! فَبَلَغَهُ ذلك، فأحضرَ الرجُلَ وقال له: واللَّه إنَّ

(١) تعتلج: تضطرب.
(٢) ورد في الديوان «لما ضبني» بدل «حتى غمني».
(٣) لم ترد القصيدة في الديوان بنفس الطريقة التي وردت فيها في هذا الكتاب.

الواحدَ مِنكم لَيَدُورُ على المعنى فلا يُصيبُهُ، ويتعاطاه فلا يُحْسِنُهُ، حتى يُشَبِبَ بخمسين بيتاً، ثم يمدحنا ببعضِها، وهذا كأن المعاني تُجْمَعُ له، مَدَحني فقصَّرَ التشبيب، وقال:

إنّي أَمِنتُ مِنَ الزَّمانِ وَرَيبِهِ ... لَمّا عَلِقتُ مِنَ الأَميرِ حِبالا

لَو يَستَطيعُ الناسُ مِن إجلالِهِ ... لَحَذَوا لَهُ حُرَّ الوُجوهِ نِعالا

[الكامل]

صوت

إنَّ المَطايا تَشتَكيكَ لِأَنَّها ... قَطَعَت إِلَيكَ سَباسِباً[1] وَرِمالا

فَإِذا وَرَدْن بِنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً[2] ... وَإِذا رَجَعنَ بِنا رَجَعنَ ثِقالا

[الكامل]

أَخَذَ المعنى من قولِ نُصَيب:

فَعَاجُوا فأَثْنَوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنَتْ عليك الحقائِبُ

[الطويل]

[تفضيله على أبي نواس]

حدَّثنا الصُّوليّ قال: حدَّثنا محمد بن عَوْن قال حدَّثني محمد بن النَّضْر كاتب غَسَّان بن عبد اللَّه قال: أُخرِجْتُ رسولاً إلى عبد اللَّه بن طاهر وهو يريدُ مصر، فَنَزِلْتُ على العَتَّابيّ، وكان لي صديقاً، فقال: أنشدني لشاعر العراق ـ يعني أبا نواس، وكان قد مات ـ فأنشدته ما كُنْتُ أحفظُ مِنْ مُلَحه، وقُلْتُ له: ظَنَنْتُكَ تقول هذا لأبي العتاهية؛ فقال: لو أردْتُ أبا العتاهية لَقُلْتُ لك: أنشدني لأشعر الناس، ولم اقتصر على العراق.

[الشعر في عرض الكلام]

أخبرني عمي قال حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدَّثني هارون بن سَعدان عن شيخ من أهل بغداد قال: قال أبو العتاهية: أكثرُ الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون، ولو أحسنوا تأليفَهُ كانوا شعراء كُلُّهم. قال: فبينما نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه مِسْحٌ[3]:

يا صاحب المسح تبيع المسحا

(١) السباسب من سبسب، وهو الأرض القفر البعيدة.

(٢) مخفة: قليلة الحمل. (٣) المِسح: كساء من شعر كثوب الرهبان.

فقال لنا أبو العتاهية: هذا من ذلك، ألم تسمعوه يقول:

يـا صـاحـبَ الـمِـسـحِ تـبـيـع الـمـسـحـا

قد قال شعراً وهو لايعلمُ؛ ثم قال الرجل:

تـعـال إنْ كُـنْـتَ تُـريـد الـرّبـحـا

فقال أبو العتاهية: وقد أجازَ المِصراع بمصراع آخر وهو لا يعلمُ، قال له:

تـعـال إنْ كُـنْـتَ تُـريـد الـرّبـحـا

[وصف الأصمعي شعره]

حدَّثنا الصُّوليّ قال حدَّثنا محمد بن موسى قال: حدَّثنا أحمد بن بَشير أبو طاهر الحَلَبيّ قال: حدَّثنا مَزْيد الهاشميّ عن السِّدْريّ قال: سَمِعْتُ الأصمعيّ يقولُ: شعرُ أبي العتاهية كساحة الملوك يَقعُ فيها الجوهر والذهب والتراب والخَزَف والنَّوى.

[مدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه لدى المهديّ]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: لما حبس المهديُّ أبا العتاهية تكلَّم فيه يزيد بن منصور الحميريّ حتى أطلقه؛ فقال فيه أبو العتاهية:

مـا قُـلْـتُ فـي فَـضْـلِـهِ شَـيـئـاً لِأَمْـدَحَـهُ إلاّ وفـضـلُ يَـزيـدٍ فـوقَ مـا قُـلْـتُ

مـا زِلْـتُ مـن ريَـب دهـري خـائـفـاً وجِـلاً فَـقَـد كـفـانـيَ بـعـد الـلَّـه مـا خِـفْـتُ

[البسيط]

[قدرته على ارتجال الشعر]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: حدَّثنا عليّ بن مَهديّ قال: حدَّثني محمد بن يحيى قال: حدَّثني عبد اللَّه بن الحسن قال: جاءني أبو العاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ، فَقُلْتُ: يا أبا إسحاق، أما يصعب عليك شيءٌ من الألفاظ فتحتاجُ فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاجُ إليه سائر من يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مُستكرهة؟ قال لا؛ فقلت «له»: إنِّي لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافيَ السَّهْلة. قال: فاعْرِضْ عليَّ ما شِئْتَ من القوافي الصعبة؛ فَقُلْتُ: قُلْ أبياتاً على مثل البلاغ؛ فقال من ساعته:

أَيُّ عَـيـشٍ يَـكـونُ أَبـلَـغَ مِـن عَـي شِ كَـفـافٍ قُـوتٍ بِـقَـدْرِ الـبَـلاغِ[1]

(١) تبلغ بالقليل: اكتفى به.

صاحِبُ البَغيِ لَيسَ يَسلَمُ مِنهُ ... وَعَلى نَفسِهِ بَغى[1] كُلُّ باغِ
رُبَّ ذي نِعمَةٍ تَعَرَّضَ مِنها ... حائِلٌ بَينَهُ وَبَينَ المَساغِ
أَبلَغَ الدَّهرُ في مَواعِظِهِ بَل ... زادَ فيهِنَّ لي عَلى الإِبلاغِ
غَبَنَتني الأَيّامُ عَقلي وَمالي ... وَشَبابي وَصِحَّتي وَفَراغي
[الخفيف]

[رأي مسلم بن الوليد بشعره]

أخبرنا يحيى إجازةً قال: حدَّثنا عليّ بن مَهديّ قال: حدَّثني أبو عليّ اليَقْطِيني قال: حدَّثني أبو خارجةَ بنُ مسلم قال: قال مسلم بن الوليد: كُنْتُ مُسْتَخِفّاً بشعرِ أبي العتاهية، فَلَقِيَني يوماً فسألني أنْ أصيرَ إليه، فَصِرْتُ إليه فجاءني بلونٍ واحدٍ فأكلناه، وأحضرني تَمراً فأكلناه؛ وجلسنا نتحدَّثُ، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل، وسألتْهُ أن يُنشدني؛ فأنشدني قوله:

بِاللَّهِ يا قُرَّةَ[2] العَينَينِ زوريني ... قَبلَ المَماتِ وَإِلاّ فَاْستَزيريني
إِنّي لَأَعجَبُ مِن حُبٍّ يُقَرِّبُني ... مِمَّن يُباعِدُني مِنهُ وَيُقصيني
أَمّا الكَثيرُ فَلا أَرجوهُ مِنكِ وَلَو ... أَطمَعتِني في قَليلٍ كانَ يَكفيني
[البسيط]

ثم أنشدني أيضاً:

رَأَيتُ الهَوى جَمرَ الغَضا غَيرَ أَنَّهُ ... عَلى حرَّه في صدرِ صاحِبِهِ حُلوُ[3]
[الطويل]

صوت

أَخِلّايَ بي شَجوٌ وَلَيسَ بِكُم شَجوُ ... وَكُلُّ امرِئٍ عَن شَجوِ صاحِبِهِ خِلوُ
وَما مِن مُحِبٍّ نالَ مِمَّن يُحِبُّهُ ... هَوًى صادِقاً إِلاّ سَيَدخُلُهُ زَهوُ
بُليتُ وَكانَ المَزحُ بَدءَ بَلِيَّتي ... فَأَحبَبتُ حَقّاً وَالبَلاءُ لَهُ بَدوُ
وَعُلِّقتُ مَن يَزهو عَلَيَّ تَجَبُّراً ... وَإِنّيَ في كُلِّ الخِصالِ لَهُ كُفوُ

(١) بغى: طلب الأذى والظلم.
(٢) ورد في الديوان «حلوة» بدل «قرة».
(٣) ورد العجز في الديوان على الشكل التالي:
عَلى كُلِّ حالٍ عِندَ صاحِبِهِ حُلوُ

رَأَيتُ الـهَـوى جَـمـرَ الـغَـضـا غَـيـرَ أَنَّـهُ عَـلـى كُـلِّ حـالٍ عِـنـدَ صـاحِـبِـهِ حُـلـوُ

[الطويل]

ـ الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مُطلق في مَجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بالوسطى عن عمرو. ولعمرو بن بانة رَمَلٌ بالوسطى من كتابه. ولعريب فيه خفيفُ ثقيلٍ من كتاب ابن المُعتزّ ـ قال مسلم: ثم أنشدني أبو العتاهية:

صوت

خَـلـيـلَـيَّ مـا لـي لا تَـزالُ مَـضَـرَّتـي تَـكـونُ عَـلـى الأَقـدارِ حَـتـمـاً مِـنَ الـحَـتـمِ

يُـصـابُ فُـؤادي حـيـنَ أُرمـى وَرَمـيَـتـي تَـعـودُ إِلـى نَـحـري وَيَـسـلَـمُ مَـن أَرمـي

صَـبَـرتُ وَلا وَالـلَّـهِ مـا بـي جَـلادَةٌ عَـلى الصَّبرِ لَكِنّي صَبَرتُ عَلى رَغمي

أَلا فـي سَـبـيـلِ الـلَّـهِ جِـسـمـي وَقُـوَّتـي أَلا مُـسـعِـدٌ حَـتّـى أَنـوحَ عَـلـى جِـسـمـي

تُـعَـدُّ عِـظـامـي واحِـداً بَـعـدَ واحِـدٍ بِـمَـنـحًـى مِـنَ الـعُـذّالِ عَـظـمـاً عَـلـى عَـظـمِ

كَـفـاكِ بِـحَـقِّ الـلَّـهِ مـا قَـد ظَـلَـمـتِـنـي فَـهَـذا مَـقـامُ الـمُـسـتَـجـيـرِ مِـنَ الـظُّـلـمِ

[الطويل]

ـ الغناءُ لسِياط في هذه الأبيات، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأوّل بالسَّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ـ قال مسلم: فَقُلْتُ له: لا واللَّه يا أبا إسحاق ما يُبالي من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا! فقال: يابن أخي، لا تقولنّ مثل هذا؛ فإنَّ الشعر أيضاً من بعض مصايد الدنيا.

[وفوده على الرشيد]

أخبرنا يحيى إجازةً قال: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدَّثني عبد الرحمن بن الفضل قال: حدَّثني ابن الأعرابيّ قال: اجتمعت الشعراء على باب الرشيد، فأذِنَ لهم فدخلوا وأنشدوا؛ فأنشد أبوالعتاهية:

يـا مَـن تَـبَـغّـى[1] زَمَـنـاً صـالِـحـاً صَـلاحُ هـارونَ صَـلاحُ الـزَّمَـنْ

كُـلُّ لِـسـانٍ هُـوَ فـي مُـلـكِـهِ بِـالـشُّـكـرِ فـي إِحـسـانِـهِ مُـرتَـهَـنْ[2]

[السريع]

---

(١) تبغى: تطلب.

(٢) المرتهن: المشدود إلى الشيء.

قال: فاهتزَّ لَهُ الرشيد، وقال له: أحْسَنْتَ واللَّه! وما خَرَجَ في ذلك اليوم أحدٌ من الشعراء بِصِلة غيرُهُ.

[قال شعراً في المشمر فرس الرشيد فأجازَهُ]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: حدَّثنا عليّ بن مهديّ قال: حدَّثنا عامر بن عِمران الضَّبيّ قال: حدَّثني ابن الأعرابيّ قال: أجرى هارونُ الرشيد الخيلَ، فجاءه فرس يقال له المُشَمِّر سابقاً، وكان الرشيد مُعجباً بذلك الفرس، فأمرَ الشعراء أن يقولوا فيه؛ فبدَرَهم أبو العتاهية فقال:

جاءَ المُشَمِّرُ وَالأَفراسُ يَقدُمُها ... هَوناً عَلى رِسلِهِ[1] مِنها وَما ٱنبَهَرا
وَخَلَّفَ الريحَ حَسرى[2] وَهيَ جاهِدَةٌ ... وَمَرَّ يَختَطِفُ الأَبصارَ وَالنَّظَرا

[البسيط]

فأجزل صلته، وما جَسَرَ[3] أحد بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً.

[رثاؤه صديقه عليّ بن ثابت]

أخبرني يحيى إجازةً قال حدِّثني الفضل بن عبَّاس بن عُقبة بن جعفر قال: كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجاوبات كثيرة من الزهد والحكمة، فَتُوفِّيَ عليّ بن ثابت قبله، فقال يرثيه:

مُؤنِسٌ كانَ لي هَلَك ... وَالسَّبيلُ الَّتي سَلَكْ
يا عَليَّ بنَ ثابِتٍ ... غَفَرَ اللَّهُ لي وَلَكْ
كُلُّ حَيٍّ مُمَلَّكٍ ... سَوفَ يَفنى وَما مَلَكْ

[مجزوء الخفيف]

قال العُضْل: وحضر أبوالعتاهية عليّ بن ثابت وهو يجودُ بِنَفسِهِ، فلم يَزَلْ مُلتزمه حتى فاض؛ فلما شُدَّ لحياه بكى طويلاً، ثم أنشد يقول:

يا شَريكي في الخَيرِ قَرَّبكَ اللَّهُ فَنِعمَ الشَّريكُ في الخَيرِ كُنتا
قَد لَعَمري حَكَيتَ لي غُصَصَ المَوتِ فَحَرَّكتني لَها وَسَكَنتا

[الخفيف]

---

(١) التَّرسُّلُ في الأمر والمنطق كالتَّمهل والتَّوَقُّرِ والتَّثَبُّت.
(٢) الحسرى من حسر، أي الإعياء.
(٣) جسر: جرأ وتقدم.

قال: ولما دُفِنَ وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاء، ويردِّدُ هذه الأبيات:

أَلا مَـن لـي بِـأُنـسِـكَ يـا أُخَـيّـا وَمَـن لـي أَن أَبُـثَّـكَ مـا لَـدَيّـا
طَـوَتـكَ خُـطـوبُ دَهـرِكَ بَـعـدَ نَـشـرٍ كَـذاكَ خُـطـوبُـهُ نَـشـراً وَطَـيّـا
فَـلَـو نَـشَـرَت قُـواكَ لِـيَ الـمَـنـايـا شَـكَـوتُ إِلَـيـكَ مـا صَـنَـعَـت إِلَـيّـا
بَـكـيـتُـكَ يـا عـلـيُّ بَـدَمـعٍ عَـيـنـي فَـمـا أغـنـى الـبُـكـاءُ عَـلَـيـكَ شَـيّـا
وَكـانَـت فـي حَـيـاتِـكَ لـي عِـظـاتٌ وَأَنـتَ الـيَـومَ أَوعَـظُ مِـنـكَ حَـيّـا

[الوافر]

[اشتمال مرثيته على أقوال الفلاسفة في موت الإسكندر]

قال عليّ بن الحسين مؤلِّف هذا الكتاب: هذه المعاني أخذها كلَّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر، وقد أخرج الإسكندر لِيُدفن: قال بعضُهُم: كان الملكُ أمسِ أهيبَ منه اليومَ، وهو اليوم أوعظُ منه أمسِ. وقال آخر: سَكَنَتْ حركة الملك في لذَّاته، وقد حرَّكنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده. وهذان المعنيان هما اللّذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار.

[سأله جعفر بن السحين عن أشعر الناس فأنشده من شعره]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال حدَّثني جعفر بن الحسين المُهلّبيّ قال: لَقَينا أبو العتاهية فَقُلْنا له: يا أبا إسحاق، من أشعرُ الناس؟ قال: الذي يقول[1]:

[وَ]الـلَّـهُ أَنـجَـح مـا طَـلَـبـتُ بِـهِ وَالـبِـرُّ خَـيـرُ حَـقـيـبَـةِ الـرَّحـلِ

[الكامل]

فَقُلْتُ: أنشدني شيئاً مِنْ شعرك؛ فأنشدني:

يا صاحِبَ الروح ذي الأنفاس في البَدَنِ بـيـن الـنـهـار وبـيـن الـلـيـلِ مُـرْتَـهَـنِ
لَـقَـلَّـمـا يـتـخـطَّـاك اخـتـلافُـهـمـا حـتـى يُـفَـرّق بـيـن الـرُّوحِ والـبـدنِ

(١) المقصود ابن عباس الكندي، وهو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر، وهو قرابة امرئ القيس بن حجر، شاعر فارس كندي صحابي وفد على النبي ﷺ فأسلم ورجع إلى بلاده وثبت على إسلامه فلم يرتد مع من ارتد من كندة وخرج إلى الشام مجاهداً وشهد اليرموك وغيرها من الوقائع وقد حكى ابن سعد في الطبقات أنه كان شاعراً. وقد شارك في حروب الردة ضد المرتدين ومات في خلافة عثمان بن عفان رضي اللّه عنه سنة ٣٥هـ.

لِتَجذِبَنّي يَدُ الدُّنيا بِقُوَّتِها إِلى المَنايا وَإِن نازَعتُها رَسَني
لِلَّهِ دُنيا أُناسٍ دائِبينَ لَها قَدِ ٱرتَعَوا في رِياضِ الغَيِّ وَالفِتَنِ[1]
كَسائِماتٍ[2] رِتاعٍ[3] تَبتَغي سِمناً وَحَتفُها لَو دَرَت في ذَلِكَ السِّمَنِ
[البسيط]

قالَ: فَكَتَبْتُها، ثم قُلْتُ له: أنشدني شيئاً من شعرِك في الغزلِ؛ فقال: يابن أخي، إنَّ الغزلَ يُسرع إلى مثلك؛ فقلت له: أرجوعصمةَ اللَّه جلَّ وعزَّ؛ فأنشدني:

كَأَنَّها مِن حُسنِها دُرَّةٌ أَخرَجَها اليَمُّ إِلى الساحِلِ
كَأَنَّ في فيها وَفي طَرفِها سَواحِراً أَقبَلنَ مِن بابِلِ
لَم يُبقِ مِنّي حُبُّها ما خَلا حُشاشَةً في بَدَنٍ ناحِلِ
يا مَن رَأى قَبلي قَتيلاً بَكى مِن شِدَّةِ الوَجدِ عَلى القاتِلِ
[السريع]

فَقُلْتُ له: يا أبا إسحاق، هذا قولُ صاحبنا جَميل:

خَليلَيَّ فيما عِشتُما هَل رَأَيتُما قَتيلاً بَكى مِن حُبِّ قاتِلِهِ قَبلي
[الطويل]

فقال: هو ذاك يابن أخي وتبسَّم.

[شعره في التحسر على الشباب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني أبو عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال: دَخَلْت مَسْجِدَ المدينة ببغداد بعد أن بُويعَ الأمينُ محمدٌ بسنةٍ، فإذا شيخٌ عليه جماعة وهو يُنْشِدُ:

لَهفي عَلى وَرَقِ الشَّباب وَغُصونِهِ الخُضرِ الرِّطاب
ذَهَبَ الشَّبابُ وَبانَ عَنّي غَيرَ مُنتَظَرِ الإِياب
فَلأَبكِيَنَّ عَلى الشَّبابِ وَطيبِ أَيّامِ التَّصابي

(١) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:
للَّه درّ أناس عمّرت بهم حتى رعوا رياض الغيّ والفتن
(٢) سَئِمَ الرجُلُ يَسْأَمُ: إذا مَل وغَرِضَ؛ سَأَماً وسَآمَةً، فهو سائمٌ.
(٣) ورد في الديوان «رواع» بدل «رتاع».

وَلَأَبْـكِـيَـنَّ مِـنَ الـبِـلـى وَلَأَبْـكِـيَـنَّ مِـنَ الـخِـضـاب
إِنّـي لَأَمُـلُ أَن أُخَـلّـد وَالـمَـنِـيَّـةُ فـي طِـلابـي
[مجزوء الكامل]

قال: فَجَعَلَ يُنْشِدُها وإنَّ دموعَهُ لتسيل على خديه. فلما رأيْتُ ذلك لم أصبر أن ملتُ فكتبتُها، وسألت عن الشيخ فقيل لي: هو أبو العتاهية.

[كان ابن الأعرابي يعيب شعره]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال: حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال: حدَّثني أبو العبَّاس محمد بن أحمد قال: كان ابن الأعرابي يَعيب أبا العتاهية ويَثلُبُهُ، فأنشدته:

كَـم مِـن سَـفـيـهٍ غـاظَـنـي سَـفـهـاً فَـشَـفَـيـتُ نَـفـسـي مِـنـهُ بِـالـحِـلـم
وَكَـفَـيـتُ نَـفـسـي ظُـلـمَ عـادِيَـتـي وَمَـنَـحـتُ صَـفـوَ مَـوَدَّتـي سِـلـمـي[1]
وَلَـقَـد رُزِقـتُ لِـظـالِـمـي غِـلَـظـاً وَرَحِـمـتُـهُ إِذ لَـجَّ فـي ظُـلـمـي
[الكامل]

[أحب شعره إليه]

أخبرني محمد بن عِمران قال: حدَّثني العَنزيّ قال: حدَّثني محمد بن إسحاق قال: حدَّثني محمد بن أحمد الأزْديّ قال: قال لي أبو العتاهية: لم أقُل شيئاً قطُّ أحبَّ إليَّ من هذين البيتين «في» معناهما:

لَـيـتَ شِـعـري فَـإِنَّـنـي لَـسـتُ أَدري أَيَّ يَـومٍ يَـكـونُ آخِـرُ عُـمـري
وَبِـأَيِّ الـبِـلادِ يُـقـبَـضُ روحـي وَبِـأَيِّ الـبِـقـاعِ[2] يُـحـفَـرُ قَـبـري
[الخفيف]

[راهن جماعة على قول الشعر فغلبهم]

أخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حدَّثني محمد بن الفضل قال: حدَّثنا محمد بن عبد الجَبَّار الفَزاريّ قال: اجتاز أبو العتاهية في أوَّلِ أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فَخَّار يدورُ في الكوفة ويَبْيعُ منه، فمرَّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه، فَسَلَّمَ ووضعَ القفصَ عن ظهرِهِ، ثم قال: يا فتيان أراكم تَتذاكرون الشعرَ، فأقول شيئاً

(١) السَّلْمُ: ضِدُّ الحَرْب، ويقال: السَّلْمُ والسِّلْم واحد.
(٢) ورد في بعض المصادر «البلاد» بدل «البقاع»

منه فتُجيزونه، فإن فعلتم فلكم عشرةُ دراهم؛ وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؛ فهزِئوا منه وسَخِروا به وقالوا: نعم؛ قال: لا بُدَّ أن يُشترى بأحد القِمارين رُطَب يُؤكلُ فإنَّهُ قِمار حاصل، وجعل رَهْنَهُ تحت يد أحدهم، ففعلوا؛ فقال: أجِيزوا:

ساكِني الأجداثِ أنتم

وجَعَلَ بينَهُ وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغته الشمسُ ولم يُجيزوا البيتَ، غُرِّموا الخَطر[1]؛ وجعل يهزأ بهم وتَمَّمَه:

..... مثلَنا بالأمسِ كُنْتُم

لَيْتَ شعري ما صنعتم أرَبِحْتُم أم خَسِرْتُم

[مجزوء الرمل]

وهي قصدة طويلة في شعره.

[هجاه أبو حبش وذمّ شعرَه]

أخبرني عمي قال حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدَّثني محمد بن عبد اللَّه عن أبي خَيْثَم العَنزيّ قال: لما حَبَسَ الرشيدُ أبا العتاهية وحَلَفَ ألا يُطلِقَه أو يقولَ شعراً، قال لي أبو حَبَش: أسَمِعْتَ بأعجبَ من هذا الأمر؛ تقول الشعراء الشعرَ الجيد النادر فلا يُسْمَعُ منهم، ويقول هذا المُخَنَّثُ المُفَكِّكُ تلك الأشعارَ بالشفاعة! ثم أنشدني:

أبا إسحاقَ رَاجعتَ الجماعَه وعُدْتَ إلى القوافي والصِّناعَه

وكُنْتَ كَجَامِحٍ[2] في الغيِّ عاصٍ وأنت اليومَ ذو سمعٍ وطاعَه

فجُرَّ الخَزّ مما كُنْتَ تُكسى ودَعْ عَنْكَ التّقشُّفَ والبَشاعَه

وشَبِّب بالتي تهوى وخَبِّر بأنَّك مَيِّتٌ في كلِّ ساعَه

كَسَدنا ما نُراد وإن أجدنا وأنت تقول شعرَك بالشَّفاعَه

[الوافر]

[خروجه مع المهدي في الصيد]

أخبرني أحمد بن العبَّاس العَسكريّ قال: حدَّثنا العَنزيّ قال: حدَّثنا محمد بن عبد اللَّه قال: حدَّثني أبو خَيثم العَنزيّ، وكان صديقاً لأبي العتاهية، قال: حدَّثني أبو

(١) الخطر: الرهان.

(٢) جمح: ترك المقصد. وورد في الديوان «كجامع» بدل «كجامح».

العتاهية قال: أخرجني المهديّ معه إلى الصيد، فوقعنا منه على شيءٍ كثيرٍ، فتفرَّقَ أصحابُهُ في طلبِهِ، وأخذ هو في طريق غيرِ طريقهم فلم يلتَقوا، وعرض لنا وادٍ جرَّارٌ وتغيَّمت السماءُ وبدأت تُمْطِرُ فتحيَّرنا، وأشرفْنا على الوادي فإذا فيه ملاَّح يُعبِّرُ الناسَ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق، فَجَعَلَ يُضعّف رأيَنا ويُعجِّزُنا في بَذْلِنا أنفسَنا في ذلك الغَيم للصيد حتى أبعدَنا؛ ثم أدخلَنا كُوخاً له، وكاد المهديّ يموتُ برداً؛ فقال له: أُغَطِّيك بِجُبَّتي هذه الصوف؟ فقال: نعم؛ فغطَّاه بها، فتماسَكَ قليلاً ونام. فافتقده غِلمانُهُ وتَبِعوا أثرهُ حتى جاؤونا. فلمَّا رأى الملاَّح كثرتَهُم علم أنَّه الخليفةُ فَهَرَبَ، وتَبَادَرَ الغِلمان فَنَحَّوُا الجبَّةَ عنه وألقَوا عليه الخَزَّ والوَشيَ. فلمَّا انتبه قال لي: ويحك! ما فعل الملاَّح؟ فقد واللَّه وَجَبَ حَقُّهُ علينا؛ فَقُلْتُ: هَرَبَ واللَّه خوفاً من قُبح ما خاطبنا بِهِ؛ قال: إنَّا للَّه! واللَّه لقد أردْتُ أن أُغنيه، وبأيِّ شيء خاطبَنا! نحنُ واللَّه مُستحقُّون لأقبحَ مما خاطبنا به! بحياتي عليك إلاَّ ما هجوتَني؛ فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، كيف تَطِيبُ نفسي بأن أهجوك! قال: واللَّه لتَفعلنّ؛ فإنِّي ضعيفُ الرأي مُغرَمٌ بالصيدِ؛ فَقُلْتُ:

يـا لابِـسَ الـوَشـيِ عَـلـى ثـوبِـهِ ... مـا أَقـبَـحَ الأَشـيَـبَ فـي الـرَّاحِ

[السريع]

فقال: زِدني بحياتي؛ فقلت:

لَـو شِـئـتَ أَيـضـاً جُـلـتَ فـي خـامَـةٍ[1] ... وَفـي وِشـاحَـيـنِ وَأَوضـاحِ[2]

[السريع]

فقال: وَيْلَكَ! هذا معنى سَوْء يَرويه عنك الناسُ، وأنا استأهل. زِدْنِي شيئاً آخر؛ فَقُلْتُ: أخاف أن تَغْضَبَ؛ قال: لا واللَّه. فقلت:

كَـم مِـن عَـظـيـمِ الـقَـدرِ فـي نَـفـسِـهِ ... قَـد نـامَ فـي جُـبَّـةِ مَـلاّحِ

[السريع]

فقال: معنى سَوْء عليك لعنةُ اللَّه! وقُمنا وركبنا وانصرفنا.

[في عسكر المأمون]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدَّثنا محمد بن يزيد قال: حدَّثنا جماعة من كتَّاب الحسن بن سهل قالوا: وَقَعَتْ رُقعةٌ فيها بَيْتَا شعرٍ في عسكر

(١) الخام: ثوب من القطن لم يغسل.
(٢) عليها وضحٌ وأوضاح: حليّ من فضة.

المأمون؛ فجيء بها إلى مُجاشِع بن مَسعَدة، فقال: هذا كلام أبي العتاهية، وهو صديقي، وليست المخاطبة لي ولكنَّها للأميرِ الفضل بن سهل. فذهبوا بها، فقرأها وقال: ما أعرف هذه العلامة، فَبَلَغَ المأمونَ خبرُها فقال: هذه إليَّ وأنا أعرف العلامة. والبيتان:

صوت

ما عَلى ذا كُنّا ٱفتَرَقنا بِسَندانَ[1] وَما هَكَذا عَهِدنا الإِخاءَ
تَضرِبُ الناسَ بِالمُهَنَّدَةِ[2] البيضِ عَلى غَدرِهِم وَتَنسى الوَفاءَ
[الخفيف]

قال: فَبَعثَ إليه المأمون بمالٍ.

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكِّل رَمَلٌ من رواية ابن المعتزّ.

[استنجاز وعتاب]

قال: وكان عليّ بن يَقطين صديقاً لأبي العتاهية، وكان يَبَرُّه في كل سنة بِبرّ واسع، فأبطأ عليه بالبِرِ في سنةٍ من السنين، وكان إذا لقِيَهُ أبو العتاهية أو دَخَلَ عليه يُسرُّ به ويرفعُ مَجْلِسَهُ ولا يَزيده على ذلك؛ فَلَقِيَهُ ذاتَ يوم وهو يريدُ دارَ الخليفة، فاستوقفه فوقفَ له، فأنشده:

حَتّى مَتى لَيتَ شِعري يا ٱبنَ يَقطينِ أُثني عَلَيكَ بِما لا مِنكَ تولِيني
إِنَّ السَّلامَ وَإِنَّ البِشرَ مِن رَجُلٍ في مِثلِ ما أَنتَ فيهِ لَيسَ يَكفيني
هَذا زَمانٌ أَلَحَّ الناسُ فيهِ عَلى تيهِ[3] المُلوكِ وَأَخلاقِ المَساكينِ
أَما عَلِمتَ جَزاكَ اللَّهُ صالِحَةً وَزادَكَ اللَّهُ فَضلاً يا ٱبنَ يَقطينِ
أَنّي أُريدُكَ لِلدُّنيا وَعاجِلِها وَلا أُريدُكَ يَومَ الدينِ لِلدينِ
[البسيط]

فقال عليّ بن يَقطين: لَسْتُ واللَّه أبرحُ ولا تَبْرَحُ من موضعنا هذا إلا راضياً، وأمر له بما كان يبعثُ به إليه في كل سنة، فَحُمل من وقته وعليٌّ واقفٌ إلى أن تَسلَّمه.

---

(١) السندان: مدينة ملاصقة للسند.
(٢) المهند: السيف المصنوع في الهند.
(٣) التيه: التعجرف والتكبر.

[من شعره في الحبس]

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهرُ المُبَرَّد قال: حدَّثنا محمد بن يزيد قال: بَلَغَنِي من غير وجه: أنَّ الرشيد لما ضَرَبَ أبا العتاهية وحبَسَهُ، وَكَّلَ به صاحبَ خَبَرٍ يَكْتُبُ إليه بكلِّ ما يسمَعُهُ. فكتب إليه أنه سمعه يُنْشِدُ:

أَمـا وَالـلَّـهِ إِنَّ الـظُّـلـمَ لُـومُ ... وَمـا زالَ الـمُـسـيءُ هُـوَ الـظَّـلُـومُ
إِلـى دَيَّـانِ[1] يَـومِ الـديـنِ نَـمـضـي ... وَعِـنـدَ الـلَّـهِ تَـجـتَـمِـعُ الـخُـصـومُ

[الوافر]

قال: فبكى الرشيدُ، وأمرَ بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه، وأمر بألفَي دينار.

[المنصور بن عمار يرميه بالزندقة]

أخبرني محمد بن جعفر قال: حدَّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حُرَيث عن محمد بن أبي العتاهية قال: لما قال أبي في عُتبة[2]:

كَـأَنَّ عَـتّـابَـةَ مِـن حُـسـنِـهـا ... دُمـيَـةُ قَـسٍّ فَـتَـنَـت قَـسَّـهـا
يـا رَبِّ لَـو أَنـسَـيـتَـنـيـهـا بِـمـا ... فـي جَـنَّـةِ الـفِـردَوسِ لَـم أَنـسَـهـا

[السريع]

شَنَّعَ عليه منصور بن عمَّار بالزندقة، وقال: يتهاون بالجنة ويَبتذل ذكرَها في شعرِهِ بمثل هذا التهاون! وشَنَّعَ عليه أيضاً بقولِهِ:

إِنَّ الـمَـلـيـكَ رَآكِ أَحـسَـنَ خَـلـقِـهِ ... وَرَأى جَـمـالَـكْ
فَـحَـذا بِـقُـدرَةِ نَـفـسِـهِ ... حـورَ الـجِـنـانِ عَـلـى مِـثـالِـكْ

[مجزوء الكامل]

وقال: أيُصوِّر الحورَ على مِثال امرأة آدميَّة واللَّهُ لا يحتاجُ إلى مِثال! وأوقع له هذا على ألسنة العامَّة؛ فلَقِي منهم بلاءً.

[سأله الباذغيسي عن أحسن شعره فأجابه]

حدَّثي هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدَّثنا خَليلُ بن أسَد قال: حدَّثني أبو سَلَمة الباذَغِيسي قال:

قُلْتُ لأبي العتاهية: في أيِّ شعر أنت أشعرُ؟ قال: قولي:

---

(١) دانَ اللَّهُ العِبادَ يَدينهم يومَ القيامة أي يَجزيهم، وهو دَيّانُ العِباد.
(٢) هي عتبة جارية المهديّ، وقد اشتهر بمحبته لها وأكثر من تشبيبه فيها.

أَلـــنـــاسُ فـــي غَـــفَـــلاتِـــهِـــم وَرَحـــى الـــمَـــنِـــيَّـــةِ تَـــطـــحَـــنُ

[مجزوء الكامل]

[أنشد المأمون شعره في الموت فوصله]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال: حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال: حدَّثني يحيى بن عبد اللَّه القُرَشيّ قال: حدَّثني المُعَلَّى بن أيّوب قال: دَخَلْتُ على المأمون يوماً وهو مُقبِل على شيخٍ حَسن اللحيةِ خَضيبٍ[1] شديدِ بياض الثياب على رأسِهِ لاطِئة[2]، فَقُلْتُ للحسن بن أبي سعيدـ قال: وهو ابن خالة المُعلَّى بن أيوب؛ وكان الحسن كاتِبَ المأمون على العأَمة ـ : من هذا؟ فقال: أما تعرفه؟ فقلت: لوعرفتُهُ ما سألتُكَ عَنْهُ؛ فقال: هذا أبو العتاهية، فَسَمِعْتُ المأمونَ يقولُ له: أنشدني أحسنَ ما قُلْتَ في الموت؛ فأنشده:

أَنـــســـاكَ مَـــحـــيـــاكَ الـــمَـــمـــاتـــا فَـــطَـــلَـــبـــتَ فـــي الـــدُّنـــيـــا الـــثَّـــبـــاتـــا

أَوَثِـــقـــتَ بِـــالـــدُّنـــيـــا وَأَنـــتَ تَـــرى جَـــمـــاعَـــتَـــهـــا شَـــتـــاتـــا

وَعَـــزَمـــتَ مِـــنـــكَ عَـــلـــى الـــحَـــيـــا ةِ وَطـــولِـــهـــا عَـــزمـــاً بَـــتـــاتـــا

يـــا مَـــن رَأى أَبَـــوَيـــهِ فـــي مـــن قَـــد رَأى كـــانـــا فَـــمـــاتـــا

هَـــل فـــيـــهِـــمـــا لَـــكَ عِـــبـــرَةٌ أَم خِـــلـــتَ أَنَّ لَـــكَ انـــفِـــلاتـــا

وَمَـــنِ الَّـــذي طَـــلَـــبَ الـــتَّـــفَـــلُّـــتَ مِـــن مَـــنِـــيَّـــتِـــهِ فَـــفـــاتـــا

كُـــلٌّ تُـــصَـــبِّـــحُـــهُ الـــمَـــنِـــيَّـــةُ أَو تُـــبَـــيِّـــتُـــهُ بَـــيـــاتـــا

[مجزوء الكامل]

قال: فلما نهضَ تبِعتُهُ فَقَبَضْتُ عليه في الصَّحن أو في الدِّهليز، فكتبتها عنه.

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال: حدَّثني عليّ بن مَهدِيّ قال: حدَّثني الجاحظُ عن ثُمامة قال: دَخَلَ أبو العتاهية على المأمون فأنشدَهُ:

مـــا أَحـــسَـــنَ الـــدُّنـــيـــا وَإِقـــبـــالَـــهـــا إِذا أَطـــاعَ الـــلَّـــهَ مَـــن نـــالَـــهـــا

مَـــن لَـــم يُـــؤاسِ الـــنـــاسَ مِـــن فَـــضـــلِـــهِ عَـــرَّضَ لِـــلإِدبـــارِ إِقـــبـــالَـــهـــا

[السريع]

فقال له المأمون: ما أجود البيتَ الأوّل! فأمَّا الثاني فما صنعت فيه شيئاً، الدنيا

---

(١) الخِضابُ: الأسم، وكل شيء غير لونه بحمرةٍ كالدم ونحوه فهو مَخْضوبٌ.

(٢) اللاطئة: قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس.

تُدبِرُ عمن واسى منها أو ضنَّ بها، وإنما يوجِبُ السماحة بها الأجرُ، والضنَّ بها الوِزرُ. فقال: صَدَقْتَ يا أمير المؤمنين، أهلُ الفضلِ أَوْلى بالفضل، وأهلُ النقصِ أولى بالنقص. فقال المأمون: ادفع إليه عشرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحقّ، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده:

كَـم غـافِـلٍ أَودى بِـهِ الـمَـوتُ لَـم يَـأخُـذِ الأُهـبَـةَ لِـلـفَـوتِ
مَـن لَـم تَـزُل نِـعـمَـتُـهُ قَـبـلَـهُ زالَ عَـنِ الـنِّـعـمَـةِ بِـالـمَـوتِ

[السريع]

فقالَ له: أحسَنْتَ! الآن طَيَّبْتَ المعنى؛ وأَمَرَ له بعشرين ألف درهم.

[استنجازه المأمون]

أخبرني أحمد بن العبَّاس العَسكريّ قال: حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال: حدَّثني ابنُ سِنان العِجْليّ عن الحسن بن عائذ قال: كان أبو العتاهية يَحجّ في كل سنة، فإذا قَدِمَ أهْدى إلى المأمون بُرداً ومِطرفاً[1] ونعلاً سوداء ومَساوِيكَ أراكٍ، فَيَبْعَثُ إليه بعشرين ألف درهم. وكان يُوّصل الهدَّية من جهته مِنجابُ مولى المأمون ويَجيئُهُ بالمال؛ فأهدى مرَّةً له كما كان يُهدي كلَّ سنة إذا قَدِمَ، فلم يُثبْه ولا بَعَثَ إليه بالوظيفة، فَكَتَبَ إليه أبو العتاهية:

خَـبَّـرونـي أَنَّ مِـن ضَـربِ الـسَّـنَـه جُـدُداً بـيـضـاً وَصُـفـراً حَـسَـنَـه
أُحـدِثَـت لَـكِـنَّـنـي لَـم أَرَهـا مِـثـلَ مـا كُـنـتُ أَرى كُـلَّ سَـنَـه

[الرمل]

فأمَرَ المأمون بحملِ العشرين ألف دِرهم، وقال: أغفلناه حتى ذكَّرنا.

[استعطافه الهادي]

حدَّثنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدَّثنا المُغيرة بن محمد المُهلَّبيّ قال: حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: أخبرني عُرْوَة بن يوسف الثَّقفيّ قال: لمَّا وليَ الهادي الخلافةَ كان واجداً[2] على أَبي العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ وانقطاعه إليه وتَركه موسى، وكان أيضاً قد أمر أن يخرُجَ معه إلى الرَّيّ فأبى ذلك؛ فخافَهُ وقال يَستعطِفُهُ:

أَلا شـافِـعٌ عِـنـدَ الـخَـلـيـفَـةِ يَـشـفَـعُ فَـيَـدفَـعَ عَـنّـا شَـرَّ مـا يُـتَـوَقَّـعُ

(١) المِطْرَفُ: ثوبٌ كانت الرّجالُ والنِّساءُ يَلبَسونه، والجمعُ: مَطارِف،
(٢) واجدا: غاضباً.

وَإِنّي عَلى عُظمِ الرَّجاءِ لَخائِفٌ كَأَنَّ عَلى رَأسي الأَسِنَّةَ تُشرَعُ
يُرَوِّعُني موسى عَلى غَيرِ عَثرَةٍ وَمالي أَرى موسى مِنَ العَفوِ أَوسَعُ
وَما آمِنٌ يُمسي وَيُصبِحُ عائِذاً بِعَفوِ أَميرِ المُؤمِنينَ يُرَوَّعُ
[الطويل]

[مدح الهادي فأمر خازنه بإعطائه فماطله فقال شعراً]

حدَّثني الصُّوليّ قال: حدَّثني عليّ بن الصَّبَّاح قال: حدَّثني محمد بن أبي العتاهية قال: دَخَلَ أبي علي الهادي فأنشده:

يا أَمينَ اللَّهِ ما لي لَستُ أَدري اليَومَ مالي
لَم أَنَلْ مِنكَ الَّذي قَد نالَ غَيري مِن نَوالِ
تَبذُلُ الحَقَّ وَتُعطي عَن يَمينٍ وَشِمالِ
وَأَنا البائِسُ لا تَنظُرُ في رِقَّةِ حالي
[مجزوء الرمل]

قال: فأمرَ المُعلَّى الخازنَ أن يُعطيَهُ عشرة آلاف درهم. قال أبو العتاهية: فأتيْتُهُ فأبى أن يُعطيَها. وذلك أن الهادي امتحنني في شيءٍ من الشعر، وكان مَهيباً، فَكُنْتُ أخافهُ فلم يُطِعني طَبعي، فأمرَ لي بهذا المال، فَخَرَجْتُ. فلما مَنعنِيه المُعَلَّى صِرْتُ إلى أبي الوليد أحمد بن عقال، وكان يُجَالِسُ الهادي، فَقُلْتُ له:

أَبلِغ سَلِمتَ أَبا الوَليدِ سَلامي عَنِّي أَميرَ المُؤمِنينَ إِمامي
وَإِذا فَرَغتَ مِنَ السَّلامِ فَقُل لَهُ قَد كانَ ما شاهَدتَ مِن إِفحامي
وَإِذا حَصِرتُ[1] فَلَيسَ ذاكَ بِمُبطِلٍ ما قَد مَضى مِن حُرمَتي وَذِمامي
وَلَطالَما وَفَدَتْ إِلَيكَ مَدائِحي مَخطوطَةً فَلْيَأتِ كُلُّ مَلامِ
أَيّامَ لي لَسَنٌ وَرِقَّةُ جِدَّةٍ وَالمَرءُ قَد يَبلى مَعَ الأَيّامِ
[الكامل]

قال: فاستخرج لي الدراهم وأنفذها إليّ.

[كان الهادي واجداً عليه فلما تولى استعطفه ومدحه فأجازه]

حدَّثني الصولي ومحمد بن عِمران الصيرفيّ قالا: حدَّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: وُلِدَ للهادي وَلَدٌ في أوّل يوم وُلِيَ الخلافةَ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده:

(١) حصر: ضيق وعيّي.

أَكْـثَـرَ مـوسـى غَـيـظَ حُـسّـادِهِ وَزَيَّـنَ الأَرضَ بِـأَولادِهِ
وَجـاءَنـا مِـن صُـلـبِـهِ سَـيِّـدٌ أَصـيَـدُ فـي تَـقـطـيـعِ أَجـدادِهِ
فَـاكـتَـسَـتِ الأَرضُ بِـهِ بَـهـجَـةً وَاسـتَـبـشَـرَ الـمَـلـكُ بِـمـيـلادِهِ
وَابـتَـسَـمَ الـمِـنـبَـرُ عَـن فَـرحَـةٍ عَـلَـت بِـهـا ذُروَةُ أَعـوادِهِ
كَـأَنَّـنـي بَـعـدَ قَـلـيـلٍ بِـهِ بَـيـنَ مَـوالـيـهِ وَقُـوّادِهِ
فـي مَـحـفِـلٍ تَـخـفُـقُ رايـاتُـهُ قَـد طَـبَّـقَ الأَرضَ بِـأَجـنـادِهِ

[السريع]

قال: فأمر له موسى بألفِ دينار وطيبٍ كثيرٍ، وكان ساخطاً عليه فَرَضِي عنه.

[استشفاعه بمخذول]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدَّثني عليّ بن مَهديّ قال: حدَّثني عليّ ابن يزيد الخَزرجيّ الشاعر عن يحيى بن الرَّبيع قال: دَخَلَ أبو عُبَيد اللَّه على المهديّ، وكان قد وَجَد عليه في أمرٍ بَلَغَهُ عنه، وأبو العتاهية حاضرٌ المجلسَ، فَجَعَلَ المهديّ يشتمُ أبا عُبَيد اللَّه ويتغيَّظُ عليه، ثم أمرَ به فَجُرّ برِجلِهِ وحُبِسَ، ثم أطرقَ المهديّ طويلاً. فلما سكن أنشده أبو العتاهية:

أَرى الـدُّنـيـا لِـمَـن هِـيَ فـي يَـدَيـهِ عَـذابـاً كُـلَّـمـا كَـثُـرَت لَـدَيـهِ
تُـهـيـنُ الـمُـكـرِمـيـنَ لَـهـا بِـصُـغـرٍ[1] وَتُـكـرِمُ كُـلَّ مَـن هـانَـت عَـلَـيـهِ
إِذا ٱسْـتَـغـنَـيـتَ عَـن شَـيءٍ فَـدَعـهُ وَخُـذ مـا أَنـتَ مُـحـتـاجٌ إِلَـيـهِ

[الوافر]

فَتَبَسَّمَ المهديُّ وقال لأبي العتاهية: أحسَنْتَ! فقام أبو العتاهية ثم قال: واللَّه يا أميرَ المؤمنين، ما رأيْتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدُّنيا ولا أصونَ لها ولا أشحَّ عليها من هذا الذي جُرَّ برجله الساعة، ولقد دَخَلْتُ إلى أمير المؤمنين ودَخَلَ هو وهو أعزّ الناس، فما بَرِحْتُ حتى رأيتهُ أذلّ الناس، ولو رَضِيَ من الدُّنيا بما يَكفيه لاستوت أحوالهُ ولم تتفاوت؛ فتبسَّمَ المهديُّ ودعا بأبي عُبيد اللَّه فرضي عنه؛ فكان أبو عُبيد اللَّه يشكرُ ذلك لأبي العتاهية.

[روحانيان يطيران بين السماء والأرض]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُوَيه قال: حدَّثني

(١) تَصاغَرَتْ إليه نفسهُ ذلا ومهانةً.

محمد بن الحسن قال: حدَّثني إسحاق بن حَفْس قال: أنشدني هارون بن مُخَّلد الرازيّ لأبي العتاهية:

مـا إن يَـطـيـبُ لِـذي الـرِّعـايَـةِ لِـلأَيّـامِ لا لَـعِـبٌ وَلا لَـهـوُ
إِذ كـانَ يَـطـرَبُ[1] فـي مَـسَـرَّتِـهِ فَـيَـمـوتُ مِـن أَجـزائِـهِ جُـزوُ

[الكامل]

فَقُلْتُ: ما أحسنهما! فقال: أهكذا تقول! واللَّه لهما روحانيَّان يطيران بين السماء والأرض.

[أفضل المحدثين]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدَّثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود ابن بشر المازنيّ قال: لَقِيتُ ابن مُناذِر بمكة، فَقُلْتُ له: مَنْ أشعر أهل الإسلام؟ فقال: أترى من إذا شِئْتَ هَزَلَ، وإذا شئت جدّ؟ قُلْتُ: من؟ قال: مثلُ جَرير[2] حين يقول في النَّسيب:

إِنَّ الَّـذيـنَ غَـدَوا بِـلُـبِّـكَ غـادَروا وَشَـلاً[3] بِـعَـيـنِـكَ مـا يَـزالُ مَـعـيـنـا
غَـيَّـضـنَ[4] مِـن عَـبَـراتِـهِـنَّ وَقُـلـنَ لـي مـاذا لَـقـيـتَ مِـنَ الـهَـوى وَلَـقـيـنـا

[الكامل]

ثم قال حين جدّ:

إِنَّ الَّـذي حَـرَمَ الـمَـكـارِمَ تَـغـلِـبـاً جَـعَـلَ الـنُّـبُـوَّةَ وَالـخِـلافَـةَ فـيـنـا
مُـضَـرٌ أَبـي وَأَبـو الـمُـلـوكِ فَـهَـل لَـكُـم يـا آل تَـغـلِـبَ مِـن أَبٍ كَـأَبـيـنـا
هـذا ٱبـنُ عَـمّـي فـي دِمَـشـقَ خَـلـيـفَـةٌ لَـو شِـئـتُ سـاقَـكُـمُ إِلَـيَّ قَـطـيـنـا[5]

[الكامل]

ومن المحدثين هذا الخبيثُ الذي يتناول شعرَه في كمه؛ فَقُلْتُ: من؟ قال: أبو العتاهية؛ قلت: في ماذا؟ قال: قوله:

---

(١) ورد في الديوان «يسرف» بدل «يطرب».
(٢) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم، ولد سنة ٢٨هـ في اليمامة، أشعر أهل عصره، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرذدق والأخطل. كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً، توفي سنة ١١٠هـ.
(٣) وشل: الماء القليل.
(٤) غاض: قلّ ونضب.
(٥) القطين: الخدم والأتباع.

أَلـلَّـهُ بَـيـنـي وَبَـيـنَ مَـولاتـي ... أَبـدَتْ لِـيَ الـصَّـدَّ وَالـمَـلالاتِ
لا تَـغـفِـرُ الـذَّنـبَ إِن أَسَـأتُ وَلا ... تَـقـبَـلُ عُـذري وَلا مُـواتـاتـي
مَـنَـحـتُـهـا مُـهـجَـتـي وَخـالِـصَـتـي ... فَـكـانَ هِـجـرانُـهـا مُـكـافـاتـي
أقـلـقـنـي[1] حُـبُّـهـا وَصَـيَّـرَنـي ... أُحـدوثَـةً فـي جَـمـيـعِ جـاراتـي
[المنسرح]

ثم قال حين جدَّ[2]:

وَمَـهـمَـهٍ[3] قَـد قَـطَـعـتُ طـامِـسَـهُ[4] ... قَـفـرٍ عَـلـى الـهَـولِ وَالـمُـحـامـاةِ
بِـحُـرَّةٍ جَـسـرَةٍ[5] عُـذافِـرَةٍ[6] ... خَـوصـاءَ[7] عَـيـرانَـةٍ[8] عَـلَـنـداةِ[9]
تُـبـادِرُ الـشَّـمـسَ كُـلَّـمـا طَـلَـعَـت ... بِـالـسَّـيـرِ تَـبـغـي بِـذاكَ مَـرضـاتـي
يـا نـاقُ خُـبّـي[10] بِـنـا وَلا تَـعِـدي ... نَـفـسَـكِ مِـمّـا تَـرَيـنَ راحـاتِ
حَـتّـى تُـنـاخـي بِـنـا إِلـى مَـلِـكٍ ... تَـوَّجَـهُ الـلَّـهُ بِـالـمَـهـابـاتِ
عَـلَـيـهِ تـاجـانِ فَـوقَ مَـفـرِقِـهِ ... تـاجُ جَـلالٍ وَتـاجُ إِخـبـاتِ[11]
يَـقـولُ لِـلـريـحِ كُـلَّـمـا عَـصَـفَـت ... هَـل لَـكِ يـا ريـحُ فـي مُـبـاراتـي
مَـن مِـثـلُ مَـن عَـمُّـهُ الـرَّسـولُ وَمَـن ... أَخـوالُـهُ أَكـرَمُ الـنُـخـؤولاتِ
[المنسرح]

[الحب فوق المال]

أخبرني وكيع قال: قال الزُّبيرُ بن بكَّار حدَّثني أبو غَزيَّة، وكان قاضياً على المدينة، قال: كان اسحاق بن عُزَيز يتعشَّقُ عبَّادة جارية المُهَلَّبيَّة، وكانت المُهَلَّبيَّة مُنْقَطِعَةً إلى الخيزُران. فَرَكِبَ إسحاقُ يوماً ومعه عبد اللَّه بن مُصعَب يُريدان المهديّ، فلقيا عبَّادة؛ فقال إسحاق: يا أبا بكر، هذه عبَّادة، وحرَّك دابَّته حتى سبقها فَنَظَرَ إليها، فجعل عبد اللَّه بن مُصعَب يتعجَّبُ مِنْ فِعلِه؛ ومضيا فدخلا على المهديّ، فحدَّثَهُ عبد اللَّه بن مُصعب بحديث إسحاق وما فَعَلَ؛ فقال: أنا اشتريها لك يا

(١) ورد في الديوان «هيمني» بدل «أقلقني».
(٢) جدّ: غضب.
(٣) المهمه: المفازة، والفلاة.
(٤) الطامس: الدارس الممحو.
(٥) الجاسرة: الناقة الضخمة.
(٦) العذافرة: الناقة الشديدة.
(٧) الخوصاء: الغائرة العينين.
(٨) العيرانة: الناقة السريعة.
(٩) العلنداة: الغليظة.
(١٠) خبب: ضرب من السير السريع.
(١١) الإخبات: التواضع.

إسحاق؛ ودخل على الخيزران فدعا بالمهلبيَّة. فحضرت، فأعطاها بعبَّادة خمسين ألف درهم، فقالت له: يا أمير المؤمنين، إن كُنت تُريدها لنفسِك فيها فداك اللَّه، وهي لك؛ فقال: إنما أريدها لإسحاق بن عُزَيز؛ فَبَكَتْ وقالت: أتؤثِرُ عليَّ إسحاق بن عُزَيز وهي يَدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي! فقالت لها الخيزران عند ذلك: ما يُبكيك؟ واللَّه لا وَصَلَ إليها ابن عُزَيز [أبداً].

[صار يتعشق جواري الناس]

[فخرج المهديّ فأخبر ابن عُزَيز بما جرى]، وقال له: الخمسون ألف درهم لك مكانها، وأمر له بها، فأخذها عن عبَّادة. فقال أبو العتاهية يُعيِّرُهُ بذلك:

مَن صَدَقَ الحُبَّ لِأَحبابِهِ ... فَإِنَّ حُبَّ ابنِ عُزَيزٍ غُرور
أَنساهُ عَبّادَةَ ذاتَ الهَوى ... وَأَذهَبَ الحُبَّ الَّذي في الضَّمير
خَمسونَ أَلفاً كُلُّها راجِحٌ ... حُسناً لَها في كُلِّ كيسٍ صَرير

[السريع]

وقال أبو العتاهية في ذلك ايضاً:

حُبُّكَ لِلمالِ لا كَحُبُّكَ عَبّادَةَ يا فاضِحَ المُحِبّينا
لَو كُنتَ أَصفَيتَها الوِدادَ كَما ... قُلتَ لَما بِعتَها بِخَمسينا

[المنسرح]

[طال وجع عينه فقال شعراً]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني جَبَلة بن محمد قال حدَّثني أبي قال: رَأَيْتُ أبا العتاهية بعد ما تخلَّص من حَبس المهديّ وهويلزم طبيباً على بابنا ليكحل عينه. فقيل له: قد طال وجَعُ عينِك؛ فأنشأ يقولُ:

صوت

أيا وَيحَ نَفسي وَيحَها ثُمَّ وَيحَها ... أَما مِن خَلاصٍ مِن شِباكِ الحَبائِلِ[1]
أيا وَيحَ عَيني قَد أَضَرَّ بِها البُكا ... فَلَم يُغنِ عَنها طِبُّ ما في المَكاحِلِ

[الطويل]

(١) ورد العجز في الديوان على الشكل التالي:
أَلَم تَنجُ يَوماً مِن شِباكِ الحَبائِلِ

في هذين البيتين لإبراهيم الموصليُ لحنٌ من الثقيل الأوَّل.

أخبرني عيسى بن الحسين، قال حدّثنا عمر بن شبّة، قال:

كان الهادي واجِداً على أبي العتاهية لِمُلازمته أخاه هارونَ في خلافة المهديّ، فلما ولي موسى الخلافة، قال أبو العتاهية يمدحه:

صوت

يَضطَرِبُ الخَوفُ وَالرَّجاءُ إِذا حَرَّكَ موسى القَضيبَ أَو فَكَّر
ما أَبَينَ الفَضلَ في مُغَيَّبِ ما أَورَدَ مِن رَأيِهِ وَما أَصدَر

[المنسرح]

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحنٌ من الثقيل الأوّل في نهاية الجَودة، وما بان به فضلُه في الصِّناعة:

فَكَم تَرى عَزَّ عِندَ ذَلِكَ مِن مَعشَرِ قَومٍ وَذَلَّ مِن مَعشَر
يُثمِرُ مِن مَسِّهِ القَضيبُ وَلَو يَمَسُّهُ غَيرُهُ لَما أَثمَر
مَن مِثلُ موسى وَمِثلُ والِدِهِ المَهدِيِّ أَو جَدِّهِ أَبي جَعفَر

[المنسرح]

قال: فرضي عنه. فلما دَخَلَ عليه أنشده:

لَهفي عَلى الزَّمَنِ القَصيرِ بَينَ الخَورَنَقِ وَالسَّديرِ[1]
إِذ نَحنُ في غُرَفِ الجِنانِ نِ نَعومُ في بَحرِ السُّرورِ
في فِتيَةٍ مَلَكوا عِنانَ الدَّهرِ أَمثالِ الصُّقورِ
ما مِنهُمُ إِلاّ الجَسو رُ[2] عَلى الهَوى غَيرُ الحَصورِ
يَتَعاوَرونَ مُدامَةً صَهباءَ مِن حَلَبِ العَصيرِ
عَذراءَ رَبّاها شُعا عُ الشَّمسِ في حَرِّ الهَجيرِ
لَم تُدنَ مِن نارٍ وَلَم يَعلَق بِها وَضَرُ القُدورِ
وَمُقَرطَقٍ يَمشي أَما مَ القَومِ كَالرَّشإِ الغَريرِ
بِزُجاجَةٍ تَستَخرِجُ السِرَّ الدَّفينَ مِنَ الضَّميرِ

(١) الخورنق والسدير: قصران في الحيرة.
(٢) الجسور: الشجاع والمقدام.

زَهـــراءَ مِـــثـــلِ الـــكَـــوكَـــبِ الـــدُّرِّيِّ فـــي كَـــفِّ الـــمُـــديـــرِ
تَـــدَعُ الـــكَـــريـــمَ وَلَـــيـــسَ يَـــدري مـــا قَـــبـــيـــلٌ[١] مِـــن دَبـــيـــرِ[٢]
وَمُـــخَـــصَّـــراتٍ[٣] زُرنَـــنـــا بَـــعـــدَ الـــهُـــدّوِّ مِـــنَ الـــخُـــدورِ
رَيّـــا[٤] رَوادِفُـــهُـــنَّ يَـــلـــبَـــســـنَ الـــخَـــواتِـــمَ فـــي الـــخُـــصـــورِ
غُـــرِّ الـــوُجـــوهِ مُـــحَـــجَّـــبـــا تٍ قـــاصِـــراتِ الـــطَّـــرفِ حُـــورِ
مُـــتَـــنَـــعِّـــمـــاتٍ فـــي الـــنَّـــعـــيـــمِ مُـــضَـــمَّـــخـــاتٍ بِـــالـــعَـــبـــيـــرِ
يَـــرفُـــلـــنَ فـــي حُـــلَـــلِ الـــمَـــحـــا سِـــنِ وَالـــمَـــجـــاسِـــدِ[٥] وَالـــحَـــريـــرِ
مـــا إِن يَـــرَيـــنَ الـــشَّـــمـــسَ إِلَّا الـــفَـــرْطَ[٦] مِـــن خَـــلَـــلِ الـــسُّـــتـــورِ
وَإِلـــى أَمـــيـــنِ الـــلَّـــهِ مَـــهـــرَبُـــنـــا مِـــنَ الـــدَّهـــرِ الـــعَـــثـــورِ
وَإِلَـــيـــهِ أَتـــعَـــبـــنـــا الـــمَـــطـــا يـــا بِـــالـــرَواحِ وَبِـــالـــبُـــكـــورِ
صُـــعْـــرَ الـــخُـــدودِ كَـــأَنَّـــمـــا جُـــنِّـــحـــنَ أَجـــنِـــحَـــةَ الـــنُّـــســـورِ
مُـــتَـــسَـــربِـــلاتٍ بِـــالـــظَّـــلا مِ عَـــلـــى الـــسُّـــهـــولَـــةِ وَالـــوُعـــورِ
حَـــتّـــى وَصَـــلـــنَ بِـــنـــا إِلـــى رَبِّ الـــمَـــدائِـــنِ وَالـــقُـــصـــورِ
مـــا زالَ قَـــبـــلَ فِـــطـــامِـــهِ فـــي سِـــنِّ مُـــكـــتَـــهِـــلٍ كَـــبـــيـــرِ

[مجزوء الكامل]

ـ قال: قيل لو كان جزل اللفظ لكان أشعر الناس ـ، فأجزل صِلته. وعاد إلى أفضل ما كان له عليه.

[في خلافة المأمون]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدَّثني الكِراني عن أبي حاتم قال: قَدِمَ علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون. فصار إليه أصحابُنا فاستنشدوه، فكان أوّل من أنشدهم:

أَلَـم تَـرَ رَيـبَ[٧] الـدَّهـرِ فـي كُـلِّ ساعَـةٍ لَـهُ عـارِضٌ[٨] فـيـهِ الـمَـنِـيَّـةُ تَـلـمَـعُ

(١) القبيل: ما يواجه الإنسان. (٢) الدبير: ما يأتي خلفه.
(٣) المخصرات: النحيفات، الدقيقات الخصور.
(٤) ريا: ممتلئة.
(٥) المِجْسَدُ بكسر الميم: ما يلي من الجَسَد، أي ألصِق بالجَسَدِ.
(٦) الفرط: الحين. (٧) ورد في الديوان «أنّ» بدل «ريب».
(٨) العارض: الأصل فيه السحاب المعترض في الأفق.

أَيـا بـانِـيَ الـدُّنـيـا لِـغَـيـرِكَ تَـبـتَـنـي وَيـا جـامِـعَ الـدُّنـيـا لِـغَـيـرِكَ تَـجـمَـعُ
أرى الـمـرءَ وثـابـاً عـلـى كـلِّ فُـرصـةٍ ولِـلـمـرءِ يـومـاً لا مـحـالـةَ مَـصـرَعُ
تَـبـارَكَ مَـن لا يَـمـلِـكُ الـمُـلـكَ غَـيـرُهُ مَتى تَنقَضي حاجاتُ مَن لَيسَ يَشْبَعُ[1]
وَأَيُّ امـرِئٍ فـي غـايَـةٍ لَـيـسَ نَـفـسُـهُ إِلـى غـايَـةٍ أُخـرى سِـواهـا تَـطَـلَّـعُ

[الطويل]

قال: وكان أصحابُنا يقولون: لو أن طَبْعَ أبي العتاهية بجزالة لفظه لكان أشعر الناس.

[تمثل الفضل بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا ابن مَهرُوَيه قال: حدَّثني سليمان بن جعفر الجَزَريّ قال: حدَّثني أحمد بن عبد اللَّه قال: كانت مَرْتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار المأمون. فقال الفضلُ لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق، ما أحسَنَ بيتين لك وأصدَقهما! قال: وما هما؟ قال: قولك:

مـا الـنـاسُ إلاّ لِـلـكَـثـيـرِ الـمـالِ أَو لِـمُـسَـلَّـطٍ مـا دامَ فـي سُـلـطـانِـهِ
فَـإِذا الـزَّمـانُ رَمـاهـمـا بِـبـلـيَّـةٍ كـانَ الـثِّـقـاتُ هُـنـاك مِـن أَعـوانِـهِ

[الكامل]

يعني: من أعوان الزمان. قال: وإنَّما تَمثَّل الفضلُ بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته في دار المأمون وتَقدُّم غيره. وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه.

[تنسكه]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: قال لي محمد بن أبي العتاهية: كان أبي لا يُفارقُ الرشيدَ في سَفرٍ ولا حَضَرٍ إلا في طريق الحجّ، وكان يُجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاوِن. فلما قَدِمَ الرشيد الرَّقة، لبس أبي الصوفَ وتزَهَّدَ وترك حضورَ المُنادمة والقول في الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسِهِ فَحُبِسَ؛ فكتب إليه من وقته:

صوت

أَنـا الـيَـومَ لـي وَالـحَـمـدُ لِـلَّـهِ أَشـهُـرُ يَـروحُ عَـلَـيَّ الـهَـمُّ مِـنـكُـم وَيَـبـكُـرُ

(١) ورد في الديوان «يقنع» بدل «يشبع».

تَـذَكَّـر أَمـيـنَ الـلَّـهِ حَـقّـي وَحُـرمَـتـي وَمـا كُـنـتَ تـولِـيـنـي لَـعَـلَّـكَ تَـذكُـرُ
لَـيـالِـيَ تُـدنـي مِـنـكَ بِـالـقُـربِ مَـجـلِـسـي وَوَجـهُـكَ مِـن مـاءِ الـبَـشـاشَـةِ يَـقـطُـرُ
فَـمَـن لِـيَ بِـالـعَـيـنِ الَّـتـي كُـنـتَ مَـرَّةً إِلـيَّ بِـهـا فـي سـالِـفِ الـدَّهـرِ تَـنـظُـرُ

[الطويل]

قال: فلمَّا قَرَأَ الرشيد الأبيات قال: قولوا له: لابأس عليك. فكتب إليه:

صوت

أَرِقـتُ وَطـارَ عَـن عَـيـنـي الـنُّـعـاسُ وَنـامَ الـسـامِـرونَ وَلَـم يُـواسُـوا
أَمـيـنَ الـلَّـهِ أَمـنُـكَ خَـيـرُ أَمـنٍ عَـلَـيـكَ مِـنَ الـتُّـقـى فـيـهِ لِـبـاسُ
تُـسـاسُ مِـنَ الـسَّـمـاءِ بِـكُـلِّ بِـرٍّ وَأَنـتَ بِـهِ تَـسـوسُ كَـمـا تُـسـاسُ
كَـأَنَّ الـخَـلـقَ رُكِّـبَ فـيـهِ روحٌ لَـهُ جَـسَـدٌ وَأَنـتَ عَـلَـيـهِ راسُ
أَمـيـنَ الـلَّـهِ إِنَّ الـحَـبـسَ بَـأسٌ وَقَـد أَرسَـلـتَ لَـيـسَ عَـلَـيـكَ بـاسُ

[الوافر]

ـ غنَّى في هذه الأبيات إبراهيم، ولحنه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وفيه أيضاً ثقيلٌ أوَّل عن الهِشاميّ ـ قال: وكتب عليه أيضاً في الحبس:

وَكَـلَّـفـتَـنـي مـا حُـلـتَ بَـيـنـي وَبَـيـنَـهُ وَقُـلـتُ سَـأَبـغـي مـا تُـريـدُ وَمـا تَـهـوى
فَـلَـو كـانَ لـي قَـلـبـانِ كَـلَّـفـتُ واحِـداً هَـواكَ وَكَـلَّـفـتُ الـخَـلِـيَّ لِـمـا يَـهـوى

[الطويل]

قال: فأمر بإطلاقه.

حدَّثني عمِّي قال: حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: حدَّثني الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حدَّثني ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال: قال: حدَّثني ابن أخت أبي خالد الحَرْبيّ قال: قال لي الرشيد: احبس أبا العتاهية وضَيِّقْ عليه حتى يقولَ الشعرَ الرقيق في الغزل كما كان يقول؛ فحبسه في بيت خمسة أشبارٍ في مثلها؛ فصاح: الموت، أخرجوني، فأنا أقول كل ما شئتم؛ فَقُلْتُ: قُلْ، فقال: حتى أتنفَّس؛ فأخرجته وأعطيته دواةً وقِرطاساً؛ فقال أبياته التي أوّلها:

مَـنْ لِـعَـبـدٍ أَذَلَّـهُ مَـولاهُ مـا لَـهُ شـافِـعٌ إِلَـيـهِ سِـواهُ
يَـشـتَـكـي مـا بِـهِ إِلَـيـهِ وَيَـخـشـا هُ وَيَـرجـوهُ مِـثـلَ مـا يَـخـشـاهُ

[الخفيف]

قال: فدفعتُها إلى مسرور الخادم فأوْصَلها، وتقدّم الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ فغنى فيها، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأُحضِرَ، فلما أُحْضِرَ قال له: أنشدني قولك:

صوت

يـا عُـتـبَ سَـيِّـدَتـي أَمـا لَـكِ ديـنُ ... حَـتّـى مَـتـى قَـلـبـي لَـدَيـكِ رَهـيـنُ
وَأَنـا الـذَّلـولُ لِـكُـلِّ مـا حَـمَّـلـتِـنـي ... وَأَنـا الـشَّـقِـيُّ الـبـائِـسُ الـمِـسـكـيـنُ
وَأَنـا الـغَـداةَ لِـكُـلِّ بـاكٍ مُـسـعِـدٌ ... وَلِـكُـلِّ صَـبٍّ صـاحِـبٌ وَخَـديـنُ
لا بَـأسَ إِنَّ لِـذاكَ عِـنـدي راحَـةً ... لِـلـصَّـبِّ أَن يَـلـقـى الـحَـزيـنَ حَـزيـنُ
يـا عُـتـبَ أَيـنَ أَفِـرُّ مِـنـكِ أَمـيـرَتـي ... وَعَـلَـيَّ حِـصـنٌ مِـن هَـواكِ حَـصـيـنُ

[الكامل]

ـ لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهِشاميّ ـ فأمر له الرشيدُ بخمسن ألف درهم.

ولأبي العتاهية في الرشيد لما حبسه أشعارٌ كثيرة، منها قوله:

يـا رَشـيـدَ الأَمـرِ أَرشِـدنـي إِلـى ... وَجـهِ نُـجـحـي لا عَـدِمـتَ الـرَّشَـدا
لا أَراكَ الـلَّـهُ سـوءًا أَبَـداً ... مـا رَأَتْ مِـثـلَـكَ عَـيـنٌ أَحَـدا
أَعِـنِ الـخـائِـفَ وَارحَـمْ صَـوتَـهُ ... رافِـعـاً نَـحـوَكَ يَـدعـوكَ يَـدا
وَابَـلائـي مِـن دَعـاوى أَمَـلٍ ... كُـلَّـمـا قُـلـتُ تَـدانـى بَـعُـدا
كَـم أُمَـنّـي بِـغَـدٍ بَـعـدَ غَـدٍ ... يَـنـفَـدُ الـعُـمـرُ وَلَـم أَلـقَ غَـدا

[الرمل]

[زبيدة تنتصر له]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدَّثني الحُسين بن أبي السريّ قال: مَرَّ القاسمُ بن الرشيد في موكبٍ عظيم وكان من أَتْيَهِ الناس، وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهرِ الطريق، فقام أبو العتاهيةِ حين رآه إعظاماً له، فلم يزل قائماً حتى جاز، فأجازه ولم يلتفت إليه؛ فقالَ أبو العتاهية:

يَـتـيـهُ ابـنُ آدمَ مـن جـهـلِـهِ ... كـأنَّ رحـا الـمـوت لا تَـطْـحَـنُـهْ

فَسَمِعَ بعضُ من في موكبه ذلك فأخبرَ به القاسم؛ فبعثَ إلى أبي العتاهية وضربَهُ مائةَ مقرعةٍ[1]، وقال له: يا ابن الفاعلة! أتُعَرِّضُ بي في مثل ذلك الموضع! وحبسَهُ في

(١) المِقْرَعَةُ والمِقراعُ: خَشَبة في رَأسِها سَيْرٌ يضربُ بها البغالُ والحميرُ.

داره. فدسَّ أبو العتاهية إلى زُبيدة بنت جعفر، وكانت تُوجِبُ[١] له [حقه]، هذه الأبيات:

حَتّى مَتى ذو التِّيهِ في تِيْهِهِ ... أَصلَحَهُ اللَّهُ وَعافاهُ
يَتيهُ أَهلُ التِّيهِ مِن جَهلِهِم ... وَهُم يَموتونَ وَإِن تاهوا
مَن طَلَبَ العِزَّ لِيَبقى بِهِ ... فَإِنَّ عِزَّ المَرءِ تَقواهُ
لَم يَعتَصِم بِاللَّهِ مِن خَلقِهِ ... مَن لَيسَ يَرجوهُ وَيَخشاهُ

[السريع][٢]

وكتب إليها بحاله وضِيق حَبْسِه، وكانت مائِلة إليه، فرَّقت[٣] له وأخبَرَت الرشيدَ بأمرِهِ وكَلَّمَتْهُ فيه؛ فأحضره وكساه ووصله، ولما يَرْضَ عن القاسم حتى بَرَّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه.

ونَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ: قال: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدَّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال: بَعَثَ الرشيد بالحرَشيّ[٤] إلى ناحية الموصل، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج، فوافى به باب الرشيد، فأمَرَ بِصَرْفِ المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناسُ ذلك وتحدَّثوا به؛ فَرَأَيْتُ أبا العتاهية وقد أخذه شِبهُ الجنون، فَقُلْتُ له: ما لك ويحك؟؟ فقال لي: سبحان اللَّه! أيُدْفَعُ هذا المال الجليل إلى امرأة، ولا تتعلق كفي بشيء منه! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيامٍ فأنشده:

أَللَّهُ هَوَّنَ عِندَكَ الدُّنيا وَبَغَّضَها إِلَيكا
فَأَبَيتَ إِلاّ أَن تُصَغِّرَ كُلَّ شَيءٍ في يَدَيْكا
ما هانَتِ الدُّنيا عَلى أَحَدٍ كَما هانَت عَلَيْكا

[مجزوء الكامل]

فقال له الفضلُ بن الربيع: يا أمير المؤمنين، ما مُدِحَتِ الخلفاء بأصدقَ من هذا المدح؛ فقال: يا فضل، أعطِهِ عشرين ألف درهم. فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده:

---

(١) أوجب لفلان حقه إذا راعاه.
(٢) يخشاه: يخافه.
(٣) ورد في بعض النسخ «فرثت» بدل «فرقت»، وهما بمعنى واحد؛ وهو الشعور بالتعاطف.
(٤) الحرشي: لعله سعيد الحرشي، الذي كان معاصراً للرشيد، والذي كان يقوم له باعمال مهمة.

إذا مـا كُـنـتَ مُـتَّـخِـذاً خَـلـيـلاً فَـمِـثـلَ الـفَـضـلِ فَـاتَّـخِـذِ الـخَـلـيـلا
يَـرى الـشُّـكـرَ الـقَـلـيـلَ لَـهُ عَـظـيـمـاً وَيُـعـطـي مِـن مَـواهِـبِـهِ الـجَـزيـلا
أَرانـي حَـيـثُـمـا يَـمَّـمـتُ طَـرفـي وَجَـدتُ عَـلـى مَـكـارِمِـهِ دَلـيـلا

[الوافر]

فقال له الفضل: واللَّه لولا أن أساويَ أميرَ المؤمنين لأعطيتُكَ مِثلَها، ولكن سأوصلها إليك في دَفعات، ثم أعطاه ما أمر به الرشيد، وزاد له خمسةَ آلاف درهم من عندِه.

[سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأُعجب به]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدَّثنا المُبرَّد قال: حدَّثني عبد الصمد ابن المُعذَّل قال: سَمِعْتُ الأميرَ عليَّ بن عيسى بن جعفر يقول: كُنْتُ صبياً في دار الرشيد، فرأيْتُ شيخاً يُنْشِدُ والناس حوله:

لَـيـسَ لِـلإِنـسـانِ إِلاّ مـا رُزِقْ أَسـتَـعـيـنُ الـلَّـهَ بِـالـلَّـهِ أَثِـقْ
عَـلِـقَ الـهَـمُّ بِـقَـلـبـي كُـلُّـهُ وَإِذا مـا عَـلِـقَ الـهَـمُّ عَـلِـقْ
بِـأَبـي مَـن كـانَ لـي مِـن قَـلـبِـهِ مَـرَّةً وُدٌّ قَـلـيـلٌ فَـسُـرِقْ
يـا بَـنـي الإِسـلامِ فـيـكُـم مَـلِـكٌ جـامِـعُ الإِسـلامِ عَـنـهُ يَـفـتَـرِقْ[1]
لَـنَـدى هـارونَ فـيـكُـم وَلَـهُ فـيـكُـمُ صَـوبٌ هَـطـولٌ وَوَرِقْ
لَـم يَـزَل هـارونُ خَـيـراً كُـلُّـهُ قُـتِـلَ الـشَّـرُّ بِـهِ يَـومَ خُـلِـقْ

[الرمل]

فَقُلْتُ لبعض الهاشميين: أمَا ترى إعجابَ الناس بشعر هذا الرجل؟ فقال: يا بنيّ، إنَّ الأعناقَ لَتُقْطَع دون هذا الطبع؛ قال: ثم كان الشيخ أبا العتاهية، والذي سأله إبراهيم بن المهديّ.

[إستعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه]

حدَّثني الصولِيّ قال: حدَّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدَّثني عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال: لَبِسَ أبو العتاهية كساءَ صوفٍ ودُرَّاعةَ[2] صوفٍ، وآلى

(١) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:
يـا بـنـي الـعـبـاس فـيـكـم مـلـك شـعـب الاحـسـان عـنـه تـفـتـرق

(٢) الدُّرّاعَةُ: ضربٌ من الثّياب، وهو جُبَّةٌ مشقوقة المقدّم. والمِدْرَعَةُ ضربٌ آخرُ، لا يكون إلا من الصوف.

على نفسه ألاَّ يقول شعراً في الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسِهِ والتضييقِ عليه؛ فقال:

صوت

يا ٱبنَ عَمِّ النَّبِيِّ سَمعاً وَطاعَه ... قَد خَلَعنا الكِساءَ وَالدُرّاعَه
وَرَجَعنا إِلى الصِّناعَةِ لَمّا ... كانَ سُخطُ الإِمامِ تَركَ الصِّناعَه

[الخفيف]

وقال أيضاً:

أَما رَحِمَتني يَومَ وَلَّت فَأَسرَعَت ... وَقَد تَرَكَتني واقِفاً أَتَلَفَّتُ
أُقَلِّبُ طَرفي كَي أَراها فَلا أَرى ... وَأَحلُبُ عَيني دَرَّها وَأُصَوِّتُ

[الطويل]

فلم يزل الرشيد مُتوانياً في إخراجه إلى أن قال:

أَما وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلمَ لُومُ ... وَما زالَ المُسيءُ هُوَ الظَّلومُ
إِلى دَيّانِ يَومِ الدينِ نَمضي ... وَعِندَ اللَّهِ تَجتَمِعُ الخُصومُ
لِأَمرٍ ما تَصَرَّفَتِ اللَيالي ... وَأَمرٍ ما تُوُلِّيَتِ النُجومُ
تَموتُ غَداً وَأَنتَ قَريرُ عَينٍ ... مِنَ الغَفَلاتِ في لُجَجٍ تَعومُ
تَنامُ وَلَم تَنَمْ عَنكَ المَنايا ... تَنَبَّهْ لِلمَنِيَّةِ يا نَؤومُ
سَلِ الأَيّامَ عَن أُمَمٍ تَقَضَّت ... سَتُخبِرُكَ المَعالِمُ وَالرُّسومُ
تَرومُ الخُلدَ في دارِ المَنايا ... وَكَم قَد رامَ غَيرُكَ ما تَرومُ
ألا يا أَيُّها المَلِكُ المُرَجَّى ... عَلَيهِ نَواهِضُ الدُّنيا تَحُومُ
أَقِلْني زَلَّةً لَم أَجْرِ مِنها ... إِلى لَوْمٍ وَما مِثلي مَلومُ
وَخَلِّصني تُخَلَّص يَومَ بَعثٍ ... إِذا لِلناسِ بُرِّزَتِ الجَحيمُ

[الوافر]

فرقَّ له وأمر بإطلاقِهِ.

[حديثه عن شعره ورأي أبي نواس فيه]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدَّثني عليّ بن مَهديّ قال: حدَّثني ابن أبي الأبيض قال: أتَيْتُ أبا العتاهية فَقُلْتُ له: إنِّي رجل أقول الشعر في الزُّهد، ولي فيه أشعارٌ كثيرة، وهو مذهبٌ أستحسنه؛ لأني أرجو ألاَّ آثمَ فيه، وسَمِعْتُ شعرَكَ في

هذا المعنى، فَأَحْبَبْتُ أن أستزيدَ منه، فأُحِبُ أن تُنشدني من جَيِّد ما قُلْتَ؛ فقال: أعلم أنَّ ما قُلته رديء؛ قلت: وكيف؟ قال: لأنَّ الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدِّمين أو مثل شعر بشار وابن هَرْمة، فإنْ لم يكن كذلك فالصواب لقائِلِهِ أن تكون ألفاظُهُ مما لا تَخفى على جُمهور الناس مثل شعري، ولا سيما الأشعارُ التي في الزُّهد؛ فإنَّ الزُّهدَ ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلاب الغريب، وهو مذهبٌ أشغَفُ الناسِ به الزُّهاد وأصحاب الحديث والفقهاءُ وأصحاب الرّياء والعامّة، وأعجَبُ الأشياء إليهم ما فهموه؛ فَقُلْتُ: صَدَقْتَ. ثم أنشدني قصيدَته:

لِدُوا[1] لِلمَوتِ وَابنوا لِلخَرابِ ... فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إِلى تَبابِ[2]
أَلا يا مَوتُ لَم أَرَ مِنكَ بُدّاً ... أَبيتَ وما تَحيفُ وَما تُحابي
كَأَنَّكَ قَد هَجَمتَ عَلى مَشيبي ... كَما هَجَمَ المَشيبُ عَلى شَبابي

[الوافر]

قال: فَصِرْتُ إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا؛ فقال: واللَّه ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتاً آخر. فَصِرْتُ إليه فأخبرته بقول أبي نواس؛ فأنشدني قصيدَته التي يقول فيها:

طولُ التَّعاشُرِ بَينَ الناسِ مَملولُ ... ما لابنِ آدامَ إِن فَتَّشْتَ مَعقولُ
يا راعِيَ الشَّاء[3] لا تُغفِل رِعايَتَها ... فَأَنتَ عَن كُلِّ ما اَستُرعيتَ مَسؤولُ
إِنّي لَفي مَنزِلٍ ما زِلتُ أَعمُرُهُ ... عَلى يَقيني بِأَنّي عَنهُ مَنقولُ
وَلَيسَ مِنْ مَوضِعٍ يَأتيهِ ذو نَفسٍ ... إِلاّ وَلِلمَوتِ سَيفٌ فيهِ مَسلولُ
لَم يُشغَلِ المَوتُ عَنّا مُذ أُعِدَّ لَنا ... وَكُلُّنا عَنهُ بِاللَّذاتِ مَشغولُ
وَمَن يَمُتْ فَهوَ مَقطوعٌ وَمُجتَنَبٌ ... وَالحَيُّ ما عاشَ مَغشِيٌّ وَمَوصولُ
كُلُّ ما بَدا لَكَ فَالآكالُ فانِيَةٌ ... وَكُلُّ ذي أُكُلٍ لا بُدَّ مَأكولُ

[البسيط]

قال: ثم أنشدني عدَّة قصائد ما هي بدون هذه، فَصِرْتُ إلى أبي نواس فأخبرته؛ فتغير لونه وقال: لم خبَّرته بما قُلْتُ! قد واللَّه أجاد! ولم يَقُلْ فيه سوءاً.

---

(١) لدوا: التفتوا.

(٢) ورد في الديوان «ذهاب» بدل «التباب»، والتباب هو الخسران والهلاك.

(٣) ورد في الديوان «راعي النفس» بدل «راعي الشَّاء».

[كان أبو نواس يَجُلُّهُ ويُعَظِّمُهُ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهروَيه قال: حدَّثني علي بن عبد اللَّه بن سعد قال: حدَّثني هارون بن سَعدان مولى البَجَليين قال: كُنْتُ مع أبي نواس قريباً من دُورِ بني نَيْبَخت بنهر طابِق[1] وعنده جماعة، فَجَعَلَ يَمرُّ به القوّاد والكُتَّاب وبنو هاشم فيسلِّمون عليه وهو متكىءٌ ممدودُ الرجل لا يتحرَّك لأحدٍ منهم، حتى نَظَرْنا إليه قد قبض رِجليه ووَثَبَ وقام إلى شيخٍ قد أقبل على حمارٍ له، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يحادِثُهُ، فلم يزل واقفاً معه يُراوح بين رجليه يَرْفَعُ رِجْلاً ويضعُ أخرى، ثم مضى الشيخ وَرَجَعَ إلينا أبو نواس وهو يتأوَّه؛ فقال له بعضُ من حضر: واللَّه لأنت أشعرُ منه؛ فقال: واللَّه مارأيته قط إلا ظَنَنْتُ أنه سماءٌ وأنا أرض.

[رأي بشار فيه]

قال محمد بن القاسم: حدَّثني عليّ بن محمد بن عبد اللَّه الكوفيّ قال حدَّثني السَّريّ بن الصّبّاح مولى ثَوْبان بن عليّ قال: كُنْتُ عند بشَّار فَقُلْتُ له: من أشعرُ أهل زماننا؟ فقال: مُخنَّثُ أهل بغداد (يعني أبا العتاهية).

[عزّى المهدي في وفاة ابنته فأجازه]

أخبرني يحيى بن عليّ المُنَجِّم إجازةً: قال: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدَّثني الخَزْرَجيّ الشاعر قال: حدَّثني عبد اللَّه بن أيّوب الأنصاريّ قال: حدَّثني أبو العتاهية قال: ماتت بنتُ المهديّ فَحَزِنَ عليها حُزْناً شَديداً حتى امتنع من الطعام والشراب، فَقُلْتُ أبياتاً أعزِّيه بها؛ فوافيته وقد سَلا[2] وضَحِكَ وأكل وهو يقول: لا بُدَّ من الصبر على مالا بُدّ منه، ولئن سَلَوْنا عمن فقدنا ليسلُوَنَّ عنَّا من يَفْقِدنا، وما يأتي الليلُ والنهارُ على شيء إلا أبلياه. فلما سَمِعْتُ هذا منه قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أنشدك؟ قال هات؛ فأنشدته:

ما لِلجَديدَينِ لا يَبلى ٱختِلافُهُما ... وَكُلُّ غَضٍّ جَديدٍ فيهِما بالِ
يا مَن سَلا عَن حَبيبٍ بَعدَ ميتَتِهِ ... كَم بَعدَ مَوتِكَ أَيضاً عَنكَ مِن سالِ
كَأَنَّ كُلَّ نَعيمٍ أَنتَ ذائِقُهُ ... مِن لَذَّةِ العَيشِ يَحكي لَمعَةَ الآلِ

(١) نهر طابق: محلة كانت ببغداد من الجانب الغربيّ.
(٢) سلا: نسي.

لا تَـلـعَـبَـنَّ بِـكَ الـدُّنـيـا وَأَنـتَ تَـرى ... مـا شِـئـتَ مِـن عِـبَـرٍ فـيـهـا وَأَمـثـالِ
مـا حـيـلَـةُ الـمَـوتِ إِلاّ كُـلُّ صـالِـحَـةٍ ... أَو لا فَـمـا حـيـلَـةٌ فـيـهِ لِـمُـحـتـالِ

[البسيط]

فقال لي: أحسنتَ وَيحك! وأصبْتَ ما في نفسي ووعظت وأوْجَزت! ثم أمر لكلِّ بيتٍ بألف درهم.

[حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصليّ ثم أطلقهما]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال: حدَّثنا العنزيّ قال: حدَّثني أحمد بن خلَّاد قال: حدَّثني أبي قال: لمَّا مات موسى الهادي قال الرشيدُ لأبي العتاهية: قُلْ شِعراً في الغزَلِ؛ فقال: لا أقولُ شعراً بعد موسى أبداً، فَحَبَسَهُ. وأمر إبراهيمَ الموصليّ أن يغنِّي؛ فقال: لا أُغنِّي بعد موسى أبداً، وكان مُحسِناً إليهما، فحبسه. فلما شخص إلى الرَّقة حفر لهما حَفيرة واسعةً وقطع بينهما بحائطٍ، وقال: كونا بهذا المكان لا تَخْرُجا منه حتى تَشعُر أنت ويُغنِّي هذا. فصبرا على ذلك بُرْهة. وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفرُ بن يحيى معه، فَغَنَّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطُرِبا عليه طَرَباً شديداً، وكان بيتاً واحداً؛ فقال الرشيد: ما كان أحوجَه إلى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغناء فيه فنستمتِعُ مدَّةً طويلةً به! فقال له جعفر: قد أصبته. قال: من أين؟ قال: تبعث إلى أبي العتاهية فيُلحِقُهُ به لقدرتِهِ على الشعر وسرعته؛ قال: هو أنكدُ من ذلك، لا يُجيبُنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطربٍ؛ قال: بلى! فاكتب إليه حتى تعلمَ صحة ما قُلْتُ لك؛ فكتب إليه بالقصة وقال: ألحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانياً. فكتب إليه أبو العتاهية:

شُغِلَ الـمِـسـكـيـنُ عَـن تِـلـكَ الـمِـحَـن ... فـارَقَ الـروحَ وَأَخـلـى مِـن بَـدَن
وَلَـقَـد كُـلِّـفـتُ أَمـراً عَـجَـبـاً ... أُسـأَلُ الـتَّـفـريـحَ مِـن بَـيـتِ الـحَـزَن

[الرمل]

فلما وَصَلَتْ قال الرشيد: قد عرَّفتك أنه لا يفعل؛ قال: فَتُخْرِجُهُ حتى يفعل؛ قال: لا! حتى يشعر؛ فقد حَلَفْت. فأقام أياماً لا يفعل. قال: ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم: إلى كم هذا تُلاجُّ الخلفاء! هلمَّ أقُل شعراً وتُغنّ فيه؛ فقال أبو العتاهية:

بِـأَبـي مَـن كـانَ فـي قَـلـبِـي لـه ... مَـرَّةً حُـبٌّ قَـلـيـلٌ فَـسُـرِقْ
يـا بَـنـي الـعـبَّـاس فـيـكُـم مَـلِـكٌ ... شُـعـب الإحـسـان مـنـه تـفـتـرق[1]

(١) ورد هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:
يـا بَـنـي الإِسـلامِ فـيـكُـم مَـلِـكٌ ... جـامِـعُ الإِسـلامِ عَـنـهُ يَـفـتَـرِقْ

إنـــمـــا هـــارونُ خَـــيـــرٌ كُـــلُّـــهُ مـات كـلّ الـشَّـرِّ مُـذ يَـومَ خُـلِـق[١]

[الرمل]

وغنَّى فيه إبراهيم، فدعا بهماالرشيد؛ فأنشده أبو العتاهية وغنَّاه إبراهيم، فأعطى كُلَّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائةَ ثوب.

حدَّثني الصُّوليّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد اللَّه بن العبَّاس ابن الفَضْل بن الرَّبيع، فقال فيه: غَضِبَ الرشيد[٢] على جاريةٍ له فَحَلَفَ ألا يدخُل إليها أياماً، ثم نَدِمَ فقال:

صَـــدَّ عَـــنِّـــي إِذْ رآنـــي مُـــفْـــتَـــتَـــنْ وأَطـــالَ الـــصـــدَّ لَـــمّـــا أَنْ فَـــطَـــنْ

كـــانَ مَـــمْـــلـــوكـــي فـــأَضْـــحَـــى مَـــالِـــكِـــي إنّ هـــذا مِـــنْ أعـــاجِـــيـــبِ الـــزَّمَـــنْ

[الرمل]

وقال لجعفر بن يحيى: اطلب ليَّ مَنْ يَزيدُ على هذين البيتين؛ فقال له: ليس غيرُ ابي العتاهية؛ فبَعَثَ إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصِلَتِهِ؛ فقال: الآن طاب القولُ؛ ثم قال:

عِـــزَّةُ الـــحُـــبِّ أَرَتـــهُ ذِلَّـــتـــي فـــي هَـــواهُ وَلَـــهُ وَجـــهٌ حَـــسَـــن

وَلِـــهَـــذا صِـــرتُ مَـــمـــلـــوكـــاً لَـــهُ وَلِـــهَـــذا شـــاعَ مـــا بـــي وَعَـــلَـــن

[الرمل]

فَقَالَ: أحسَنْتَ واللَّه وأصبْتَ ما في نفسي!، وأضعفَ صِلَتَهُ.

---

(١) ورد هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:

لَـــم يَـــزَل هـــارونُ خَـــيـــراً كُـــلُّـــهُ قُـــتِـــلَ الـــشَّـــرُّ بِـــهِ يَـــومَ خُـــلِـــقْ

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي أبو جعفر. خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم، ولد بالريّ سنة ١٤٩هـ، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد. وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني، وافتدت منه مملكتها، بسبعين ألف دينار تبعث بها إلى خزانة الخليفة في كل عام. وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي (سنة ١٧٠هـ) فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا شارلمان فكانا يتهاديان التحف والهدايا. وكان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحاً، له شعر أورد صاحب الديارات نماذج منه. وله محاضرات مع علماء عصره، شجاعاً كثير الغزوات، يلقب بجبّار بني العباس، حازماً كريماً متواضعاً، يحج سنة ويغزو سنة، لم ير خليفة أجود منه. كان يطوف أكثر الليالي متخفياً، لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والكتاب والندماء كما اجتمع له بابه. دامت ولايته ٢٣ سنة وشهرين وأياماً. توفي في (سناباذ) من قرى طوس سنة ١٩٣هـ، وبها قبره.

[شعرُهُ في ذَمِّ الناس]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: قال: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدَّثني الهَيثمُ بن عثمان قال: حدَّثني شبيب بن منصور قال: كُنْتُ في الموقف واقفاً على باب الرشيد، فإذا رجل بَشِعُ الهيئة على بغل قد جاء فوقف، وجعل الناسُ يُسَلِّمون عليه ويسائلونه ويُضاحكونه، ثم وقف في الموقِفِ، فأقبل الناس يَشْكون أحوالَهم: فواحدٌ يقول: كُنْتُ مُنْقَطِعاً إلى فلان فلم يَصْنَعْ بي خيراً، ويقولُ آخرُ: أمَّلت فلاناً فخاب أملي وفعل بي، ويشكو آخرُ مِنْ حالِهِ؛ فقال الرجل:

فَتَشْتُ ذي الدُّنيا فَلَيْسَ بِها أحدٌ أراه لآخرٍ حامِدْ
حتَّى كأنَّ الناسَ كلّهم قد أُفرِغوا في قالبٍ واحِدْ

[الكامل]

فَسَأَلْتُ عنه فقيل: هو أبو العتاهية.

[بينه وبين سلم الخاسر]

حدَّثني الحسن بن عليّ، قال: حدَّثنا ابن مهرُويه قال: حدَّثني أحمد بن خلَّاد عن أبيه عن عبد االلَّه بن الحسن قال: أُنشِد المأمون بيت أبي العتاهية يُخاطبُ سَلماً الخاسر[1]:

تَعالى اللَّهُ يا سَلمَ بنَ عَمرٍو أَذَلَّ الحِرصُ أَعناقَ الرِّجالِ

[الوافر]

فقال المأمون: إنَّ الحُرصَ لَمُفْسِد للدِّين والمروءة، واللَّه ما عَرفْتُ من رجلٍ قطّ حِرْصاً ولا شَرَهاً فرأيت فيه مُصْطَنَعاً. فبلغ ذلك سَلماً فقال: ويلي على المخنَّثِ الجَرَّار الزنديق! جَمَعَ الأموالَ وكنزها وعَبَّأَ البدورَ[2] في بيتِهِ ثم تزهَّدَ مراءاةً ونِفاقاً، فأخذَ يهتفُ بي إذا تصدَّيْتُ للطلب.

[إقتص منه الجماز لخاله مسلم فاعتذر له]

أخبرني أحمد بن العبَّاس العسكريّ المؤدِّب ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ قالا: حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العنزيّ قال: حدَّثني محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكيّ قال:

---

(١) سلم بن عمرو بن حماد البصري. شاعر، خليع، ماجن، من أهل البصرة، من الموالي سكن بغداد، له مدائح في المهدي والرشيد العباسيين، وأخباره مع بشار بن برد وأبي العتاهية، وشعره رقيق رصين. قيل سمي الخاسر: لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً، توفي سنة١٨٦هـ.

(٢) البَدْرة كِيسٌ فيه عشرة آلاف دِرهمٍ أو ألفٌ والجمع: البُدور، وثلاث بَدَرات.

حدَّثني العبَّاس بن عُبَيد اللَّه بن سنان بن عبد الملك بن مِسمَع قال: كُنَّا عند قُثَم بن جعفر بن سُليمان وعنده أبو العتاهية يُنْشِدُ في الزهد، فقال قُثَم: يا عبَّاس، اطلب الساعةَ الجمَّاز حيث كان، ولك عندي سَبَقٌ[1]؛ فَطَلَبْتهُ فوجدْتُهُ عند رُكن دار جعفر بن سليمان، فقلت: أجِبِ الأمير؛ فقام معي حتى أتى قُثَم؛ فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهيةُ يُنْشِدُه؛ فأنشأ الجَمَّاز يقول:

ما أَقبَحَ التَّزهيدَ مِن واعِظٍ ... يُزَهِّدُ الناسَ وَلا يَزهَدُ

لَو كانَ في تَزهيدِهِ صادِقاً ... أَضحى وَأَمسى بَيتَهُ المَسجِدُ

يَخافُ أَن تَنفَدَ أَرزاقُهُ ... وَالرِّزقُ عِندَ اللَّهِ لا يَنفَدُ

ألرِّزقُ مَقسومٌ عَلى مَن تَرى ... يَنالُهُ الأَبيَضُ وَالأَسوَدُ

[السريع]

قال: فالتفت أبوالعتاهية إليه فقال: من هذا؟ قالوا: هذا الجمَّاز وهو ابن أختِ سَلْم الخاسر، إقتصّ لِخالِهِ منك؛ فَأَقبلَ عليهِ وقال: يابن أخي، إنِّي لم أذهب حيث ظَنَنْتَ ولا ظنَّ خالُك، ولا أردْتُ أن أهتِفَ به؛ وإنَّما خاطبته كما يخاطِبُ الرجلُ صديقَهُ، فاللَّه يغفرُ لكما، ثم قام.

[غناه مخارق بشعره]

أخبرني أحمد بن عُبيد بن عمَّار قال: حدَّثني محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْريّ عن أبيه قال:

كُنْتُ عند مُخارِق، فجاء أبو العتاهية في يوم جمعة، فقال: لي حاجةٌ وأريدُ الصلاةَ؛ فقال مُخارِق: لا أبرح حتى تعود؛ قال: فَرَجَعَ وطَرَحَ ثيابَهُ، وهي صوفٌ، وغَسَلَ وجهه، ثم قال له: غنِّني:

صوت

قالَ لي أَحمَدٌ وَلَم يَدرِ ما بي ... أَتُحِبُّ الغَداةَ عُتبَةَ حَقّا

فَتَنَفَّستُ ثُمَّ قُلتُ نَعَم حُبّاً جَرى في العُروقِ عِرقاً فَعِرقا

[الخفيف]

فَجَذَبَ مُخارِقُ دواةً كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غَنَّاه؛ فاستعاده ثلاثَ مَرَّاتٍ

(١) السَّبقُ: الخطر يوضع بين أهل السِّباق، وجمعه أسباق.

فأعاده عليه، ثم قام يقول: لا يَسْمَعُ واللَّه هذا الغناءَ أحدٌ فَيُفلِحُ. وهذا الخبرُ رواية محمد بن القاسم بن مهرُويه عنه.

وحدَّثنا بِهِ أيضاً في كتاب هارون بن عليّ بن يحيى عن ابن مَهرُويه عن ابن عمَّار قال: حدَّثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حسَّان الضَّبِّيّ قال: حدَّثنا مُخَارق قال: لقيني أبو العتاهية فقال: بَلَغَني أنك خرَّجْت قولي:

قالَ لي أَحمَدٌ وَلَم يَدرِ ما بي أَتُحِبُّ الغَداةَ عُتبَةَ حَقّا

[الخفيف]

فَقُلْتُ نعم؛ فقال: غَنِّهِ فَمُلْتُ معه إلى خَراب، فيه قوم فقراء سكَّان، فَغَنَّيتُهُ إياه؛ فقال: أحسنت واللَّه! منذ ابتدأْتَ حتى سَكَتَّ؛ ثم قال لي: أما ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب!

[شعرُهُ في تبخيل الناس]

أخبرني جَحظةُ قال: حدَّثني مَيمون بن هارون قال: قال مُخارق: لَقَيْتُ أبا العتاهية على الجِسرِ، فَقُلْتُ له: يا أبا إسحاق، أتُنشدني قولك في تَبخيلِك الناسَ كلَّهم؟ فَضَحِكَ وقال لي: ها هنا؟ قُلْتُ: نعم؛ فأنشدني:

إن كُنتَ مُتَّخِذاً خَليلا فتَنَقَّ وانتَقِد الخَليلا
مَنْ لم يَكُنْ لَكَ مُنْصِفاً في الودِّ فابغِ به بديلا
وَلَرُبَّما سُئِلَ البخيل الشيءَ لا يَسوى فَتِيلا
فَيَقُولُ لا أجد السبيلَ إليه يَكْره أن يُنيلا
فَلِذَاك لا جَعَلَ الإلهُ له إلى خيرٍ سبيلا
فاضرِبْ بِطَرْفِكَ حيث شِئـ ـتَ فلن ترى إلا بخيلا

[الوافر]

فَقُلْتُ له: أفرْطتَ يا أبا إسحاق! فقال: فديتُكَ! فأكذبني بِجوادٍ واحد؛ فأحْبَبْتُ موافقتَهُ، فالتفتُّ يميناً وشمالاً ثم قُلْتُ: ما أجد؛ فَقَبَّلَ بين عينيّ وقال: فديتُك يا بنيّ! لقد رَفُقْتَ حتى كِدْتَ تُسْرِفُ.

[كان بعد تنسكه يطرب لحديث ابن مُخَارِق]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال: حدَّثني هارون بن مُخَارِق قال: كان أبو العتاهية لما نَسَكَ يقول لي: يا بنيّ، حدِّثني؛ فإنَّ ألفاظَكَ تُطْرِبُ كما يُطْرِبُ غِناؤك.

[جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ قال: حدَّثني أبو هَفَّان قال: حدَّثني موسى بن عبد الملك قال: كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية، فلما خَدَمَ المأمون وخُصّ به، رأى منه أبو العتاهية جَفوة، فَكَتَبَ إليه:

أبا جعفر إنَّ الشريفَ يشِينُهُ تتَايُهُه على الأخلّاء بالوَفْرِ
ألم تر أن الفقر يُرجى له الغنى وأنَّ الغنى يُخشى عليه من الفقرِ
فإنْ نِلْتَ تيهاً بالذي نِلْتَ من غِنًى فإنَّ غِنايَ في التجمُّل والصَّبْرِ

[الطويل]

قال: فَبَعَثَ إليه بألفي درهم، وكَتَبَ إليه يَعْتَذِرُ مما أنكره.

[طرائفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا ابن مَهرُويه قال: حدَّثني إبراهيم بن أحمد ابن إبراهيم الكوفيّ قال: حدَّثني أبو جعفر المَعْبَدِيّ قال: قُلْتُ لأبي العتاهية: أجِزْ لي قولَ الشاعر:

وكانَ المَالُ يَأتِينا فَكُنَّا نُبَذّرهُ ولَيس لَنا عقولُ
فلمَّا أن تولَّى المالُ عنَّا عَقَلنا حين ليس لنا فُضولُ

قالَ: فقَالَ أبو العتاهية على المكان:

فَقَصِّر ما تَرى بِالصَّبرِ حَقّاً فَكُلٌّ إن صَبَرتَ لَهُ مُزيلُ

[الوافر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا ابن مَهرُويَه قال: حدَّثني الحسن بن الفَضل الزَّعفَرانيّ قال: حدَّثني من سَمِعَ أبا العتاهية يقول لابنه وقد غَضِبَ عليه: اذهبْ فإنك ثقيل الظلّ جامد الهواء.

[أهدى إلى الفضل نعلاً فأهداها للخليفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا ابن مَهرُويه قال: حدَّثني يحيى بن خليفة الرَّازي قال: حدَّثنا حَبيب بن الجَهْم النُّميريّ قال: حَضَرْتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنَجِّزاً جائزتي وفَرضي، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي، فإذا عَوْنٌ حاجبُهُ قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يُسَلِّمُ عليك وقد قَدِمَ من مكة؛ فقال: أعْفِني منه الساعة يَشْغَلني عن ركوبي؛ فَخَرَجَ إليه عَونٌ فقال: إنَّه على الرّكوب إلى أمير المؤمنين؛ فَأخرَجَ من كُمِّهِ نعلاً عليها

شراكٌ[١] فقال: قل له إنَّ أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلْتُ فداءك. قال: فَدَخَلْتُ بها؛ فقال: ما هذه؟ فقلت: نعل وعلى شِراكها مكتوبٌ كتاب؛ فقال: يا حبيب، أقرأ ماعليها؛ فقرأته فإذا هو:

نَعلٌ بَعَثتُ بِها لِيَلبَسَها قَرْمٌ[٢] بِها يمشي إِلى المَجدِ
لَو كانَ يَصلُح أَن أُشَرِّكَها خَدّي جَعَلتُ شِراكِها خَدّي

[الكامل]

فقال لحاجبِهِ عَون: احملها معنا، فَحَمَلَها. فلما دخلَ على الأمين قال له: يا عبَّاسيّ، ما هذه النَّعل؟ فقال: أهادها إليّ أبو العتاهية وكَتَبَ عليها بيتين، وكان أميرُ المؤمنين أولى بلبسها لما وُصِفَ به لابسُها. فقال: وما هما؟ فقرأهما. فقال: أجاد واللَّه! وما سَبَقَهُ إلى هذا المعنى أحدٌ، هَبُوا له عشرة آلاف درهم. فأخرجتْ واللَّه في بَدْرة وهو راكِبٌ على حمارِه، فَقَبَضَها وانصرف.

[قيل إنه كان من أقل الناس معرفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال: حدَّثنا إسماعيل بن عبد اللَّه الكوفيّ قال: حدَّثنا عمروس صاحب الطعام وكان جارَ أبي العتاهية، قال: كان أبو العتاهية من أقلّ الناسِ معرفةً، سَمِعْتُ بِشراً المِرّيسيّ يقول له: يا أبا إسحاق، لا تُصلِّ خلفَ فلانٍ جارك وإمام مسجدِكم؛ فإنَّه مُشَبِّهٌ[٣]. قال: كلا! إنه قرأ بنا البارحة في الصلاة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]؛ وإذا هو يظنّ أن المشبّه لا يقرأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

[شكا عليه بكر عن المعتمر ضيق حبسه فكتب إليه شعراً]

أخبرني الحسن قال: حدَّثنا ابن مَهرُويه قال: حدَّثني أحمد بن يعقوب الهاشميّ قال: حدَّثني أبو شيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال: كتب بكر بن المُعتمر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضِيق القَيد وغَمَّ الحبس، فكتب إليه أبو العتاهية:

هِيَ الأَيّامُ وَالعِبَرُ وَأَمرُ اللَّهِ يُنتَظَرُ

(١) الشِّراك: سير النعل. شرّكت النعل تَشريكاً.
(٢) ورد في بعض المصادر «تسعى» بدل «قرم» والقرم هو السيد أو العظيم.
(٣) المشبه هو الذي يرى رأي المشبهة، وهم فرقة شبهت بين الخالق والمخلوق، يجوز عليه الانتقال والصعود والاستقرار والتمكن؛ وقد حكى أن جماعة منهم جازوا على ربهم الملامة والمصافحة، وان المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة.

أَتَـــيـــأَسُ أَن تَـــرى فَـــرَجـــاً فَـــأَيـــنَ الـــلَّـــهُ وَالـــقَـــدَرُ

[مجزوء الوافر]

[ذمه الخيلاء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن عُبيد بن ناصح قال: كُنْتُ أمشي مع أبي العتاهية يدُهُ في يدي وهو متكىءٌ عليَّ يَنْظُرُ إلى الناس يذهبون ويجيئون، فقال: أما تراهم هذا يتيه فلا يتكلم، وهذا يتكلم بِصَلَفٍ؟! ثم قال لي: مَرَّ بعضُ أولاد المُهَلَّب بمالك بن دينار وهو يَخْطِرُ، فقال: يا بُنيَّ، لو خَفَّضْتَ بعضّ هذه الخُيلاء ألم يَكُنْ أحسن بك من هذه الشُّهرة التي قد شَهَرْتَ بها نفسك؟! فقال له الفتى: أو ما تعرف من أنا! فقال له: بلى! واللَّه أعرفُكَ معرِفَةً جيدةً، أوَّلُك نِطْفَةٌ مَذِرة[١]، وآخِرُكَ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ، وأنت بين ذينك حامِلٌ عَذِرة[٢]. قال: فأرخى الفتى أُذُنَيه وكفَّ عما كان يفعل وطَأْطَأَ رأسَهُ ومشى مُسْتَرْسِلاً. ثم أنشدني أبو العتاهية:

أيـــا واهـــاً لِـــذِكـــرِ الـــلَّـــه يـــا واهـــاً لـــه واهـــا
لَـــقَـــدْ طَـــيَّـــبَ ذِكـــرُ الـــلَّـــه يـــا لـــتـــســـبـــيـــحِ أفـــواهـــا
فـــيـــا أنـــتـــن مـــن حـــشٍّ[٣] عـــلـــى حـــش إذا تـــاهـــا
أرى قـــومـــاً يـــتـــيـــهـــون . . . حُـــشـــوشـــاً[٤] رُزِقـــوا جـــاهـــا

[الهزج]

[مدح إسماعيل بن محمد شعره واستنشده إياه]

حدَّثني اليزيديّ عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال: قُلْتُ لأبي العتاهية وقد جاءنا: يا أبا إسحاق، شعرُك كلُّه حَسنٌ عجِيبٌ، ولقد مَرَّت بي منذُ أيام أبياتٌ لك استحسنتها جداً، وذلك أنها مقلوبةٌ أيضاً، فأواخِرُها كأنَّها رأسُها، لو كَتَبَها الإنسانُ إلى صديق له كتاباً واللَّه لقد كان حسناً أرفعَ ما يكون شعراً. قال: وما هي؟ قُلْتُ:

ألـــمَـــرءُ فـــي تَـــأخـــيـــرِ مُـــدَّتِـــهِ كَـــالـــثَّـــوبِ يَـــخـــلَـــقُ بَـــعـــدَ جِـــدَّتِـــهِ

---

(١) مَذِرَت البيضةُ مَذَراً، فهي مَذِرَةٌ: فَسَدَتْ.
(٢) أعذر الرّجلُ إذا بدا وأحدث من الغائط.
(٣) الحَشُّ والحُشُّ: البستانُ، والجمع الحِشَّانُ. والحَشُّ والحُشُّ أيضاً: المخرج، لأنَّهم كانوا يَقضون حوائجَهم في البساتين. والجمع حُشوشٌ.
(٤) ورد في الديوان: بهاما» بدل «حشوشا».

وَحَـيـاتُـهُ نَـفَـسٌ يُـعَـدُّ لَـهُ وَوَفـاتُـهُ ٱسـتِـكـمـالُ عِـدَّتِـهِ
وَمَـصـيـرُهُ مِـن بَـعـدِ مُـدَّتِـهِ لِـبِـلًـى وذا مـن بـعـد وَحـدَتِـهِ
مَـن مـاتَ مـالَ ذَوو مَـوَدَّتِـهِ عَـنـهُ وَحـالـوا عَـن مَـوَدَّتِـهِ
أَزِفَ الـرَّحـيـلُ وَنَـحـنُ فـي لَـعِـبٍ مـا نَـسـتَـعِـدُّ لَـهُ بِـعُـدَّتِـهِ
وَلَـقَـلَّـمـا تُـبـقـي الـخُـطـوبُ عَـلـى أَشَـرِ الـشَّـبـابِ وَحَـرِّ وَقـدَتِـهِ
عَـجَـبـاً لِـمُـنـتَـبِـهٍ يُـضَـيِّـعُ مـا يَـحـتـاجُ فـيـه لـيَـومِ رَقـدَتِـهِ

[الكامل]

[شبه أبو نواس شعراً له بشعره]

قال اليزيديّ: قال عمي وحدَّثني الحسين بن الضحَّاك قال: كُنْتُ مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها:

يـا بَـنـي الـنَّـقـصِ وَالـغِـيَـر وَبَـنـي الـضَّـعـفِ وَالـخَـوَر

[مجزوء الخفيف]

فلما فَرَغَ منها قال لي: يا أبا عليّ، واللَّه لكأنَّها من كلامِ صاحبك (يعني أبا العتاهية).

[سأل أعرابياً عن معاشه ثم قال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثني حُذَيفةُ بن محمد الطائيّ قال: حدَّثني أبو دُلف القاسم بن عيسى العِجْليّ قال: حَجَجْتُ فَرَأَيْتُ أبا العتاهية واقفاً على أعرابيّ في ظل مِيلٍ[1] وعليه شَمْلَةٌ[2] إذا غطى بها رأسَهُ بدت رِجلاه، وإذا غَطَّى رجليه بدا رأسُهُ. فقال له أبو العتاهية: كيف اخترت هذا البلدَ القَفْر على البلدان المخصبة؟ فقال له: يا هذا، لولا أنَّ اللَّه أقنع بعضَ العباد بشرِّ البلاد، وما وَسَعَ خيرُ البلاد جميعَ العباد. فقال له: فمن أين مَعَاشُكم؟ فقال: منكم معشرَ الحاجّ، تمرّون بنا فننال من فُضولِكُم، وتنصرفون فيكون ذلك؛ فقال له: إنَّما نمرُّ ونَنْصَرِفُ في وقت من السنة، فمن أين معاشُكم؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال: لا واللَّه لا أدري ما أقول إلا أنّا نُرزق من حيث لا نَحْتَسِب أكثرَ مما نُرزق من حيث نَحتسبُ؛ فولى أبو العتاهية وهو يقول:

ألا يـا طـالـبَ الـدُّنـيـا دعِ الـدُّنـيـا لـشـانـيـكـا

(١) المِيلُ: مَنارٌ يُبْنَى للمُسافِر في أنْشاز الأَرْضِ وأَشْرافها.
(٢) والشَّملةُ: كساءٌ يشتمل به. والشّملةُ: مصدر من اشتمل بثوب يديره على جسده كلّه، لا يخرج منه يده.

وما تصنعُ بالدُّنيا وظِلُّ المِيل يَكفيكا
[الهزج]

[شتمه سَلْم لما سمع هجوه فيه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: لما قال أبو العتاهية:

تَعالى اللَّهُ يا سَلمَ بنَ عَمرٍو أَذَلَّ الحِرصُ أَعناقَ الرِّجالِ
[الوافر]

فَقَالَ سَلْم: ويلي على ابن الفاعلة! كنزَ البدور ويزعمُ أنِّي حريصٌ وأنا في ثوبيّ هذين!

[كان ابن عبد العزيز يتمثل كثيراً بشعره]

أخبرني محمد بن مَزْيد والحرميّ بن أبي العلاء قالا: حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حدَّثني عمرو بن أدجع قال: قُلْتُ لعبد اللَّه بن عبد العزيز العُمَريّ وسَمِعْتُهُ يَتَمَثَّلُ كثيراً من شعر أبي العتاهية: أشهدُ أنِّي سَمِعْتُهُ يُنْشِدُ لِنَفْسِهِ:

مَرَّتِ اليَومَ شاطِرَه بَضَّةُ الجِسمِ ساحِرَه
إِنَّ دُنيا هِيَ الَّتي مَرَّتِ اليَومَ سافِرَه
سَرَقوا نِصفَ إِسمِها فَهيَ دُنيا وَآخِرَه
[مجزوء الخفيف]

فقال عبد اللَّه بن عبد العزيز: وكَلَهُ اللَّهُ إلى آخرتها. قال: وما سُمِعَ بعد ذلك يتمثَّلُ ببيت به من شعره. قال عليّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب: هذه الأبيات لأبي عُيَيْنة المُهلَّبيّ، وكان يُشبِّبُ بدنيا في شعره، لإ فإما أن يكون الخبرُ غلطاً، وإما أن يكون الرجل أنشدها العُمَريّ لأبي العتاهية وهو لا يَعْلَمُ أنها ليست له.

[موازنة بينه وبين أبي نواس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدَّثنا عيسى بن إسماعيل قال: قال الحِرْمازيّ: شَهِدْتُ أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس، وكان أبو العتاهية أسرعَ الرجلين جَواباً عند البديهة، وكان أبو نواس أسرعهما في قولِ الشعر؛ فإذا تعاطَيا جميعاً السرعةَ فَضَله أبو العتاهية، وإذا توقّفا وتمهَّلا فضله أبو نواس.

[رأى من صالح المسكين جفوة]

أخبرني أحمد بن العبَّاس بن عُلَيل العنزيّ قال: حدَّثنا أبو أَنَس كثيرُ بن محمد

الحِزاميّ قال: حدَّثني الزُّبيرُ بن معروف العامليّ قال: قال أبو العتاهية: كُنْتُ مُنْقَطِعاً إلى صالح المسكين، وهو ابن جعفر المنصور، فأصبْتُ في ناحيتِهِ مائةَ ألف درهم، كان لي وَدوداً وصديقاً، فَجِئْتهُ يوماً، وكان لي في مجلِسِه مَرْتَبَةٌ لا يَجْلِسُ فيها غيري، فَنَظَرْتُ إليه قد قّصَّرَ بي عنها، وعاودتُهُ ثانيةً فكانت حاله تلك، ورأيْتُ نَظَرَهُ إليّ ثقيلاً، فَنَهَضْتُ وقُلْتُ:

أَرانـي صـالِـحٌ بُـغـضـاً ... فَـأَظـهَـرتُ لَـهُ بُـغـضـا
وَلا وَالـلَّـهِ لا يَـنـقُـضُ إلاّ زِدتُـهُ نَـقـضـا
وَإلاّ زِدتُـهُ مَـقـتـاً ... وَإلاّ زِدتُـهُ رَفـضـا
أَلا يـا مُـفـسِـدَ الـوُدِّ ... وَقَـد كـانَ لَـهُ مَـحـضـا
تَـغَـضَّـبـتَ مِـنَ الـريـحِ ... فَـمـا أَطـلُـبُ أَن تَـرضـى
لَـئِـن كـانَ لَـكَ الـمـالُ ... الـمُـصَـفّـى إنَّ لـي عِـرضـا

[الهزج]

قال أبو العتاهية: فَنُمِيَ الكلامُ إلى صالح فنادى بالعَدَاوة؛ فقلت فيه:

مَـدَدتُ لِـمُـعـرِضٍ حَـبـلاً طَـويـلاً ... كَـأَطـوَلِ مـا يَـكـونُ مِـنَ الـحِـبـالِ
حِـبـالٌ بِـالـصَّـريـمَـةِ[1] لَـيسَ تَـفـنـى ... مُـوَصَّـلَـةٌ عَـلـى عَـدَدِ الـرِّمـالِ
فَـلا تَـنـظُـرْ إلَـيَّ وَلا تُـرِدنـي ... وَلا تُـقـرِب حِـبـالَـكَ مِـن حِـبـالـي
فَـلَـيـتَ الـرَّدمَ[2] مِـن يَـأجـوجَ بَـيـنـي ... وَبَـيـنَـكَ مُـثـبَـتـاً أُخـرى الـلَـيـالـي
فَـكَـرِّش[3] إن أَرَدتَ لَـنـا كَـلامـاً ... وَنَـقـطَـعُ قِـحـفَ[4] رَأسِـكَ بِـالـقَـذالِ[5]

[الوافر]

[إستنشده مساور شعراً في جنازة فأبى]

حدَّثني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدَّثنا عليّ بن سليمان النَّوفليّ قال:

---

(١) الصَّرْمُ: قَطعٌ بائِنٌ لحَبْل وعِذْقٍ ونحوه.
(٢) الردم: السد.
(٣) تكرّش وجهه: انقبض.
(٤) القِحْفُ: العظم الذي فوق الدماغ.
(٥) القَذالُ: جِماع مؤخر الرأس، وهو مَعْقِدُ العِذارِ من الفرس خلف الناصية. ويقال: القَذالانِ: ما اكتنف فأسَ القَفا عن يمينٍ وشمالٍ، ويجمع على أقْذِلَةٍ وقُذُلٍ. وقَذَلْتُهُ: ضربتُ قَذالَهُ. ويقال: القَذَلُ: المَيْل والجوْرُ.

قال مُساوِر السبَّاق، وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدَّثنا الزُّبيرُ عن مُساوِر السبَّاق قال: شَهِدْتُ جنازةً في أيام الحجّ وقت خروج الحسين بن عليّ بن الحسن ابن الحسن بن الحسن المقتول بَفَخّ[1]، فَرَأَيْتُ رَجُلاً قد حَضَرَ الجنازةَ معنا وقد قال لآخر: هذا الرجل الذي صِفَتُهُ كذا وكذا أبو العتاهية! فالتفَتُّ إليه فَقُلْتُ له: أنت أبو العتاهية؟ فقال: لا، أنا أبو إسحاق. فَقُلْتُ لَهُ: أنشدني شيئاً من شِعرِكَ؛ فقال لي: ما أحمقك! نحن على سَفَرٍ وعلى شَفِير قَبْرٍ، وفي أيام العشر، وببلدِكُم هذا تستنشدني الشعر! ثم أَدْبَرَ عنِّي ثم عاد إليَّ فقال: وأخرى أزيدُكها، لا واللَّه ما رأيْتُ في بني آدم قطُّ أسمجَ منك وجهاً!

قال النوفليّ في خبره: وصدق أبو العتاهية، وكان مُساوِر هذا مُقبَّحاً طويلَ الوجهِ كأنَّه ينظرُ في سيف.

[حجبه حاجب يحيى بن خاقان فقال شعراً]

أخبرني عمي الحسن بن محمد وجَحظَة قالا: حدَّثنا مَيمونُ بن هارونَ قال: قَدِمَ أبو العتاهية يوماً منزل يحيى بن خاقان، فلما قام بادر له الحاجِبُ فانصرف. وأتاه يوماً آخرَ فصادفَهُ حين نزل، فَسَلَّمَ عليه ودخل إلى منزلِهِ ولم يأذن له؛ فأخذ قِرطاساً وكتب إليه:

أَراكَ تُراعُ حينَ تَرى خَيالي ... فَما هَذا يَروعُكَ مِن خَيالي
لَعَلَّكَ خائِفٌ مِنّي سُؤالي ... أَلا فَلَكَ الأَمانُ مِنَ السُّؤالِ
كَفَيتُكَ إِنَّ حالَكَ لَم تَمِل بي ... لِأَطلُبَ مِثلَها بَدَلاً بِحالي
وَإِنَّ اليُسرَ مِثلُ العُسرِ عِندي ... بِأَيِّهِما مُنيتُ فَلا أُبالي

[الوافر]

فلما قَرَأَ الرُّقعةَ أمرَ الحاجِبَ بإدخالِهِ إليه، فطلبه فأبى أن يَرجِعَ معه، ولم يَلتقيا بعد ذلك.

[كان بينه وبين أبي الشمقمق شر]

أخبرني عبد اللَّه بن محمد الرَّازيّ قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث قال: حدَّثنا المدائنيّ قال: اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق في بيت ابن أُذَيْن، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشمقمق شرٌّ، فخبّؤه من أبي العتاهية في بيتٍ، ودخل أبو العتاهية

(١) فخ: واد بمكة، وهو فيما قيل: وادي الزاهر.

فَنَظَرَ إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ[١]، فظنَّ أنَّه جاريةٌ، فقال لابن أُذَين: متى استظرفْتَ هذه الجارية؟ فقال: قريباً يا أبا إسحاق، فقال: قُلْ فيها ما حَضَرَ؛ فمدَّ أبو العتاهية يَدَهُ إليه وقال:

بَسَطْتُ[٢] كَفّي نَحوَكُم سائِلاً ماذا تَرُدّونَ عَلى السّائِلِ

[السريع]

فلم يَلْبَثْ أبو الشمقمق[٣] حتى ناداه من البيت:

نَرُدُّ في كَفِّك ذا فَيْشَةٍ تشفى جَوًى في استِكَ من داخلِ

[السريع]

فقال أبو العتاهية: شمقمق واللَّه! وقام مُغْضَباً.

[إستنشد ابن أبي أمية شعره ومدحه]

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدَّثنا عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال: حدَّثني سليمانُ بن عَبَّاد قال: حدَّثنا سليمان بن مُناذر قال: كُنَّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ في وسط المجلس؛ فقال أبو العتاهية لجعفر: جعلني اللَّه فداك! معكم شاعرٌ يُعرَفُ بابن أبي أُميَّة أحبّ أن أسمَعَه يُنْشِدُ؛ فقال له جعفرٌ: هو أقربُ الناس منك؛ فأقبل أبو العتاهية على محمد[٤]، وكان إلى جانبِهِ، وسألَهُ أن يُنْشِدَهُ، فكأنَّه حَصِر ثم أنشده:

صوت

ربَّ وَعْدٍ مِنكَ لا أنساهُ لي أوجبَ الشُّكرَ وَإن لَمْ تَفعَلِ
أَقطَعُ الدَّهرَ بِوعدٍ حسنٍ وأُجلِّي غمرةً ما تَنْجَلِي

---

(١) فيه تأنيث: ليِنٌ وتخنثٌ.

(٢) ورد في الديوان «مددت» بدل «بسطت».

(٣) أبو الشمقمق مروان بن محمد، وهو شاعر وأديب ظريف، تميز بصعلكته، كان متبرماً قد لزم بيته في أطمار مسحوقة. وكان إذا استفتح أحد بابه خرج فنظر من فروج الباب، فإن أعجبه فتح له وإلا سكت عنه.

(٤) محمد بن أبي أمية. من الكتاب الظرفاء في أيام المأمون وأدرك المعتصم. وكان من ندماء إبراهيم ابن المهدي وبمجلسه اتصل بأبي العتاهية وأنشده شعره. وبنو أمية منهم، علي، وعبد اللَّه، وأحمد، ومحمد عم الشاعر ، وكلهم شعراء، ومحمد بن أبي أمية أشهرهم. ولعل شعره اختلط بشعر عمه.

كُـلَّـمـا أَمّـلْـتُ وعـداً صـالـحـاً عـرضَ الـمـكـروهُ دون الأَمَـلِ
وَأَرَى الأَيّـامَ لا تُـدنِـي الـذي أرتـجـي مـنـكَ وتُـدنـي أَجـلـي
[الرمل]

ـ في هذه الأبيات لأبي حَبَشة رَمَلٌ ـ قال: فأقبلَ ابو العتاهية يُردِّدُ البيت الأخير ويُقَبِّلُ رأسَ ابنَ أبي أُميَّة ويبكي، وقال: وَدِدتُ واللَّه أنه لي بكثير من شِعري.

[لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدي]

أخبرني حَبيبُ بن نَصر قال: حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: كانت لأبي العتاهية بنتان، اسم إحداهما «للَّه» والأخرى «باللَّه» فَخَطَبَ منصورُ بن المهديّ «للَّه» فلم يُزوّجْهُ، وقال: إنَّما طلبها لأنها بنتُ أبي العتاهية، وكأنِّي بها قد مَلَّها، فلم يكن لي إلى الانتصافِ منه سبيلٌ، وما كُنْتُ لأزوّجها إلا بائعَ خَزَف وجِرارٍ، ولكنِّي اختاره لها مُوسِراً.

[ابنه شاعر]

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يُقالُ لَهُ محمد وكان شاعراً، وهو القائِلُ:

قـد أفـلـح الـسـالـمُ الـصَّـمُـوتُ كـلامُ راعـي الـكـلام قُـوتُ
مـا كـل نـطْـقٍ لـهُ جـوابٌ جـوابُ مـا يُـكـرهُ الـسُّـكـوتُ
يـا عـجـبـاً لامـرِئٍ ظَـلُـومٍ مُـسـتـيـقِـنٍ أنـهُ يـمـوتُ
[مخلع البسيط]

[أخبار متفرقة]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدَّثنا زكريا بن الحُسين[1] عن عبد اللَّه بن الحسن سَهل الكاتب قال: قُلْتُ لأبي العتاهية: أنشدني من شعرك ما تَسْتَحْسِنُ، فأنشدني:

مـا أَسـرَعَ الأَيـامَ فـي الـشَّـهـرِ وَأَسـرَعَ الأَشـهُـرَ فـي الـعُـمـرِ
[السريع]

صوت

لَـيـسَ لِـمَـن لَـيـسَـت لَـهُ حـيـلَـةٌ مَـوجـودَةٌ خَـيـرٌ مِـنَ الـصَّـبـرِ

(١) ورد في بعض النسخ «الحسن» بدل «الحسين».

فَـأخـطُ مَـعَ الـدَّهـرِ عَـلـى مـا خَـطـا وَاجـرِ مَـعَ الـدَّهـرِ كَـمـا يَـجـري
مَـن سـابَـقَ الـدَّهـرَ كَـبـا كَـبـوَةً لَـم يَـسـتَـقِـلـهـا آخـرَ الـدَّهـرِ
[السريع]

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيفُ ثَقيلٍ وثقيلٌ أوّل.

قال عبد اللَّه بن الحسن: وسَمِعْتُ أبا العتاهية يُحدّث قال: ما زال الفضل بن الربيع من أميلِ الناس إليّ، فلما رَجَعَ من خراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه، فاستنشدني فأنشدته:

أَفـنَـيـتَ عُـمـرَكَ إدبـاراً وَإقـبـالا تَـبـغـي الـبَـنـيـنَ وَتَـبـغـي الأَهـلَ وَالـمـالا
ألـمَـوتُ هَـوْلٌ فَـكُـن مـا شِـئـتَ مُـلـتَـمِـساً مِـن هَـولِـهِ حـيـلَـةً إن كُـنـتَ مُـحـتـالا
أَلَـم تَـرَ الـمَـلِـكَ الأُمِّـيَّ حـيـنَ مَـضـى هَـل نـالَ حَـيٌّ مِـنَ الـدُّنـيـا كَـمـا نـالا
أَفـنـاهُ مَـن لَـم يَـزَل يُـفـنـي الـقُـرونَ فَـقَـد أَضـحـى وَأَصـبَـحَ عَـنـهُ الـمُـلـكُ قَـد زالا
كَـم مِـن مُـلـوكٍ مَـضـى رَيـبُ الـزَّمـانِ بِـهِـم فـأصـبَـحـوا عِـبَـراً فـيـنـا وَأَمـثـالا
[البسيط]

فاستحسنها وقال: أنت تعرف شُغلي، فَعُدْ إليّ في وقت فراغي أقعُدْ معك وآنس بك؛ فلم أزلْ أراقِب أيَّامَه حتى كان يومُ فراغه فَصِرْتُ إليه؛ فبينما هو مُقبِلٌ عليّ يَستنشدني ويسألني فأحدّثه، إذ أنشدتُهُ:

ولَّـى الـشـبـابُ فـمـا لَـهُ مِـنْ حِـيـلـةٍ وَكَـسـا ذُؤابَـتِـيَ الـمـشـيـبُ خِـمـارَا
أيـن الـبـرامِـكـةُ الـذيـن عَـهـدتُـهُـم بـالأمـسِ أعـظـمَ أهـلِـهـا أخـطـارا
[الكامل]

فلما سَمِعَ ذِكرى البرامكة تَغَيَّرَ لونُهُ ورأيْتُ الكراهِيةَ في وجهِهِ، فما رأيْتُ منه خيراً بعد ذلك.

قال: وكان أبو العتاهية يُحدِّثُ هذا الحديثَ ابنَ الحسن بن سَهل؛ فقال له: لئن كان ذلك ضَرَّك عند الفَضْل بن الربيع لقد نَفَعَكَ عندنا؛ فأمرَ له بعشرةِ آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له كلَّ شهر ثلاثة آلاف درهم، فلم يَزَلْ يَقْبَلَها دارّةً إلى أن مات.

[عاتب مجاشع بن مسعدة فرد عليه من شعره]

قال عبد اللَّه بن الحسن بن سهل، وسَمِعْتُ عمرو بن مَسْعَدة يقول: قال لي أخي مُجاشِع: بينما أنا في بيتي إذ جاءتني رُقعةٌ من أبي العتاهية فيها:

خَـــلـــيـــلٌ لـــي أُكـــاتِـــمُـــهُ أَرانـــــــي لا أُلائِـــــمُـــــهُ
خَـــلـــيـــلٌ لا تَـــهُـــبُّ الـــريـــحُ إلاّ هَـــبَّ لائِـــمُـــهُ
كَـــذا مَـــن نـــالَ سُـــلـــطـــانـــاً وَمَـــن كَـــثُـــرَتْ دَراهِـــمُـــهُ

[مجزوء الوافر]

قال: فَبَعَثْتُ إليه فأتاني، فَقُلْتُ له: أما رَعَيْتَ حقّاً ولا ذِماماً ولا مَوَدَّةً! فقال لي: ما قلت سوءاً؛ قُلْتُ: فما حملك على هذا؟ قال: أغِيبُ عنك عشرةَ أيَّام فلا تسألُ عنِّي ولا تبعثُ إليَّ رسولاً! فَقُلْتُ: يا أبا اسحاق، أنسيتَ قولك:

يَـأْبَـى الـمُـعَـلَّـقُ بـالـمُـنـى إلاَّ رَواحـــــاً وادّلاجـــــا
أرفُـــق فَـــعُـــمـــرُكَ عـــودُ ذي أَوَدٍ رَأَيـــتُ بـــهُ اعـــوِجـــاجـــا
مَـــن عـــاجَ مِـــن شَـــيءٍ إلـــى شَـــيءٍ أصـــاب لَـــهُ مَـــعـــاجـــا

[مجزوء الكامل]

فقال: حسبُكَ! حسبُكَ! أوسَعْتَني عُذرا.

[بينه وبين ابن مناذر(١)]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ الزَّارع قال: قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال: حدَّثني محمد بن عِمران بن عبد الصَّمد الزَّارع قال: حدَّثنا ابن عائشة قال: قال أبو العتاهية لابن مُناذر: شعرك مُهَجَّن لا يَلحَق بالفحول، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحدثين، فإنْ كنت تَشَبَّهْتَ بالعَجَّاج(٢) ورُؤبة(٣) فما لحقتهما ولا أنت في طريقهما، وإنْ كُنْتَ تذهب مَذْهَبَ المُحدثين فما صَنَعْتَ شيئاً؛ أخبرني عن قولك:

ومـــن عـــاداك لاقـــى الـــمـــرمـــريـــســـا(٤)

---

(١) محمد بن مناذر شاعر بصري.

(٢) لعلَّ المقصود، رؤبة بن عبد اللَّه العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحّاف أَو أَبو محمد. راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ سنة١٤٥هـ.

(٣) رؤبة بن عمرو بن ظهير الثعلبي، أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض. راجز من شعراء ذبيان، من المجاهيل، في شعره جزالة وبيان وفيه صور بديعة ومن ذلك وصفه لجمال محبوبته بأنها كالبدر في سماء متشحة بالسواد وصافية لا يعكرها غمام إلا أنه رهين الهودج لا السماء، فبدره امرأة في غاية الحسن والجمال.

(٤) المرمريس: الداهية.

أخبرني عن المرمريس ما هو؟ قال: فَخَجِلَ ابن مناذر وما راجعه حَرْفاً. قال: وكان بينهما تَنَاغُر[١].

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال: حدَّثني الحسين بن إسماعيل المهديّ قال: حدَّثني رَجاء بن سَلَمة قال: وَجَدَ المأمونُ عليّ في شيء، فاستأذَنْتُهُ في الحجِّ فَأَذِنَ لي، فَقَدِمْتُ البصرةَ وعُبيد اللَّه بن إسحاق بن الفضل الهاشميّ عليها وإليه أمرُ الحجّ، فزامَلْتُهُ إلى مكة. فبينا نحن في الطواف رَأَيْتُ أبا العتاهية، فَقُلْتُ لعبيد اللَّه: جُعِلْتُ فِداك! أتحب أن ترى أبا العتاهية؟ فقال: واللَّه إنِّي لأُحبّ أن أراه وأُعاشره؛ قلت: فافرُغ من طوافك واخرج، ففعل. فأخَذْتُ بيد أبي العتاهية فَقُلْتُ له: يا أبا إسحاق، هل لك في رجلٍ من أهل البصرة شاعر أديب ظريف؟ قال: وكيف لي ذلك؟ فأخذْتُ بيدِهِ فَجِئْتُ به إلى عُبيد اللَّه، وكان لا يعرفه، فتحدَّثا ساعةً، ثم قال له أبو العتاهية: هل لك في بيتين تُجيزهما؟ فقال له عُبيد اللَّه: إنه لا رفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدالَ في الحجّ؛ فقال له: لا نرفثُ ولا نفسُقُ ولا نُجادلُ؛ فقال: هاتِ إذاً؛ فقال أبو العتاهية:

إِنَّ الـمـنـونَ[٢] غُـدُوَّهـا وَرَواحَـهـا ... فـي الـنـاسِ دائِـبَـةٌ تُـجـيـلُ قِـداحَـهـا
يـا سـاكِـنَ الـدُّنـيـا لَـقَـد أُوطِـنـتَـهـا ... وَلَـتَـنـزحـنَّ وَإِن كَـرِهـتَ نِـزاحَـهـا

[الكامل]

فأطْرقَ عُبيد اللَّه ينظر إلى الأرض ساعةً، ثم رفع رأسه فقال:

خُـذ لا أبـا لـك لِـلـمَـنـيّـة عُـدَّةً[٣] ... وَٱحـتَـلْ لِـنَـفـسِـكَ إِن أَرَدتَ صَـلاحَـهـا
لا تَـغـتَـرِرْ فَـكَـأَنَّـنـي بِـعُـقـابِ رَيـبِ الـدَّهـرِ قَـد نَـشَـرَتْ عَـلَـيـكَ جَـنـاحَـهـا

[الكامل]

قال: ثم سَمِعْتُ الناس يَنحلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلَّها، وليس له إلا البيتان الأوَّلان.

[قصته في السجن مع الداعية عيسى بن زيد]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدَّثنا ميمون بن هارون قال حدَّثني

---

(١) التناغر: التناكر.
(٢) ورد في الديوان «الخطوب» بدل: المنون».
(٣) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:
خُـذ لِـلـمَـنـايـا لا أَبـالَـكَ عُـدَّةً

إبراهيم بن رَباح قال: أخبرني إبراهيم بن عبد اللَّه، وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدَّثنا هارون بن مُخارِق قال: حدَّثني إبراهيم بن دَسكَرَة، وأخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدَّثني أحمد بن سُليمان بن أبي شَيخ قال: قال أبو العتاهية: حبسني الرشيدُ لما تَرَكْتُ قولَ الشعر، فأُدْخِلْتُ السجنَ وأُغلِقَ البابُ عليَّ، فَدُهِشْتُ كما يُدْهَشُ مثلي لتلك الحال، وإذا أنا برجلٍ جالسٍ في جانب مُقَيَّد، فَجَعَلْتُ أنظرُ إليه ساعةً، ثم تمثَّل:

صوت

تَعَوَّدتُ مُرَّ الصَّبْرِ حَتّى أَلِفتُهُ ... وَأَسلمني حسنُ العَزاءِ إِلى الصَّبْرِ
وَصَيَّرَني يَأسي مِنَ الناسِ راجِياً ... لِحُسْنِ صنيع اللَّهِ مِن حَيثُ لا أَدري[1]

[الطويل]

فَقُلْتُ له: أعِدْ، يَرْحَمْكَ اللَّهُ، هذين البيتين. فقال لي: ويلَكَ أبا العتاهية! ما أسوأ أدَبَك وأقلَّ عقلك! دخلْتَ عليَّ الحبسَ فما سَلَّمْتَ تسليمَ المُسلم على المُسلم، ولا سَأَلْتَ مسألة الحرّ للحرِّ، ولا توَّجَعْتَ توَّجعَ المُبتلى للمبتلى، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذي لا فضلَ فيكَ غيرُه، لم تصبر عن استعادتهما، ولم تُقدِّم قبل مسألتك عنهما عُذراً لِنَفْسِكَ في طلبهما! فَقُلْتُ: يا أخي إنِّي دُهِشْتُ لهذه الحال، فلا تَعذلني واعذِرني مُتَفَضِّلاً بذلك؛ فقال: أنا واللَّه أولى بالدَّهشِ والحيرة منك؛ لأنَّك حُبِسْت في أن تقول شِعراً به ارتفعْتَ وبَلَغْتَ، فإذا قُلتَ أُمِّنْتَ، وأنا مأخوذٌ بأن أَدُلّ على ابن رسول اللَّه ﷺ لِيُقتل أو أُقتَلَ دونه، واللَّه لا أدُلّ عليه أبداً، والساعةَ يُدعى بي فأُقتل، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهش؟ فَقُلْتُ لَهُ: أنت واللَّه أولى، سَلَّمك اللَّه وكفاك، ولو عَلِمْتُ أنَّ هذه حالك ما سأَلتك. قال: فلا نبخل عليك إذاً، ثم أعاد البيتين حتى حَفِظتهما. قال: فسألته من هو؟ فقال: أنا خاصّ[2] داعيةُ عيسى بن زيد وابنه أحمد؛ ولم نَلْبَثْ أنْ سَمِعْنا صوت الأقفال، فقام فَسَكَبَ عليه ماء كان عنده في جَرّة، ولَبِسَ ثوباً نظيفاً كان عنده، وَدَخَلَ الحَرَسُ والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً، وقُدِّمَ قبلي إلى الرشيد، فسألَهُ عن أحمد بن عيسى؛ فقال: لا تسألني عنه واصنَعْ ما أنت

(١) ورد البيتان في الديوان على الشكل التالي:
تَعَوَّدتُ مَسَّ الضُّرِّ حَتّى أَلِفتُهُ ... وَأَحوَجَني طولُ العَزاءِ إِلى الصَّبرِ
وَصَيَّرَني يَأسي مِنَ الناسِ راجِياً ... لِسُرعَةِ لُطفِ اللَّهِ مِن حَيثُ لا أَدري

(٢) في وفيات الأعيان: «حاضر» بدل «خاصّ».

صانع، فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كَشَفْتُهُ عنه؛ وأمر بِضَرْبِ عنقه فَضُرِبَ؛ ثم قال لي: أظنُّك قد ارتعْتَ يا إسماعيل! فَقُلْتُ: دون ما رأيته تسيل منه النفوس. فقال: رُدُّوه إلى مَحبَسِهِ فَرُددتُ، وانتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما:

إذا أَنـا لَـم أَقـبَـل مِـنَ الـدَّهـرِ كُـلَّ مـا تَـكَـرَّهـتُ مِـنـهُ طـالَ عَـتـبـي عَـلـى الـدَّهـرِ

[الطويل]

لِزُرْزُور غلامِ المارِقيّ في هذين البيتين المذكورين خفيفُ رمل. وفيهما لعَريبَ خفيفُ ثَقيل.

[كان خلفا في شعره له منه الجيد والرديء]

نَسَخْتُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى: حدَّثني عليّ بن مَهديّ قال: حدَّثني ناجِيَةُ بن عبد الواحد قال: قال لي أبو العبَّاس الخُزَيميّ: كان أبو العتاهية خِلفاً في الشعر، بينما هو يقول في موسى الهادي:

لَـهـفـي عَـلـى الـزَّمَـنِ الـقَـصـيـرِ بَـيـنَ الـخَـوَرنَـقِ(١) وَالـسَـديـرِ(٢)

[مجزوء الكامل]

إذ قال:

أَيـا ذَوي الـوَخـامَـه(٣) أَكـثَـرتُـمُ الـمَـلامَـة
فَـلَـيـسَ لـي عَـلـى ذا صَـبـرٌ وَلا قُـلامَـة
نَـعَـم عَـشِـقـتُ مُـوقـاً(٤) هَـل قـامَـتِ الـقِـيـامَـة
لَأَركَـبَـنَّ فـيـمَـن هَـويـتُـهُ الـصَّـرامَـة

[مجزوء الرجز]

وَنَسَخْتُ من كتابِهِ(٥): حدَّثني عليّ بن مَهديّ قال: حدَّثني أحمد بن عيسى

(١) الخَوَرْنَقُ: نهرٌ، وهو بالفارسية خُرَنْكاه، فعرب الخَوَرْنَق.
(٢) سَدِيرٌ، كأَمِير، نَهرٌ بناحِيَة الحِيرَةِ من أَرضِ العِرَاق. قال عَدِيّ:
سَـرَّهُ حَـالُـه وكَـثْـرةُ مـا يَـمْـلِـكُ والـبَـحْـرُ مُـعْـرِضـاً والـسَّـدِيـرُ
وقيل: السَّدِيرُ: النَّهْر مطلقاً. وقد غَلَب على هذا النَّهْرِ. وقيل: سَديرٌ: قَصْرٌ في الحِيرَة.
(٣) الوخامة: الثقل.
(٤) الموقُ: حُمْقٌ في غباوة. يقال: أحمقُ مائِقٌ؛ والجمع مَوْقى. وقد ماقَ يَموقُ مُوقاً بالضم، ومَواقَةً، ومُؤُوقاً. والموقُ: الذي يُلبس فوق الخفّ، فارسيٌّ معرَّب. والمَوْقُ بالفتح: مصدر قولك ماقَ البيعُ يَموقُ، أي رَخُصَ.
(٥) يريد كتاب هارون بن عليّ.

قال: حدَّثني الجَمَّاز قال: قال سَلْمٌ الخاسِر: صار إليَّ أبو العتاهية فقال: جِئْتُكَ زائراً؛ فَقُلْتُ: مقبولٌ منك ومشكورٌ أنتَ عليه، فأَقِم؛ فقال: إنَّ هذا مما يشتدّ عليّ؛ قُلْتُ: ولِمَ يشتدّ عليك ما يَسهُل على أهل الأدب؟ فقال: لمعرفتي بضيقِ صدرِك. فَقُلْتُ له وأنا أضحك وأعجب من مُكابرته: «رَمَتْني بدائها وانسلَّتْ»[1]؛ فقال: دَعْني من هذا واسمعْ منِّي أبياتاً. فَقُلْتُ: هاتِ؛ فأنشدني:

نَغَّصَ المَوتُ كُلَّ لَذَّةِ عَيشٍ ... يا لَقَومي لِلمَوتِ ما أَوحاهُ[2]
عَجَباً إِنَّهُ إِذا ماتَ مَيتٌ ... صَدَّ عَنهُ حَبيبُهُ وَجَفاهُ
حَيثُما وَجَّهَ ٱمرُؤٌ لِيَفوتَ المَوتَ فَالمَوتُ واقِفٌ بِحِذاهُ
إِنَّما الشَّيبُ لِٱبنِ آدَمَ ناعٍ ... قامَ في عارِضَيهِ ثُمَّ نَعاهُ
مَن تَمَنّى المُنى فَأَغرَقَ فيها ... ماتَ مِن قَبلِ أَن يَنالَ مُناهُ
ما أَذَلَّ المُقِلَّ في أَعيُنِ النا ... سِ لِإِقلالِهِ وَما أَقماهُ[3]
إِنَّما تَنظُرُ العُيونُ مِنَ النا ... سِ إِلى مَن تَرجوهُ أَو تَخشاهُ

[الخفيف]

ثم قال لي: كيف رأيتَها؟ فَقُلْتُ له: لقد جوَّدَتها لو لم تكن ألفاظُها سُوقِيَّةً؛ فقال: واللَّه ما يُرَغِّبني فيها إلاَّ الذي زَهَّدك فيها.

[في متكبر]

وَنَسَخْتُ من كتابِهِ: عن عليّ بن مَهديّ قال: حدَّثني عبد اللَّه بن عطيَّة عن محمد بن عيسى الحربيّ قال: كُنْتُ جالساً مع أبي العتاهية، إذ مَرَّ بنا حُمَيدٌ الطُّوسيّ في موكبه وبين يديه الفُرسان والرَّجَّالةُ، وكان بقُرب أبي العتاهية سواديٌّ[4] على أتان،

---

(١) قال أبو عبيد: ويحكى عن المفضل إنّه كان يقول: هذا المثل قيل لرهم بنت الخزرج من كلب. وكانت امرأة سعد بن زيد مناة بن تميم. وكان لها ضرائر، فسابتها إحداهن يوماً فرمتها رهم بعيب هو فيها. فقالت ضرتها: «رمتني بدائها وانسلت» فذهبت مثلاً. قال أبو عبيد: وللعامة في هذا مثل مبتذل، وهو قولهم:

عير بجير بجره، نسى بجير خبره

ومنه البيت السائر في الناس للمتوكل الكناني ثم الليثى:

لا تنهَ عن خلقٍ وتركب مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

(٢) ما أوحاه: ما أسرعه.

(٣) أقماه: أذله.

(٤) السوادي: القرويّ، من سواد البلدة وهو ما حولها من القرى، أو هو الرجل من عامة الناس.

فضربوا وجه الأتان ونَحَّوْه عن الطريق، وحُميد واضعٌ طَرْفَهُ على مَعرفة فرسه والناس ينظرون إليه يعجبون منه وهو لا يَلْتَفِت تِيهاً؛ فقال أبو العتاهية:

لِلْمَوْتِ أَبْنَاءٌ بِهِم ... مَا شِئْتَ مِن صَلَفٍ وَتِيهِ
وَكَأَنَّنِي بِالْمَوْتِ قَد ... دارَت رَحَاهُ عَلَى بَنِيهِ

[مجزوء الكامل]

قال: فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية:

مَا أَذَلَّ الْمُقِلَّ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ لإِقْلالِهِ وَمَا أَقْمَاهُ
إِنَّمَا تَنْظُرُ الْعُيونُ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَن تَرجوهُ أَو تَخْشَاهُ

[الخفيف]

[اعترض عليه في بخله فأجاب]

قال عليّ بن مهديّ وحدَّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال: قيل لأبي العتاهية: ما لك تَبْخَلُ بما رَزَقَكَ اللَّه؟ فقال: واللَّه ما بَخَلْتُ بما رزقني اللَّه قطّ. قيل له: وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يُحصى؟ قال: ليس في ذلك رِزقي، ولو كان رِزقي لأنفقتُهُ.

[عتاب واسترضاء]

قال عليّ بن مهديّ وحدَّثني محمد بن جعفري الشَّهرَزُوريّ قال: حدَّثني رَجاء مولى صالح الشَّهرَزُوريّ قال: كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشَّهرَزُوريّ وآنسَ الناس به، فسألَهُ أن يُكلِّمَ الفضلَ بن يحيى في حاجة له؛ فقال له صالح: لَسْتُ أكلِّمُهُ في أشباه هذا، ولكن حَمِّلني ما شِئت في مالي، فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أيَّاماً لا يأتيه؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

أَقْلِلْ زِيارَتَكَ الصَّدِيقَ وَلا تُطِلْ ... إِتْيانَهُ فَتَلِجَّ فِي هِجرانِهِ
إِنَّ الصَّدِيقَ يَلِجُّ فِي غِشْيانِهِ ... لِصَدِيقِهِ فَيَمَلُّ مِن غِشْيانِهِ
حَتَّى تَراهُ بَعدَ طولِ مَسَرَّةٍ ... بِمَكانِهِ مُتَبَرِّماً بِمَكانِهِ
وَأَقَلَّ مَا يُلْفَى الفَتَى ثِقَلاً عَلَى ... إِخوانِهِ مَا كَفَّ عَن إِخوانِهِ
وَإِذا تَوانَى عَن صِيانَةِ نَفسِهِ ... رَجُلٌ تُنُقِّصَ وَاْستُخِفَّ بِشانِهِ

[الكامل]

فلما قرأ الأبياتَ قال: سبحان اللَّه أتهجرني لمنعي إيَّاك شيئاً تعلم أني ما ابتذلت

نفسي له قطّ، وتنسى مودَّتي وأخوَّتي، ومن دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تَعذرَني؟! فكتب إليه:

أَهـلَ الـتَّـخَـلُّـقِ لَـو يَـدومُ تَـخَـلُّـقُ ... لَـسَـكَـنـتُ ظِـلَّ جَـنـاحِ مَـن يَـتَـخَـلَّـقُ
مـا الـنـاسُ فـي الإِمـسـاكِ إِلاّ واحِـدٌ ... فَـبِـأَيِّـهِـم إِن حُـصِّـلـوا[1] أَتَـعَـلَّـقُ
هَـذا زَمـانٌ قَـد تَـعَـوَّدَ أَهـلُـهُ ... تـيـهَ الـمُـلـوكِ وَفِـعـلَ مَـن يَـتَـصَـدَّقُ

[الكامل]

فلما أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدَّثَهُ بالحديث؛ فقال له: لا واللَّه ما على الأرض أبغضُ إليَّ من إسداء عارفةٍ إلى أبي العتاهية؛ لأنَّه ممن ليس يظهر عليه أثرُ صنيعةٍ، وقد قَضَيْتُ حاجتَه لك؛ فرَجَعَ وأرسلني إليه بقضاء حاجته. فقال أبو العتاهية:

جَـزى الـلَّـهُ عَـنّـي صـالِـحـاً بِـوَفـائِـهِ ... وَأَضـعَـفَ أَضـعـافـاً لَـهُ فـي جَـزائِـهِ
بَـلَـوتُ رِجـالاً بَـعـدَهُ فـي إِخـائِـهِـم ... فَـمـا ازدَدتُ إِلاّ رَغـبَـةً فـي إِخـائِـهِ
صَـديـقٌ إِذا مـا جِـئـتُ أَبـغـيـهِ حـاجَـةً ... رَجَـعـتُ بِـمـا أَبـغـي وَوَجـهـي بِـمـائِـهِ

[الطويل]

أخبرني الصوليّ قال: حدَّثني محمد بن موسى قال: حدَّثني أحمد بن حَرْب قال: أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يُعاتِبُ صالحاً هذا في تأخيره قضاءَ حاجته:

صوت

أَعَـيـنَـيَّ جُـودا وَابـكِـيـا وُدَّ صـالِـحٍ ... وَهـيـجـا عَـلَـيـهِ مُـعـوِلاتِ الـنَّـوائِـحِ
فَـمـا زالَ سُـلـطـانـاً أَخٌ لـي أَوَدُّهُ ... فَـيَـقـطَـعُـنـي جُـرمـاً قَـطـيـعَـةَ صـالِـحِ

[الطويل]

الغناء في هذين البيتين لإبراهيمَ ثقيلٌ أَوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

[التأديب بشعره]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال: حدَّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال: كان الرشيدُ مُعْجَباً بشعرِ أبي العتاهية، فَخَرَجَ إلينا يوماً وفي يده رُقعتان على نسخة واحدة، فَبَعَثَ بإحداهما إلى مؤدِّبٍ لولده وقال: ليُرَوِّهم ما فيها، ودفع

(١) حصلوا: خبروا وميَّزوا.

الأخرى إليّ وقال: غَنِّ في هذه الأبيات؛ ففتحتها فإذا فيها:

صوت

قُـــل لِـــمَـــن ضَـــنَّ بِـــودِّه ... وَكَـــوى الـــقَـــلـــبَ بِـــصَـــدِّهْ
مـــا ابـــتَـــلـــى الـــلَّـــهُ فُـــؤادي ... بِـــــكَ إلاّ شُـــــؤمَ جَـــــدِّهْ
أَيُّـــهـــا الـــسَّـــارِقُ عَـــقـــلـــي ... لا تَـــــضَـــــنَّـــــنَّ بِـــــرَدِّهْ
مـــــا أَرى حُـــــبَّـــــكَ إلاّ ... بـــالِـــغـــاً بـــي فَـــوقَ حَـــدِّهْ

[مجزوء الرمل]

[تمثل المعتصم عند موته بشعر له]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثني عبد اللَّه بن محمد الأُمويّ العُتْبيّ قال: قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات: لمّا أحسّ المُعتصم بالموت قال لابنه الواثق: ذَهَبَ واللَّه أبوك يا هارون! للّه درّ أبي العتاهية حيث يقول:

ألـمَـوتُ بَـيـنَ الـخَـلـقِ مُـشـتَـرَكُ ... لا سُـوقَـةٌ يَـبـقـى وَلا مَـلِـكُ
مـا ضَـرَّ أَصـحـابَ الـقَـلـيـلِ وَمـا ... أَغـنـى عَـنِ الأَمـلاكِ مـا مَـلَـكـوا

[السريع]

[عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره]

أخبرني حَبيب بن نصر المُهلَّبيّ وعمّي الحسن والكوكَبيّ قالوا: حدَّثنا عبد اللَّه ابن أبي سعد قال: قال لي أبو تمّام الطائيّ: لأبي العتاهية خمسةُ أبياتٍ ما شركه فيها أحدٌ، ولا قَدِرَ على مثلِها مُتقدّم ولا مُتَأخّر، وهو قوله:

ألـنـاسُ فـي غَـفَـلاتِـهِـم ... وَرَحـى الـمَـنِـيَّـةِ تَـطـحَـنُ

[مجزوء الكامل]

وقوله لأحمد بن يوسف:

أَلَـمْ تَـرَ أنّ الـفُـقْـرَ يُـرجـى لَـهُ الـغِـنَـى ... وأنّ الـغـنـى يُـخـشـى عـلـيـه مـن الـفَـقْـرِ[1]

[الطويل]

---

(١) البيت كما ورد في الديوان:

أَلَـم تَـرَ أَنَّ الـفَـقـرَ يَـعـقِـبُـهُ الـغِـنـى ... أَلَـم تَـرَ أَنَّ الـضـيـقَ قَـد يَـتَـوَسَّـعُ

وقوله في موسى الهادي:

وَلَـمّـا ٱسـتَـقَـلّـوا بِـأَثـقـالِـهِـم وَقَـد أَزمَـعـوا لِـلَّـذي أَزمَـعـوا
قَـرَنـتُ ٱلْـتِـفـاتِـي بِـآثـارِهِـم وَأَتـبَـعـتُـهُـم مُـقـلَـةً تَـدمَـعُ

[المتقارب]

وقوله:

هَـبِ الـدُّنـيـا تَـصـيـرُ[1] إِلَـيـكِ عَـفـواً أَلَـيـسَ مَـصـيـرُ ذاكَ إِلـى زَوالِ

[الوافر]

[عزاؤه صديقاً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال: حدّثني محمد بن سعيد المَهديّ عن يحيى بن سَعيدٍ الأنصاريّ قال: مات شيخٌ لنا ببغداد، فلمّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعزُّونه، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد، فعزّاه ثم أنشده:

لا تَـأمَـنِ الـدَّهـرَ وألـبَـسْ لِـكـلِّ حـيـنٍ لِـبـاسـا
لَـيَـدْفِـنَـنَّـا أنـاسٌ كـمـا دفـنّـا أنـاسـا

[المجتث]

قال: فانصرف الناس، وما حَفِظوا غيرَ قول أبي العتاهية.

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني حَبيب بن عبد الرحمن عن بعضِ أصحابه: قال: كُنْتُ في مجلس خُزَيمة[2]، فجرى حديثُ ما يُسْفَكُ من الدماء، فقال: واللَّه ما لنا عند اللَّه عذرٌ ولا حجّةٌ إلّا رجاء عفوه ومغفرته؛ ولولا عزّ السلطان وكراهةُ الذلَّة، وأن أصيرَ بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كُنْتُ متبوعاً، ما كان في الأرض أزهدُ ولا أعبدُ منّي؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه بِرُقَعَةٍ من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ:

أَراكَ امـرَأً تَـرجـو مِـنَ الـلَّـهِ عَـفـوَهُ وَأَنـتَ عَـلـى مـا لا يُـحِـبُّ مُـقـيـمُ
تَـدُلُّ عَـلـى الـتَّـقـوى وَأَنـتَ مُـقَـصِّـرٌ أَيـا مَـن يُـداوي الـنـاسَ وَهـوَ سَـقـيـمُ
وَإِنَّ امـرَأً لَـم يُـلـهِـهِ الـيَـومَ عَـن غَـدٍ تَـخَـوُّفُ مـا يَـأتـي بِـهِ لَـحَـكـيـمُ

(١) في الديوان «تساق» بدل «تصير».
(٢) هو خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد.

وَإِنَّ امـرَأً لَـم يَـجـعَـلِ الـبِـرَّ كَـنـزَهُ وَإِن كـانَـتِ الـدُّنـيـا لَـهُ لَـعَـديـمُ

[الطويل]

فَغَضِبَ خُزَيمةُ وقال: واللَّه ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحف من كنوز البرّ فيرغبَ فيه حرٌّ. فقيل له: وكيف ذاك؟ فقال: لأنَّهُ من الذين يكنزون الذهب والفضّة ولا يُنفقونها في سبيل اللَّه.

وَنَسَخْتُ من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال: حدَّثني الحُسينُ بن أبي السَّريّ قال: قال لي الفضلُ بن العبَّاس: قال لي أبو العتاهية: دَخَلْتُ على يزيد بن مَزْيَد، فأنشدته قصيدتي التي أقولُ فيها:

وَمـا ذاكَ إلاّ أَنَّـنـي واثِـقٌ بِـمـا لَـدَيـكَ وَأَنّـي عـالِـمٌ بِـوَفـائِـكـا

كَـأَنَّـكَ فـي صَـدري إذا جِـئـتُ زائِـراً تُـقَـدِّرُ فـيـهِ حـاجَـتـي بِـابـتِـدائِـكـا

وَإِنَّ أَمـيـرَ الـمُـؤمِـنـيـنَ وَغَـيـرَهُ لَـيَـعـلَـمُ فـي الـهَـيـجـاءِ فَـضـلَ غِـنـائِـكـا

كَـأَنَّـكَ عِـنـدَ الـكَـرِّ فـي الـحَـربِ إِنَّـمـا تَـفِـرُّ مِـنَ الـسِّـلـمِ الَّـذي مِـن وَرائِـكـا

فَـمـا آفَـةُ الأَمـلاكِ غَـيـرُكَ فـي الـوَغـى وَلا آفَـةُ الأَمـوالِ غَـيـرُ حِـبـائِـكـا

[الطويل]

قال: فأعطاني عشرةَ آلاف درهم، ودابّةً بسرْجِها ولجامها.

[وعظ راهب رجلاً عابداً بشعره]

وأخبرني عيسى بن الحسين الورّاق وعمِّي الحسن بن محمد وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا: حدَّثنا عُمر بن شبَّة قال: مرَّ عابدٌ براهبٍ في صَوْمعة؛ فقال له عِظْني؛ فقال: أعِظُك وعليكم نَزَلَ القرآن، ونبيُّكم محمد ﷺ قريبُ العهد بكم؟ قُلْتُ: نعم؛ قال: فاتّعظ ببيتٍ من شعرِ شاعركم أبي العتاهية حين يقول:

تَـجَـرَّد مِـنَ الـدُّنـيـا فَـإِنَّـكَ إِنَّـمـا وَقَـعـتَ إِلـى الـدُّنـيـا وَأَنـتَ مُـجَـرَّدُ

[الطويل]

[فضله العَتَّابي على أبي نواس]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال: حدّثنا العنزيّ قال: حدّثني الفضل بن محمد الزَّارع قال: حدّثني جعفر بن جميل قال: قَدِمَ العتّابي الشاعر على المأمون، فأنزلَهُ على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثَوابَةَ بن يونس، وكُنّا نَخْتَلِفُ إليه نَكْتُبُ عنه، فجرى ذاتَ يوم ذِكرُ الشعراء؛ فقال: لكم يا أهلَ العراق شاعر منوَّه

الكُنْية، ما فعل؟ فَذَكَرَ القومُ أبا نواس؛ فانتهرهم ونفضَ يَدَهُ وقال: ليس ذلك، حتى طال الكلامُ؛ فَقُلْتُ: لعلَّك تريد أبا العتاهية؛ فقال: نعم! ذاك أشعرُ الأوّلين والآخرين في وقته.

[لام أبا نواس في استماع الغناء]

أخبرني محمد بن عِمران قال: حدَّثني العنزيّ قال: حدَّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد اللَّه الكِنديّ قال: جَلَسَ أبو العتاهية يوماً يعذُلُ أبا نواس ويلومُهُ في استماع الغناء ومجالستِهِ لأصحابِهِ؛ فقال له أبو نواس:

أتُـــرانـــي يـــا عَـــتَـــاهـــي تَـــارِكـــاً تـــلـــك الـــمـــلاهـــي
أتُـــرانـــي مُـــفْـــسِـــداً بـــالـــنُّـــسـكِ عـــنـــد الـــقـــوم جـــاهـــي

[مجزوء الرمل]

قال: فَوَثَبَ أبو العتاهية وقال: لا بارك اللَّه عليك! وجعل أبو نواس يضحك.

[بلغه أن إبراهيم بن المهدي رماه بالزندقة]

أخبرني جَحظة قال: حدَّثني بَقيَّة[1] اللَّه بن إبراهيم بن المهديّ قال: بَلَغَ أبا العتاهية أنَّ أبي رماه في مجلسِهِ بالزندقة وذكره بها؛ فَبَعَثَ إليه يعاتبُهُ على لسان إسحاق الموصليّ، فأدَّى إليه إسحاق الرسالة؛ فَكَتَبَ إليه أبي:

إنَّ الـمَـنِـيَّـةَ أَمْـهَـلَـتْـكَ عـتـاهِـي وَالـمَـوتُ لَا يَـسـهـو وَقَـلْـبُـكَ ساهِـي
يـا وَيْـحَ ذَا الـسـنّ الـضَّـعِـيـفِ أَمـا لَـهُ عَـنْ غَـيِّـه قَـبْـلَ الـمـمـاتِ تَـنـاهِـي
وُكِّـلْـتَ بـالـدُّنْـيـا تُـبـكِّـيـهـا وَتَـنْـدُبُـهـا وَأَنْـتَ عَـنِ الْـقِـيـامَـةِ لاهِـي
والـعَـيْـشُ حُـلْـوٌ وَالَـمُـنـونُ مَـرِيـرَةٌ وَالـدَّارُ دَارُ تَـفـاخُـرٍ وَتَـبـاهـي
فاخْتَرْ[2] لِـنَـفْـسِـكَ دُونَـهـا سُـبـلاً[3] وَلا تَـتَـحـامَـقَـنَّ لـهَـا فَـأَنَّـكَ لاهِـي
لَا يُـعْـجِـبَـنَّـكَ أَنْ يُـقـالَ مُـفَـوَّهٌ حَـسَـنُ الـبَـلاغَـةِ أَوْ عَـرِيـضُ الـجِـاهِ
أَصْـلِـحْ جـهـولاً[4] مِـنْ سَـرِيـرَتِـكَ الـتِّـي تَـخـلـوُ بـهـا وَارْهَـبْ مَـقـامَ الـلَّـهِ
إنِّـي رَأَيْـتُـكَ مُـظْـهِـراً لِـزَهـادَةٍ تَـحْـتـاجُ مِـنْـكَ لَـهـا إلـى أَشْـبـاهِ

[الكامل]

---

(١) ورد في بعض النسخ «هبة» بدل «بقية»
(٢) ورد في بعض المصادر «فاختر» بدل «فاجعل».
(٣) ورد في بعض المصادر «شغلاً» بدل «سبلاً».
(٤) ورد في بعض المصادر «فسادا» بدل «جهولاً».

[أخبار متفرقة]

أخبرني محمد بن يحيى الصَّوليّ قال: حدَّثني الحُسين بن يحيى الصوليّ قال: حدَّثني عبد اللَّه بن العبَّاس بن الفضل بن الرَّبيع قال: رآني الرشيد مشغوفاً بالغناء في شعر أبي العتاهية:

صوت

أَحـمَـدٌ قـالَ لـي وَلَـم يَـدْرِ مـا بـي ... أَتُـحِـبُّ الـغَـداةَ عُـتـبَـةَ حَـقّـا
فَـتَـنَـفَّـسـتُ ثُـمَّ قُـلـتُ نَـعَـمْ حُـبّـاً جَـرى فـي الـعُـروقِ عِـرقـاً فَـعِـرقـا
لَـو تَـجِـسِّـيـنَ يـا عُـتَـيـبَـةُ قَـلـبـي ... لَـوَجَـدتِ الـفُـؤادَ قَـرْحـاً تَـفَـقّـا
قَـد لَـعَـمـري مَـلَّ الـطَّـبـيـبُ وَمَـلَّ الأَهـلُ مِـنّـي مِـمّـا أُقـاسـي وَأَلـقـى
لَـيـتَـنـي مِـتُّ فَـاسـتَـرَحـتُ فَـإِنّـي ... أَبَـداً مـا حَـيِـيـتُ مِـنـهـا مُـلَـقّـى[1]

[الخفيف]

ولا سيما من مُخارِق، وكان يُغنِّي فيه رَملاً لإبراهيم أخذه عنه. وفيه لحنٌ لفريدة رَمَلٌ. هكذا قال الصّوليّ: «فريدة» بالياء، وغيره يقول: «فِرِنْدة» بالنون.

حدّثني الصّولي قال: حدَّثنا محمد بن موسى قال: حدَّثنا محمد بن صالح العَدَوِيّ قال: أخبرني أبو العتاهية قال: كان الرشيدُ مما يُعجِبُهُ غناء المَلّاحين في الزّلّالات[2] إذا ركبها، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يغنّون فيه. فقيل له: ليس أحدٌ أقدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس. قال: فوَجَّهَ إليَّ الرشيدُ: قُلْ شعراً حتّى أسمَعَهُ منهم، ولم يأمر بإطلاقي؛ فغاظني ذلك فَقُلْتُ: واللَّه لأقولنّ شِعراً يُحزِنُهُ ولا يُسرّ به، فَعَمِلْتُ شعراً ودفعته إلى من حَفَّظه الملّاحين. فلمّا رَكِبَ الحَرَّاقة[3] سمعه، وهو:

خـانَـكَ الـطَّـرفُ الـطَّـمـوحُ ... أَيُّـهـا الـقَـلـبُ الـجَـمـوحُ
لِـلـدَواعـي الـخَـيـرِ وَالـشَّـرّ دُنُـوٌّ وَنُـزوحُ
هَـل لِـمَـطـلـوبٍ بِـذَنـبٍ ... تَـوبَـةٌ مِـنـهُ نَـصـوحُ
كَـيـفَ إِصـلاحُ قُـلـوبٍ ... إِنَّـمـا هُـنَّ قُـروحُ

(١) الملقى: الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه.
(٢) الزلالات: اسم آلة غير معروفة، ذكرت في كتاب الأغاني وكتاب الديارات.
(٣) الحَرّاقة، بالفتح والتشديد، ضرب من السفن فيها مرامي نيران يُرمى بها العدوّ في البحر.

أَحسَنَ اللَّهُ بِنا أَنَّ الخَطايا لا تَفوحُ
فَإِذا المَستورُ مِنّا بَينَ ثَوبَيهِ فُضوحُ
كَم رَأَينا مِن عَزيزٍ طُوِيَت عَنهُ الكُشوحُ[1]
صاحَ مِنهُ بِرَحيلٍ صائِحُ الدَّهرِ الصَّدوحُ
مَوتُ بَعضِ الناسِ في الأَرضِ عَلى قومٍ فُتُوحُ
سَيَصيرُ المَرءُ يَوماً جَسَداً ما فيهِ روحُ
بَينَ عَينَي كُلِّ حَيٍّ عَلَمُ المَوتِ يَلوحُ
كُلُّنا في غَفلَةٍ وَالمَوتُ يَغدو وَيَروحُ
لِبَني الدُّنيا مِنَ الدُّنيا غَبُوقٌ[2] وَصَبُوحُ[3]
رُحنَ في الوَشيِ وَأَصبَحنَ عَلَيهِنَّ المُسوحُ
كُلُّ نَطّاحٍ مِنَ الدَّهرِ لَهُ يَومٌ نَطوحُ
نُح عَلى نَفسِكَ يا مِسكينُ إِن كُنتَ تَنوحُ
لَتَموتَنَّ وَإِن عُمِّرتَ ما عُمِّرَ نوحُ

[مجزوء الرمل]

قال: فلمّا سَمِعَ ذلك الرشيد جعل يبكي ويَنْتَحِبُ، وكان الرشيد من أغزرِ الناس دُمُوعاً في وقت الموعظة، وأشدِّهُم عَسَفاً في وقت الغضب والغِلْظة. فلمّا رأى الفضلُ بن الرّبيع كثرةَ بكائِهِ، أَومأ إلى الملّاحين أن يسكتوا.

[هجاء سجان]

حدّثني الصَّوليُّ قال: حدَّثني الحسن بن جابر كاتِب الحسين بن رَجَاء قال: لمّا حَبَسَ الرشيدُ أبا العتاهية دفعه إلى مِنجابٍ، فكان يَعنُفُ به؛ فقال أبو العتاهية:

مِنجابُ ماتَ بِدائِهِ فَاعجَلْ لَهُ بِدَوائِهِ
إِنَّ الإِمامَ أَعَلَّهُ ظُلماً بِحَدِّ شَقائِهِ
لا تُعنِفَنَّ سِياقَهُ ما كُلُّ ذاكَ بِرائِهِ[4]

(١) يقال: طَوَى كَشْحَه عَنّي: إذا قَطَعَكَ وعاداكَ. وكاشَحَني فلانٌ بالعَداوة.
(٢) الغَبوقُ: الشُّربُ بالعشيّ. تقول منه: غَبَقْتُ الرجلَ أَغْبُقُهُ بالضم، فاغْتَبَقَ هو.
(٣) الصَّبوح: هو ما أُكل أو شرب أول النهار.
(٤) المقصود «برأيه».

مـا شِـمـتُ هَـذا فـي مَـخـا يِـلِ بـارِقـاتِ سَـمـائِـهِ

[مجزوء الكامل]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال: حدَّثنا العَنزيّ قال: حدَّثني أحمد بن معاوية القُرَشيّ قال: لمّا عقد الرشيدُ ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة: الأمين، والمأمون، والمؤتمن، قال أبو العتاهية:

رَحَلتُ عَنِ الرَّبعِ المُحيلِ قَعودي إِلى ذي زُحوفٍ[1] جَمَّةٍ وَجُنودِ

وَراعٍ يُراعي اللَّيلَ في حِفظِ أُمَّةٍ يُدافِعُ عَنها الشَّرَّ غَيرَ رَقودِ

بِأَلوِيَةٍ جِبريلُ يَقدُمُ أَهلَها وَراياتِ نَصرٍ حَولَهُ وَبُنودِ

تَجافى عَنِ الدُّنيا وَأَيقَنَ أَنَّها مُفارِقَةٌ لَيسَت بِدارِ خُلودِ

وَشَدَّ عُرى الإِسلامِ مِنهُ بِفِتيَةٍ ثَلاثَةِ أَملاكٍ وُلاةِ عُهودِ

هُمُ خَيرُ أَولادٍ لَهُم خَيرُ والِدٍ لَهُ خَيرُ آباءٍ مَضَت وَجُدودِ

بَنو المُصطَفى هارونَ حَولَ سَريرِهِ فَخَيرُ قِيامٍ حَولَهُ وَقُعودِ

تُقَلِّبُ أَلحاظَ المَهابَةِ بَينَهُم عُيونُ ظِباءٍ في قُلوبِ أُسودِ

جُدودُهُمُ شَمسٌ أَتَت في أَهِلَّةٍ تَبَدَّت لِراءٍ في نُجومِ سُعودِ

[الطويل]

قال: فوصله الرشيدُ بِصِلَةٍ ما وُصِلَ مثلها شاعر قطّ.

[ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد]

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدِيّ إجازةً قال: حدَّثني الرِّياشيّ قال: قَدِمَ رسولٌ لملك الرّوم إلى الرشيد، فَسَأَلَ عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره، وكان يُحْسِنُ العربيّة، فمضى إلى ملك الرّوم وذَكَرَهُ له؛ فَكَتَبَ ملك الرّوم إليه، وردّ رسوله يسأل الرشيدَ أن يُوجّه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد، وألحَّ في ذلك. فَكَلَّم الرشيدُ أبا العتاهية في ذلك، فاستعفى منه وأباه. واتّصل بالرشيد أنّ ملك الرّوم أمر أن يُكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وبابِ مدينته، وهما:

صوت

مـا اخـتـلـفَ الـلّـيـلُ والـنَّـهـار ولا دارَتْ نُـجـومُ الـسَّـمـاء فـي الـفَـلَـكِ

(١) الزحوف: جمع زحف وهو الجيش.

إلّا لِـنَـقْـل الـسُّـلـطـان عـن مَـلِـكٍ قـدِ ٱنـقـضـى مُـلْـكُـهُ إلـى مَـلِـكِ
[البسيط]

[مع الرشيد]

أخبرني عمّي قال: حدَّثنا عُبيد اللَّه بن أبي سَعد قال: حدّثنا الرَّبيع بن محمد الخُتَّليّ الوَرَّاق قال: أخبرني ابنُ أبي العتاهية: أنَّ الرشيد لمّا أطلق أباه من الحبس، لَزِمَ بيتَهُ وقَطَعَ الناس؛ فذكره الرشيد فَعُرِفَ خَبَرُهُ، فقال: قولوا له: صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلسَ[1] بيت؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

بَـرِمْـتُ بـالـنَّـاسِ وأخـلاقِـهـم فَـصِـرْتُ أستـأنِـسُ بـالـوَحـدهْ
مـا أكـثـرَ الـنّـاسَ لـعـمـري ومـا أقـلّـهـم فـي مُـنـتـهـى الـعِـدَّهْ
[السريع]

ثم قال: لا ينبغي أن يَمضيَ شعرٌ إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له، فَقَرَنَ هذين البيتين بأربعة أبيات مَدَحَهُ فيها، وهي:

صوت

عـادَ لـي مِـن ذِكـرِهـا نَـصَـبٌ فَـدُمـوعُ الـعَـيـنِ تَـنـسَـكِـبُ
وَكَـذاكَ الـحُـبُّ صـاحِـبُـهُ يَـعـتَـريـهِ الـهَـمُّ وَالـوَصَـبُ[2]
خَـيـرُ مَـن يُـرجـى وَمَـن يَـهَـبُ مَـلِـكٌ دانَـت لَـهُ الـعَـرَبُ
وَحَـقـيـقٌ أَن يُـدانَ لَـهُ مَـن أَبـوهُ لِـلـنَّـبِـيِّ أَبُ
[المديد]

[يعظ الرشيد]

حَدَّثنا الصَّوليّ قال: حدَّثنا عَوْن بن محمد قال: حدَّثنا محمد بن أبي العتاهية

(١) رأيته قاعداً على حلس وهو مسح يبسط في البيت وتجلل به الدابة. ومن المجاز: كن حلس بيتك أي الزمه. ونحن أحلاس الخيل، ولست من أحلاسها وهم الآلفون لركوبها. ورفضت كذا ونفضت أحلاسه إذا تركته. وحلس بكذا: لزمه فهو حلس به. وقد حلس في هذا الأمر. وفلان يجالس بني فلان ويحالسهم أي يلازمهم.

(٢) الوَصَبُ: المرض. وقد وَصِبَ الرجل يَوْصَبُ فهو وَصِبٌ، وأوصبه اللَّه فهو مُوصَبٌ. والمُوَصَّبُ بالتشديد: الكثير الأوجاع. ووَصَبَ الشيءُ يَصِبُ وُصوباً، أي دام. تقول: وَصَبَ الرجلُ على الأمر، إذا واظب عليه. قال تعالى: «ولهم عذابٌ واصِبٌ»، «وله الدينُ واصِباً». قال الفراء: دائماً. ومفازة واصبة: بعيدةٌ لا غاية لها. وأوصب القومُ على الشيء، إذا ثابروا عليه.

قال: قال الرشيدُ لأبي: عِظني؛ فقال له: أخافك! فقال له: أنت آمن. فأنشده:

لا تَـأمَـنِ الـمَـوتَ فـي طَـرفٍ وَلا نَـفَـسٍ ... وَإِن تَـسـتَّـرتَ بِـالأبـوابِ وَالـحَـرَسِ
واعـلـم بـأنَّ سِـهـام الـمـوت قـاصِـدةٌ ... لـكـلِّ مُـدَّرِعٍ مِـنّـا وَمُـتَّـرِسِ[1]
تَـرجـو الـنَّـجـاةَ وَلَـم تَـسلُـك طـريـقـتَـهـا ... إِنَّ الـسَّـفـيـنَـةَ لا تَـجـري عَـلـى الـيَـبَـسِ
[البسيط]

قال: فبكى الرشيد حتى بَلَّ كُمَّه.

[مناظرة]

حّدثني عمّي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: قال لي أحمد بن أبي فَنَن: تَنَاظَرْتُ أنا والفَتْح بن خاقانَ في منزلِهِ: أيُّما «الرجلين» أشعر: أبو نُواس أم أبو العتاهية؟ فقال الفَتح: أبو نُواس، وقُلْتُ: أبو العتاهية. ثم قُلْتُ: لو وُضِعَتْ أشعار العرب كُلُّها بإزاء شعر أبي العتاهية لفَضَلَها، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كلّ قصيدة جيِّداً ووسطاً وضعيفاً، فإذا جُمِعَ جيِّده كان أكثر من جيِّد كلّ مُجوِّد. [ثم] قُلْتُ له: بمن ترضى؟ قال: بالحسين بن الضحَّاك. فما انقطع كلامنا حتّى دَخَلَ الحسين بن الضحّاك؛ فَقُلْتُ: ما تقول في رجلين تشاجرا، فَضَّلَ أحدُهما أبا نواس وفضَّل الآخرُ أبا العتاهية؟ فقال الحسين: أُمُّ من فَضَّل أبا نواسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ؛ فَخَجِلَ الفتح حتى تبيَّن ذلك فيه، ثمّ لم يعاودْني في شيءٍ من ذكرهما حتّى افترقنا.

[مع مخارق]

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيما تقدّم، فقال: حدّثني هارونُ بن مُخارِق قال: حدّثني أبي قال: جاءني أبو العتاهية فقال: قد عَزَمْتُ على أن أتزوّد منك يوماً تَهَبه لي، فمتى تنشط؟ فَقُلْتُ: متى شِئتَ؛ فقال: أخافُ أن تقطع بي؛ فَقُلْتُ: واللَّه لا فعلْتُ وإن طلبني الخليفة؛ فقال: يكون ذلك في غدٍ؛ فقلت: أفعلُ. فلمّا كان من غدٍ باكرني رسولُهُ فجئته، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فرشٌ نظيفٌ، ثم دعا بمائدة عليها خبز سَميذٍ[2] وخلٌّ وبقلٌ وملحٌ وجَدْيٌ مَشويّ فأكلنا منه، ثم دعا بسمكٍ مشويّ فأصبنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بِحَلْواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا، وجاؤونا بفاكهةٍ وريحان وألوانٍ من الأنبذة، فقال:

(١) ورد البيت في الديوان على الشكل:
فَـمـا تَـزالُ سِـهـامُ الـمَـوتِ نـافِـذَةً ... فـي جَـنـبِ مُـدَّرِعٍ مِـنـهـا وَمُـتَّـرِسِ
(٢) السميذ: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق.

اختَرْ ما يصلُح لك منها؛ فاختَرْتُ وشَرِبْتُ؛ وصَبَّ قَدَحاً ثم قال: غَنِّني في قولي:

أَحـمَـدٌ قـالَ لـي وَلَـم يَـدرِ مـا بـي أَتُـحِـبُّ الـغَـداةَ عُـتـبَـةَ حَـقّـا

[الخفيف]

فغنَّيته، فَشَرِبَ قَدَحاً وهو يبكي أحرَّ بكاء. ثم قال: غنِّني في قولي:

لَـيـسَ لِـمَـن لَـيـسَـت لَـهُ حـيـلَـةٌ مَـوجـودَةٌ خَـيـرٌ مِـنَ الـصَّـبـرِ

[السريع]

فغنَّيته وهو يبكي ويَنشِج[1]، ثم شَرِبَ قدحاً آخر ثم قال: غنِّني، فَدَيتُك، في قولي:

خَـلـيـلَـيَّ مـا لـي لا تَـزالُ مَـضَـرَّتـي تَـكـونُ عَـلـى الأَقـدارِ حَـتـمـاً مِـنَ الـحَـتـم

[الطويل]

فغنَّيته إيّاه. وما زال يقترحُ عليَّ كلّ صوت غُنِّيَ به في شعره فأغنّيه ويشرب ويبكي حتى صار العَتَمة؛ فقال: أحبّ أن تصبر حتّى ترى ما أصنعُ فجلست. فأمر ابنَهُ وغلامَه فكسَّرا كلَّ ما بين أيدينا من النبيذ وآلته والملاهي، ثم أمر بإخراج كلّ ما في بيته من النّبيذ وآلته، فأُخْرِجَ جميعُهُ، فما زال يكسره ويصبّ النبيذ وهو يبكي حتى لم يَبقَ من ذلك شيءٌ، ثم نَزَعَ ثيابَهُ واغتَسَلَ، ثم لَبِسَ ثياباً بيضاً من صوف، ثم عانقني وبكى، ثم قال: السلام عليك يا حبيبي وفرحي من الناس كلِّهم سلامَ الفِراق الذي لا لقاء بعده؛ وجعل يَبْكي، وقال: هذا آخرُ عهدي بك في حال تعاشر أهل الدُّنيا؛ فَظَنَنْتُ أنّها بعضُ حَماقاته، فانصرفْتُ، وما لقيته زماناً، ثم تشوّقته فأتيته فاستأذَنْتُ عليه فأذِنَ لي فدخلت، فإذا هو قد أخذ قَوصَرَتين[2] وثَقَبَ إحداهما وأدخل رأسَهُ ويديه فيها وأقامها مقامَ القميص، وثَقَبَ الأُخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقامَ السّراويل. فلمّا رأيتُه نَسَيت كلّ ما كان عندي من الغَمِّ عليه والوحشة لعشرته، وضحكت واللَّه ضحكاً ما ضَحِكْتُ مثله قطّ. فقال: من أيِّ شيءٍ تضحك؟ فقلت: أسخن اللَّه عينك[3]! هذا أيّ شيء هو؟ مَنْ بَلَغَكَ عنه أنّه فعل مثلَ هذا من الأنبياء والزُّهَّاد والصحابة والمجانين، انزِعْ عنك هذا يا سَخِينَ العين! فكأنه أستحيا منّي. ثم بلغني أنّه جَلَسَ حجَّاماً، فَجَهَدْتُ أن أراه بتلك الحال فلم أره. ثم مَرِضَ، فبلغني أنه اشتهى أن أُغنّيه، فأتيته عائداً، فَخَرَجَ إليَّ رسوله يقول: إنْ دخلت إليّ جدَّدْتَ لي

(١) نَشَجَ الباكي يَنشِجُ نَشيجاً إذا غَصّ البُكاءُ في حَلقه عند الفَزعة.

(٢) القوصرة: وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.

(٣) أَسْخَنَ اللَّه عينَه، أي أبكاه.

حُزناً وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه، وأنا أستودعك اللَّه وأعتذر إليك من ترك الالتقاء، ثم كان آخر عهدي به.

[أمنية محتضر]

حدَّثني جَحظةُ قال حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن يجيء مُخارِقٌ فيضع فَمَهُ على أُذني ثم يُغنِّيني.

سَيُعرَضُ عَن ذِكري وَتُنسى مَوَدَّتي ... وَيَحدُثُ بَعدي لِلخَليلِ خَليلُ
إِذا ما انقَضت[1] عَنّي مِنَ الدَّهرِ مُدَّتي ... فَإِنَّ غَناءَ الباكِياتِ قَليلُ

[الطويل]

وأخبرني به أبو الحسن الأسديّ قال: حدَّثنا محمد بن صالح [بن] النطَّاح قال: قال بِشرُ بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فذكر مثل الأوّل.

وأخبرني به ابن عمَّار أبو العبَّاس عن ابن أبي سَعد عن محمد بن صالح: أنَّ بِشراً قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب.

[آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليٍّ: حدّثني عليُّ بن مهديّ قال: حدَّثني عبد اللَّه بن عطِيَّة قال: حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: آخِرُ شعرٍ قاله أبي في مرضه الذي مات فيه:

إِلَهي لا تُعَذِّبني فَإِنّي ... مُقِرٌّ بِالَّذي قَد كانَ مِنّي
فَمَا لي حيلَةٌ إِلاّ رَجائي ... لِعَفوِكَ إِن عَفَوتَ وَحُسنُ ظَنّي
وَكَم مِن زِلَّةٍ لي في الخطايا ... وَأَنتَ عَلَيَّ ذو فَضلٍ وَمَنِّ
إِذا فَكَّرتُ في نَدَمي عَلَيها ... عَضَضتُ أَنامِلي وَقَرَعتُ سِنّي
أُجَنُّ بِزَهرَةِ الدُّنيا جُنوناً ... وَأَقطع طول عُمري بِالتَّمَنِّي
وَلَو أَنّي صَدَقتُ الزُّهدَ عَنها ... قَلَبتُ لِأَهلِها ظَهرَ المِجَنِّ
يَظُنُّ الناسُ بي خَيراً وَإِنّي ... لَشَرُّ الخَلقِ إِن لَم تَعفُ عَنّي

[الوافر]

(١) ورد في بعض الأصول «انقطعت» بدل «انقضت».

[أمر بنته أن تندبه بشعر له]

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصِّيرفيّ قال: حدَّثنا الحَسَنُ بن عُليل قال: حدّثني أحمد بن حمزة الضُّبعيّ قال: أخبرني أبو محمد المُؤدِّب قال: قال أبو العتاهية لابنته رُقيَّة في علَّتِهِ التي مات فيها: قومي يا بُنيّة فاندُبي أباك بهذه الأبيات؛ فقامت فندبته بقوله:

لَعِبَ البِلَى بَمعالِمي ورُسُومي ... وقُبرت حيًّاً تحت رَدْم همومي
لَزِمَ البِلَى جسمي فأوْهَنَ قوّتي ... إنَّ البِلَى لموكَّلٌ بلزومي

[الكامل]

[تاريخ وفاته ومدفنه]

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عمَّار قال: حدَّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال: حدّثني عليّ بن محمد قال: حدّثني مُخارِق المُغنِّي قال: تُوفّي أبو العتاهية، وإبراهيم الموصليّ، وأبو عمرو الشَّيباني عبد السَّلام في يومٍ واحد في خلافة المأمون، وذلك في سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا ابن مَهرُويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قُتَيبة قال: مات أبو العتاهية، وراشِدٌ الخنَّاق، وهشيمة الخَمَّارة في يومٍ واحدٍ سنة تسع ومائتين.

وذَكَرَ الحارث بن أبي أُسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ: أنَّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خَلَون من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين، ودُفِنَ حِيالَ قنطرة الزيَّاتين في الجانب الغربيّ ببغداد.

أخبرني الصّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشَّيباني عن محمد بن أبي العتاهية: أنّ أباه توفّي سنة عشرٍ ومائتين.

[الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره]

أخبرني الصّوليّ قال: حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد اللَّه بن الجُنَيْد عن إسحاق بن عبد اللَّه بن شُعَيب قال: أمرَ أبو العتاهية أن يُكتَبَ على قَبْرِهِ:

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعِي ... [و]اسمعي ثم عِي وَعِي
أنا رهنٌ بَمَضْجَعِي ... فاحذري مثلَ مَصْرَعي

عِـشْـتُ تـسـعـيـن حِـجَّـةً فـي ديـار الـتَّـزعـزُع[1]
لـيـس زادٌ سِـوَى الـتّـقـى فَـخُـذِي مـنـه أو دَعِـي

[مجزوء الخفيف]

[رثاه ابنه بشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثمة قال: لمّا مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال:

يـا أبـي ضَـمَّـكَ الـثَّـرى وطـوى الـمـوتُ أجْـمَـعَـكْ
لـيـتـنـي يـومَ مُـتَّ صِـرْ تُ إلـى حُـفـرةٍ مَـعَـكْ
رَحِـمَ الـلَّـه مـصـرعَـكْ بَـرَّدَ الـلَّـه مـضـجَـعَـكْ

[مجزوء الخفيف]

[أنكر ابنه أنه أوصى بذلك]

أخبرني الحسن قال: حَدَّثني أحمد بن زُهَير قال: قال محمد بن أبي العتاهية: لَقِيَنِي محمد بن أبي محمد اليَزيديّ فقال: أنشدني الأبياتَ التي أوصى أبوك أن تُكْتَبَ على قبرِهِ؛ فأنشأت أقول له:

كَـذَبْـتَ عـلـى أخٍ لـك فـي مـمـاتِـهْ وكـم كَـذِبٍ فَـشَـا لـك فـي حـيـاتِـهْ
وأكْـذَبُ مـا تـكـون عـلـى صـديـقٍ كـذبْـتَ عـلـيـه حـيًّـا فـي مـمـاتِـهْ

[الوافر]

فَخَجِلَ وانصرف. قال: والنَّاس يقولون: إنَّه أوْصى أن يُكْتَبَ على قبرِهِ شعرٌ له، وكان ابنه يُنْكِرُ ذلك.

وَذَكَرَ هارون بن عليّ بن مهديّ عن عبد الرحمن بن الفَضْل أنّه قرأ الأبيات العَيْنيّة التي أوَّلها:

أُذنَ حـيٍّ تـسـمَّـعـي

على حجرٍ عند قبر أبي العتاهية.

ولم أذكر هاهنا مع أخبار أبي العتاهية أخبارَه مع عُتْبة، وهي من أعظم أخباره؛ لأنَّها طويلة، وفيها أغانٍ كثيرة، وقد طالت أخباره هاهنا فأفردتها.

---

(١) ورد البيت في القصيدة على الشكل التالي:

عِـشْـتُ تـسـعـيـن حِـجَّـةً أسـلـمَـتْـنِـي لـمـضـجـعـي
كـم تـرى الـحـي ثـابـتـاً فـي ديـار الـتـزعـزُع

أخبار فريدة

قال مؤلف هذا الكتاب: هما اثنتان مُحسِنتان لهما صَنعةٌ تسمَّيان بفريدة.

[أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها]

فأمَّا إحداهما، وهي الكبرى، فكانت مُولَّدةً نَشَأَتْ بالحجاز، ثم وَقَعَتْ إلى آل الرَّبيع، فَعُلِّمت الغناءَ في دورهم، ثم صارت إلى البرامكة. فلمّا قُتِلَ جعفر بنُ يحيى ونُكِبوا هَرَبَتْ، وطَلَبَها الرشيدُ فلم يجدْها، ثم صارت إلى الأمين، فلمّا قُتِلَ خرجت، فتزوَّجَها الهيثم بن مُسلِم فولدت له ابنَه عبدَ اللَّه، ثم مات عنها، فتزوَّجَها السِّنديّ بن الحَرَشيّ[١] وماتَتْ عنده. ولها صَنعةٌ جيِّدة، منها في شعر الوليد بن يزيد[٢]:

[بعض الشعر الذي لها في صنعته]

صوت

وَيحَ سَلمى لَو تَراني ... لَعَناها ما عَناني
واقِفاً في الدارِ أبكي ... عاشِقاً حورَ الغَواني[٣]

[مجزوء الرمل]

---

(١) هو أحد رجال الرشيد والمأمون.

(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس، وُلِدَ سنة ٨٨هـ. من ملوك الدولة المروانية بالشام، كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، يعاب بالانهماك في اللَّهو وسماع الغناء. له شعر رقيق وعلم بالموسيقى. قال السيد المرتضى: (كان مشهوراً بالإلحاد متظاهراً بالعناد) وقال ابن خلدون: ساءت القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به. ولي الخلافة سنة ١٢٥هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك. خلعه الناس وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك بينما كان غائباً في الأغداف (شرقي الأردن) فجاءه النبأ فانصرف إلى النجراء فقصده جمع من أصحاب يزيد فقتلوه في قصر النعمان ابن بشير سنة ١٢٦هـ، وحمل رأسه إلى دمشق فنصب في الجامع ولم يزل أثر دمه على الجدران إلى أن قدم المأمون دمشق سنة ٢١٥ وأمر بحكه.

(٣) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

مُتلِفاً في اللَّهوِ مالي ... عاشِقاً حورَ القِيانِ

ولحنها فيه خفيف رمَلٍ.

ومن صنعتها:

صوت

أَلا أَيُّـهـا الـرَّكـبُ الـنِّـيـامُ ألا هُـبُّـوا نُـسـائـلْـكُـمُ هـل يـقـتـلُ الـرَّجـلَ الـحُـبُّ
ألا رُبَّ ركـبٍ قـد وقَـفـتُ مـطـيَّـهـم عـلـيـك ولـولا أنـتِ لـم يـقـفِ الـرّكـبُ[1]

[الطويل]

لحنها فيه ثاني ثقيل. وفيه لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ بالسبَّابة في مجرى الوُسطى.

[سأل صالح بن حسان الهيثم بن عديّ عن بيت نصفه بدوي والآخر حضري ثم ذكره]

فحدَّثني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حدّثنا الخليل بن أسَدٍ قال حدّثني العمريّ قال: حدّثني الهيثم بن عديّ قال: قال لي صالح بن حسَّان يوماً: ما نِصفُ بيتٍ كأنّه أعرابيّ في شَملةٍ، والنصف الآخر كأنّه مُخَنَّثٌ مُفكَّك؟ قلت: لا أدري؛ فقال: قد أجّلتُك حولاً. فقلت: لو أجَّلتني عشرةَ أحوالٍ ما عرفتُهُ. فقال: أوَّه! أفٍّ لك! قد كُنْتُ أحسبك أجود ذِهناً مما أرى. فقلت: فما هو الآن؟ قال: قول جميل:

أَلا أَيُّـهـا الـرَّكـبُ الـنِّـيـامُ ألا هُـبُّـوا

هذا كلام أعرابي، ثم قال:

أُسـائـلْـكُـمُ هـل يـقـتـلُ الـرّجـلَ الـحُـبُّ

كأنّه واللَّه من مُخنَّثي العَقِيق.

[أخبار فريدة المحسنة]

وأمّا فريدة الأخرى فهي الّتي أرى بل لا أشكّ في أنّ اللَّحنَ المختار لها؛ لأنَّ إسحاق اختار هذه المائة الصوت للواثق، فاختار فيها لِمُتَيَّم لَحناً، ولأبي دُلَفَ لحناً، ولِسُلَيم بن سَلاّم لحناً، ولرياض جاريةِ أبي حَمَّاد لحناً؛ وكانت فريدة أثِيرةً عند الواثق

---

(١) ورد هذان البيتان في بعض المصادر على الشكل التالي:

أَلا أَيُّـهـا الـنـوامُ ويـحـكـم هُـبُّـوا نُـسـائـلـكُـمُ هـل يـقـتـلُ الـرجـلَ الـحـبُّ
ألا ربّ ركـبٍ قـد دفـعـتُ وجـيـفـهـم إلـيـك ولـولا أنـتِ لـم يـوجـف الـرّكـب

وحَظِيَةً لديه جدًّا، فاختار لها هذا الصوتَ، لمكانها من الواثق، ولأنّها ليست دون من اختار له من نُظرائِها.

[قَدَّمَت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء]

أخبرني الصُّوليّ قال: حَدَّثنا الحسين بن يحيى عن رَيِّقَ: أنّها اجتمعت هي وخِشْف الواضِحيَّة يوماً، فتذاكرتا أحسنَ ما سمعتاه من المُغنِّيات؛ فقالت رَيِّق: شاريةُ أحسنهنّ غناءً ومُتَيَّمُ، وقالت خِشْف: عَريبُ وفريدة؛ ثم اجتمعتا على تساويهنّ، وتقديم مُتَيَّمَ في الصّنعة، وعَريبَ في الغَزارة والكَثرة، وشاريةَ وفريدةَ في الطّيب وإحكام الغناء.

[أهداها ابن بانة للواثق]

حدَّثني جَحظة قال: حدَّثني أبو عبد اللَّه الهِشاميّ قال: كانت فريدةُ جاريةُ الواثق لعمرو بن بانة، وهو أهداها إلى الواثق، وكانت من الموصوفات المُحسنات، ورُبِّيَت عند عمرو بن بانة مع صاحبةٍ لها اسمها «خلّ»، وكانت حسنةَ الوجه، حسنةَ الغناء، حادَّةَ الفِطْنة والفَهْم.

[سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة]

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانة قال: غَنَّيْتُ الواثق:

قُـلْـتُ حِـلاًّ فـاقـبَـلـي مَـعـذِرتـي ... مـا كـذا يـجـزي مُـحـبٌّ مـن أحـبْ

[الرمل]

فقال لي: تقدّم على السّتارة فأَلْقِهِ على فريدة، فألقيتُهُ عليها؛ فقالت: هو حلٌّ أو خلٌّ كيف هو؟ فَعَلِمْتُ أنَّها سألتني عن صاحبتها في خفاءٍ من الواثق.

[تزوّجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت]

ولـمَّا تـزوّجـهـا الـمـتـوكـل أرادهـا عـلـى الـغـنـاء، فـأبـت أن تـغـنِّيَ وفـاءً لـلـواثـق، فـأقـام عـلـى رأسـهـا خـادمـاً وأمـره أن يـضـرب رأسـهـا أبـداً أو تُـغـنِّي؛ فاندَفَعَتْ وغنّت:

فَـلا تَـبْـعَـد[1] فـكـلّ فـتًـى سـيـأتـي ... عـلـيـه الـمـوتُ يَـطْـرُقُ أو يُـغـادي

[الوافر]

(١) تبعد: تهلك.

[نقل ابن بسخنر قصة لها مع الواثق وغيرته من جعفر المتوكل]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدّثني عليّ بن يحيى المُنجِّم قال: حَدَّثني محمد بن الحارث بن بُسخنَّر قال: كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة، إذا حضرتْ ركبتُ إلى الدار؛ فإن نشط إلى الشّرب أقمت عنده، وإن لم ينشط انصرفت. وكان رسمنا ألا يحضر أحدٌ منّا إلّا في يوم نوبته. فإنّي لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذا رسلُ الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي: احضر. فقلت: ألخير؟ قالوا: خير. فقلت: إنّ هذا يومٌ لم يُحضرني فيه أميرُ المؤمنين قطُّ، ولعلكم غَلِطْتم. فقالوا: اللَّه المُستعان، لا تُطِل وبادِر؛ فقد أمرَنا ألّا ندعك تستقرّ على الأرض؛ فداخلني فَزَعٌ شديدٌ؛ وخِفْتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بي، أو بليّةٌ قد حَدَثتْ في رأي الخليفة عليّ؛ فتقدَّمَتُ بما أردت وركبت حتى وافيت الدار؛ فذهبت لأدخل على رَسمي من حيث كنت أدخل، فمنِعت، وأخذ بيدي الخدمُ فأدخلوني وعَدَلوا بي إلى مَمرّات لا أعرفها، فزاد ذلك في جزعي وغمِّي. ثم لم يزل الخدم يُسلمونني من خدم إلى خدم حتى أفضَيْتُ إلى دار مفروشة الصَّحن، مُلْبَسة الحيطان بالوَشْي المنسوج بالذهب، ثم أفْضَيْتُ إلى رِواقٍ أرضُهُ وحيطانه مُلبَسةٌ بمثل ذلك، وإذا الواثق في صدره على سرير مُرَصَّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فريدة جاريته، عليها مثلُ ثيابه وفي حِجرها عُودٌ. فلمّا رآني قال: جَوَّدتَ[1] واللَّه يا محمد إلينا؛ فقبّلت الأرضَ ثم قلت: يا أمير المؤمنين خيراً! قال: خيراً، أما ترانا! طَلَبْتُ واللَّه ثالثاً يُؤنِسنا فلم أرَ أحقّ بذلك منك، فبحياتي بادِرْ فكل شيئاً وبادر إلينا؛ فقلت: قد واللَّه يا سيّدي أكلت وشربت أيضاً؛ قال: فاجلس فجلست، وقال: هاتوا لمحمد رَطْلاً في قدحٍ، فأُحضِرْتُ ذلك، واندفَعَتْ فريدة تُغنّي:

أَهـابُـكِ إِجـلالاً وَمـا بِـكِ قُـدرَةٌ ... عَـلَـيَّ وَلَـكِـن مِـلءُ عَـينٍ حَـبـيـبُـهـا
وَمـا هَـجَـرَتـكِ الـنَّـفـسُ يـالـيـلُ أنـهـا ... قَـلـتـك وَلاَ أن قَـلَّ مِـنـكِ نَـصـيـبُـهـا[2]

[الطويل]

فجاءت واللَّه بالسِّحر، وجعل الواثق يُجاذِبُها، وفي خلال ذلك تُغنِّي الصوتَ بعد الصوت، وأغنّي أنا في خلال غنائها، فمرَّ لنا أحسنُ ما مرَّ لأحد؛ فإنَّا لكذلك إذ رَفَع رِجْلَهُ فضرب بها صدرَ فريدة ضربةً تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض

(١) جودّت: أسرعت.

(٢) هذان البيتان هما لمجنون ليلى، والبيت الثاني ورد على الشكل التالي:

وَمـا هَـجَـرَتـكِ الـنَّـفـسُ أَنَّـكِ عِـنـدَهـا ... قَـلـيـلٌ وَلَـكِـن قَـلَّ مِـنـكِ نَـصـيـبُـهـا

وتفتَّت عودُها ومرَّت تعدو وتَصيح، وبَقِيْتُ أنا كالمنزُوع الرّوح؛ ولم أشكّ في أنّ عينه وقعت عليّ[١] وقد نَظَرْتُ إليها ونَظَرَتْ إليَّ؛ فأطرق ساعةً إلى الأرض مُتَحَيِّراً وأطرقْتُ أتوقَّع ضربَ العُنق؛ فإنّي لكذلك إذ قال لي: يا محمد، فوثَبْت؛. فقال: ويحك! أرأيت أغربَ مما تهيّأ علينا! فَقُلْتُ: يا سيِّدي، الساعةَ واللَّه تخرج روحي، فعلى من أصابنا بالعين لَعَنَهُ اللَّه! فما كان السبب؟ أَلِذَنْبٍ؟ قال: لا واللَّه! ولكن فَكَّرت أنَّ جعفراً يقعُد هذا المقعدَ ويقعد معها كما هي قاعدةٌ معي، فلم أُطِقِ الصّبرَ وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت؛ فسُرّيَ عنّي وقُلْتُ: بل يقتل اللَّه جعفراً، ويحيا أميرُ المؤمنين أبداً، وقَبَّلت الأرضَ، وقُلْتُ: يا سيّدي اللَّه اللَّه! ارحمها ومُرْ بردِّها. فقال: لبعض الخدم الوقوفِ: من يجيء بها؟ فلم يكن بأسرع من أن خَرَجَتْ وفي يدها عودُها وعليها غيرُ الثياب التي كانت عليها، فلما رآها جذبها وعانقها، فَبَكَتْ وجعل هو يبكي، واندَفَعْتُ أنا في البكاء، فقالت: ما ذنبي يا مولاي ويا سَيِّدي؟ وبأيِّ شيءٍ استوجبْتُ هذا؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي؛ فقالت: سألتُكَ باللَّه يا أمير المؤمنين إلّا ضَرَبْتَ عنقي الساعةَ وأرَحْتَنِي من الفكر في هذا، وأرحتَ قلبك من الهمّ بي، وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسحا أعينَهما وَرَجَعَتْ إلى مكانها؛ وأوماً إلى خدم وقوفٍ بشيءٍ لا أعرفه، فَمَضَوْا وأحضروا أكياساً فيها عينٌ[٢] ووَرِقٌ، ورُزَماً فيها ثياب كثيرة، وجاء خادمٌ بدُرجٍ ففتحه وأخرج منه عِقداً ما رأيت قطّ مثلَ جوهر كان فيه، فألبسها إيّاه، وأُحضرتْ بَدْرةٌ فيها عشرةُ آلافِ درهم فَجُعِلَتْ بين يديّ وخمسة تُخوتٍ فيها ثيابٌ، وعُدْنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كُنَّا؛ فلم نزل كذلك إلى الليل، ثم تفرّقنا.

[قصتها مع المتوكّل بعد الواثق]

وضَرَبَ الدهرُ ضربَه[٣] وتقلَّد المتوكلُ. فواللَّه إنِّي لفي منزلي بعد يوم نوبتي إذ هَجَمَ عَلَيَّ رُسُلُ الخليفة، فما أمهلوني حتى رَكِبْتُ وصِرْتُ إلى الدَّارِ، فأدخلت واللَّه الحجرةَ بعينِها، وإذا المتوكَّلُ في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينِهِ وإلى جانبِهِ فريدة؛ فلمّا رآني قال: ويحك! أما ترى ما أنا فيه من هذه! أنا منذُ غُدْوةٍ أُطالِبُها بأن تُغَنِّيني فتأبى ذلك! فَقُلْتُ لها: يا سبحان اللَّه! أتُخَالفين سيِّدَك وسيِّدَنا وسيِّدَ البشر!

(١) في الأصول «وقعت إلي».

(٢) العين: النقود المعدنية المصنوعة من الذهب.

(٣) من المجاز: ضرب على يده إذا أفسد عليه أمراً أخذ فيه. وضرب القاضي على يده: حجره. وضرب الدهر بهم ضرباناً، وضرب الدهر من ضربانه أن كان كذا.

بحياتِهِ غنِّي! فَعَرفَتْ واللَّه ثم اندفعت تُغَنِّي:

مُـقِـيـمٌ بِـالـمَـجـازَةِ[١] مِـن قَـنَـوْنـا[٢] وَأَهـلُـكَ بِـالأُجـيـفِـرِ[٣] فَـالـثِّـمـادِ[٤]
فَـلا تَـبـعَـدْ فَـكُـلُّ فَـتـى سَـيَـأتـي عَـلـيـهِ الـمـوتُ يَـطـرُقُ أَو يُـغـادي[٥]

[الوافر]

ثم ضَرَبَتْ بالعود الأرضَ، ثم رَمَتْ بِنَفْسِها على السرير ومَرَّت تعدو وهي تصيحُ واسيِّداه! فقال لي: وَيْحَك! ما هذا؟ فَقُلْتُ: لا أدري واللَّه يا سيِّدي. فقال: فما ترى؟ فَقُلْتُ: أرى أن أنْصَرِفَ أنا وتحضر هذه ومعها غيرُها؛ فإنَّ الأمرَ يؤولُ إلى ما يُريدُ أميرُ المؤمنين؛ قال: فانصرف في حفظ اللَّه! فانصَرَفْتُ ولم أدْرِ ما كانت القصَّة.

[محمد بن عبد الملك وغناء فريدة]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدَّثني محمد بن عبد الملك قال: سَمِعْتُ فريدةَ تُغَنِّي:

أَخِـلّايَ بـي شَـجـوٌ وَلَـيـسَ بِـكُـم شَـجـوُ وَكُـلُّ امـرِئٍ مـمـا بـصـاحِـبِـهِ خِـلْـوُ
أَذابَ الهَوى لَحمي وَجِسمي ومَفْصِلي[٦] فَلَم يَبقَ إِلاّ الروحُ وَالجَسَدُ النِّضوُ[٧][٨]

[الطويل]

فَمَا سَمِعْتُ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ غِناءً أحسن منه.

الشعرُ لأبي العتاهية، والغناءُ لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى الوُسطى عن الهِشاميّ، وله أيضاً فيه خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة والبِنصر عن ابن المكّيّ. وفيه لعمرو بن بانة رَمَلٌ بالوُسطى من مجموع أغانيه. وفيه لِعريبَ خفيفُ ثقيلٍ آخر صحيحٌ في غنائها من جَمْعِ ابنِ المُعتزّ وعليّ بن يحيى. وتمام هذه الأبيات:

ومَـا مـن مُـحِـبٍّ نَـالَ مـمـن يُـحـبُّـهُ هـوًى صـادقـاً إلاَّ سـيـدخُـلُـهُ زَهـوُ

[الطويل]

---

(١) المجازة: منزل من منازل طريق مكة بين ماوية وينبوعة.
(٢) واد من أودية السراة يصب إلى البحر من أوائل أرض اليمن من جهة مكة المكرمة.
(٣) أجيفر: موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس.
(٤) الثماد: موضع في ديار بني تيم.
(٥) هذان البيتان لكثير عزة.
(٦) ورد في الديوان «قوتي» بدل «مفصلي».
(٧) النِّضو: الهزيل.
(٨) هذان البيتان لأبي العتاهية.

وفيها كلِّها غناءٌ مفترِقُ الألحان في أبياته:

بُليتُ وَكانَ المَزحُ بَدءَ بَلِيَّتي ... فَأَحبَبتُ جَهلاً وَالبَلايا لَهُ بَدوُ
وَعُلِّقتُ مَن يَزْهو عَلَيَّ تَجَبُّراً ... وَإِنِّيَ في كُلِّ الخِصالِ لَهُ كُفوُ

[الطويل]

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

باتَت هُمومي تَسري طَوارقُها ... أكُفُّ عَيني وَالدَّمعُ سابِقُها
لِمَا أَتاها مِنَ اليَقينِ وَلَم ... تَكُنْ تَراهُ يُلِمُّ طارِقُها[1]

[المنسرح]

الشعرُ لأُميَّة بن أبي الصَّلت، والغِناءُ للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى. وفيه لابن مُحرِز لحنان: هَزَجٌ وثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن الهِشاميّ وحَبَش. وذكر يونس: أنّ فيه لابن مُحِرز لحناً واحداً مُجنَّساً.

(١) هذان البيتان لأمية بن أبي الصلت.

ذكر أميّة بن أبي الصّلت ونسبه وخبره

[نسبه من قبل أبويه]

واسم أبي الصَّلت عبدُ اللَّه بن أبي رَبيعة بن عَوْف بن عُقدة بن عَنزة بن قَسيّ، وهو ثقيف بن مُنَبِّه بن بكر بن هَوَازِن، هكذا يقولُ من نَسَبِهم إلى قَيس[١]، وقد شُرِحَ ذلك في خبر طُرَيْح. وأمّ أُميَّة بن أبي الصَّلت رُقَيَّة بنت عبد شمس بن عبد مناف. وكان أبو الصَّلت شاعِراً، وهو الذي يقول في مدح سَيف بن ذي يَزَن:

لِيَطلُبِ الثَّأرَ أَمثالُ ٱبنِ ذي يَزَنٍ إذ صار في البَحرِ لِلأَعداءِ أَحوالا

[البسيط]

وَقَدْ كُتِبَ خبرُ ذلك في موضعه.

[أولاد أمية]

وكان له أربعةُ بنين: عمرٌو ورَبيعة وَوَهْبٌ والقاسم. وكان القاسم شاعراً؛ وهو الذي يقول: ـ أنْشَدنيه الأخفشُ وغيرُهُ عن ثعلبٍ، وذَكَرَ الزُّبيرُ أنّها لأميَّة ـ :

صوت

قَومٌ إذا نَزَلَ الغريبُ[٢] بِدارِهِم[٣] رَدُّوه رَبَّ صَواهِلٍ وَقِيانِ

لا يَنكِتُونَ الأَرضَ عِندَ سُؤالِهِم لِتَلَمُّسِ العِلّاتَ بِالعيدانِ[٤]

[الكامل]

---

(١) يريد قيس بن عيلان وهو الجد الأعلى لهوازن هو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.

(٢) ورد في بعض المصادر «المقل» بدل «الغريب».

(٣) ورد في بعض المصادر «بأرضهم» بدل «بدارهم».

(٤) وردت القصيدة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري على الشكل التالي:

قَوْمٌ إذا نَزَلَ الحَريبُ بدارِهِمْ تَرَكُوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وقِيَانِ

فإذا دَعَوْتَهُمُ لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ سَدُّوا شُعاعَ الشَّمْسِ بالخُرْصانِ

لا يَنْقُرُونَ الأَرضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ لِتَطَلُّبِ العِلَّاتِ بالعِيدَانِ

بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فتَرَى لها عِنْدَ السُّؤَالِ كأَحْسَنِ الأَلْوَانِ

يمدح عبد اللَّه بن جُدعانَ بها؛ وأوّلها:

قَومي ثَقِيفٌ إِن سَأَلتَ وَأُسرَتي ... وَبِهِم أُدافِعُ رُكنَ مَن عاداني

[الكامل]

غنَّاه الغريض، ولحنُهُ ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر. ولابن مُحرزٍ فيه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى، عن الهشاميّ جميعاً.

وكان ربيعة ابنُهُ شاعراً، وهو الذي يقول:

وإنْ تكُ حيّاً من إيادٍ فإنّنا ... وقيساً سواءٌ ما بَقِينا وما بَقُوا

ونحنُ خيارُ النّاس طُرّاً بِطانةً ... لقيسٍ وهم خيرٌ لنا إن هُمُ بَقُوا

[الطويل]

[كان يستعمل في شعره كلمات غريبة]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب قال: حدّثنا عبد اللَّه بن مُسلم قال: كان أُميَّة بن أبي الصَّلت قد قرأ كتابَ اللَّه عزَّ وجلَّ الأوّل، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرِفها العرب؛ فمنها قوله:

قَمَرٌ وساهورٌ يُسَلّ ويُغْمَدُ[1]

وكان يُسمّي اللَّه عزَّ وجلَّ في شعرِهِ السِّلطيط، فقال:

والسِّلطيط فوق الأرض مُقتَدِر[2]

وسمَّاه في موضع آخر التغرور فقال: «وأيّده التغرور». وقال ابن قتيبة: وعلماؤنا لا يحتجّون بشيءٍ من شعره لهذه العلَّة.

---

(١) هذا عجز البيت وصدره:

لا نقص فيه غير أن خبيئه

(٢) قال ابن منظور في «لسان العرب»: «حافر سَلْطٌ وسَلِيطٌ: شديد. وإذا كان الدابةُ وَقاحَ الحافر، والبعيرُ وَقاحَ الخُفِّ، قيل: إنه لَسلْط الحافر، وقد سَلِطَ يَسْلَطُ سَلاطةً كما يقال لسان سَلِيطٌ وسَلْطٌ، وبعير سَلْطُ الخفّ كما يقال دابة سَلْطةُ الحافر، والفعلُ من كل ذلك سَلُطَ سَلاطةً؛ قال أُميَّة بن أَبي الصلْت:

إِنَّ الأَنامَ رَعايا اللّهِ كلُّهُمُ، ... هو السَّلِيطَطُ فوقَ الأَرضِ مُسْتَطِرُ

قال ابن جني: هو القاهر من السَّلاطة، قال: ويروى السَّلِيطَطُ وكلاهما شاذٌّ. التهذيب: سَلِيطَطٌ جاء في شعر أُمية بمعنى المُسَلَّطِ، قال: ولا أَدري ما حقيقته».

[من أشعر ثقيف بل أشعر الناس]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: قال أبو عبيدة: اتَّفقَتِ العربُ على أنّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القَيس ثم ثَقِيف، وأنّ أشعر ثَقيف أُميَّة بن أبي الصَّلت.

أخبرنا الحَرَميّ قال: حدَّثنا الزّبيرُ قال: قال يحيى بن محمد: قال الكُمَيت: أُميَّة أشعر الناس، قال كما قُلْنا ولم نقل كما قال.

[طمعه بالنبوة]

قال الزُّبيرُ وحدّثني عمّي مُصعَب عن مُصعَب بن عثمان قال: كان أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلت قد نظر في الكُتُبِ وقرأها، ولَبِسَ المُسُوح[١] تَعَبُّداً، وكان ممن ذكر إبراهيمَ وإسماعيلَ والحَنيفيَّة، وحَرَّمَ الخَمْرَ وشَكَّ في الأوثان، وكان مُحقّقاً، والتمس الدِّين وطَمِعَ في النبوّة؛ لأنَّه قَرَأَ في الكُتُبِ أنّ نبيّاً يُبْعَثُ من العرب، فكان يرجو أن يكونه. قال: فلمّا بُعِثَ النبيُّ ﷺ قيل له: هذا الذي كنت تَسْتَريث[٢] وتقول فيه؛ فحسده عدوُّ اللَّه وقال: إنَّما كُنْتُ أرجو أن أكونَهُ؛ فأنزل اللَّه فيه عزَّ وجلَّ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]. قال: وهو الذي يقول:

كُلُّ دينٍ يَومَ القيامَةِ عِندَاللَّهِ إلّا دينَ الحَنيفَةِ زُورُ

[الخفيف]

[كان يحرّض قريشاً بعد بدر]

قال الزُّبيرُ وحدّثني يحيى بن محمد قال: كان أُمَيَّةُ يُحَرِّضُ قُرَيشاً بعد وقعة بدرٍ، وكان يَرْثِي مَنْ قُتِلَ من قريش في وقعة بدر؛ فمن ذلك قوله:

ماذا ببدرٍ والعَقَنْقَلِ[٣] مِن مرَازِبَةٍ[٤] جَحاجِحْ[٥]

[مجزوء الكامل]

---

(١) المِسْحُ: البَلاسُ. والمِسْحُ: الكساء من الشَّعَر والجمع القليل أَمْساح؛ قال أَبو ذؤَيب:
ثم شَرِبْنَ بنَبْطٍ، والجِمالُ كأَنّ الرَّشْحَ، منهنَّ بالآباطِ، أَمْساحُ

(٢) الرَّيثُ: الإبطاء، يُقالُ: راثَ علينا فلانٌ يَرِيثُ رَيْثاً، وراثَ علينا خَبَرُهُ. . واسْتَرَثْتُهُ واستبطأته.

(٣) العقنقل: كُثيبُ رملٍ ببدر.

(٤) المَرازِبَةُ من الفُرْسِ فمُعَرَّبٌ، الواحد مَرْزُبانُ بضم الزاي، ومنه قولهم للأسد: مَرْزُبانُ وهو الفارس العظيم المقدم على القوم دون الملك.

(٥) الجَحْجَحُ: السيد السَّمْحُ؛ وقيل: الكريم، ولا توصف به المرأَة؛ وفي حديث سَيْفِ بن ذي يَزَنٍ:
بِيضٌ مَغالِبَةٌ غُلْبٌ جَحاجِحةٌ

وقال: وهي قَصِيدةٌ نهى رسول اللَّه ﷺ عن رواياتها. ويُقالُ: إنَّ أُميّة قَدِمَ على أهل مكة «باسمك اللّهمّ»؛ فجعلوها في أوّل كتبهم مكان «بسم اللَّه الرحمن الرحيم».

[أسِفَ الحجاجُ على ضياع شعره]

قال الزُّبيرُ: وحدّثني عليّ بن محمد المدائنيّ قال: قال الحجّاج على المِنْبَر: ذَهَبَ قومٌ يعرفون شعرَ أُميّة، وكذلك اندراسُ الكلام.

[كان يتحسس أخبار نبيّ العرب فلما أخبر ببعثته تكدّر]

أخبرني الحَرميّ قال: حدَّثنا الزُّبيرُ عن عمر بن أبي بكر المُؤَمَّلي وغيره قال: كان أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلت يَلْتَمِسُ الدّين ويطمعُ في النبوّة، فَخَرَجَ إلى الشأم فَمَرَّ بِكَنيسةٍ، وكان معه جماعةٌ من العرب وقريش، فقال أُميَّة: إنّ لي حاجةً في هذه الكنيسة فانتظروني، فَدَخَلَ الكنيسة وأبطأ، ثم خَرَجَ إليهم كاسِفاً مُتَغَيِّر اللّون، فرمى بنفسِهِ، وأقاموا حتى سُرّيَ عنه، ثم مضَوا فقضَوْا حوائِجَهم ثم رَجَعوا. فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم: انتظروني، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ، ثم خرج إليهم أسوأ من حالِهِ الأولى؛ فقال أبو سُفيان بن حرب: قد شَقَقْتَ على رفقائك. فقال: خَلُّوني؛ فإنّي أرتاد نفسي لمعادي، إنّ هاهنا راهباً عالماً أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام ستّ رجعاتٍ، وقد مَضَتْ منها خمسٌ وبَقِيَت واحدةٌ، وأنا أطمعُ في النبوّة وأخافُ أن تُخْطِئَنِي، فأصابني ما رأيت. فلمّا رَجَعْتُ ثانيةً أتيته فقال: قد كانت الرجعةُ، وقد بُعِثَ نبيٌّ من العرب؛ فيئست من النبوّة، فأصابني ما رأيت؛ إذ فاتني ما كُنْتُ أطمعُ فيه.

[أخبره راهب أن ليست فيه أوصاف النبيّ]

قال: وقال الزُّهريّ: خرج أُمَيَّة في سفر فَنَزِلُوا مَنْزِلاً، فأمَّ أُميَّة وجهاً وصعد في كثيب، فَرُفِعَتْ له كنيسةٌ فانتهى إليها، فإذا شيخٌ جالسٌ، قال لأُمَيَّة حين رآه: إنَّك لَمَتبوعٌ، فمن أين يأتك رَئِيُّك[1]؟ قال: من شِقّي الأيسر. قال: فأيُّ الثياب أحبُّ إليك أن يلقاك فيها؟ قال: السّواد؛ قال: كِدْتَ تكون نبيَّ العرب ولست به، هذا خاطرٌ من الجنِّ وليس بملكٍ، وإنَّ نبيَّ العرب صاحبَ هذا الأمر يأتيه من شِقِّهِ الأيمن، وأحبّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض.

(١) الرَّئِيُّ: جِنيٌّ يتعرّض للرَّجل يُريه كهانةً وطِبّاً، تقول: معه رَئِيٌّ.

[حديثه مع أبي بكر]

قال الزُّهريُّ: وأتى أُمَيَّةُ أبا بكر فقال: يا أبا بكر، عَمِيَ الخبرُ، فهل أحسست شيئاً؟ قال: لا واللَّه! قال: قد وجدته يَخْرُجُ العام.

[سأل أبا سفيان عن عتبة بن ربيعة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: سَمِعْتُ خالد بن يزيد يقول: إنَّ أُمَيَّةَ وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشام؛ ثم ذكر نَحْوَهُ، وزاد فيه: فخرج من عند الراهب وهو ثقيل؛ فقال له أبو سفيان: إنَّ بك لشرّاً، فما قِصَّتُكَ؟ قال: خيرٌ، أخبرني عن عُتْبَةَ بن ربيعة كم سنُّه؟ فذكر سنًّا؛ وقال أخبرني ماله فذكر مالاً؛ فقال له: وَضَعْتَه؛ فقال أبو سفيان: بل رفعتُهُ؛ فقال له: إنَّ صاحبَ هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ. قال: وكان الراهب أشيب، وأخبره أنّ الأمر لرجلٍ من قريش.

[زعم أنه فهم ثغاء شاة]

أخبرني الحَرَميّ قال: حدَّثني الزُّبيرُ قال: حُدِّثْت عن عبد الرحمن بن أبي حمّاد المِنْقريّ قال: كان أُميَّة جالساً معه قومٌ، فَمَرَّتْ بهم غنمٌ فَثَغَتْ[1] منها شاة؛ فقال للقوم: هل تدرون ما قالت الشاة؟ قالوا: لا؛ قال: إنّها قالت لسَخْلَتِها[2]: مُرّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختك عامَ أوَّلَ في هذا الموضع؛ فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له: أخبرني عن هذه الشاة التي ثَغَتْ ألها سخلةٌ؟ [فقال]: نعم، هذه سخلتها؛ قال أكانت لها عام أوّل سَخلةٌ؟ قال: نعم، وأكلها الذئب في هذا الموضع.

[قال الأصمعي كل شعره في بحث الآخرة]

قال الزّبيرُ: وحدَّثني يحيى بن محمد عن الأصمعيّ قال: ذهب أُمَيَّة في شعره بعامّة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامّة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب.

[رؤى حالم]

قال الزُّبيرُ حدّثني عمر بن أبي بكر الموْصِلي قال: حدَّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال: كان أُمَيَّة نائماً فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت، ودخل الآخرُ فَشَقَّ

(١) ثغت: فصاحت وصوتت.

(٢) السَّخْل: ولد الشاة، ذكراً كان أو أنثى، والسَّخْلَةُ: الواحدة، والجمع: السَّخْل والسِّخال.

عن قلبه ثم ردَّه الطائر؛ فقال له الطائر الآخر: أَوَعى؟ قال: نعم؛ قال: زكا؟ قال: أبَى[١].

[خبره مع ركب الشام]

أخبرني عمّي قال: حدَّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابيّ عن ابن دَأبٍ قال: خَرَجَ ركبٌ من ثَقِيفٍ إلى الشام، وفيهم أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلت، فلمّا قفلوا راجعين نَزلُوا مَنْزِلاً ليتعشَّوا بعشاء، إذ أقبلت عَظايةٌ[٢] حتّى دنت منهم، فحصبها[٣] بَعْضُهم بشيءٍ في وجهها فَرَجَعَتْ؛ وكفتوا[٤] سُفرتهم[٥] ثم قاموا يَرْحَلُون مُمسين؛ فَطَلَعَتْ عليهم عجوزٌ من وراء كثيبٍ مقابلٍ لهم تتوكَّأ على عصاً، فقالت: ما منعكم أن تُطعِموا رَجيمةَ الجارية اليتيمة التي جاءتكم عَشيَّة؟ قالوا: ومن أنت؟ قالت: أنا أُمُّ العوّام، إمْتُ[٦] منذ أعوام؛ أمّا وربّ العباد، لتفترُقنّ في البلاد؛ وضَرَبَتِ بعصاها الأرضَ ثم قالت: بَطِّئي إيابَهُم، ونَفِّري رِكابَهُم؛ فوثَبَت الإبلُ كأنّ على ذِروة كلّ بعير منها شيطاناً ما يملك منها شيءٌ، حتى افترَقَتْ في الوادي. فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نَكَد. فلمّا أنخناها لنُرحلَها طلعت علينا العجوزُ فَضَرَبَتِ الأرضَ بِعصاها ثم قالت كقولها الأوّل؛ فَفَعَلَتْ الإبل كفعلِها بالأمس، فلم نجمعها إلا الغَدَ عشيّة. فلمّا أنخناها لِنُرَحِلَها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونَفَرَتِ الإبلُ. فقلنا لأُميَّة: أين ما كنت تُخْبِرُنا به عن نفسِكَ؟ فقال: اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني، فتوجَّهَ إلى

---

(١) ورد هذا الخبر في كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، وجاء على الشكل التالي: ذكر عيسى بن عمر عن بعض أهل الطائف، عن أخت أمية بن أبي الصلت، قالت: إني لفي بيت فيه أمية نائم، إذا أقبل طائران أبيضان فسقطا على السقف، ففرح السقف فسقط أحدهما عليه، فشق بطنه وثبت الآخر مكانه. فقال الأعلى للأسفل: أوعى؟ قال: أقبل؟ قال: أبى ـ ويقال قال: زكا. قال: خسا ـ فرد عليه قلبه وطار، والتأم السقف. قالت: فلما استيقظ قلت: له يا أخي! أحسست شيئاً. قال: لا! وإني لأجد توصيباً، فما ذاك؟ فأخبرته. قال: يا أخية! أنا رجل أراد اللَّه بي خيراً فلم أقبله. قالت: فلما مرض مرضته التي مات فيها، قالت: فإني عنده، إذ نظر إلى السماء وشق بصره ثم قال:

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

(٢) العَظايَةُ على خِلْقةِ سامٍّ أبرص، أو أُعَيظِم منهُ شيئاً، والذّكر يقال له اللحم غير أنه إذا لم تَرَ قوائمها ظَنَنْتَ أن رأسها رأسُ حيّةٍ. وتجمع: عَظاء، وثلاث عَظايات، والعَظاءَةُ: لغة فيها.

(٣) حصبها: رماها بالحصى.

(٤) كفتُّ الشيء أَكْفِتُهُ كَفْتاً، إذا ضممتَه إلى نفسك.

(٥) السفرة: ما يبسط تحت الخوان من جلد أو قماش.

(٦) آمت المرأة: فقدت زوجها وترمَّلت.

ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى وادٍ، فإذا فيه كنيسةٌ وقناديلُ، وإذا رجل مُضطجع مُعترض على بابِها، وإذا رجلٌ أبيضُ الرأس واللّحية؛ فلمّا رأى أُميَّةَ قال: إنّك لَمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبك؟ قال: من أذني اليسرى؛ قال فبأيّ الثياب يأمرُكَ؟ قال: بالسواد؛ هذا خطيب الجنّ؛ كُدْتَ واللّه أن تكونه ولم تفعل؛ إنّ صاحب النبوّة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى، ويأمرُهُ بلباس البياض؛ فما حاجتك؟ فَحَدَّثِهُ حديثَ العجوز؛ فقال: صَدَقْتَ، وليست بصادقة! هي امرأةٌ يهودية من الجنّ هَلَكَ زوجُها منذ أعوام، وإنّها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تُهلككم إنِ استطاعت؛ فقال أُميَّة: وما الحيلة؟ فقال: جَمِّعُوا ظهركم[1]، فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها: سبعٌ من فوق وسبعٌ من أسفل، باسمك اللّهُمَّ؛ فلن تضرَّكُم. فَرَجَعَ أُميَّة إليهم وقد جمَّعُوا الظّهر. فلمّا أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تضرّهم؛ فلمّا رأت الإبلَ لم تتحرّك قالت: قد عرفت صاحِبَكُم، ولِيَبيَضَّنَّ أعلاه، وليَسوَدَّنَّ أسفله؛ فأصبح أُميّة وقد بَرِصَ في عِذارَيه واسودّ أسفله؛ فلمّا قَدِموا مكة ذكروا لهم هذا الحديثَ؛ فكان ذلك أوّلَ ما كتب أهل مكة «باسمك اللّهم» في كتبهم.

[خبر الطائرين]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثنا أبو غسَّان محمد بن يحيى قال: حدَّثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عامر بن مَسعود عن الزُّهريّ قال: دَخَلَ يوماً أُميّة بن أبي الصَّلت على أخته وهي تُهّيىءُ أَدَماً لها، فأدركَهُ النومُ فنام على سرير في ناحية البيت. قالت: فانشقّ جانبٌ من السقف في البيت، وإذ بطائرين قد وَقَعَ أحدُهُما على صدرِهِ ووقفَ الآخرُ مكانَهُ، فشقَّ الواقع صدرَه فأخرجَ قلبَهُ فَشَقَّهُ؛ فقال الطائرُ الواقفُ للطائر الذي على صدره: أوَعى؟ قال: وَعى؛ قال: أقبل؟ قال: أبى، قال: فردَّ قلبَهُ في موضِعِهِ، فَنَهَضَ؛ فأتبعهما أُمَيَّةُ طرفه فقال:

لَبَّيكُما لَبَّيكُما هأنذا لديكما

[الرجز]

لا بريءٌ فأعتذر، ولا ذو عشيرةٍ فأنتصر. فَرَجَعَ الطائر فَوَقَعَ على صدره فشقَّه، ثم أخرج قلبه فشقَّه؛ فقال: الطائرُ الأعلى: أَوعى؟ فقال: وَعَى؛ قال: أقَبِل؟ قال: ؟ أبى، ونهض فأتبعهما بصرَه وقال:

(١) الظَّهْرُ: الرِّكاب تَحْمِل الأثقالَ في السَّفَر.

لَبَّيكُما لَبَّيكُما هأنذا لديكما

[الرجز]

لا مالٌ يُغنيني، ولا عشيرةٌ تَحْمِيني. فَرَجَعَ الطائرُ فَوَقَعَ على صدرِهِ فَشَقَّهُ، ثم أخرج قَلْبَهُ فَشَقَّهُ؛ فقال الطائر الأعلى: أَوَعى؟ قال: وعى؛ قال: أَقَبِل؟ قال: أبى، ونَهَضَ، فأتبعهما بصرَه وقال:

لَبَّيكُما لَبَّيكُما هأنذا لديكما

[الرجز]

محفوفٌ بالنّعم، مَحُوطٌ من الرِّيب. قال: فَرَجَعَ الطائرُ فَوَقَعَ على صدره فَشَقَّهُ وأخرج قلبه فشقّه؛ فقال الأعلى: أَوَعى؟ قال: وعى. فقال: أقبِل؟ قال: أبى، ونَهَضَ، فأتبعهما بَصَرَهُ وقال:

لَبَّيكُما لَبَّيكُما هأنذا لديكما

إن تَغْفِرِ اللَّهمَّ تغفِرْ جَمّا وأيُّ عبدٍ لَكَ لا أَلَمّا[1]

[الرجز]

قالت أختُهُ: ثم انطبق السّقف وجَلَسَ أُمَيَّةُ يَمْسَح صدرَهُ. فَقُلْتُ: يا أخي، هل تجد شيئاً؟ قال: لا، ولكنِّي أجد حَرّاً في صدري. ثم أنشأ يقول:

لَيتَني كُنتُ قَبلَ ما قَد بَدا لي في قِنانِ[2] الجِبالِ أَرعى الوعولا

[فـ]ٱجعَلِ المَوتَ نُصبَ عَينِكَ وَٱحذَر غولَةَ الدّهرِ إنّ لِلدَهرِ غُولا

[الخفيف]

[تصديق النبيّ له في شعره]

حدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال: حدَّثنا ابن حُمَيد قال: حدَّثني سَلَمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبة عن عكرمة عن ابن عبَّاس: أنَّ رسول اللَّه ﷺ صدَّق أُميّة في قوله:

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحت رِجْلِ يمينه والنَّسْر للأُخرى ولَيْثٌ مُرْصِدُ[3]

[الكامل]

---

(١) ألم: ارتكب صغار الذنوب.

(٢) ورد في بعض المصادر «رؤوس» بدل «قنان» وهما بمعنى واحد.

(٣) أورد الجاحظ في كتاب الحيوان: قد جاء في الخبر أنّ من الملائكة من هو في صورة الرِّجال، ومنهم من هو في صورة الثِّيران، ومنهم من هو في صورة النسور، ويدلُّ على ذلك تصديقُ النبي ﷺ لأميّة بن أبي الصّلت، حين أُنشِد:

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحت رِجْلِ يمينه والنَّسْر للأُخرى ولَيْثٌ مُرْصِدُ

فقال رسول اللَّه ﷺ: «صدق».

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدَّثنا عُمر بن شَبَّة قال: حدَّثني حَمَّاد بن عبد الرحمن بن الفَضْل الحَرَّانيّ قال: حدّثنا أبو يوسف ـ وليس بالقاضي ـ عن الزُّهريّ عن عُرْوة عن عائشة عن النبيّ ﷺ بمثل هذا.

[أنشد النبيّ بعض شعره فقال «إن كاد أمية ليسلم»]

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبيرُ قال: حدَّثنا جعفرُ بن الحسين اللّهبيّ قال: حدَّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال: أُنشِدَ النبيُّ ﷺ قولَ أُمَيَّة:

أَلا نَبِيٌّ لَنا مِنّا فَيُخبِرَنا ... ما بعدَ غايَتِنا مِن رأسِ مَحيانا
أَلحَمدُ لِلَّهِ مُمْسانا وَمُصْبَحَنا ... بِالخَيرِ صَبَّحنا رَبي وَمَسَّانا
رَبُّ الحَنيفَةِ لَم تَنفَدْ خَزائِنُها ... مَملَؤَةٌ طَبَّقَ الآفاقَ سُلطانا
بَينَا يُرَبِّبنا آباؤُنا هَلَكوا ... وَبَينَما نَقتَني الأَولادَ أَفنانا
وَقَد عَلِمنا لَوَ انَّ العِلمَ يَنفَعُنا ... أَن سَوفَ يَلحَقُ أُخرانا بِأولانا

[البسيط]

فقال النبيّ ﷺ: «إن كاد أُمَيَّة لَيُسْلِمُ».

[شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثني أحمد بن معاوية قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي بكر، وحدَّثنا خالدُ بن عُمارة: أنّ أُمَيَّةَ عَتَبَ على ابنٍ له فأنشأ يقولُ:

غَذوَتُكَ مولوداً وَمُنْتُكَ[1] يافِعاً ... تَعُلُّ بِما أَجْني عَلَيكَ[2] وَتَنهلُ
إذا لَيلَةٌ نابَتكَ بِالشَجو لَم[3] أَبِت ... لِشَكواكَ إلاّ ساهِراً أَتَمَلمَلُ
كَأَني أَنا المَطروقُ دونَكَ بِالَذي ... طُرِقْتَ بِهِ دوني فَعَينيَ تَهمُلُ
تَخافُ الرَّدى نَفسي عَلَيكَ وَإِنَني ... لَأَعلَمُ أَنَ المَوتَ حَتمٌ مُؤَجَّلُ

(١) ورد في ديوان الحماسة «وعُلتك» بدل «مُنتك».
(٢) أجني: أكسب، ويجوز أن يكون بمعنى أقطف.
(٣) ورد الصدر في ديوان الحماسة على الشكل التالي:
إذا لَيلَةٌ نابَتكَ بِالشَكو لَم

فَلَمّا بَلَغتَ السِّنَ وَالغايَةَ الَّتي ... إِليها مَدى ما كُنتُ فيكَ أُؤَمِلُ
جَعَلتَ جَزائي غِلظَةً وَفَظاظَةً ... كَأَنَكَ أَنتَ المُنعِمُ المُتَفَضِّلُ
[البسيط]

[محاورة في شعره]

قال الزُّبيرُ: قال أبو عمرو الشّيبانيّ: قال أبو بكر الهذليّ قال: قُلْتُ لعكرمة: ما رأيْتُ من يُبلِّغنا عن النبيّ ﷺ أنَّه قال لِأُمَيَّة: «آمَنَ شِعرُهُ وكَفَرَ قَلْبُهُ»؛ فقال: هو حقٌّ، وما الذي أنكرتم من ذلك؟ فقلت له: أنكرنا قوله:

وَالشَّمسُ تَطلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيلَةٍ ... حَمراءَ مَطلَعُ لَونِها مُتَوَرِّدُ
تأبى فَلا تَبدو لَنا في رِسلِها[1] ... إِلاّ مُعَذَّبَةً وَإِلاّ تُجلَدُ
[الكامل]

فما شأن الشمس تُجَلَدُ؟ قال: والذي نفسي بيده ما طلعت قطّ حتّى يَنْخُسَها سبعون ألفَ مَلَكٍ يقولُ لها: اطلعي؛ فتقول أأطلع على قوم يعبدونني من دون اللَّه! قال: فيأتيها شيطانٌ حين تستقبلُ الضِّياءَ يريدُ أن يَصُدَّها عن الطّلوع فَتَطْلُع على قَرْنيه، فَيُحْرِقُهُ اللَّه تحتها. وما غَرَبَتْ قطُّ إلّا خرَّت للَّه ساجدةً، فيأتيها شيطانٌ يريدُ أن يَصدَّها عن السجود، فتغرُب على قَرْنَيْه فَيُحْرِقُهُ اللَّه تحتها؛ وذلك قول النبيّ ﷺ: «تَطلُع بين قَرْنَيْ شيطان وتَغْرُب بين قرنَيْ شيطان»[2].

[تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية]

حدّثني أحمد بن محمد بن الجَعْد قال: حَدَّثنا محمد بن عبَّاد قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد أنّه سمع ابن حاضر[3] يقولُ: اختلف ابنُ عبَّاس وعمرو بن العاصي عند معاوية؛ فقال ابنُ عَبَّاس: ألا أُغَنِيكَ؟ قال بلى! فأنشده:

والشمسُ تَغرُبُ كلَّ آخرِ ليلةٍ ... في عين ذي خُلُبٍ[4] وثأطٍ حَرْمَدِ[5]
[البسيط]

---

(١) الرسل: التمهل والرفق.
(٢) حديث شريف.
(٣) اسمه عثمان بن حاضر الحميري، ويقال: الأزدي أبو حاضر القاصّ.
(٤) الخُلْبُ: الطين والحَمْأةُ، ويقال: الطينُ الصُّلْب نحو: طينٌ لازِبٌ خُلْبٌ. وفي بعض الشعر: «في ماء مُخلِب» أي صار طينه خُلْباً، قال تُبَّعٌ يصف ذا القرنين.
(٥) الثأطة: دُوَيْبَّة. والثَّأطُ: الحِرْمَدُ أو، وهو الحَمْأَة.

[أحاديثه وأحواله في مرض موته]

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا عمّي عن مُصْعب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبير قال: لمّا مَرِضَ أُمَيَّة مَرَضَهُ الذي مات فيه، جعل يقول: قد دنا أجلي، وهذه المَرْضةُ مَنِيَّتي، وأنا أعلم أنَّ الحنيفيَّة حقٌّ، ولكنَّ الشكَّ يُداخِلُني في محمد. قال: ولمّا دَنَتْ وفاتُهُ أُغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول:

لَبَّيكُما لَبَّيكُما هأنذا لديكما

[الرجز]

لا مالٌ يَفْديني، ولا عشيرةٌ تُنجيني. ثم أُغمي عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظنَّ من حضره من أهله أنّه قد قضى، ثم أفاق وهو يقول:

لَبَّيكُما لَبَّيكُما هأنذا لديكما

[الرجز]

لا برىءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم إنَّه بقي يحدِّث من حضره ساعةً، ثم أُغمي عليه مثلَ المرّتين الأولَيْن حتى يَئِسوا من حياتِهِ، وأفاق وهو يقول:

لَبَّيكُما لَبَّيكُما هأنذا لديكما

[الرجز]

محفوفٌ بالنّعم،

إن تَغْفِرِ اللَّهمَّ تغفِرْ جَمّا وأيُّ عبدٍ لَكَ لا أَلَمّا

[الرجز]

ثم أقبل على القوم فقال: قَدْ جَاءَ وقتي، فكونوا في أهبتي؛ وحدّثهم قليلاً حتَّى يَئِسَ القوم من مرضِهِ، وأنشأ يقول:

كُلُّ عَيشٍ وَإِن تَطاوَلَ دَهراً مُنتَهى أَمرِهِ إِلى أَن يَزولا
لَيتَني كُنتُ قَبلَ ما قَد بَدا لي في رُؤوسِ الجِبالِ أَرعى الوعولا
[فـ]ٱجعَلِ المَوتَ نُصبَ عَينِكَ وَٱحذَر غولَةَ الدَّهرِ إِنَ لِلدَّهرِ غولا

[الخفيف]

ثم قضى نَحْبَهُ، ولم يؤمن بالنبيّ ﷺ. وقد قيل في وفاة أُمَيَّة غيرُ هذا.

[لغة الغربان]

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: سَمِعْتُ في خبر أُمَيَّة بن أبي الصَّلتِ، حين بُعِثَ النبيّ ﷺ، أنه أخذ بِنتَيه وهَرَبَ بهما

إلى أقصى اليمن، ثم عاد إلى الطائف؛ فبينما هو يَشْرَبُ مع إخوانٍ له في قصر غَيْلان[١] بالطائف، وقد أودع ابنتيه اليمنَ وَرَجَعَ إلى بلاد الطائف، إذ سَقَطَ غُرابٌ على شرفةٍ في القصر فَنَعَبَ نَعْبَةً؛ فقال أُمَيَّة: بفيك الكَثكثُ[٢]! ـ وهو التّراب ـ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال يقول إنَّكَ إذا شربت الكأسَ التي بيدِكَ مُتَّ، فقلت: بفيك الكَثكَث. ثم نَعَبَ نَعْبَةً أخرى، فقال أُمَيَّة نحو ذلك؛ فقال أصحابُهُ: ما يقول؟ قال زعم أنّه يقع على هذه المَزْبَلَة أسفل القصر، فيستثير عظماً فَيَبْتلعُهُ فَيَشْجَى به فيموت، فقلت نحو ذلك. فوقع الغراب على المَزْبَلة، فأثارَ العظمَ فَشَجَي به فمات، فانكسر أميّة، ووضع الكأسَ من يدِهِ، وتغيّر لونُهُ. فقال له أصحابُهُ: ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً! فألحُّوا عليه حتى شَرِبَ الكأس، فمال في شِقٍّ وأُغميَ عليه ثم أفاق، ثم قال: لا بريءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم خَرَجَتْ نَفْسُهُ.

صوت

من المائة المختارة

تَبَلَتْ[٣] فُؤادَكَ في المَنامِ خَريدَةٌ ... تَشفي الضَّجيعَ بِبارِدٍ بَسّامِ[٤]

كَالمِسكِ تَخلِطُهُ بِماءِ سَحابَةٍ ... أَو عاتِقٍ[٥] كَدَمِ الذَّبيحِ مُدامِ

[الكامل]

عروضُهُ من الكامل، الشعر لحسّان بن ثابت، والغناءُ لموسى بن خارجة الكوفِيّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذَكَرَ حمَّاد عن أبيه أنّ فيه لَحناً لَعَزَّة المَيْلاء. وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور، ولا مِمَن خَدَمَ الخُلفاءَ.

---

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتّب، وكان وفد على كسرى وحاوره فأعجب به واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له هذا القصر بالطائف، فكان أوّل قصر بني بها.

(٢) الكَثْكَثُ والكِثْكِثُ: فُتاتُ الحجارة والتراب، مثل الأثْلَبِ والإثْلِبِ. يقال: بفيه الكَثْكَثُ، والكِثْكِثُ.

(٣) تبلت: اسقمت.

(٤) الخَريدَةُ من النساء: الحَيِيَّةُ؛ والجمع خَرائد وخُرُدٌ. وربما قالوا جارية خَرودٌ: أي خَفِرَةٌ. ابن الأعرابي: لُؤْلُؤَةٌ خَريدةٌ: لم تُثقَبْ. قال: وكلُّ عذراءَ خريدةٌ.

(٥) شُرْبُ العتيقِ: وهو الطلا والخمر، ويقال: هو الماءُ والخمرُ العَتيقَةُ: التي قد عُتِّقَتْ زماناً حتى عتَقَتْ.

أخبار حسّان بن ثابت ونسبه

[نسبه من قبل أبويه وكنيته]

هو حسّان بن ثابت بن المُنْذِر بن حَرام بن عمرو بن زَيد مَناة بن عَديّ بن عمرو بن مالك بن النَّجَّار، واسمه تيم اللَّه بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزْرَج بن حارثة بن ثعلبة، وهو العَنْقاء بن عمرو؛ وإنَّما سُمِّيَ العَنْقاء لطول عنقه. وعمرو هو مُزَيقِياءُ بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البِطْريق بن ثَعلبة البُهْلولُ بن مازن بن الأزْد، وهو ذرى ـ وقيل: ذراء ممدود ـ بن الغَوْثِ بن نَبْت بن مالك بن زَيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قَحْطان.

قال مُصْعَبٌ الزُّبيريّ فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير عمّه قال: بنو عديّ بن عمرو بن مالك بن النجَّار يُسمَّوْن بني مَعالة. وَمَعالة أُمّه، وهي امرأةٌ من القَيْن وإليها كانوا يُنْسَبون. وأُمّ حسَّان بن ثابت بن المُنذِرِ، الفُرَيعة بنت خالد بن قيس بن لَوْذانَ بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرَج بن ساعدة بن كَعْب ابن الخَزْرَج. وقيل: إنَّ اسم النجَّار تَيْمُ اللاّت؛ وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت:

وَأُمُّ ضِـرارٍ تَـنـشُـدُ الـنـاسَ والِـهـاً أَمـا لاِبْـنِ تَـيـمِ الـلَّـه مـاذا أَضَـلَّـتِ

[الطويل]

يعني ضِرارَ بن عبد المُطَّلِب، وكان ضلَّ فنشدتْهُ أُمُّه. وإنما سمَّاه رسول اللَّه ﷺ تَيْمَ اللَّه؛ لأنَّ الأنصار كانت تُنْسَبُ إليه، فكرِه أن يكون في أنسابها ذكرُ اللاَّت.

ويُكنى حسّانُ بن ثابت أبا الوليد[١]، وهو فحلٌ من فحول الشعراء؛ وقد قيل: إنَّه أشعرُ أهل المَدَر[٢]. وكان أحد المُعمَّرين من المُخَضْرَمين، عُمِّر مائةً وعشرين سنةً: ستّين في الجاهليّة وستِّين في الإسلام.

[عاش حسان مائة وعشرين سنة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن أبي عبُيَدْة قال: عاشَ ثابت بن

(١) ويكنى أيضاً أبا الحسام لدفاعه عن رسول اللَّه ﷺ، ويكنى أيضاً أبا عبد الرحمن، وبذي الأكلة.
(٢) المَدَرُ: اسْمُ جَبَل ووَادٍ. ويقال المدر هي المدن والحضر.

المُنذر مائةً وخمسين سنةً، وعاش حسَّان مائةً وعشرين سنة. ومما يحقّقُ ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن زُهَير قال: حدَّثني الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني محمد بن حُسين عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زُرَارَة عن حسَّان بن ثابت قال: إنِّي لغلامٌ يَفَعَةٌ ابنُ سبع سنين أو ثمانٍ، إذا بيهوديّ بِيَثْرِبَ يَصْرُخ ذات غَداةٍ: يا معشر يَهودَ؛ فلما اجتمعوا إليه قالوا: وَيلَكَ! ما لَكَ؟ قال: طَلَعَ نَجْمُ أحمدَ الذي يُولد به في هذه الليلة؛ قال: ثم أدركه اليهوديّ ولم يُؤْمِنْ بِهِ. فهذا يَدُلُّ على مدّة عمره في الجاهليّة؛ لأنَّه ذَكَرَ أنَّه أدرك ليلةَ وُلِدَ النبيُّ ﷺ، وله يَوْمَئِذٍ ثمانِ سنين، والنبيّ ﷺ بُعِثَ وله أربعون سنةً، وأقامَ بمكة ثلاثَ عشرة سنةً، فَقَدِمَ المدينةَ ولِحسَّان يومئذٍ، على ما ذكره، ستّون سنةً أو إحدى وستون سنة، وحينئذ أَسْلَمَ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن زُهَير قال: حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه قال: حدَّثني ابن أبي الزِّناد قال: عُمِّرَ حسَّانُ بن ثابت عشرين ومائة سنةٍ: ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام.

قال: أخبرني الحسن بن عليٍّ قال: أخبرني أحمد بن زُهَير قال: حدَّث سليمان بن حَرْب عن حَمَّاد بن زيد عن يَزيد بن حازمٍ عن سُليمان بن يَسَار قال: رَأَيْتُ حسَّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سَدَلَها بين عينيه.

[كان يخضِبُ شاربه وعنفقته بالحناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدَّثني عليّ بن محمد النَّوْفَلي عن أبيه قال: كان حَسَّان بن ثابت يَخضب شاربه وعَنْفَقَتَهُ[1] بالحِنَّاء، ولا يخضب سائر لحيته؛ فقال له ابنه عبد الرحمن: يا أَبَتِ، لِمَ تَفْعَلُ هذا؟ قال: لأكون كأنّي أسدٌ والغٌ في دَمٍ.

[فضل الشعراء بثلاث]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة قال: فَضَل حسَّان الشعراء بثلاث: كان شاعرَ الأنصار في الجاهليَّة، وشاعرَ النبيّ ﷺ في النبوّة، وشاعرَ اليمن كلّها في الإسلام.

---

(١) العَنْفَقَةُ: ما بين الشفة السفلى والذَّقَن منه لخفة شعرها، وقيل: العَنْفَقة ما بين الذَّقَن وطرف الشفة السفلى، كان عليها شعر أَو لم يكن، وقيل: العَنْفَقَةُ ما نبت على الشفة السفلى من الشعر؛ قال:

أَعْرِفُ منكم جُدُلَ العَواتِقِ، وشَعَرَ الأَقْفاء والعَنافِقِ

قال الأَزهري: هي شعرات من مقدّمة الشفة السفلى. ورجل بادي العَنْفَقَةِ إذا عري.

[أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر]

قال أبو عُبَيدة: وأجمعت العرب على أنّ حسَّان أشعرُ أهل المَدَر. أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن أبي عُبَيدة قال: اتَّفَقَتِ العربُ على أنَّ أشعرَ أهل المَدَر أهلُ يَثْرِب، ثم عبدُ القيس ثم ثَقيفٌ؛ وعلى أنّ أشعر أهلِ يثربَ حَسَّان بن ثابت.

[سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه فأجابه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيَّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حدَّثنا عمر بن شبَّة قال: حدَّثنا عَفَّان قال: حدَّثنا عبد الواحد بن زِياد قال: حدَّثنا مَعْمَر عن الزُّهريّ عن سعيد بن المُسَيّب قال: جاءَ حسَّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هُرَيرة، فقال: أنشدُكَ اللَّه: أَسَمِعْتَ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «أجِبْ عَنِّي» ثم قال: «اللّهمّ أيِّده بروح القدس»؟ قال أبو هريرة: اللّهمّ نعم.

[كان أحد ثلاثة عارضوا شعراء قريش]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا: حدَّثنا عُمَر بن شبَّة قال: حدَّثنا وَهْبُ بن جَرِير قال: حدَّثنا أبي قال: سَمِعْتُ محمد بن سِيرينَ، قال أبو زيد: وحدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال: حدَّثنا عَوْفُ بن محمد بن سيرين قال: كان يهجو رسول اللَّه ﷺ ثلاثةُ رَهطٍ من قريش: عبدُ اللَّه بن الزِّبَعْرَى، وأبو سُفيانَ بن الحارث ابن عبد المطَّلب، وعمرو بن العاصي[١]؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوان اللَّه عليه: أهْجُ عنّا القومَ الذين قد هَجوْنا؛ فقال عليٌّ رضي اللَّه عنه: إنْ أَذِنَ لي رسول اللَّه ﷺ فَعَلْتُ؛ فقال رجلٌ: يا رسول اللَّه، ائذن لعليّ كي يهجو عنَّا هؤلاء القومَ الذين قد هجوْنا؛ قال: «ليس هناك» أو «ليس عنده ذلك»؛ ثم قال للأنصار: «ما يَمنع القومَ الذين نَصروا رسول اللَّه ﷺ بسلاحِهم أن ينصروه بألسنتِهم؟». فقال حسّان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بِطَرَفِ لسانِهِ وقال: واللَّه ما يَسُرُّني به مِقْوَلٌ[٢] بين بُصرى وصَنْعاء؛ فقال: «كيف تهجوهم وأنا منهم»؟ فقال: إنِّي أسلُّك منهم كما تُسلّ الشَّعرةُ من العجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثةٌ من الأنصار: حسَّانُ بن ثابت، وكعبُ بن مالك، وعبدُ اللَّه بن رَوَاحة. فكان حسَّانُ وكَعْبٌ يُعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيَّام والمآثر ويُعيِّرانهم بالمَثَالِبِ، وكان عبدُ اللَّه بن رَواحة يُعيِّرهم بالكفر. قال: فكان في

(١) زاد في أسد الغابة رابعاً هو ضرار بن الخطاب.
(٢) المقول: اللسان.

ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قولَ حسَّان وكعب، وأهونُ القول عليهم قولَ ابن رواحة. فلمّا أسلموا وفَقِهوا الإسلامَ، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رَوَاحة.

[استأذن النبيّ في هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حدَّثنا عمر بن شبَّةَ قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن بكر بن حبيب السَّهْميّ قال: حَدَّثنا أبو يونس القُشَيريّ وهو حاتم بن أبي صغيرة[١] قال: حدَّثنا سِماكُ بن حَرب قال: قام حسّان أبو الحُسام فقال: يا رسول اللَّه، ائْذَن لي فيه، وأخرج لساناً له أسودَ، فقال: يا رسول اللَّه، لو شئت لَفَرَيْتُ[٢] به المزاد[٣]، ائذنْ لي فيه؛ فقال: «اذهب إلى أبي بكر فَلْيُحَدِّثك حَدِيْثَ القوم وأيّامِهم وأحسابِهم ثم أهجهم وجبريلُ معك». قال أبو زيد قال ابن وهب: وحدَّثَنا بهذا الحديث حاتمٌ عن السَّدّيّ عن البَراء بن عازِبٍ وعن سِماك بن حَرْب ـ فأنا أشكّ: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً ـ قال أبو زيد: وحَدَّثنا عليّ بن عاصم قال حدَّثنا حاتم بن أبي صَغيرة عن سِماك بن حربٍ بِنَحَوه، وزادَ فيه: فأخرج لسانه أسودَ، فوضَعُهُ على طرف أرْنَبَتِهِ، وقال: يا رسولَ اللَّه، لو شِئْتُ لفرَيْتُ به المزاد؛ فقال: «يا حسَّان وكيف وهو منّي وأنا منه»؟ قال: واللَّه لأسُلَنَّهُ منك كما يُسَلُّ الشّعرُ من العجين!، قال: «يا حسّان فأْتِ أبا بكر فإنَّه أعلمُ بأنساب القوم منك». فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول اللَّه ﷺ؛ فقال: كُفّ عن فُلانةَ واذكر فُلانةَ؛ فقال:

هَجَوتَ مُحَمَّداً فَأَجَبتُ عَنهُ ... وَعِندَ اللَّهِ في ذاكَ الجَزاءُ
فَإِنَّ أَبي وَوالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرضِ مُحَمَّدٍ مِنكُم وِقاءُ
أَتَهجوهُ وَلَستَ لَهُ بِكُفءٍ ... فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِداءُ

[الوافر]

[لما بلغ قريشاً شعره اتهموا أبا بكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن زُهَير قال: حدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال: حدَّثنا أحمد بن سُلَيمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال: لمّا أُنْشِدَت قريشٌ شعر حسَّان قالت: إنّ هذا الشَّتم ما غاب عنه ابن أبي قُحافة[٤].

---

(١) ورد هذا الاسم مضطرباً في جميع الأصول، وهو مولى بني قشير واسم أبيه مسلم، وأبو صغيرة أبو أمه وهو يروي عن عمرو بن دينار وسماك بن حرب.

(٢) فريت: شققت وقطعت.

(٣) المزاد: هي التي يحمل فيها الماء.

(٤) هو أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه.

قال الزُّبيرُ: وحدَّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مُجَمِّع عن رجلٍ من بني العَجْلان قال: لما بلغ أهلَ مكة شعرُ حسَّانَ ولم يكونوا علموا أنَّه قولُهُ، جعلوا يقولون: لقد قال أبو بكر الشِّعرَ بعدنا.

[خبره مع ابن الزبعري وضرار]

قال الزُّبيرُ: وحدَّثني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن زهير قال: حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حدَّثني محمد بن فَضَالة عن أبيه عن خالد بن محمد ابن فَضَالة عن أبيه عن خالد[١] بن محمد بن ثابت بن قَيس بن شَمَّاس قال: نَهَى عُمَرُ بن الخطّاب الناسَ أن يُنْشِدُوا شيئاً من مُناقضَةِ الأنصار ومشركي قريش، وقال: في ذلك شَتْمُ الحيّ بالميّت، وتجديدُ الضغائن، وقد هَدَمَ اللَّه أمرَ الجاهليّة بما جاء من الإسلام. فَقَدِمَ المدينةَ عبد اللَّه بن الزِّبَعْرَى السَّهمِيّ وضِرار ابن الخَطَّاب الفِهريّ ثم المُحاربيّ، فنزلا على أبي أحمد بن جَحش، وقالا له: نُحبّ أن تُرسِلَ إلى حسَّان بن ثابت حتّى يأتيك، فَنُنْشِدَهُ، ويُنْشِدُنا مما قلنا له وقال لنا. فأرسل إليه فجاءه؛ فقال له: يا أبا الوليد، هذان أخواك ابن الزِّبَعْرى وضِرارٌ قد جاءا أن يُسمِعاك وتُسمِعَهما ما قالا لك وقُلْتَ لهما؛ فقال ابن الزِّبَعْرى وضِرَارٌ: نعم يا أبا الوليد، إن شعرَك كان يُحتمل في الإسلام ولا يُحتملُ شعرُنا، وقد أحْبَبْنا أن نُسْمِعَك وتُسْمَعَنَا؛ فقال حسّان: أفتبدآن أم أبدأ؟ قالا: نَبدأُ نحنُ؛ قال: ابتَدِئا؛ فأنشداه حتى فار فصار كالمِرجَل غضباً، ثم استَوَيا على راحلتيهما يُريدان مكة؛ فَخَرَجَ حسَّان حتى دخل على عمر بن الخطّاب فقصَّ عليه قصَّتهما وقصَّته؟ فقال له عمر: لن يذهبا عنك بشيءٍ إن شاء اللَّه، وأرسل من يَرُدُّهما، وقال له عمر: لو لم تُدْرِكْهما إلّا بمكة فارْدُدْهما عليَّ؛ وخرجا فلمّا كانا بالرَّوحاء[٢] رَجَعَ ضِرارٌ إلى صاحبِهِ بِكُرْهٍ، فقال له يابن الزِّبَعْرَى: أنا أعرِفُ عُمَرَ وذَبَّهُ[٣] عن الإسلام وأهله، وأعرِفُ حسَّان وقِلَّةَ صَبْرَهُ على ما فعلنا بِهِ، وكأنِّي به قد جاء وشكا إليه ما فعلنا، فأرسَلَ في آثارِنا وقالَ لِرَسُولِهِ: أن لم تَلْحَقْهُما إلاَّ بمكة فارْدُدْهُما عليّ؛ فاربح بنا تَرْكَ العناء وأقِمْ بنا مكانَنا؛ فإن كان الذي ظَنَنْتُ فالرجوع من الرَّوْحاء أسهلُ منه من أبعدَ منها، وإن أخطأ ظَنِّي فذلك الذي نُحِبُّ ونحن من وراء المُضيّ؛ فقال ابنُ الزِّبَعْرَى: نعم ما رأيْتَ. قال: فأقاما بالرَّوحاء، فما كان إلا كَمَرِّ الطائر حتّى وافاهما رسولُ عمر فردَّهُما إليه؛ فدعا لهما بحسَّان، وعمرُ في جماعةٍ من

(١) يعتبر السند ضعيفاً، لأنه ليس في ولد محمد بن ثابت بن قيس بن شماس من يسمى خالداً.
(٢) الرَّوْحاء: موضع وقيل قصر بين مكة والمدينة.
(٣) ذبَّه: دفاعه.

أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فقال لحسّان: أَنْشدهما مما قُلْتَ لهما؛ فأنشدهما حتَّى فَرَغَ مما قال لهما فوقف؛ فقال له عمر: أَفْرَغْتَ؟ قال: نعم؛ فقال له: أَنْشداكَ في الخَلاءِ وأنشدتهما في المَلاءِ. وقال لهما عمر: إن شئتما فأَقِيما، وإن شئتما فانصرفا؛ وقال لمن حضره: إنِّي قد كُنْتُ نَهَيْتُكُم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دَفعاً للتَّضاغُن عنكم وبثِّ القبيح فيما بينكم، فأمّا إذ أَبَوا فاكتبوه، واحتفظوا بِهِ؛ فدوَّنوا ذلك عندهم. قال خلَّاد بن محمد: فأدركتُهُ واللَّه وإنَّ الأنصار لتُجدِّده عندها إذا خافت بلاه.

[شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حدَّثنا عمرُ بن شبَّة قال: حدَّثنا عَفَّان بن مُسلم قال: حدَّثنا عمران بن زيد قال: سَمِعْتُ أبا إسحاق قال في قصَّةِ حسَّان وأبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره مما قدَّمنا ذكرَهُ، وزاد فيه: فقال حسَّان فيه:

وَإِنَّ سَنامَ المَجدِ مِن آلِ هاشِمٍ ... بَنو بِنتِ مَخزوم[١] وَوالِدُكَ العَبدُ[٢]
وَمن وَلَدَت أَبناءُ زُهرَةَ[٣] مِنكُمُ ... كَريماً وَلَم يَلْحَقْ عَجائِزَكَ المَجدُ[٤][٥]
وَإِنَّ آمرَأً كانَت سُمَيَّةُ[٦] أُمَّهُ ... وَسَمراءُ[٧] مَغلوبٌ إِذا بُلِغَ الجَهدُ
وَأَنت هَجينٌ[٨] نِيطَ في آلِ هاشِمٍ[٩] ... كَما نِيطَ خَلفَ الراكِبِ القَدَحُ الفَردُ[١٠]

[الطويل]

---

(١) بنت مخزوم: يريد بها فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أم عبد اللَّه بن عبد المطلب والد الرسول ﷺ والزُّبير وأبي طالب أبناء عبد المطلب.

(٢) العبد: يريد به الحارث بن عبد المطلب وهو أبو سفيان المهجوّ وكانت أمه أمّ ولد.

(٣) يقصد الشاعر آمنة أم النبي وهالة أم حمزة وصفية، وكلتاهما ابنتا وهب بن عبد مناف بن زهرة.

(٤) يذم الشاعر في العجز أبا سفيان بأن أمهاته لسن بأحرار اذ كانت أم أبي سفيان نفسه أم ولد وأم أبيه كذلك أم ولد.

(٥) ورد البيت في ديوان حسان بن ثابت طبع ليدن على الشكل التالي:

وَما وَلَدَت أَفنَاءُ زُهرَةَ مِنكُمُ ... كَريماً وَلَم يَقرَب عَجائِزَكَ المَجدُ

(٦) سمية: هي أم الحارث بن عبد المطلب، وأبوها موهب غلام لبني عبد مناف.

(٧) سمراء: هي أم أبي سفيان المهجوّ.

(٨) الهجين من أبوه عربي وأمه ليست عربية.

(٩) نيط في آل هاشم: ألحق بهم، ونسب اليهم وليس منهم.

(١٠) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

وَكُنتَ دَعِيّاً نِيطَ في آلِ هاشِمٍ ... كَما نِيطَ خَلفَ الراكِبِ القَدَحُ الفَردُ

فقال العبَّاس: وما لي وما لحسَّان! يعني ذكره نُتيلة[١]، فقال فيها:

وَلَسْتَ كَعبَّاسٍ ولا كابن أُمِّهِ[٢] ولكن هجينٌ ليس يُورَى له زَنْدُ

[الطويل]

[أعانه جبريل في مديح النبي]

أخبرنا أحمد قال: حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثنا القَعْنبيّ قال: حدَّثنا مروان بن معاوية قال: حدَّثنا إياس السُّلميّ عن ابن بُرَيدة قال: أعانَ جبريلُ عليه السلام حسَّانَ بن ثابت في مديح النبيّ ﷺ بسبعين بيتاً.

[مَدَحَهُ النبيُ وكعباً وابن رواحة]

أخبرنا أحمد قال: حدَّثنا عمر قال: حدَّثنا محمد بن منصور قال: حدَّثنا سعيدُ بن عامر قال: حدَّثني جُويرِيةُ بنُ أسماء قال: بَلَغَنِي أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «أَمَرْتُ عبد اللَّه بن رَوَاحة فقال وأحسن، وأَمَرْتُ كعبَ بن مالك فقال وأحسن، وأَمَرْتُ حسَّانَ بن ثابت فشفى واشتفى»[٣].

[أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيده]

أخبرنا أحمد قال: حدَّثنا عمر قال: حدَّثنا أحمد بن عيسى قال: حدَّثنا ابن وهب قال: أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويَعْلى بن شَدَّاد بن أَوْس عن عائشة قالت: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقول لحسَّان بن ثابت الشاعر: «إنَّ روح القدس لا يزال يؤيّدك ما كافحت عن اللَّه عزَّ وجلَّ وعن رسول اللَّه»[٤] ﷺ.

[إستنشده النبيّ وجعل يصغي إليه]

أخبرنا أحمد قال: حدَّثنا عمر قال: حدَّثنا هَوْذَة بن خليفة قال: حَدَّثنا عوف بن محمد قال: قال النبيُّ ﷺ ليلةً وهو في سفرٍ: «أين حسَّانُ بن ثابت»؟ فقال حسَّان: لَبَّيك يا رسول اللَّه وسَعْدَيْك؛ قال: «أَحْدُ»، فَجَعَلَ يُنْشِدُ ويُصغي إليه النبيُّ ﷺ ويَسْتَمِعُ، فما زال يَسْتَمِعُ إليه وهو سائقٌ راحِلتَه حتّى كان رأسُ الراحلة يَمسُّ الوَرِك

---

(١) نتيلة بنت كلب بن مالك بن جناب أم العباس وضرار ابني عبد المطلب، وهي إحدى نساء بني النمر بن قاسط.

(٢) هو ضرار بن عبد المطلب.

(٣) صحيح مسلم ج٦ص ١٦٥.

(٤) صحيح مسلم ج٧ص١٦٥.

حتَّى فَرَغَ من نَشِيْدِهُ. فقال النبيّ ﷺ: «لهذا أشدُّ عليهم من وَقْعِ النَّبْلِ»[١] .

[انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول]

أخبرنا أحمد قال: حدَّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النَّبيل قال: أخبرنا ابن جُرَيج قال: أخبرنا زِياد بن أبي سَهل قال: حدَّثني سعيد بن المسيَّب:

[انشاد في المسجد]

إنَّ عمر مرّ بحسَّان بن ثابت وهو يُنْشِدُ في مسجد رسول اللَّه ﷺ فانتهرَهُ عمر؛ فقال حسَّان: قد أنشدْتُ فيه من هو خيرٌ منك؛ فانطلق عمر.

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا أبو داود الطَّيالِسيّ قال: حدَّثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهريّ عن سعيد بن المسيّب: أنَّ عمرَ مرَّ على حسَّان وهو يُنْشِدُ في مسجد رسول اللَّه ﷺ فذَكَرَ مثله وزاد فيه: وعلمْتُ أنّه يريدُ النبيَّ ﷺ.

أخبرنا أحمد قال: حدَّثنا عمر قال: حدَّثنا محمد بن حاتم قال: حدَّثنا شُجاع بن الوليد عن الإفريقيّ عن مُسلِم بن يَسار: أنَّ عمرَ مرَّ بحسّان وهو يُنْشِدُ الشعرَ في مسجدِ رسول اللَّه ﷺ، فأخذ بأذُنِهِ وقال: أرُغاءً كَرُغاء البعير[٢]! فقال حسَّانُ: دعنا عنك يا عمر! فواللَّه لَتَعْلَمُ أنِّي كُنْتُ أُنْشِدُ في هذا المسجدِ مَنْ هو خيرٌ مِنْكَ فلا يُغَيِّر عليّ! فَصَدَّقَهُ عمر.

[مدحه الزُّبيرُ]

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحَرَميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعةٌ غيرهم قالوا: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حدَّثنا أبو غَزيَّة محمد بن موسى قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن مُصعَب عن هشام بن عُرْوة عن فاطمة بنت المُنذر عن جَدَّتِها أسماء بنت أبي بكر قالت: مَرَّ الزُّبيرُ بن العوَّام بمجلسٍ من أصحابِ رسول اللَّه ﷺ، وحسَّان بن ثابت يُنْشِدُهُم من شعرِهِ وهم غير نِشاطٍ لِما يَسْمَعُون منه، فَجَلَسَ معهم الزُّبيرُ فقال: ما لي أراكُم غيرَ آذِنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة! فلقد كان يَعْرِض رسول اللَّه ﷺ فَيُحْسِنُ استماعَهُ ويُجْزِلُ عليه ثوابَه، ولا يَشْتَغِل عنه بشيء. فقال حسَّان:

---

(١) سنن البيهقي ج١٠ص٢٢٨.

(٢) رغا البعير، والنّاقة، يرغو رُغاء. والضَّبُعُ تَرْغو، وسَمِعْتُ رَواغيَ الإبِل، أي: رُغاءَها وأصواتَها. وأَرْغى فلانٌ بَعيرَهُ: إذا فَعلَ بِهِ فِعْلاً يَرْغو منه، لِيسمعَ الحيُّ صوته فيدعوه إلى القِرَى. وقد يُرغي صاحب الإبل إبِلَهُ باللّيل، ليَسْمَعَ ابن السّبيلِ رُغاءَها فيميل إليها . والرَّغوةُ: زبد اللبن.

أَقـامَ عَـلـى عَـهـدِ الـنَّـبـيِّ وَهَـديـهِ حَـوارِيُّـهُ[١] وَالـقَـولُ بِـالـفِـعـلِ يُـعـدَلُ
أَقـامَ عَـلـى مِـنـهـاجِـهِ وَطَـريـقِـهِ يُـوالـي وَلِـيَّ الـحَـقِّ وَالـحَـقُّ أَعـدَلُ
هُـوَ الـفـارِسُ الـمَـشـهـورُ وَالـبَـطَـلُ الَّـذي يَـصـولُ إِذا مـا كـانَ يَـومٌ مُـحَـجَّـلُ
إِذا كَشَفَت عَن ساقِها الحَربُ حَشَّها[٢] بِـأَبـيَـضَ سَـبّـاقٍ إِلـى الـمَـوتِ يَـرفُـلُ[٣]
وَإِنَّ ٱمـرَأً كـانَـت صَـفِـيَّـةُ أُمُّـهُ وَمِـن أَسَـدٍ فـي بَـيـتِـهـا لَـمُـرَفَّـلُ[٤]
لَـهُ مِـن رَسـولِ الـلَّـهِ قُـربـى قَـريـبَـةٌ وَمِـن نُـصـرَةِ الإِسـلامِ مَـجـدٌ مُـؤَثَّـلُ[٥]
فَـكَـم كُـربَـةٍ ذبَّ[٦] الـزُّبَـيـرُ بِـنَـفـسِـهِ عَـنِ الـمُـصـطَـفـى وَالـلَّـهُ يُـعـطـي فَـيُـجـزِلُ
فَـمـا مِـثـلُـهُ فـيـهِـم وَلا كـانَ قَـبـلَـهُ وَلَـيـسَ يَـكـونُ الـدَّهـرَ مـا دامَ يَـذبُـلُ[٧]
ثَـنـاؤُكَ خَـيـرٌ مِـن فَـعـالِ مَـعـاشِـرٍ وَفِـعـلُـكَ يـابـنَ الـهـاشِـمِـيَّـةِ أَفـضَـلُ

[الطويل]

[تقدم هو وكعب وابن رواحة فاختاره النبيّ]

أخبرني أحمد بن عيسى العِجْليّ قال: حدَّثنا: واصلُ بن عبد الأعلى قال: حدَّثنا ابن فضيل عن مُجالد عن الشَّعْبيّ قال: لما كان عامُ الأحزاب[٨] وردّهم اللَّه بِغَيْظِهم لم ينالوا خَيراً، قال النبيّ ﷺ: «من يَحمي أعراضَ المسلمين»؟ فقال كعب: أنا يا رسول اللَّه، وقال عبد اللَّه بن رَواحة: أنا يا رسول اللَّه، وقال حسَّان بن ثابت: أنا يا رسول اللَّه؛ فقال: «نعم اهْجُهم أنتَ فإنَّه سيُعِينُك عليهم رُوحُ القُدُس»[٩].

---

(١) حواريّ النبيّ ﷺ الزُّبيرُ بن العوام، لقوله ﷺ: «إن لكل نبيّ حوارياً وإن حواريّ الزبير».

(٢) ومن المجاز: حشّ النار: أثقبها وأطعمها الحطب، كما تحش الدابة. وحش السهم: راشه. وحش فلاناً: أصلح من حاله. وحش ماله من مال غيره: كثره به. ويقال للشجاع: نعم محش الكتيبة وهم محاش الحروب ومساعرها.

(٣) الإرقالُ: الإسراع، وأرقلت المفازة قطعتها، قال العجاج: والمُرْقِلاتِ كل سهب سملق وأرْقَلَتِ الناقة: أسرعت، وأرْقَلَ القوم في الحرب: أسرعوا فيها، قال الشاعر:

إذا استنزلوا عنهن للطعن أرْقَلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

(٤) المرفّل: المُعظم المسوّد.

(٥) مؤثل: أصيل.

(٦) ورد في الديوان «جل» بدل «ذبَّ».

(٧) يذبل: اسم جبل في بلاد نجد.

(٨) عام الأحزاب: هو العام الذي تألبت فيه قريش وغطفان وبنو قريظة على حرب النبيّ.

(٩) ابن الحجر العسقلاني، ج٧ص٣٢١.

[سَبَّهُ قومٌ في مجلس ابن عباس فدافع عنه]

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: حَدَّثنا أبو داود قال: حدَّثنا حُدَيجُ بن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جُبَيْر قال: كُنَّا عند ابن عبَّاس فجاءَ حَسَّان، فقالوا: قد جاء اللَّعينُ؛ فقال ابنُ عبّاس: ما هو بلعين؛ لقد نَصَرَ رسول اللَّه ﷺ بِلِسَانِهِ ويدِهِ.

حدَّثنيه أحمد بن الجَعْد قال: حَدَّثنا محمد بن بَكَّار قال: حَدَّثنا حُدَيجُ بن معاوية قال: حَدَّثنا أبو إسحاق عن سَعيد بن جُبَير قال: جاءَ رَجُلٌ إلى ابن عبّاس فقال: قد جاء اللعين حَسَّان من الشام؛ فقال ابن عباس: ما هو بلعين؛ لقد جَاهَدَ مع رسول اللَّه ﷺ بِلسانِهِ ونفسِهِ.

[قدم وفد تميم فأمره النبيّ أن يجيب شاعرهم]

أخبرنا أحمد قال: حدَّثنا عمر قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن عمرو وشُرَيح بن النُّعمان قالا: حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عائشة قالت: لمّا قَدِمَ وفدُ بني تميم وَضَعَ النبيّ ﷺ لحسَّان مِنْبَراً وأجلسه عليه، وقال: «إنَّ اللَّه ليؤيّد حسَّان بروح القدس ما كافَحَ عن نبيِّه»[1] ﷺ. هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مُخْتَصَراً. وأتينا به على تمامه ها هنا؛ لأنَّ ذلك حسنٌ فيه.

أخبرنا به الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن زُهَير قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثنا محمد بن الضَّحاك عن أبيه قال: قَدِمَ على النبيّ ﷺ وفدُ بني تَميم وهم سبعون أو ثمانون رَجُلاً، فيهم الأقرعُ بن حابِس، والزِّبرِقان بن بَدر، وعُطارِدُ بن حاجب، وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وانطلق معهم عُيَيْنة بن حِصْنٍ، فَقَدِموا المدينةَ، فدخلوا المسجدَ، فوقفوا عند الحُجُرات، فنادَوْا بصوتٍ عالٍ جافٍ: اخرج إلينا يا محمد؛ فقد جِئْنا لِنُفَاخِرَكَ، وقد جئنا بشاعِرنا وخطيبِنا. فَخَرَجَ إليهم رسولُ اللَّه ﷺ فَجَلَسَ. فقامَ الأقرعُ بن حابِس فقال: واللَّه إنّ مدحي لزين، وإنَّ ذمّي لَشَيْن. فقال النبيُّ ﷺ: «ذلك اللَّه». فقالوا: إنّا أكرمُ العرب؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «أكرمُ منكم يوسفُ بنُ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام». فقالوا: ائذن لشاعرنا وخطيبنا؛ فَقَامَ رسول اللَّه ﷺ فَجَلَسَ وجَلَسَ مَعَهُ الناس، فقام عُطارِدُ ابن حاجِب فقال: الحمد للَّه الذي له الفضلُ علينا وهو أهلُه، الذي جَعَلَنا ملوكاً وجعلنا أعزَّ أهل المَشرق، وآتانا أموالاً عِظَاماً نَفْعَلُ فيها المعروف، ليس في الناس مثلُنا؛ أَلَسنا برؤوس النّاس وذوي فضلهم! فمن فاخَرَنا فَلْيُعَدِّد مثل ما عَدَّدْنا، ولو نشاء لأكثرنا، ولكنّا

(١) الإمام أحمد بن حنبل، المسند ج٦ص٧٢.

نَسْتَحِي من الإكثار فيما خوّلنا اللَّهُ وأعطانا، أقول هذا، فأتوا بقولٍ أفضل من قولنا، أو أمرٍ أبيَنَ من أمرِنا، ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شَمَّاس فقال: الحمدُ للَّه الذي السماواتُ والأرضُ خَلْقُهُ، قضى فَيهِنّ أمره ووسِعَ كُرسيّه وعلمه، ولم يقضِ شيئاً إلاَّ من فَضلِهِ وقدرتِهِ؛ فكان من قدرتِهِ أن اصطفى من خَلْقِهِ لنا رسولاً أكرمَهم حسباً وأصدقَهُم حديثاً وأحسنَهم رأياً، فأنزل عليه كتاباً، وائتمنه على خلقِهِ، وكان خِيرَةَ اللَّه من العالمين. ثم دعا رسولُ اللَّه ﷺ إلى الإيمان، فأجابَهُ من قومِهِ وذوي رَحمه المهاجرون أكرمُ الناسِ أنساباً، وأصبحُ الناس وجوهاً، وأفضلُ الناس فِعالاً. ثم كان أوّل من اتّبع رسول اللَّه ﷺ من العرب واستجاب له نحن مَعْشَرَ الأنصار؛ فنحن أنصارُ اللَّه ووزراء رسوله، نقاتِلُ الناسَ حتى يُؤمِنوا ويقولوا: لا إله إلاَّ اللَّه. فمن آمن باللَّه ورسوله مَنَعَ منّا ماله ودمَهُ، ومن كَفَرَ باللَّهِ ورسولِهِ جَاهدْناه في اللَّه، وكان جهادُهُ علينا يسيراً. أقول قولي هذا، وأستغفرُ اللَّه للمؤمنين والمؤمنات.

فقام الزِّبرِقان[١] فقال:

نَحنُ الملوكُ[٢] فَلا حَيٌّ يُقَرِبنا[٣] مِنّا المُلوكُ وَفينا يُؤخَذُ الرُّبُعُ[٤]
تِلكَ المَكارِمُ حُزناها مُقارَعَةً إذا الكِرامُ عَلى أَمثالِها اْقتَرَعوا
كَم قد نُشِدْنا[٥] مِنَ الأَحياءِ كُلِّهِمُ عِندَ النِّهابِ وَفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ
ونَنحَرُ الكُومَ[٦] عُبْطاً[٧] في منازِلِنا لِلنّازِلينَ إذا ما استَطعموا شَبِعوا

(١) حصين بن بدر بن خلف بن بهدلة، من تميم من بني بهدلة بن عوف بن كعب. شاعر صحابي مخضرم، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وسمي بالزبرقان لجماله الشبيه بالقمر، وقيل لأنه كان يصبغ عمامته بالزعفران. وهو سيد من سادات قومه وأحد رؤساء تميم المشهورين. وأبوه بدر من زعماء تميم وأمه من باهلة وذكر أنها عُكلية من بني أقيش. وزوجته ذات الخمار هنيدة بنت صعصعة عمة الشاعر الفرزدق ويمتاز شعره بحسن العبارة وجودة المعنى ومتانة السبك، وقد حارب الزبرقان في صفوف جيش خالد بن الوليد وعاش إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان، توفي سنة ٤٥هـ.

(٢) ورد في الديوان «الكرام» بدل «الملوك». (٣) ورد في الديوان «يعادلنا» بدل «يقاربنا».

(٤) ورد في الديوان «تُنصَبُ البيَعُ» بدل «يؤخذ الرُّبعُ».

(٥) ورد في الديوان «وَكَم قَسَرنا» بدل «كم قد نشدنا».

(٦) ناقة كوماء، وإبل كومٌ. وعنده كومة من الطعام وغيره وكومٌ: صبر. وكوم كومةً من تراب. وكام الفرس أنثاه يكومها. وقال:

عقربة يكومها عقربان

(٧) مات عبطة إذا مات شاباً صحيحاً، واعتبطه الموت. ولحم عبيط، ويقال للجزار: أعبيط أم عارض: يراد أمنحور على صحة أو من داء.

وَنَحنُ نُطعِمُ عِندَ المحل مَا أكلوا مِنَ العَبيط إِذا لَم يظهر القَزَعُ
ونَنصرُ الناسَ تأتينا سَراتُهمُ من كلّ أوْبٍ فَتَمضي ثم تُتَّبَعُ
[البسيط]

فأرسل رسول اللَّه ﷺ إلى حسّان بن ثابت فجاء، فأمره أن يجيبه.

فقال حسان:

إِنَّ الذَّوائِبَ[١] مِن فِهرٍ[٢] وَإِخوَتَهُم قَد بَيَّنوا سُنَّةً لِلناسِ تُتَّبَعُ
يَرضى بِها كُلُّ مَن كانَت سَريرَتُهُ تَقوى الإِلَهِ وَبِالأَمرِ الَّذي شَرَعوا
قَومٌ إِذا حارَبوا ضَروا عَدُوَّهُمُ أَو حاوَلوا النَّفعَ في أَشياعِهِم نَفَعوا
سَجِيَّةٌ تِلكَ مِنهُم غَيرُ مُحدَثَةٍ إِنَّ الخَلائِقَ فاعلَمْ شَرُّها البِدَعُ
لا يَرقَعُ الناسُ ما أَوهَت أَكُفُّهُمُ عِندَ الدِّفاعِ وَلا يوهونَ ما رَقَعوا
إِن كانَ في الناسِ سَبَّاقونَ بَعدَهُمُ فَكُلُّ سَبقٍ لِأَدنى سَبقِهِم تَبَعُ
أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحيِ عِفَّتُهُم لا يَطبَعونَ[٣] وَلا يُرديهِمُ الطَّمَعُ
وَلا يَضَنُّونَ عَن جارٍ[٤] بِفَضلِهِم وَلا يَمسَّهُمُ[٥] في مَطمَعٍ طَبَعُ
يسمون للحَرب تبدو وهي كالِحةٌ[٦] إِذا الزَّعانِفُ[٧] مِن أَطفارِها خَشَعوا
لا يَفْرُحون إِذا نالوا عَدُوِّهُمُ[٨] وَإِن أُصيبوا فَلا خورٌ وَلا جُزَعُ

(١) لها ذؤابة وذوائب وهي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر.
(٢) اضرب الوتد بالفهر وهي مؤنثة وبتصغيرها سمي أبو عامر بن فهيرة. وتقول: فلان يتلصص كالفويرة، ثم يصير على الضرب كالفهيرة. وقعد يرمي في حلقه أمثال الأفهار أي يدهور اللقم. وكأنهم اليهود خرجوا من فهرهم وهو مدراسهم تعريب بهر بالعبرانية. ونهى رسول اللَّه ﷺ عن الفهر وهو أن يخالط إحدى جاريتيه وينزل مع الأخرى.
(٣) في الديوان «يطمعون» بدل «يطبعون».
(٤) في الديوان «مولى» بدل «جار».
(٥) في الديوان «يُصيبُهُمُ» بدل «يمسَّهم».
(٦) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:
نَسمو إِذا الحَربُ نالَتنا مَخالِبُها
(٧) زعنف: اجتمع الصميم والزعانف وهم الأدعياء وهي في الأصل أطراف الأديم وأجنحة السمك.
(٨) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:
لا فُرُحٌ إِن أَصابوا مِن عَدُوِّهِمُ

كَـأَنَّهُـم فـي الـوَغـى وَالـمَـوتُ مُـكـتَـنِـعٌ[١] أُسْـدٌ بِـبـيـشَـةَ[٢] فـي أَرسـاغِـهـا فَـدَعُ[٣]
خُـذ مِـنـهُـمُ مـا أَتـى عَـفـواً وإن مَـنَـعـوا[٤] فـلا يَـكُـن هَـمُّـكَ الأَمـرَ الَّـذي مَـنَـعـوا
فَـإِنَّ فـي حَـربِـهِـم فَـاتـرُكْ عَـداوَتَـهُـم سُـمّاً يُـخاضُ[٥] عَـلَـيهِ الصَّـابُ وَالسَّـلَـعُ[٦]
أَكـرِمْ بِـقَـومٍ رَسـولُ الـلَّـهِ قـائِـدُهُـم إِذا تَـفَـرَّقَـتِ الأَهـواءُ وَالـشِّـيَـعُ
أَهـدَى لَـهُـم مِـدَحـي قَـلـبٌ يُـؤازِرُهُ فـيـمـا أراد لِـسـانٌ حـائِـكٌ صَـنَـعُ
فَـإِنَّـهُـم أَفـضَـلُ الأَحـيـاءِ كُـلِّـهِـمُ إِن جَـدَّ بِـالـناسِ جِـدُّ الـقَـولِ أَو شَـمِـعـوا[٧]

[البسيط]

فقام عطارد بن حاجب[٨] فقال:

أَتَـيْـنَـاكَ كَـيـمـا يَـعْـلَـمَ الـنـاسُ فَـضْـلَـنـا إذا اجـتـمـعـوا وقـت احـتـضـارِ الـمـواسـم
بـأنّـا فـروعُ الـنـاس فـي كـلِّ مَـوْطِـنٍ وأن لـيـس فـي أرض الـحـجـاز كـدارم[٩]

[الطويل]

فَقَامَ حَسَّان بن ثابت فقال:

مَـنَـعْـنَـا رسـولَ الـلَّـه مـن غَـضَـبٍ لـه عـلـى رغـم أنـفٍ مـن مَـعَـدٍّ وراغـم[١٠]

---

(١) المكتنع: الداني القريب.
(٢) بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن، على خمس مراحل من مكة، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد.
(٣) الفدع: عَوَجٌ في المفاصل، كأنها، قد زالت عن مواضعها، وأكثر ما يكون في الأرساغ خلقة أو داء، كأنّه لا يستطيع بسطه. وكلُّ ظليمٍ أفدعُ لإعوجاجٍ في مفاصله.
(٤) في الديوان «غضبوا» بدل «منعوا».
(٥) يخاض: يخلط.
(٦) الصاب والسلع: ضربان من الشجر مرّان ويقال هما سامان.
(٧) شمعوا: ما نلعب به ونمرح.
(٨) عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد اللَّه بن دارم التميمي وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم وأنشده:

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأنا فروع الناس في كل موطنٍ وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

(٩) ينسب هذا الشعر في سيرة ابن هشام للزبرقان بن بدر.
(١٠) ورد هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:

نَصَرنا وَآوَينا النَّبِيَّ مُحَمَّداً عَلى أَنفِ راضٍ مِن مَعَدٍّ وَراغِمِ

هَلِ المَجدُ إلاّ السُّؤدَدُ العَودُ[١] وَالنَدى وَجاهُ المُلوكِ وَاحتِمالُ العَظائِم

[الطويل]

[إسلام وفد تميم وإكرام النبيّ لهم]

قال: فقال الأقرَعُ بن حابس: واللَّه إنَّ هذا الرجل لمُؤتًى[٢] له! واللَّه لشاعرُه أشعرُ من شاعرِنا، ولَخَطِيْبُهُ أخطبُ مِنْ خطيبنا، ولأصواتهم أرفعُ من أصواتِنا! أعْطِني يا محمد، فأعطاه. فقال: زِدْني فَزَادَهُ. فقال: اللّهُمّ إنّه سَيِّد العرب؛ فنزلت فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]. ثم إنَّ القوم أسلموا، وقاموا عند النبي ﷺ يتعلَّمون القرآن، ويتفقّهون في الدّين؛ ثم أرادوا الخروجَ إلى قومِهم، فأعطاهم رسولُ اللَّه ﷺ وكساهم، وقال: «أما بَقِيَ مِنْكُم أحدٌ؟»، وكان عمرو بن الأهْتَم في ركابِهم، فقال قيس ابن عاصم، وهو من رَهْطِهِ وكان مُشَاحِناً له، لم يَبْقَ منّا أحدٌ إلاّ غلامٌ حديثُ السنّ في ركابِنا؛ فأعطاه رسولُ اللَّه ﷺ مِثلَ ما أعطاهم.

[مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم]

فبلغ عَمْراً ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتم[٣] لقيس:

ظَلَلتَ مُفترِش الهَلباء[٤] تَشتُمني عِندَ الرَّسولِ فَلَم تَصدُق وَلَم تُصِبِ
إن تُبغِضونا فَإنَّ الرُّومَ أَصلُكُمُ وَالرُّومُ لا تَملِكُ البَغضاءَ لِلعَرَبِ
فَإن سُؤدُدَنا عَودُ وَسُؤدُدَكُم مُؤَخَرٌ عِندَ أَصلِ العَجبِ وَالذَّنَبِ

[البسيط]

فقال له قيس:

لولا دفاعي كُنتُمُ أعبداً داركُم الحيرة والسَّيلَحونْ[٥]

[السريع]

---

(١) العود: القديم. (٢) مؤتى: مسدد ومسهل وميسر.

(٣) عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر، من بني تميم. أحد السادات والشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام وسمي أبوه سنان بالأهتم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم أسنانه وقيل هتمت أسنانه أثناء القتال في يوم الكلاب الثاني (أحد أيام العرب في الجاهلية). عاش عمرو في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وهو أحد الصحابة الشعراء المجيدين. قيل إنه وفد على الرسول مع بني تميم في السنة ٩ هـ وكان صغير السن وشارك في فتح بلاد فارس وكان في جيش الحكم بن أبي العاص. وتوفي عمرو في خلافة معاوية بعد أن عمّر وشاخ سنة ٥٧هـ.

(٤) الهلباء: المؤخرة أو الإست.

(٥) السَيلَحون: مدينة كانت باليمن على لفظ الجمع وربما اعربوا نونها.

[شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا: حَدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: حدَّثني عمر بن عليّ بن مُقدَّم عن يحيى بن سَعيد عن أبي حيَّان التَّيْميّ عن حَبيب ابن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدَّثنا محمد بن عبد اللَّه بن الزُّبير قال: حَدَّثنا مِسْعَرٌ عن سعد بن إبراهيم، قالوا: قال حسَّان بن ثابت للنبيّ ﷺ:

صوت

شَهِدتُ بِإذنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّداً ... رَسولُ الَّذي فَوقَ السَّماواتِ مِن عَلُ
وَأَنَّ أَخا الأَحقافِ[1] إذ يَعذِلونَهُ ... يقومُ بدينِ اللَّهِ فيهم فيعدِلُ
وَأَنَّ أَبا يَحيى[2] وَيَحيى كِلَيهِما ... لَهُ عَمَلٌ في دينِهِ مُتَقَبَّلُ
وَأَنَّ الَّذي عادى اليَهودُ ٱبنَ مَريَم ... رَسولٌ أَتى مِن عِندِ ذي العَرشِ مُرسَلُ
وَأَنَّ الَّذي بِالجزعِ[3][4] مِن بَطنِ نَخلَةٍ ... وَمَن دونَها فِلٌّ[5] مِنَ الخَيرِ مَعزِلُ

[الطويل]

ـ غَنَّى في هذه الأبيات معبدٌ خفيفَ ثَقَيلٍ أوّل بالبنصر من رواية يونس وغيره ـ فقال النبيّ ﷺ: «أنا أشهد معك».

[أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال: حدّثنا زُهيرُ بن حرب قال: حَدَّثني جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العجليّ قال: حَدَّثنا سُفيان بن وكيع قال: حَدَّثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق قال: دَخَلْتُ على عائشة وعندها حَسَّان وهو يرثي بنتاً[6] له، وهو يقول:

---

(١) هو هود عليه السلام.
(٢) يعنى به زكريا بن عمران عليه السلام.
(٣) ورد في بعض المصادر «بالسد» بدل «بالجزع».
(٤) الجزع: قرية عن يمين الطائف وأخرى عن شماله.
(٥) الفِلُّ: الأرض التي لم تُمطر ولا نبات بها. يقال: أفْلَلْنا، أي صِرنا في فِلٍّ من الأرض.
(٦) القصيدة في ديوانه، ولكن لا يوجد فيها شيء من الرثاء بل هي في مدح عائشة والاعتذار عما رماها به هو وغيره من الكذب والتجني، وهي غير القصيدة التي رثى بها ابنته وإن كانت على قافيتها.

رَزانٌ حَصانٌ ما تُزِنُّ بِريبَةٍ وَتُصبِحُ غَرثى[١] مِن لُحومِ الغَوافِلِ
[الطويل][٢]

فقالت عائشة: لكن أنت لَسْتَ كذلك؛ فقلت لها: أَيَدْخُل عليك هذا وقد قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾! [النور: ١١]، فقالت: أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره!

[أُخْبِرَ بوقعة صفين قبل وقوعها]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكيع قال: حَدَّثنا إسماعيلُ بن إسحاق القاضي قال: حَدَّثنا ابنُ أبي أويس قال: حدّثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حَدَّثاني جميعاً عن الرَّبيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال: بينا نحن جلوسٌ عند حَسَّان بن ثابت، وحسَّان مضطجعٌ مُسنِدٌ رجليه إلى فارعٍ[٣] قد رفعهما عليه، إذ قال: مَهْ! أما رأيتم ما مَرَّ بكم الساعةَ؟ قال مالك: قلنا: لا واللَّه، وما هو؟ فقال حسّان: فَاخِتَةٌ[٤] مَرَّتِ الساعةَ بيني وبين فارع فَصَدَمَتْني، أو قال: فزحمتني؛ قال: قلنا: وما هي؟ قال:

سَتَأتيكُمُ غَدواً أَحاديثُ جَمَّةٌ فَأَصغوا لَها آذانَكُم وَتَسَمَّعوا
[الطويل]

---

(١) الغَرَثُ: الجُوْعُ، والنَّعْتُ غَرْثانُ وغَرْثى وغَرَاثِيْنُ. وجارِيَةٌ غَرْثى الوِشَاح. والمعنى في البيت: أي أنها تصبح جائعة من لحوم البشر والمراد انها لا تغتابهم.

(٢) ورد البيت على الشكل التالي في الديوان:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزِنُّ بِريبَةٍ وَتُصبِحُ غَرثى مِن لُحومِ الغَوافِلِ

امرأة رَزانٌ: ذات وقار وعَفاف، ورجل رزين: وقور. وامرأة حصان بفتح الحاء: عفيفة بينة الحصانة.

(٣) فارع: اسم أطم، وهو حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت.

(٤) الفاخِتةُ: واحدة الفَواخِتِ، وهي ضَرْبٌ من الحَمام المُطَوَّق. قال ابن بري: ذكر ابن الجَوالِيقيِّ أَن الفاختة مشتقة من الفَخْتِ الذي هو ظِلُّ القَمَر. وفَخَّتَتِ الفاختةُ: صَوَّتَتْ. وتَفَخَّتَت المرأَةُ: مَشَتْ مِشْية الفاختة. الليث: إذا مشَت المرأَة مُجْنِحةً، قيل: تَفَخَّتَتْ تَفَخُّتاً؛ قال: أَظنُّ ذلك مُشْتَقّاً من مَشْي الفاختة، وجمع الفاخِتةِ فَواخِتُ. قوله مُجْنِحةً إذا تَوَسَّعَتْ في مَشْيِها، وفرَّجَتْ يَدَيْها من إِبْطَيْها. والفَخْتُ: ضَوْءُ القمر أَوَّلَ ما يَبْدُو، وعَمَّ به بعضُهم؛ يقال: جَلَسْنا في الفَخْت؛ وقال شمر: لم أَسمع الفَخْتَ إِلّا ههنا. قال أَبو إِسحق: قال بعض أَهل اللغة: الفَخْتُ، لا أَدْرِي اسْمُ ضَوْئه، أَم اسمُ ظُلْمته. واسمُ ظُلْمة ظِلِّه على الحقيقة: السَّمَر؛ ولهذا قيل للمتحدّثين ليلاً: سُمَّار؛ قال أَبو العباس: الصواب فيه ظِلُّ القمر. قال بعضهم: الصواب ما قاله، لأَن الفاخِتَةَ بلَوْنِ الظِّلِّ، أَشْبَهُ منها بلَوْنِ الضَّوْء.

قال مالك بن أبي عامر: فَصَبَحنا من الغد حديثُ صِفّين.

[سمعه المغيرة ينشد شعراً فبعث إليه بمال]

أخبرنا وكيع قال: حَدَّثنا اللّيثُ بن محمد عن الحَنظَليّ عن أبي عَبدة عن العَلاء بن جَزء العَنبريّ قال: بَينا حسّانُ بن ثابت بالخَيْف وهو مكفوفٌ، إذ زَفر زفرةً ثم قال:

وَكَأَنَّ حافِرَها بِكُلِّ خَميلَةٍ(١) صاعٌ يَكيلُ بِهِ شَحيحٌ(٢) مُعدِمُ
عاري الأَشاجِعِ(٣) مِن ثَقيفٍ أَصلُهُ عَبدٌ وَيَزعُمُ أَنَّهُ مِنْ يَقْدُم(٤)

[الكامل]

قال: والمُغيرة بن شُعبة جالسٌ قريباً منه يَسْمَعُ ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فقال: من بعث بهذا؟ قال(٥): المغيرة بن شعبة سَمِعَ ما قُلْتَ؛ قال: واسوءتاه! وقَبِلها.

[إستجار الحارث بن عوف من شعره بالنبي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بنُ شَبَّة قال: حَدَّثني الأصمعيّ قال: جاء الحارث بن عَوْف بن أبي حارِثة إلى النبيّ ﷺ فقال: أجِرني من شعر حسَّان، فلو مُزِجَ البحرُ بِشعرِهِ لمَزَجَه. قال: وكان السببُ في ذلك ـ فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبَّة عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهير قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني عمّي مصعب ـ أنَّ الحارث بن عوف أتى رسولَ اللَّه ﷺ فقال: ابعث معي من يدعو إلى دِينك وأنا له

(١) الخَمِيلة: المُنْهَبَط الغامض من الرّمْل، وقيل: الخَمِيلة مَفْرَج بين هَبْطة وصلابة وهي مَكْرَمة للنبات، وقيل: الخَمِيلة رمل ينبت الشجر، وقيل: هي مُسْتَرَقُّ الرَّمْلة حيث يذهب مُعْظَمها ويبقى شيء من لَيِّنها. والخَمِيلة: الشجر الكثير المجتمع الملتفُّ الذي لا يرى فيه الشيء إذا وقع في وَسَطه، وقيل: الخَمِيلة كل موضع كثر فيه الشجر حيثما كان.

(٢) ورد في الديوان «صحيح» بدل «شحيح».

(٣) الأشجاع: الأَشْجِعُ في اليد والرجل: العَصَبُ الممدودُ فوق السُّلامى من بين الرُّسْغ إلى أُصول الأَصابع التي يقال لها أَطنابُ الأَصابع فوق ظهر الكف، وقيل: هو العظم الذي يَصل الإِصْبَعَ بالرُّسْغ لكل إِصبع أَشْجَع، واحتج الذي قال هو العصب.

(٤) يقدم: أبو قبيلة، وهو يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، والبيت فيه إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ.

(٥) لعلّ من الأصوب القول «قيل» أو «قالوا».

جارٌ؛ فأرسل معه رَجُلاً من الأنصار. فَغَدَرَتْ بالحارث عشيرتُهُ فقتلوا الأنصاريّ، فَقَدِمَ الحارثُ على رسول اللَّه ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنِّبُ أحداً في وجهه، فقال: «ادعوا لي حسّان»، فَدُعي له، فلمّا رأى الحارثَ أنشدَهُ:

يا حارِ مَن يَغدِر بِذِمَّةِ جارِهِ ... مِنكُم فَإِن مُحَمَّداً لَم يَغدُرِ
إِن تَغدِروا فَالغَدرُ مِنكُم شيمَةٌ ... وَالغَدرُ يَنبُتُ في أُصولِ السَّخبَرِ(١)

[الكامل]

فقال الحارث: اكفُفَه عنِّي يا محمد، وأؤدّي إليك دِيةَ الخفارة(٢)؛ فأدَّى إلى النبيّ ﷺ سبعين عُشَراءَ(٣)، وكذلك دِيَةُ الخفارة، وقال: يا محمد، أنا عائذٌ بك من شرِّهِ، فلو مُزِجَ البحر بشعره مزجه.

[أنشد شعراً بلغ النبي فآلمه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني إبراهيم ابن المُنْذِر قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن وهب قال: أخبرنا العَطَّاف بن خالد قال: كان حسَّانُ بن ثابت يجلس إلى أُطُمِه فارع، ويجلس معه أصحابٌ له ويَضَعُ لهم بِساطاً يجلسون عليه؛ فقال يوماً، وهو يرى كَثرةَ مَن يأتي إلى النبيّ ﷺ من العرب فَيُسلِمُون:

أَرى الجلابيب(٤) قَد عزّوا وَقَد كَثَروا ... وَٱبنُ الفُرَيعَةِ أَمسى بَيضَةَ البَلَدِ(٥)(٦)

[البسيط]

---

(١) السَّخْبَرُ: شجر إذا طال تدلت رؤُوسه وانحنت، واحدته سَخْبَرَة، وقيل: السخبر شجر من شجر الثُّمام له قُضُب مجتمعة وجُرْثُومة.

(٢) الخفارة: الذمام.

(٣) العشراء من النوق التي مضى على حملها عشرة أو ثمانية أشهر.

(٤) قال البكري في التنبيه: «كان المنافقون يسمون المهاجرين بالجلابيب» ويقصدون بهذا الكلام: «سفلة الناس».

(٥) البلد، أدحي النعام والنعام تترك بيضها. يضرب لمن لا يعبأ به. ويجوز أن يراد به المدح، أي هو واحد البلد الذي يجتمع إليه ويقبل قوله؛ وأنشد ثعلب لامرأة ترثي عمرو بن عبد ود حين قتله عليّ رضي اللَّه عنه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديماً ببيضة البلد

(٦) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

أَمسى الخَلابيسُ قَد عُزّوا وَقَد كَثَروا ... وَٱبنُ الفُرَيعَةِ أَمسى بَيضَةَ البَلَدِ

والخلابيس هم الأخلاط من كلِّ وجه.

فبلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ، فقال: «من لي بأصحاب البساط بفارع؟»[١]. فقال صفوانُ بن المُعطَّل: أنا لك يا رسول اللَّه منهم؛ فَخَرَجَ إليهم فاخترط سيفَهُ، فلمّا رأوْه عَرَفوا الشرَّ في وجهه ففرّوا وتبدّدوا، وأدركَ حسَّانَ دَاخِلاً بيتَهُ، فضربَهُ وفَلَقَ أليتَهُ. قال: فبلغنا أنَّ النبيَّ ﷺ عَوَّضه وأعطاه حائطاً[٢]، فباعَهُ من معاوية بعد ذلك بمالٍ كثير، فبناه معاويةُ قصراً، وهو الذي يقال له: «قصرُ الدّارين». وقد قيل: إنّ صفوانَ بن المُعطَّل إنَّما ضَرَبَ حسَّانَ لما قاله فيه وفي عائشة زوجِ النبيِّ ﷺ من الإفك[٣]؛ لأن صفوانَ هو الذي رمى أهلُ الإفك عائشةَ به.

وأخبرنا محمد بن جرير قال: حَدَّثنا محمد بن حُمَيد قال: حَدَّثنا سَلمة عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة قال: اعترض صفوانُ بن المعطَّل حسَّانَ بن ثابت بالسّيف لما قَذَفَهُ به من الإفك حين بلغه ما قاله. وقد كان حسَّانُ قال شعراً يُعرّض بابن المعطَّل وبمن أسلم من العرب من مُضَرَ فقال:

أَمسى الجلابيب قَد عزّوا وَقَد كَثَروا ... وَٱبنُ الفُرَيعَةِ أَمسى بَيضَةَ البَلَدِ
قَد ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَن كُنتُ صاحِبَهُ ... أَو كانَ مُنتَشِباً في بُرثُنِ الأَسَدِ
ما لِلقَتيلِ الَّذي أَعدو فَآخُذُهُ ... مِن دِيَةٍ فيهِ أُعطيها وَلا قَوَدِ[٤]
ما البَحرُ حينَ تَهُبُّ الريحُ شامِيَةً[٥] ... فَيَغطَئِلُّ[٦] وَيَرمي العِبرَ بِالزَّبَدِ
يَوماً بِأَغلَبَ مِنّي حينَ تُبصِرُني ... بالسيف أَفري كَفَرْيَ العارِضِ البَرِدِ

[البسيط]

فاعترضه صفوانُ بن المعطَّل بالسيف فضربه وقال:

تلقّ ذُبابَ السَّيفِ عَنِّي فإنّني ... غُلامٌ إذا هُوجيتُ لَست بشاعر

[الطويل]

[قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل لضربه له]

وحدَّثنا محمد بنّ جرير قال حدَّثنا ابن حُمَيد قال: حدّثنا سَلمة عن محمد بن

(١) حديث شريف.
(٢) الحائط: البستان.
(٣) المقصود حديث الإفك، الذي تخرصه قوم على عائشة رضي اللَّه عنها، وكان ذلك عقب غزوة غزاها النبي ﷺ.
(٤) القود: العقاب والقصاص.
(٥) ورد في الديوان «شاملة» بدل «شامية».
(٦) يغطئل: ركب بعضه فوق بعض.

إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ: أنّ ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس أخا بَلْحارث بن الخزرج وثب على صفوان بن المعطَّل في ضَربِهِ حسَّان فجمع يديه على عُنقِهِ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخَزْرج، فَلَقِيَهُ عبد اللَّه بن رَوَاحة فقال: ما هذا؟ فقال: ألا أُعَجِّبُكَ! ضَرَبَ حسَّان بالسيف! واللَّه ما أراه إلّا قد قَتَلَهُ؛ فقال له عبد اللَّه بن رَوَاحة: هل عَلِمَ رسول اللَّه ﷺ بشيءٍ من هذا؟ قال: لا واللَّه؛ قال: لقد اجترأتَ! أطلقِ الرجلَ، فأطلقه. ثم أتَوا رسول اللَّه ﷺ فَذُكِرَ ذلك له، فدعا حسّان وصفوان بنَ المعطَّل؛ فقال ابنُ المعطّل: يا رسول اللَّه، آذاني وهجاني فضربتُهُ. فقال رسول اللَّه ﷺ لحَسَّان: «يا حسَّان أتعيب على قومي أن هداهم اللَّه عزّ وجلّ للإسلام!»، ثم قال: «أحسن يا حسّان في الذي أصابك». قال: هي لك يا رسول اللَّه.

[إيراد ما تقدم برواية أخرى مفصلة]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: حَدَّثني المدائنيّ قال: حَدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حَدَّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يَسارٍ عن بعض رجال بني النَّجّار بمثل ذلك، وزاد في الشعر الذي قاله حسان زيادةً، ووافقه عليها مُصعب الزُّبيريّ، فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ، قال: قال حدَّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال: حدّثني عمي مصعب في القصَّة، فذكر أنّ فِتْيَةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولهم، فَغَضِبَ من ذلك حسّان فقال هذا الشعر.

وذكر الزُّهريُّ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعْد، قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيَّبي قال: حَدَّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عُقْبة عن ابن شهاب الزُّهريّ أنّ هذا الخبر كان بعد غزوة النبيّ ﷺ بني المصطلق[1]. قال: وكان في أصحاب رسول اللَّه ﷺ رجلٌ يقال له: سِنَان[2]، ورجل من بني غفار يقال له: جَهْجَاه[3]؛ فخرج جَهْجاهٌ بفرسٍ لرسول اللَّه ﷺ وفرسٍ له يومئذ يسقيهما، فأوردهما الماء، فوجد على الماء فِتْيَةً من الأنصار، فتنازعوا فاقتتلوا؛ فقال عبد اللَّه بن أُبَيّ بن سَلُول: هذا ما جَزَونا به، آويناهم ثم هم يقاتلوننا! وبَلَغَ حَسَّانَ بن ثابت الذي بين

(١) بنو المُصطلق، واسمه جَذِيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة، وسمِّي المصطَلِق لحسُن صوته، كأنَّه مفتعِل من الصَّلْق. والصَّلْق: شدّة الصَّوت وحِدّته، وهم بطن من خزاعة.

(٢) سنان: هو وسنان بن وبر الجهني بن عوض بن الخزرج.

(٣) جهجاه: هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري من أهل المدينة.

جَهجاه وبين الفِتية الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول اللَّه ﷺ في الإسلام ـ وهذا الشعر من رواية مُصعب دون الزُّهريّ ـ:

أَمسى الجلابيبُ قَد عزّوا وَقَد كَثَروا ... وَٱبنُ الفُرَيعَةِ أَمسى بَيضَةَ البَلَدِ
يَمشونَ[١] بِالقَولِ سِرّاً في مُهادَنَةٍ ... تَهدُّداً لَيَّ كَأَنّي لَستُ مِن أَحَدِ
قَد ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَن كُنتُ صاحِبَهُ ... أَو كانَ مُنتَشِباً في بُرثُنِ الأَسَدِ
ما لِلقَتيلِ الَّذي أَسمو فَأَقتلهُ[٢] ... مِن دِيَةٍ فيهِ أعطيها وَلا قَوَدِ
ما البَحرُ حينَ تَهُبُّ الريحُ شامِيةً ... فَيَغطَئِلُّ وَيَرمي العِبرَ بِالزَّبَدِ
يَوماً بِأَغلَبَ مِنّي حينَ تُبصِرُني ... أَفرى مِنَ الغَيظِ فَريَ العارِضِ البَرِدِ
أَمّا قُرَيشٌ فَإِنّي لَستُ تارِكَهُم ... حَتّى يُنيبوا مِنَ الغِيّاثِ لِلرَّشَدِ
وَيَترُكوا اللّاتَ وَالعُزّى بِمَعزِلَةٍ ... وَيَسجُدوا كُلُّهُم لِلواحِدِ الصَّمَدِ
وَيَشهَدوا أَنَّ ما قالَ الرَّسولُ لَهُم ... حَقٌّ وَيُوفوا بِعَهدِ اللَّه في سَدَدِ[٣]
أبلغ بنيّ بِأَنّي قَد تَرَكتُ لَهُم[٤] ... مِن خَيرِ ما تَرَكَ الآباءُ لِلوَلَدِ
ألدارُ واسِطَةٌ وَالنَّخلُ شارِعَةٌ ... وَالبيضُ يَرفُلنَ في القَسِّيِّ[٥] كَالبَرَدِ

[البسيط]

قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: «يا حسان نَفِسْتَ[٦] عليَّ إسلامَ قومي»[٧] وأغضبه كلامُهُ. فغدا صفوان بن المعطَّل السُّلميّ على حسَّان فضربه بالسيف. وقال صفوان:

تلقّ ذُبابَ السَّيفِ عَنّي فإنّني ... غُلامٌ إذا هُوجيتُ لَستُ بشاعر

[الطويل]

---

(١) ورد في الديوان «يرمون» بدل «يمشون».
(٢) ورد في الديوان «أغدوا فآخذه» بدل «اسمو فأقتله».
(٣) ورد في الديوان: «الواحِدِ الأَحَدِ» بدل «اللَّه في سَدَدِ».
(٤) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:
بَلِّغ عُبَيداً بِأَنّي قَد تَرَكتُ لَهُ
والسدد: القصد.
(٥) القسّيّ وهي جنس من ثياب كتّان فيها حرير تجلب من مصر منسوب إلى القسّ قرية على ساحل البحر، وقيل: هو القزّيّ، وقيل: نسب إلى القسّ وهو الصقيع لنصوع بياضه.
(٦) نفس عليه: أي لم يَبْخَلْ عليهنَّ بتَحْسِيْنِ صُوَرِهِنَّ. يقال: نَفِسْتُ عليكَ الشَّيْء: إذا لم تَطِبْ نَفْسُكَ له به. ونَفِسْتُ به عن فلان: كقَوْلهم: بَخِلْتُ به عليك وعنه، ومنه قوله تعالى ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾.
(٧) حديث شريف.

فوثَبَ قومُهُ على صفوان فحبسوه، ثم جاؤوا سعدَ بنَ عُبادة بن دُلَيم بن حارثة ابن أبي حَزيمة[١] بن ثَعلبة بن طريف بن الخَزْرَج بن ساعدة بن كَعب بن الخَزْرَج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهو مقبلٌ على ناضِحِه بين القِرْبَتَين، فذكروا له ما فعل حسّان وما فعلوا؛ فقال: أشاوَرْتُم في ذلك رسول اللَّه ﷺ؟ قالوا لا، فَقَعدَ إلى الأرض، وقال: وانقطاعَ ظَهْرَاه! أتأخذون بأيديكم ورسولُ اللَّه ﷺ بين ظهرانَيْكم! ودعا بصفوان فأتي به، فكساه وخلّاه. فجاء إلى النبيّ ﷺ؛ فقال له رسول اللَّه ﷺ: «من كساك كساه اللَّه»[٢]. وقال حسّان لأصحابه: احملوني إلى رسول اللَّه ﷺ أترضَّاه ففعلوا؛ فأعرض عنه رسول اللَّه ﷺ، فردّوه. ثم سألهم فحملوه إليه الثانية؛ فأعرض عنه رسول اللَّه ﷺ، فانصرفوا به؛ ثم قال لهم: عُودوا بي إلى رسول اللَّه ﷺ؛ فقالوا له: قد جئنا بك مرَّتين كلّ ذلك يُعْرِض فلا نُبْرِمُهُ[٣] بك. فقال: احملوني إليه هذه المرّة وحدَها، ففعلوا. فقال: يا رسول اللَّه، بأبي أنت وأُمّي! احفظ قولي:

هَـجَـوتَ مُـحَـمَّـداً فَـأَجَـبـتُ عَـنـهُ وَعِـنـدَ الـلَّـهِ فـي ذاكَ الـجَـزاءُ
فَـإِنَّ أَبـي وَوالِـدَهُ وَعِـرضـي لِـعِـرضِ مُـحَـمَّـدٍ مِـنـكُـم وِقـاءُ

[الوافر]

فرضي عنه رسول اللَّه ﷺ ووهب له سيرينَ أخت مارية أمّ ولد رسول اللَّه ﷺ إبراهيم. هذه رواية مُصعب. وأما الزُّهريُّ فإنّه ذكر أنّ رسول اللَّه ﷺ لمّا بلغه ضَربُ السُّلَميّ حسَّانَ قال لهم: «خذوه فإن هلك حسَّان فاقتلوه»؛ فأخذوه فأسروه وأوثقوه؛ فبلغ ذلك سعدَ بن عُبادة، فخرج في قومه إليهم فقال: أرسِلوا الرجل، فأبوا عليه؛ فقال: أعمدتم إلى قوم رسول اللَّه ﷺ تؤذونهم وتشتمونهم وقد زعمتم أنّكم نصرتموهم! أرسلوا الرجل؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ، ثم أرسلوه؛ فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حُلَّةً، ثم أرسله سعدٌ إلى أهله؛ فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ دخل المسجد ليُصلّي فيه، فقال: «من كساك كساه اللَّه من ثياب الجنّة»؛ فقال: كساني سعدُ بن عُبادة. وذكر باقيَ الخبر نحوَه.

[مدح عائشة والاعتذار عما رماها به]

وحَدَّثني محمد بن جرير الطبريّ قال: حَدَّثني ابن حُمَيد قال: حَدَّثنا سلَمَة عن

(١) لعلّ المقصود «خزيمة».
(٢) حديث شريف.
(٣) البَرَمُ بالتحريك: مصدر قولك بَرِمَ به بالكسر، إذا سئمه. وتَبَرّمَ به مثله. وأَبْرَمَهُ، أي أملّه وأضجره. والبَرَمُ أيضاً: الذي لا يدخُل مع القوم في الميسر؛ والجمع أَبْرامٌ.

ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث: أنّ رسول اللَّه ﷺ أعطاه عوضاً منها بيرحاء[١]، وهي قصر بني حُدَيلة[٢] اليوم بالمدينة، كانت مالاً لـ[أبي] طَلْحة بن سهلٍ تصدّق بها إلى رسول اللَّه ﷺ، فأعطاه حسَّان في ضربته، وأعطاه سِيرين «أمة قبطيّة» فولدت له عبدَ الرحمن بن حسّان. قال: وكانت عائشة تقول: لقد سُئِلَ عن صفوان بن المعطَّل، فإذا هو حصورٌ «لا يأتي النساء»؛ قُتِلَ بعد ذلك شهيداً.

[مدح واعتذار]

قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عُتبة: فقال حسّان يَعْتَذِرُ من الذي قال في عائشة:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزِنُّ بِريبَةٍ ... وَتُصبِحُ غَرثى مِن لُحومِ الغَوافِلِ
فَإِن كُنتُ قَد قُلتُ الَّذي قَد زَعَمتُمُ ... فَلا رَفَعَت سوطي إِلَيَّ أَنامِلي
وكَيفَ وُدّي من قديم وَنُصرَتي ... لِآلِ رَسولِ اللَّهِ زَينِ المَحافِلِ
فَإِنَّ الَّذي قَد قيلَ لَيسَ بِلائِطٍ[٣] ... وَلَكِنَّهُ قَولُ اِمرِئٍ بِيَ ماحِلِ[٤]

[الطويل]

[هجاه رجل بما فعل به ابن المعطَّل]

قال الزُّبيرُ وحدّثني محمد بن الضحّاك: أنَّ رَجُلاً هجا حسَّانَ بنَ ثابت بما فعل به ابن المعطَّل فقال:

---

(١) يقال في الجمع: لَقِيتُ منه بناتِ بَرْحٍ وبَني بَرْحٍ. ويَبْرَحُ: اسم رجل؛ وفي حديث أَبي طلحة: أُحب أموالي إِليّ بيرحاء؛ ابن الأثير: هذه اللفظةٌ كثيراً ما تختلف ألفاظ المحدِّثين فيها فيقولون: بَيرَحاء، بفتح الباء وكسرها، وبفتح الراء وضمها، والمد فيهما، وبفتحهما والقصر، وهو اسم مال وموضع بالمدينة، قال: وقال الزمخشري في الفائق: إنها فَيْعَلٌ من البراح، وهي الأَرض الظاهرة.

(٢) حُديلة بضم الحاء وفتح الدال هي محلة في المدينة نسبت إلى بني حديلة ، وهم بطن من الأنصار.

(٣) اللائط: ما يليط به النعيم ولا يليق به.

(٤) ورد العجز في الديوان على الشكل التالي:

بك الدهر سعى امرىء بك عاجل

الأَزهري: والمِحالُ مُماحَلة الإِنسان، وهي مُناكَرتُه إِياه، يُنْكر الذي قاله. ومَحَلَ فلانٌ بصاحبه ومَحِل به إذا بَهَتَه وقال: إِنه قال شيئاً لم يَقُلْه. وماحَلَه مُماحَلةً ومِحالاً: قاواه حتى يتبين أَيَّهما أَشدّ. والمَحْل في اللغة: الشدة.

وإنّ ابـنَ الـمـعـطَّـل مـن سُـلَـيْـمٍ أذلَّ قِـيـادَ رأسِـك بـالـخِـطـام[1]

[الوافر]

[سبَّهُ أناس فدافعت عنه عائشة]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: أخبرنا أبو عاصم قال: أخبرنا ابن جُرَيج قال: أخبرني محمد بن السائب عن أمّه: أنّها طافت مع عائشةَ ومعها أمّ حكيم وعاتكة: «امرأتان من بني مخزوم». قالت: فابتدرَنا حَسَّان نشتمُهُ وهو يطوف؛ فقالتِ: ٱبنَ الفُرَيعة تَسْبُبْنَ! قُلْنَ: قد قال فيك فبرّأكِ اللَّهُ. قالت: فأين قوله:

هَـجَـوتَ مُـحَـمَّـداً فَـأَجَـبـتُ عَـنـهُ وَعِـنـدَ الـلَّـهِ فـي ذاكَ الـجَـزاءُ

فَـإِنَّ أَبـي وَوالِـدَهُ وَعِـرضـي لِـعِـرضِ مُـحَـمَّـدٍ مِـنـكُـمْ وِقـاءُ

[الوافر]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمدُ بن زُهَير قال: حَدَّثني إبراهيم بنُ المُنْذِر عن سُفيان بن عُيَيْنَة عن محمد بن السائب بن بَرَكة عن أُمِّه بنحو ذلك، وزاد فيه: إنِّي لأرجو أن يُدخِلَهُ اللَّهُ الجنَّةَ بقوله.

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ عن عبد العزيز بن عِمران عن سفيان بن عيينة وسَلم بن خالد عن يوسف بن ماهَك عن أُمِّهِ قالت: كُنْتُ أطوفُ مع عائشة بالبيت، فَذَكَرْتُ حسّان فَسَبَبْتُهُ؛ فقالت: بِئْسَ ما قلت! أتسبّينه وهو الذي يقول:

فَـإِنَّ أَبـي وَوالِـدَهُ وَعِـرضـي لِـعِـرضِ مُـحَـمَّـدٍ مِـنـكُـم وِقـاءُ

[الوافر]

فَقُلْتُ: أليس ممن لَعَنَ اللَّهُ في الدنيا وفي الآخرة بما قال فيكِ؟ قالت: لم يَقُلْ شيئاً، ولكنَّهُ الذي يقول:

حَـصـانٌ رَزانٌ مـا تُـزِنُّ بِـريـبَـةٍ وَتُـصـبِـحُ غَـرثـى مِـن لُـحـومِ الـغَـوافِـلِ

---

(١) والخِطامُ: الزِّمامُ. وخَطَمْتُ البعير: زَمَمْتُهُ. ابن شميل: الخِطامُ كل حبل يُعَلَّقُ في حَلْقِ البعير ثم يُعْقَدُ على أَنفه، كان من جِلْدٍ أَو صوف أَو ليف أَو قِنَّبٍ، وما جعلت لشِفار بعيرك من حبل فهو خِطامٌ، وجمعه الخُطُمُ، يُفْتَلُ من اللِّيف والشعر والكَتَّان وغيره، فإذا ضُفِرَ من الأَدَم فهو جَريرٌ، وقيل: الخِطامُ الحبل يجعل في طرفه حلقة ثم يُقَلَّدُ البعير ثم يُثَنَّى على مَخْطِمِه، قال: وخَطَمَهُ بالخِطام إذا عُلِّقَ في حَلْقِه ثم ثُنِّيَ على أَنفه ولا يثقب له الأَنف. قال ابن سيده: والخِطامُ كلُّ ما وُضِع في أَنف البعير ليُقاد به، والجمع خُطُمٌ.

فـإن كـان مـا قـد جـاء عـنِّـيَ قـلـتُـهُ فـلا رَفَـعَـتْ سَـوْطـي إلـيّ أنـامـلـي
[الطويل]

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني مُصعب عمّي قال: حَدَّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عُروة عن أبيه قال: كُنْتُ قاعداً عند عائشة، فَمَرَّ بجنازة حسَّان بن ثابتٍ فَنِلْتُ منه؛ فقالت: مَهْلاً! فقلت: أليس الذي يقول! قالت: فكيف بقوله:

فَـإِنَّ أَبـي وَوالِـدَهُ وَعِـرضـي لِـعِـرضِ مُـحَـمَّـدٍ مِـنـكُـم وِقـاءُ
[الوافر]

[افتخاره بلسانه]

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا أحمد قال: حَدَّثني أحمد بن سَلمان عن سُليمان ابن حَرْب قال: حدَّثنا حَمَّاد بن زيد عن أيّوب[١] عن محمد بن سيرين: أنَّ حسَّان أخذ يوماً بطرف لسانه وقال: يا رسول اللَّه، ما يسرّني أنّ لي به مِقْوَلاً بين صنعاء وبصرى[٢]، ثم قال:

لِـسـانـي مِـقـوَلٌ[٣] لا عَـيـبَ فـيـهِ وَبَـحـري لا تُـكَـدِّرُهُ الـدِّلاءُ
[الوافر]

[خبره يوم الخندق]

أخبرنا محمد بن جَرير قال: حَدَّثنا محمد بن حُمَيد قال: حَدَّثنا سلمة قال: حَدَّثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عَبَّاد بن عبد اللَّه بن الزُّبير عن أبيه قال: كانت صَفِيَّةُ بنت عبد المطّلب في فارع «حصنِ حسَّان بن ثابت»، يعني يوم الخندق. قالت: وكان حسَّان معنا فيه والنساء والصِّبيان. قالت: فمرَّ بنا رجلٌ من يَهودَ فجعل يُطِيف بالحصن، وقد حاربت بنو قُرَيظة وقطعت ما بينها وبين رسول اللَّه ﷺ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفعُ عنَّا، ورسولُ اللَّه والمسلمون في نُحورِ عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذ أتانا آتٍ؛ قالت: فقلت: يا حسَّان، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطيفُ بالحصن، وإنِّي واللَّه ما آمنه أن يَدُلّ على عَوْراتنا من وراءنا من يَهود، وقد شُغِلَ عنَّا رسولُ اللَّه ﷺ وأصحابُه، فانزِل إليه فاقتله؛ فقال: يَغْفِرُ اللَّه لكِ يابنة عبد

(١) يريد أيوب بن أبي تميمة السختياني.
(٢) بصرى: اسم لموضعين: بصرى الشام من أعمال دمشق وهي قصبة حوران، وبصرى بغداد وهي إحدى قراها قرب عكبراء.
(٣) في الديوان «صارمٌ» بدل «مقول».

المطّلب! لقد عَرَفْتِ ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلمَّا قال ذلك ولم أرَ عنده شيئاً احتَجَزْتُ[١] ثم أخذت عموداً ثم نزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته، فلمّا فَرَغتُ منه رَجَعْت إلى الحصن، فقلت: يا حسّان، انزل إليه فاسلبه؛ فإنّه لم يمنعني من سَلْبه إلّا أنّه رجلٌ. قال: ما لي بَسلْبِهِ من حاجةٍ يا بنت عبد المطَّلب.

[حديث ابن الزبير عن يوم الخندق]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن زُهير قال: حدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثنا عليّ بن صالح عن جدّي عبد اللَّه بن مُصعب عن أبيه قال: كان ابن الزُّبير يُحدِّثُ أنه كان في فارعِ «أطُم حسَّانَ بن ثابت» مع النساء يومَ الخندق ومعهم عمر ابن أبي سَلَمة. قال ابنُ الزُّبير: ومعنا حسَّان بن ثابت ضارباً وَتَداً في آخر الأطُم، فإذا حمل أصحاب رسول اللَّه ﷺ على المشركين حَمَلَ على الوَتَدِ فضربه بالسيف؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتّى كأنه يقاتل قِرْناً، يتشبَّهُ بهم كأنّه يُرى أنّه مجاهدٌ حين جَبُنَ، وإنّي لأظلم ابنَ أبي سَلمة وهو أكبر منّي بسنتين فأقول له: تحملني على عنقك حتّى أنظُرَ، فإنّي أحملك إذا نَزِلْتُ؛ قال: فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلت له: هذه المرّة أيضاً. قال: وإنِّي لأنظر إلى أبي مُعْلَماً بصفرةٍ، فأخبرتُها أبي بعدُ؛ فقال: «أين كُنْتَ حينئذٍ؟ فقلت: على عُنُقِ ابن أبي سلمة يَحْمِلُني؛ فقال»: أما والّذي نفسي بيده إنّ رسول اللَّه ﷺ لَيَجْمَعُ لي أبوْيه[٢].

قال ابنُ الزُّبير: وجاء يهوديٌّ يرتقي إلى الحصن. فقالت صَفِيَّة له: أعطني السيفَ، فأعطاها. فلمّا ارتقى اليهوديّ ضَرَبَتْهُ حتّى قتلته، ثم احتزَّت رأسه فأعطته حسَّانَ وقالت: طَوِّحْ به؛ فإنَّ الرجل أقوى وأشدُّ رَميةً من المرأة. تريد أن تُرْعِبَ به أصحابه.

[كان حسان مقطوع الأكحل]

قال الزُّبيرُ: وحدَّثني عمّي عن الواقِديّ قال: كان أكْحلُ[٣] حسَّان قد قُطِعَ فلم يكن يضرب بيده.

---

(١) يُقال: احتجز بردائه إذا شدَّه على وسطه.

(٢) المقصود، أن الرسول ﷺ كان يقول: فداك أبي وأمي.

(٣) الأكْحَل الذي يَعلُو مَنابتَ أشفاره سَوادٌ خِلقةً. والأكحَلُ: عِرْق الحياة في اليَد وفي كُلِّ عُضو منه شُعبةٌ على حِدَة.

[أنشد النبيّ شعراً في شجاعته فضحك]

قال الزُّبيرُ: وحدّثني عليّ بن صالح عن جدّي أنّه سمع أن حسّان بن ثابت أنشد رسولَ اللَّه ﷺ:

لـقـد غَـدَوتُ أمـام الـقـومِ مُـنـتـطِـقـاً [١] بِـصـارِمٍ مِـثـلِ لَـونِ الـمِـلـحِ قَـطّـاعِ
يَـحـفِـزُ[٢] عَـنّـي نِـجـادَ الـسَّـيـفِ سـابِـغَـةٌ فـضـفـاضـةٌ مِـثـلُ لـون الـنَّـهـيِ بِـالـقـاعِ
[البسيط]

قال: فَضَحِكَ رسولُ اللَّه ﷺ؛ فَظَنَّ حسّانُ أنه ضحك من صفته نفسَه مع جُبْنِه.

[قول النابغة فيه]

قال الزُّبير: وحدّثني محمد بن الحسن قال: قال حسّان بن ثابت: جِئْتُ نابغة بني ذُبيان، فَوَجَدْتُ الخنساءَ بنت عمرو حين قامَتْ من عنده، فأنشدتُهُ؛ فقال: إنَّكَ لشاعرٌ، وإنّ أخت بني سُلَيم لبَكَّاءة.

[مع الحطيئة]

قال الزُّبيرُ وحدّثني يحيى بن محمد بن طَلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق قال: أخبرني غيرُ واحدٍ من مشايخه: أنَّ الحُطيئةَ وقف على حسَّان بن ثابت وحسَّان يُنْشِدُ من شعرِهِ؛ فقال له حسَّانُ وهو لا يعرفه: كيف تسمع هذا الشعرَ يا أعرابيّ؟ قال الحُطيئةُ: لا أرى به بأساً؛ فَغَضِبَ حسّان وقال: اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابيّ! ما كُنْيَتُكَ؟ قال: أبو مُلَيْكة؛ قال: ما كُنْتَ قطُّ أهونَ عليّ منك حين كُنِّيتَ بامرأةٍ، فما اسمُكَ؟ قال: الحُطيئة فقال حسَّان: امضِ بسلام.

[إتهمه أعشى بكر عند خمار بالبخل]

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال: حَدَّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرقيّ[٣] قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن شَبيب قال: حَدَّثني الزُّبيرُ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن زُهَير قال: حَدَّثني الزُّبير قال: حَدَّثني بعضُ القُرَشيين قال: دَخَلَ حَسَّانُ بن ثابت في الجاهليّة بيتَ خَمَّارٍ بالشّام ومعه أعشى بكر بن وائل،

---

(١) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:
وَقَـد أَرانـي أَمـامَ الـحَـيِّ مُـنـتَـطِـقـاً

(٢) يحفز: يدفع.

(٣) بطن من الأنصار وهم بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشم الخزرجي.

فاشتريا خمراً وشربا، فنام حسّان ثم انتبه، فَسَمِعَ الأعشى يقول للخمَّار: كَرِهَ الشيخُ الغُرْمَ فَتَرَكَهُ حَسَّان حتّى نام، ثم اشترى خمرَ الخمَّار كُلَّها، ثم سكبها في البيت حتّى سالت تحت الأعشى؛ فَعَلِمَ أنّه سمع كلامَهُ فاعتذر إليه؛ فقال حسّان:

لَسنا بِشَربٍ فَوقَهُم ظِلُّ بُردَةٍ ... يُعِدّونَ لِلخمار تَيساً وَمِفصَدا[1]

ولكننا شَرْبٌ كِرامٌ إذا ٱنتَشَوْا ... أَهانوا الصَّريحَ وَالسَديفَ المُسَرهَدا[2]

كأنهُمُ ماتوا زمانَ حَليمَةٍ ... وَإن تَأتِهِم تَحمَدْ نِدامَتهُمُ غَدا[3]

وإن جئتهم ألفيت حولَ بيوتِهم ... من المسكِ والجادي[4] فتيتاً مبدّدا

تَرى حول أَثناءِ الزَّرابِيِّ[5] ساقِطاً ... نِعالاً وَقَسُّوباً[6] وَرَيطاً[7] مُنضَّدا

وَذا نُمرُقٍ[8] يَسعى مُلَصِقَ خَدِّهِ ... بِديباجَةٍ تَكفافُها قَد تَقَدَّدا[9]

[الطويل]

---

(١) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

لَسنا بِشَربٍ فَوقَهُم ظِلُّ بُردَةٍ ... يُعِدّونَ لِلحانوتِ تَيساً وَمِفصَدا

المفصد: الآلة التي يتم فيه فصد الدم، ويقصد الشاعر بقوله: إنّ الملوك لا يفصدون التيس ويشربون دمه.

(٢) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

مُلوكٌ وَأَبناءُ المُلوكِ إذا ٱنتَشَوا ... أَهانوا الصَّبوحَ وَالسَّديفَ المُسَرهَدا

الصريح: اللبن وقد ذهبت رغوته. والسديف: لحم سنام الجمل، وقيل شحمه. المسرهد: السمين.

(٣) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

وَتَحسَبُهُم ماتوا زُمَينَ حَليمَةٍ ... وَإن تَأتِهِم تَحمَد نِدامَتهُمُ غَدا

زمان حليمة: أحد أيام العرب في الجاهلية، وهو يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الأكبر الغساني. قال ابن سلام في كتاب الأمثال: كان هشام بن الكلبي يخبر أنها حليمة بنت الحارث ابن أبي شمر، وكان حديثها أن أباها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء، فأخرجت لهم طيباً في مركن فطيبتهم، وهي التي ذكر النابغة الذبياني في قوله:

تخيرن من أزمان يوم حليمة ... إلى يوم قد جربن كل التجارب

يصف السيوف. وقد يضرب يوم حليمة لكل أمر متعالم مشهور.

(٤) الجادي: الزعفران.

(٥) الزرابي: الطنافس. وفي الصحاح: النمارق.

(٦) القسوب: خفاف لا واحد له.

(٧) الرِيْطَةُ: مُلَاءةٌ كُلُّها نَسْجٌ واحِدٌ.

(٨) النمرق: وسادة صغيرة يتكأ عليها.

(٩) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

وَذو نَطَفٍ يَسعى مُلَصِّقَ خَدِّهِ ... بِديباجَةٍ تَكفافُها قَد تَقَدَّدا

[تعييره الحارث بن هشام بفراره]

وهذه القصيدة يقولها حسَّان بن ثابت في وقعة بَدرٍ يفخر بها ويعيّر الحارث بن هشام بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام. وفيها يقول:

صوت

إن كُـنـتِ كـاذِبَـةَ الَّـذي حَـدَّثـتِـنـي فَـنَـجَـوتِ مَـنـجـى الـحَـارثِ بـنِ هِـشـامِ
تَـرَكَ الأَحِـبَّـةَ أَن يُـقـاتِـلَ دونَـهُـم وَنَـجـا بِـرَأسِ طِـمِـرَّةٍ[1] وَلِـجـامِ

[الكامل]

ـ غنّاه يحيى المكيّ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى. ولِعَزّةَ الميلاء فيه خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر. وفيه خفيف ثقيلٍ بالبِنصر لموسى بن خارجة الكوفيّ ـ فأجاب الحارث بن هشام، وهو مشرك يومئذٍ، فقال:

صوت

أللَّـهُ يـعـلـمُ مـا تـركْـتُ قـتـالَـهـم حتَّـى رَمـوا فـرسـي بـأشْـقَـر[2] مُـزبِـدِ[3]
وعـلـمـتُ أنّـي إنْ أقـاتـلْ واحـداً أُقْـتَـلْ ولا يـضـرُرْ عـدوّيَ مَـشـهـدي
فَـفَـرَرْتُ مـنـهـم والأحـبّـةُ فـيـهـمُ[4] طـمـعـاً لـهـم بـعـقـاب يـومٍ مُـرْصـدِ

[الكامل]

غَنَّى فيه إبراهيمُ المَوْصِليّ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبِنصر، وقيل: بل هو لِفُليح.

[تمثل رتبيل بشعر حسان]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وَكيعٌ قال: حَدَّثني سُلَيمان بن أيّوب قال: حَدَّثنا محمد بن سلّام عن يونس قال: لمّا صار ابنُ الأشعث إلى رُتبيل[5]، تمثّل

(١) فرس طِمِرٌّ، بتشديد الراء، وهو المستعدُّ للوثبِ والعدوِ. وقال أبو عبيدة: المُشَمَّرُ الخَلْق.
(٢) شَقِرَ شَقَراً وشُقْرةً فهو أَشْقَرُ أي أحمر، ودم أشقَرُ أي صار علقاً لم يعله غبار.
(٣) الزُّبْد: زُبْدُ السَّمْن قبل أن يسلأ، والقِطْعةُ منه: زُبْدة. والزَّبَدُ: لعاب أبيض على مِشفر الجَمَل، وأكثر ما يكون في الاغتلام. والبحر واللّبن زَبَدٌ، وهو ما يرتفع فوقه إذا حلبت أَزْبَد اللَّبَنُ والبحر. وتزبّد الإنسان: خرج على شِدْقَيْهِ زَبَدٌ من الغَضَب.
(٤) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:
فـصـدَدتُ عـنـهـم والأحـبّـةُ فـيـهـم
(٥) ورد عند الطبري وابن الأثير «زنبيل»، وهو صاحب الترك، وكان بنواحي سجستان، وقد غزاه عبد اللَّه بن أبي بكرة سنة ٧٩هـ، ثم غزاه سنة ٨٠هـ عبد الرحمن بن الأشعث من قبل الحجاج.

رتبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام:

تَـرَكَ الأَحِـبَّـةَ أَن يُـقـاتِـلَ دونَـهُـم وَنَـجـا بِـرَأسِ طِـمِـرَّةٍ وَلِـجـامِ

[الكامل]

فقال له ابن الأشعث: أو ما سَمِعْتَ ما ردَّ عليه الحارثُ بن هشام؟ قال: وما هو؟ فقال قال:

أَلـلَّـهُ يـعـلـمُ مـا تـركْـتُ قـتـالَـهـم حـتَّـى رَمـوا فـرسـي بـأشْـقَـرَ مُـزبِـد

وعـلـمـتُ أنّـي إنْ أقـاتـلْ واحـداً أُقْـتَـلْ ولا يـضـرُرْ عـدوّيَ مَـشـهـدي

فـصـدَدتُ عـنـهـم والأحـبّـةُ فـيـهـمُ طـمـعـاً لـهـم بـعـقـاب يـومٍ مُـرْصَـدِ

[الكامل]

فقال رُتبيل: يا معشر العرب، حسَّنْتُم كُلَّ شيء حتى حسَّنْتُم الفِرارَ.

ذكر الخبر عن غزاة بدر

حَدَّثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في «المَغازي» قال: حدّثنا محمد بن حُمَيد قال: حَدَّثنا سَلَمة قال: حدّثني محمد بن إسحاق قال: حَدَّثني محمد بن مُسلِم الزُّهريّ وعاصم بن عمر بن قَتَادة وعبد اللَّه بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن غزوةِ بدرٍ، وغيرُهم من علمائِنا عن عبد اللَّه بن عبّاس، كلٌّ قد حَدَّثني بعضَ هذا الحديث، فاجتمع حديثُهم فيما سَمِعْتُ من حديث بدر، قالوا:

[إستنفار أبي سفيان لقريش]

لمَّا سَمِعَ رسولُ اللَّه ﷺ بأبي سفيان مُقْبِلاً من الشام نَدَبَ المسلمين إليهم، وقال: «هذه عِيرُ[1] قُرَيش فيها أموالهم فاخرجوا إليها؛ فلعلّ اللَّه أن يُنَفِّلكموها»[2]. فانتدَبَ الناسُ، فخفَّ بعضُهم وثَقُلَ بعضُهم؛ وذلك أنّهم لم يظنُّوا أنَّ رسول اللَّه ﷺ يلقى حرباً. وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسَّس الأخبارَ، ويسألُ من لَقِيَ من الرّكبان، تخوّفاً على أموال الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان أنّ محمداً استنفر أصحابه لكَ ولعِيرك، فحذِرَ[3] عند ذلك فاستأجر ضَمضَمَ بن عمرو الغِفاريّ فَبَعَثَهُ إلى مكة وأمره أن يَأتي قُريشاً يَستنفرهم إلى أموالِهم ويُخْبِرُهُم أنّ محمداً قد عَرَضَ لها في أصحابِهِ؛ فَخَرَجَ ضَمضَمُ بن عمرو سريعاً إلى مكة.

[رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب]

قال ابن إسحاق: وحدَّثني من لا أتَّهِمَ عن عكرمة عن ابن عبّاس ويزيدَ بن رُومان عن عُرْوة بن الزُّبير[4] قالا: وقد رأت عاتكةُ بنت عبد المطَّلِب قبل قدوم

(١) الناقة تشبّه بالعَيْرِ في سرعتها ونشاطها. والعيرُ بالكسر: الإبل التي تحمل الميرة، ويجوز أن تجمعه على عيراتٍ.

(٢) النَّفْلُ والنَّافِلَةُ: عَطِيَّةُ التَّطَوُّعِ من حيث لا تجِبُ، ومنه نافِلَةُ الصلاةِ.

(٣) في السيرة «فحذر» بدل «فحِذِرَ».

(٤) في السيرة: «عن عكرمة مولى ابن عباس». وعكرمة هو أبو عبد اللَّه البربري مولى ابن عباس ويروي عنه.

ضَمضم [مكة] بثلاث [ليالٍ][(١)] رؤيا أفزعتها، فَبَعَثَتْ إلى أخيها العبَّاس بن عبد المطلب، فقالت: يا أخي، واللَّه لقد رأيْتُ الليلةَ رُؤيا أفظعتني وتخوَّفْتُ أن يدخل على قومك [منها] شرٌّ أو مُصيبة، فاكتُمْ عنِّي ما أُحدِّثك. قال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيْتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقَفَ بالأبطح، ثم صَرَخَ بأعلى صوته: أن انفروا يا آل غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث؛ فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجدَ والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثُلَ به بعيرُه على ظهر الكعبة، ثم صرخ بأعلى صوته: انفروا يا آل غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث، ثم مثَلَ به بعيره على رأس أبي قُبَيس فصرَخَ بمثلها، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تَهوي، حتَّى إذا كانت بأسفل الجبل ارفَضَّت[(٢)]، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ولا دارٌ من دورها إلّا دخلتها منها فِلْقة. فقال العباس: إنَّ هذه لرؤيا، وأنتِ فاكتُميها ولا تذكريها لأحدٍ. ثم خَرَجَ العبَّاس فَلَقِيَ الوليدَ بن عُتبة بن رَبيعة، وكان له صديقاً، فذكرها [له] واستكتمه إيّاها؛ فذكرها الوليد لأبيه عُتبة، ففشا الحديثُ [بمكة] حتى تحدَّثت به قريش. قال العبّاس: فَغَدَوتُ أطوف بالبيت، وأبو جهل بنُ هشام ورهطٌ من قريش قُعودٌ يتحدَّثون برؤيا عاتكة. فلمَّا رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فَرَغْتَ من طوافك فأقْبِل إلينا؛ فلمّا فرغْتُ أقبلْتُ إليه حتى جلست معهم؛ فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب[(٣)]، متى حدثت فيكم هذه النّبيَّة؟! قال: قلت: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكةُ؛ قلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطّلب، أما رضِيتم أن تتنبَّأ رجالكم حتى تتنبَّأ نساؤكم! قد زَعَمَتْ عاتكة في رؤياها أنَّها قالت: انفروا في ثلاثٍ؛ فسنتربَّصُ بكم هذه الثلاثَ؛ فإن يكن ما قالت حقًّا فسيكون، وإن تمضِ الثلاثُ ولم يكن من ذلك شيء نكتبْ كِتاباً عليكم أنّكم أكذبُ أهل بيتٍ في العرب. قال العبَّاس: فواللَّه ما كان إليه منِّي كبيرٌ إلا أن جحَدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئاً؛ قال: ثم تفرّقنا؛ فلمّا أمسينا[(٤)] لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطّلب إلّا أتَتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ويتناولَ النساءَ وأنتَ تسمع، ولم يكن عندكَ غيرٌ لشيءٍ مما سمعت؟! قلت: قد واللَّه فَعَلْتُ، ما كان منِّي إليه من كبيرٍ، وأيْمُ اللَّه لأتعرّضنّ له؛ فإن عاد لأكفِيَنَّكُنَّه[(٥)]. قال: فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغضبٌ أرى

(١) ما وُضِع بين مزدوجين من سيرة ابن هشام ، وهي مفيدة للمعنى.
(٢) ارفضت: تفرَّقت.
(٣) ورد في السيرة: يا بني عبد المطلب.
(٤) في السيرة «أمسيت».
(٥) في السيرة «لأكفينكموه».

[أنّي] قد فاتني منه أمرٌ أُحِبّ أن أُدرِكه منه. قال: فَدَخَلْتُ المسجدَ فَرَأَيْتهُ، فواللَّه إنِّي لأمشي نحوه العِرَضْنة[١] ليعودَ لبعض ما كان؛ فأُوقِعَ به، وكان رجلاً خفيفاً حديدَ الوجه حديدَ اللّسان حديدَ النّظر، إذ خرج نحو باب المسجد يَشتدّ[٢]؛ قال: قُلْتُ في نفسي: ما له لعنه اللَّه! أكلُّ هذا فَرَقاً أن أُشاتِمُه! فإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوتَ ضمضم بن عمرو الغفاريّ وهو يصرخُ ببطن الوادي [واقفاً على بعيره قد جدّع بعيره وحوّل رحله وشقّ قميصه وهو يقول: «يا معشر قريش اللّطيمة اللطيمة[٣]»!] أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عَرَضَ لها محمد في أصحابه، لا أُرى أن تدركوها! الغوثَ الغوثَ! قال: فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر. قال: فتجهَّزَ الناس سِراعاً، وقالوا: لا يظننَّ محمدٌ وأصحابُهُ أن تكون كعيرِ ابن الحَضْرميّ[٤]! كلّا واللَّه ليعلمنّ غير ذلك! فكانوا بين رجلين: إمَّا خارجٍ وإمَّا باعث مكانه رجلاً.

[خروج قريش]

وأوعَبَتْ قُريشٌ فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلّف فبعث مكانه العاصيَ بن هشام بن المغيرة، وكان لَطَّ[٥] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس[٦] بها، فاستأجره بها على أن يُجزئ عنه بَعثَهُ؛ فَخَرَجَ عنه وتَخَلَّفَ أبو لهب. هكذا في الحديث. فذكر أبو عُبيدة وابنُ الكلبيّ: أنّ أبا لَهَبٍ قامر العاصيَ بن هشام في مائةٍ من الإبل، فَقَمَرَهُ[٧] أبو لهب، ثم عاد فقمره أيضاً الثالثة، فذهب بكلِّ ما كان يملكه؛ فقال له العاصي: أرى القداحَ قد حالفَتْك يابن عبد

(١) ناقةٌ عِرَضْنَةٌ، إذا كانَ من عادتها أن تمشي مُعارَضَةً، للنشاط. وقال: عِرَضْنَةٌ ليلٍ في العِرَضْناتِ جُنَّحا أي من العِرَضْناتِ، كما يقال، فلان رجلٌ من الرجال. ويقال أيضاً: هو يمشي العِرَضْنَةَ، ويمشي العِرَضنى، إذا مشى مِشيةً في شِقٍّ فيها بَغْيٌ، من نشاطه. ونظرت إلى فلان عِرَضْنَةً، أي بمؤخر عيني. وتقول في تصغير العِرَضْنى: عُرَيْضِنٌ، تثبت النونَ لأنَّها ملحقةٌ، وتحذف الياء لأنها غير ملحقة.

(٢) يشتد: يركض ويعدو.

(٣) اللطيمة: العير تحمل الطيب .وبز التجار.

(٤) هو عمرو بن الحضرمي.

(٥) لَطَّ بالأمر يَلُطُّ لَطًّا: لزِمه. ولَطَطْتُ الشيءَ: ألصقته. ولَطَطْتُ حَقَّهُ، إذا جحدته. وربَّما قالوا: تَلَطَّيْتُ حقَّه، لأنَّهم كرهوا اجتماع ثلاث طاءات، فأبدلوا من الطاء الأخيرة ياءً، كما قالوا من اللَعاع تَلَعَّيْتُ. وألَطَّهُ عليَّ، أي أعانه أو حَمَله على أن يَلطَّ حقِّي. يقال: مالك تعينه على لَطَطِه. ولَطَّ السِّتْرَ، أي أرخاه. وكلُّ شيءٍ سَتَرتَهُ فقد لَطَطْتَهُ.

(٦) في السيرة «أفلس».

(٧) فقمره: غلبه في المقامرة.

المطّلب، هَلُمَّ نجعلها على أيِّنا يكون عبداً لصاحبه؛ قال: ذلك لك؛ فدحاها[١] فقمره أبو لهب، فأسلمه قَيْناً، وكان يأخذُ منه ضريبةً. فلما كان يومُ بدرٍ وأخَذَتْ قريش كلّ من لم يخرج بإخراج رجلٍ مكانَه أخرجه أبو لهب عنه وشَرَطَ له العِتْقَ؛ فخرج فقتله عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.

رجع الحديث إلى وقعة بدر

[ابن أبي معيط و أمية بن خلف]

قال محمد بن إسحاق: وحدَّثني عبدُ اللَّه بن أبي نَجيح: أنَّ أُميّة بن خَلفٍ كان قد أجمع القُعُودَ، وكان شيخاً [جليلاً جسيماً] ثقيلاً، فجاءه عُقبة بن أبي مُعَيْط وهو جالسٌ في المسجد بين ظَهرانَيْ قومه بِمَجْمَرَةٍ يحملها، فيها نارٌ ومجمرٌ[٢]، حتّى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا عليّ، استجمِرْ فإنّما أنت من النساء! قال: قَبَّحَكَ اللَّه وقَبَّحَ ما جِئْتَ به! ثم تَجَهَّزَ وخَرَجَ مع الناس.

فلمَّا فرَغُوا من جهازهم وأجمعوا السيرَ، ذكروا ما [كان] بينهم وبين بني بكر ابن عبد مناة بن كنانة بن الحرب[٣]، فقالوا: إنّا نخشى أن يأتوا من خَلفِنا.

[تخوّف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم]

قال محمد بن إسحاق: فحدَّثني يزيد بن رُومانَ عن عُرْوة بن الزُّبير قال: لمّا أجمعت قريشٌ المسيرَ ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مَناة[٤]، فكاد ذلك أن يُثبّطهم، فتبدَّى لهم إبليسُ في صورة سُراقة بن جُعْشُم المُدْلجيّ، وكان من أشراف بني كِنانة، فقال: إنِّي جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانةُ [من خلفكم] بشيءٍ تكرهونه، فخرجوا سراعاً.

---

(١) دَحَوْتُ الشيء دَحْواً: بسطته. ودَحا المطرُ الحصى عن وجه الأرض. ويقال للّاعب بالجوز: أَبْعِدِ المَدى وادْحُهُ، أي ارْمِهِ. ويقال للفرس: مَرَّ يَدْحو دَحْواً، وذلك إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سُنبُكَه عن الأرض كثيراً. ومَدْحى النعامةِ: موضع بيضها. وأُدْحِيُّها موضعها الذي تفرّخ فيه؛ وهو أُفْعولٌ من دَحَوْتُ، لأنها تَدْحوهُ برجلها ثم تبيضُ فيه. وليس للنعام عُشٌّ.

(٢) المجمر: العود يتبخر به. (٣) في السيرة «كنانة من الحرب».

(٤) كانت الحرب التي بين قريش وبين بني بكر في ابن الحفص بن الأخيف أحد بني معيص بن عامر ابن لؤي، قتله بنو بكر بضجنان، وكان خرج يبتغي بها ضالة له، بإيعاز من سيدهم عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح، فثأر للغلام أخوه مكرز من عامر بن يزيد بأن قتله وخاض بطنه بسيفه، ثم أتى به الكعبة ليلاً فعلقه بأستارها، فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد معلقا بأستار الكعبة فعرفوه، فقالوا إن هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله.

[خروج النبيّ وعدد جيشه]

وخرج رسول اللَّه ﷺ ـ فيما بلغني عن غير ابن إسحاق ـ لثلاث ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المُعَظَّم في ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشر رجلاً من أصحابه. فاختُلِفَ في مبلغ الزيادة على العشرة؛ فقال بعضهم: كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان المهاجرون يومَ بدرٍ سبعةً وسبعين رجلاً، وكان الأنصار مائتين وستةً وثلاثين رجلاً، وكان صاحبُ راية رسول اللَّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، وكان صاحبُ راية الأنصار سَعدَ بن عُبادة.

حدَّثني محمد قال: حَدَّثنا هارون بن إسحاق قال: حَدَّثنا مُصعبُ بن المِقدام، قال أبو جعفر: وحدَّثني محمد بن إسحاق الأهوازيّ قال: حَدَّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ قال: حَدَّثنا إسرائيلُ قال: حَدَّثنا أبو إسحاق عن البَراء قال: كُنَّا نتحدَّثُ أنّ عِدَّة أصحاب بَدْرٍ على عِدَّة أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهر ـ ولم يَجُزْ معه إلّا مؤمن ـ ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ.

[إستشارة النبيّ لأصحابه]

قال ابن إسحاق في حديثِهِ عَمَّن روى عنه: وخَرَجَ رسول اللَّه ﷺ في أصحابِهِ، وجعل على الساقة[1] قيسَ بن أبي صَعْصَعة أخا بني مازن بن النجَّار، في ليالٍ مَضَت من رمضان؛ فسار حتّى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعث بَسْبَسَ بنَ عمرو الجُهَنيّ حليف بني ساعدة وعديَّ بن أبي الزَّغباء حليفَ بني النَّجار إلى بدر يتجسَّسان له الخبرَ عن أبي سفيان بن حرب وغيره، ثم ارتحل رسول اللَّه ﷺ وقدَّمهما. فلمّا استقبل الصّفْراءَ، وهي قريةٌ بين جبلين، سأل عن جبلَيْها ما أسماهما؟ فقيل: يقال لأحدهما هذا مُسلِح، وللآخر هذا مُخْرِئ؛ وسأل عن أهلها فقالوا: بنو النَّار، وبنو حُراق [بطنان من غفار]؛ فكرههما رسول اللَّه ﷺ والمرورَ بينهما، وتفاءل[2] باسميهما وأسماء أهاليهما، فتركهما والصفراء يساراً، وسَلَكَ ذات اليمين على وادٍ يقال له ذَفران فخرج منه، حتَّى إذا كان ببعضه نزل، وأتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم؛ فاستشار النبيّ ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المِقدادُ بن عمرو فقال: يا رسولَ اللَّه، امضِ لما أمرك اللَّه فنحن معك، واللَّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ

(١) ساقة الجيش: مؤخرته.

(٢) تفاءل: تطير.

﴿فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون مُعْلَمون. فوالّذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى بَرْك[١] الغماد ـ يعني مدينة الحبشة ـ لجالدنا معك حتّى تبلُغَه؛ فقال رسول اللَّه ﷺ خيراً ودعا له بخير.

حدَّثنا محمد قال: حدَّثنا محمد بن عبيد المُحاربيّ قال: حدَّثني إسماعيلُ ابن إبراهيم أبو يحيى قال: حَدَّثنا المُخارِق عن طارق عن عبد اللَّه بن مسعود قال: شَهَدْتُ من المِقداد مَشْهَداً لأن أكون صاحبَه أحبُّ إليَّ مما في الأرض من كلِّ شيء، كان رجلاً فارساً، وكان رسول اللَّه ﷺ إذا غَضِبَ ٱحمرَّتْ وَجْنتاه، فأتاه المِقداد على تلك الحال، فقال: أَبْشِرْ يا رسول اللَّه، فواللَّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، ولكن والذي بعثك بالحقّ لنكونن بين يديك ومن خَلْفِكَ وعن يمينك وشِمالك أو يفتح اللَّه تبارك وتعالى.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس»[٢]. وإنَّما يريد الأنصارَ؛ وذلك أنهم كانوا عددَ الناس، وأنهم حين بايعوا بالعَقَبة قالوا: يا رسول اللَّه إنا بُرَآء من ذِمامِك حتى تصيرَ إلى دارِنا، فإذا وَصَلْتَ فأنْتَ في ذمامِنا، نمنعُكَ مما نمنع منه أنفسنا وأبناءَنا ونساءَنا. فكان رسول اللَّه ﷺ يتخوّف ألاّ تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرَته إلا ممن دَهَمَهُ بالمدينة من عدوّه، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوٍّ في غير بلادهم؛ فلما قال ذلك رسول اللَّه ﷺ قال له سعد بن مُعاذ: واللَّه لكأنك تريدُنا يا رسول اللَّه، قال: «أجل». قال: فقد آمنَّا بك يا رسول اللَّه وصدَّقناك وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحق، وأَعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض بنا يا رسول اللَّه لِما أردتَ فنحن معك[٣]. فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت[٤] بنا

---

(١) برك الغماد: بالغين المعجمة، وهو المذكور في قصة غزوة بدر وهو في أقاصي هجر، وهذه الغين المعجمة تضم وتكسر، وفي خبر هجرة النبي ﷺ لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر رضي اللَّه عنه مهاجراً إلى أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي وأريد أن أسيح في الأرض أعبد ربي، قال ابن الدغنة: مثلك لا يخرج إنك لتكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ارجع واعبد ربك في بلدك، فرجع وذكر باقي الحديث، وقال الهمداني: برك الغماد في أقصى اليمن.

(٢) حديث شريف.

(٣) زيادة عن السيرة.

(٤) استعرض البحر: أتاه من جانبه عرضاً.

هذا البحر وخُضْتَهُ لُخُضْناه معك ما يتخلَّف منَّا رجلٌ واحد، وما نكره أن تَلقى بنا عدوّاً غداً. إنا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدْقٌ عند اللقاء، لعلَّ اللَّه تعالى أن يُرِيَكَ منَّا ما تقرّ بِهِ عينك؛ فَسِرْ بنا على بركة اللَّه؛ فَسُرَّ رسول اللَّه ﷺ [بقول سعد] ونشطه ذلك؛ ثم قال: «سيروا على بركة اللَّه وأبشِروا؛ فإنَّ اللَّه قد وعدني إحدى الطائفتين[١] واللَّه لكأني أنظرُ إلى مصارع القوم»[٢].

[نزول النبي قريباً من بدر]

ثم ارتحل رسولُ اللَّه ﷺ من ذَفرانَ[٣]، وسَلَكَ على ثنايا يُقالُ لها الأصافِر[٤]، ثم انحط منها على بلدٍ يقال له الدَّبَّة[٥]، ثم ترك الحنّان[٦] بيمينٍ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل، ثم نزل قريباً من بدرٍ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه ـ قال الطبريّ: قال محمد بن إسحاق: حدَّثني محمد بن يحيى بنَ حَبَّان ـ حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تُخبراني ممن أنتما. فقال له رسول اللَّه ﷺ: «إذا أخبرتَنا أخبرناك» فقال: أو ذاك بذاك؟ فقال: «نعم». قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا «للمكان الذي به رسول اللَّه ﷺ». وبلغني أنَّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإن كان الذي حدَّثني صدَقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا «للمكان الذي به قريش». فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف الشيخ عنه، قال: يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ ثم رجع رسول اللَّه ﷺ إلى أصحابه.

[إرساله نفراً من أصحابه إلى بدر]

فلما أمسى بعث عليَّ بنَ أبي طالب، رضي اللَّه عنه، والزُّبيرَ بن العَوَّام، وسعدَ بن أبي وَقَّاص في نفرٍ من أصحابه إلى بَدْرٍ يلتمسون له الخبرَ عليها. قال

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾( )والطائفتان هما العير وهم ركب أبي سفيان والنفير وهم أهل مكة الذين نفروا لمساعدته.

(٢) حديث شريف.

(٣) ذفران: واد قرب وادي الصفراء.

(٤) الأصافر: جبل صفر قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة.

(٥) الدبة: موضع قرب بدر.

(٦) لعلَّ الحنَّان، كما ورد في السيرة ومعجم البلدان.

محمد بن إسحاق: حدَّثني يزيد بن رومانَ عن عُرْوَةَ بن الزُّبير: ـ فأصابوا راوِيةً[١] لقريش فيها أَسْلمُ غُلام بني الحَجَّاج، وغريض بن يسار[٢] غلام بني العاصي بن سَعيد، فأتَوا بهما رسول اللَّه ﷺ وهو يصلي. فسألوهما فقالا: نحن سُقاةٌ لقريش بعثونا نَسقيهم من الماء. فكره القومُ خبرَهما ورَجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما أذلقوهما[٣] قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. ورَكَعَ رسولُ اللَّه ﷺ وسجد سجدتين ثم سلَّم، ثم قال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، فإذا كذباكم تركتموهما، صدقا واللَّه إنهما لقريش. أخبراني أين قريشٌ»؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى [والكثيب: العقنقل] فقال لهما رسول اللَّه ﷺ: «كم القومُ»؟ قالا: لا ندري. قال: «كم ينحرون كل يوم»؟ قالا: يوماً تِسعاً ويوماً عَشراً؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «القومُ ما بين التسعمائة والألف». ثم قال لهما رسول اللَّه ﷺ: «فمن فيهم من أشراف قريش»؟ قالا: عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن رَبيعة، وأبو البَخْتَرِيّ ابن هشام، وحَكيم بن حِزام، ونَوْفل بن خُوَيلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطُعَيْمة بن عَدي، والنَّضْر بن الحارث، وزمْعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأُمَيَّة بن خلفٍ، ونُبَيه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج، وسُهَيل بن عمرو، وعمرو بن وُدّ. فأقبل رسول اللَّه ﷺ على الناس فقال: «هذه مكة قد رَمَتْ إليكم أفلاذَ كبدها».

[قدوم أبي سفيان إلى بدر متجسساً]

قال ابن إسحاق وقد كان بسبس[٤] بن عمرو وعدي بن أبي الزَّغباء مَضَيا حتى نَزِلا بدراً فأناخا إلى تَلٍ قريبٍ من الماء، ثم أخذا شَنّاً[٥] يستقيان فيه، ومجديُّ بن عمرو الجُهنيّ على الماء، فسمع عَدِيٌّ وبَسبَسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان[٦] على الماء،

(١) أبو عبيد: الرَّاوية، وهو البعير الذي يُسْتَقى عليه الماء.

(٢) لعلّ المقصود «عريضٌ أبو يسار».

(٣) حديث الحُدَيْبية: يَكْسَعُها بقائم السيف حتى أَذْلقَه أَي أَقْلقَه. وخطِيب ذَلِقٌ وذَلِيقٌ، والأُنثى ذَلِقةٌ وذَلِيقة. وأَذْلقْتُ السراجَ إِذلاقاً أَي أَضأْته. وفي أَشراط الساعة ذكر ذُلَقْيَة؛ هي بضم الذال وسكون القاف وفتح الياء المثناة من تحتها: مدينة.

(٤) ورد في السيرة: «قال ابن اسحاق: وقد كان بسبس...».

(٥) الشَّنُّ والشَّنَّةُ: الخَلَقُ من كل آنية صُنِعَتْ من جلد، وجمعها شِنَانٌ. وحكى اللحياني: قِرْبةٌ أَشْنانٌ، كأَنهم جعلوا كل جزء منها شَنّاً ثم جمعوا على هذا، قال: ولم أَسمع أَشْناناً في جمع شنٍّ إلّا هُنا. وتَشَنَّنَ السّقَاءُ واشْتَنَّ واسْتَشَنَّ: أَخلَق. والشَّنُّ: القربة الخَلَق، والشَّنَّةُ أَيضاً، وكأَنها صغيرة، والجمع الشِّنانُ.

(٦) يقال: لزم فلان غريمه إذا تعلّق به.

والمَلزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العيرُ غداً أو بعد غدٍ فأعمل لهم ثم أقضِيكِ الذي لكِ. قال مَجديٌّ: صَدَقْتِ، ثم خَلَّصَ بينهما. وسَمِعَ ذلك عديٌّ وبَسبَس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أَتَيا رسولَ اللَّه ﷺ فأخبراه بما سمعا. وأقبل أبو سفيانَ حين[١] تقدم العير حَذِراً حتى وَرَدَ الماء، فقال لمجديّ ابن عمرو: هل أحسَسْتَ أحداً؟ قال: ما رأيْتُ أحداً أُنكِره، إلا أنِّي رأيْتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا في شَنٍّ لهما ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مُناخَهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففتَّهُ فإذا فيه النَّوى، فقال: هذه واللَّه علائفُ يَثْرب! فَرَجَعَ إلى أصحابه سريعاً فصرف[٢] وجهَ عيرِه على الطريق فساحل بها[٣] وترك بدراً يَساراً، ثم انطلق حتى أسرع.

[رؤيا جهيم بن أبي الصلت]

وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحْفة[٤] رأى جُهَيمُ بن أبي الصَّلت بن مَخرَمة بن عبد المطلب بن عبد مُنافٍ رُؤيا، فقال: إنِّي رأيْتُ فيما يرى النائم، وإنِّي لبَيْن النائم واليَقْظان إذ نَظَرْتُ إلى رجلٍ أقبل على فرسٍ ومعه بَعيرٌ له ثم قال: قُتِلَ عُتبة بن رَبيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هِشام، وأُمَيَّة بن خلفٍ، وفلانٌ وفلان ـ فعدَّد رجالاً ممن قُتِلَ يومئذٍ من أشراف قريش ـ ورأيتُهُ ضرب في لَبَّة[٥] بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بقي خِباءٌ من أخبية العسكر إلا أصابه نضحٌ من دمه. قال: فبلَغَتْ أبا جهل فقال: وهذا أيضاً نبيٌّ آخرُ من بني عبد المطلب! سيَعْلَمُ غداً من المقتولُ إن نحن التقينا. ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عِيرَه، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عِيركم ورِحالكم[٦] وأموالكم فقد نجَّاها اللَّه فارجعوا.

فقال أبو جهل: واللَّه لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً ـ وكان بدرٌ مَوْسِماً من مواسم العرب تجتمع به، لهم بها سوقٌ كل عام ـ فنقيمَ عليه ثلاثاً، ونَنْحَر الجُزُر ونُطْعمَ الطعامَ ونسقى الخمورَ، وتعزفَ علينا القيانُ، وتسمع بنا العرب بمسيرنا وجمعنا[٧]، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا.

---

(١) في السيرة «قد».
(٢) في سيرة ابن هشام والطبري «فضرب».
(٣) لم ترد ساحل بها في سيرة ابن هشام. وساحل: سار بها نحو الساحل.
(٤) الجُحْفة: ميقات أهل الشام في الإحرام واسمها مَهيعة سميت جُحْفة لان السيل أجتحف أهلها.
(٥) اللَّبَّةُ من الصَّدْرِ: مَوْضِعُ اللَّبَّةِ من القِلَادَةِ وهي واسِطَةٌ حَوَالَيْها لُؤْلُؤٌ، والجَمْعُ الأَلْبَابُ.
(٦) في السيرة «رجالكم».
(٧) لم ترد «بمسيرنا وجمعنا» في السيرة.

[رجوع بني زهرة]

فقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وَهَبٍ السَّقَفيّ، وكان حليفاً لبني زُهرة، وهم بالجُحْفة: يا بني زُهرة قد نجَّى اللَّه لكم عِيرَكم وخَلَّصَ لكم صاحبكم مَخرمةَ ابن نَوْفل، وإنما نَفَرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوني جنبها[١] وارجعوا؛ فإنه لا حاجة بكم في أن تخرُجوا في غير ضيعةٍ لما يقول هذا «يعني أبا جهل»؛ فلم يَشهدها زُهريّ، وكان فيهم مُطاعاً. ولم يكن بقي من قريش بطنٌ إلا نفر منهم ناسٌ، إلا بني عديّ بن كعب لم يخرُج منهم رجلٌ واحد؛ فَرَجَعَتْ بنو زهرةَ مع الأخنس بن شريق، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحدٌ.

[إتهام قريش لبني هاشم]

ومضى القوم، وقد كان بين طالب بن أبي طالب ـ وكان في القوم ـ وبين بعض قريش محاورةٌ؛ فقالوا: واللَّه لقد عَرَفنا يا بني هاشم ـ وإن خَرَجْتُمْ معنا ـ أن هواكم [لمع][٢] محمد؛ فرجع طالبٌ إلى مكة فيمن رجع. وأما ابنُ الكلبيّ فإنه قال فيما حُدّثت عنه: شخص طالبُ بن أبي طالب إلى بدرٍ مع المشركين، أُخْرِجَ كَرْهاً، فلم يُوجد في الأسرى ولا في القتلى ولم يرجع إلى أهله، وكان شاعراً، وهو الذي يقول:

يـــا رَبِّ إمّـــا يـــغـــزُوَنَّ[٣] طـــالِـــبْ
فـي مِـقـنَـبٍ[٤] مِـن هـذه الـمَـقـانِـبْ
فَـلـيَـكُـنِ الـمَـسـلـوبُ غَـيـرَ الـسـالِـبْ
وَلـيَـكُـنِ الـمَـغـلـوبُ غَـيـرَ الـغـالِـبْ[٥]

[الرجز]

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

[نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي]

قال: ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعُدْوة القُصْوى من الوادي خَلْف العَقَنْقَل.

(١) وردت هذه العبارة في السيرة «فاجعلوا بي جُبْنها».
(٢) هذه الزيادة من السيرة.
(٣) ورد في بعض المصادر «تخرجن» بدل «يغرّون».
(٤) المِقنَّبُ زهاء ثلاث مئة من الخيل.
(٥) ورد هذا البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
فَـلـيَـكُـنِ الـمَـغـلـوبُ غَـيـرَ الـغـالِـبِ وَلـيَـكُـنِ الـمَـسـلـوبُ غَـيـرَ الـسـالِـبِ

وبطن الوادي، وهو يليل[١]، بين بدرٍ وبين العَقَنْقَل[٢]: الكثيب الذي خَلفه قريشٌ. والقَليب ببدر من العُدْوة الدنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة. وبعث اللَّه عزَّ وجلَّ السماء، وكان الوادي دَهساً[٣]، فأصاب رسول اللَّه ﷺ وأصحابه منها ما لبَّد لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ، وأصاب قُرَيشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه؛ فخرج رسول اللَّه ﷺ يُبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بدرٍ فنزل به.

قال ابن إسحاق: فحدِّثت عن رجالٍ[٤] من بني سَلَمَة ذكروا أن الحُباب ابن المُنذِر بن الجَموح قال: يا رسول اللَّه، أرأيت هذا المنزلَ، أمنزلٌ أنزلَكَه اللَّه ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخَّرَ عنه، أم هو الرأي والحربُ والمَكيدة؟ فقال: يا رسول اللَّه، إن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من مياه القوم فتنزله، ثم تغَوِّرَ[٥] ما سواه من القُلُب ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماءً، ثم نقاتل القومَ فنشربَ ولا يشربوا؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي». فنهض رسول اللَّه ﷺ ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم فَنَزِلَ عليه، ثم أمرَ بالقُلُب فغوِّرت[٦] وبنوا حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية.

قال محمد بن إسحاق: فحدَّثني محمد بن أبي بكر أن سعد بن مُعاذ قال: يا رسول اللَّه، نبني لك عَريشاً من جَريدٍ فتكون فيه ونُعدّ عندك ركائبَك، ثم نلقى عدوّنا؛ فإن نحن أعزَّنا اللَّه وأظهرَنا على عدوَّنا كان ذلك[٧] ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فَلَحِقْتَ بمن وراءنا من قومِنا؛ فقد تَخَلَّفَ عنك أقوامٌ يا نبيّ اللَّه ما نحن بأشد حبّاً لك منهم، ولو ظنوا[٨] أنك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّه بهم، يناصحونك ويجاهدون معك؛ فأثنى عليه[٩] رسول اللَّه ﷺ خيراً،

---

(١) يليل: اسم وادٍ يدفع في بدر.

(٢) العقنقل: كثيب رمل ببدْر، وهو الذي عنى ابن الزبعرَى في قوله يرثي من قُتِل ببدْر من قُريش:
ماذا ببدر والعقنقل من مرازبة جحاجح

(٣) مشينا في دهاس وهو رمل لا تغيب فيه القوائم. وعنز دهساء: بينة الدهسة وهي لون الرمل يعلوه أدنى سواد.

(٤) ورد في سيرة ابن هشام: «فحُدِّثت عن رجال من بني سَلَمة

(٥) في السيرة «تعور» والتعور الطم والردم.

(٦) في السيرة «فعورت».

(٧) في السيرة «ذلك» بدل «مما».

(٨) هذه زيادة عن السيرة.

(٩) هذه زيادة عن السيرة.

ودعا له بخير. ثم بُنِيَ لرسول اللَّه ﷺ عَريشٌ فكان فيه. وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحتْ وأقبلتْ. فلما رآها رسول اللَّه ﷺ تَصَوَّبُ[١] من العَقَنْقَل، وهو الكثيب الذي منه جاؤوا، إلى الوادي قال: «اللَّهم هذي قريشٌ قد أقبلت بِخُيَلائها وفخرها تُحادُّك وتكذّب رسولَك. اللَّهم فنصرَك الذي وعدتني اللَّهمّ فأحنهم الغداة». وقد قال رسول اللَّه ﷺ ورأى عُتبةَ بنَ ربيعة في القوم على جملٍ له أحمر: «إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يُطيعوه يَرشُدوا».

[عرض خفاف بن إيماء معونته على قريشٍ]

وقد كان خفاف بن إيماء بن رَحَضة الغِفاريّ، أو أبوه أَيْما بن رَحَضة، بعث إلى قريش حين مرّوا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم: إن أحببتم أن نُمِدَّكُم بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا. فأرسلوا إليه مع ابنه: أن وَصَلَتْكَ رَحِمٌ! فقد قضيتَ الذي عليك. فَلَعَمري لئن كُنَّا إنما نقاتل الناسَ فما بنا ضعفٌ عنهم، ولئن كنا نقاتل اللَّه كما يَزعُمُ محمد فما لأحدٍ باللَّه من طاقةٍ. فلما نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوضَ حوض رسول اللَّه ﷺ. فقال رسول اللَّه ﷺ: «دعوهم». فما شَرِبَ منهم رجلٌ إلا قُتِلَ يومئذٍ، إلا ما كان من حَكيم بن حِزام فإنه لم يُقْتَلْ، نجا على فرس يقال له الوجيه، وأسلم بعد ذلك فَحَسُنَ إسلامُهُ؛ فكانَ إذا اجتهد في يمينه قال: والذي نجَّاني من يوم بدرٍ.

[بعثت قريش عمير بن وهب متجسساً]

قال محمد بن إسحاق: وحدَّثني أبي إسحاق بن يَسارٍ وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما اطمأَنَّ القوم بَعَثُوا عُمَيْر بن وَهَبٍ الجُمَحِيّ فقالوا: احزُرْ[٢] لنا أصحابَ محمد؛ فاستجال بفرسه حولَ العسكر ثم رَجَعَ إليهم، فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر: أَلِلْقوم كَمِينٌ أو مَدَدٌ. قال: فضرب في الوادي حتى أمعَنَ، فلم يَرَ شيئاً، فَرَجَعَ فقال: لم أرَ شيئاً، ولكن قد رأيْتُ يا معشر قريش الوَلايا[٣] تحمل المنايا! نواضِحَ[٤] يثرب تحمل الموت الناقع! قومٌ ليس لهم مَنَعَةٌ ولا ملجأٌ إلا سيوفُهم. واللَّه ما أرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم

(١) التصوب: الانحدار من مكان مرتفع.
(٢) الحزر: التخمين والتقدير.
(٣) الولايا: جمع ولية هي البرذعة أو ما تحتها.
(٤) النواضح: البعير يستقى عليه، ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء.

حتى يَقْتُلَ رجلاً منكم! فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خيرُ العيش بعد ذلك! فروا رأيكم. فلما سَمِعَ حَكيم بن حِزام ذلك مشى في الناس فأتى عُتْبَة بن ربيعة وقال: يا أبا الوليد، إنك كبيرُ قريش الليلة وسَيِّدُها والمُطاعُ فيها، هل لك إلى أمرٍ لا تزال تُذكر منه بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتَحْمِلُ دم حليفك عمرو بن الحضرميّ؛ قال: قد فعلت، أنت على ذلك شهيدٌ، إنما هو حليفي فعليّ عَقلُهُ[1] وما أُصيب من مالِهِ؛ فأْتِ ابن الحنظليَّة[2] فإني لا أخشى أن يَسْحَرَ الناسَ غيرُهُ يعني؛ أبا جهل بن هشام.

[حكيم بن حزام يقص حديث بدر لمروان]

حدَّثنا محمد قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثنا غمامةُ بن عمرو السَّهميّ قال: حَدَّثنا مُسَوَّر بن عبد الملك اليربُوعيّ عن أبيه عن سعيد بن المُسَيِّب قال: بينا نحن عند مروانَ بن الحَكَم إذ دخل عليه حاجبه فقال: هذا أبو خالدٍ حَكيم بن حِزام؛ قال: إئْذن له؛ فلما دخل حكيم بن حِزام، قال: مرحباً بك يا أبا خالد، أدن؛ فحاَل له مَروانُ عن صَدرِ المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة، ثم استقبله مروان فقال: حدِّثنا حديثَ بدرٍ. قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحفة رَجَعَتْ قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحدٌ من مُشركيهم بدراً؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العُدوةَ التي قال اللَّه عزَّ وجلَّ؛ فجئْتُ عُتبةَ بن ربيعة فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرَفِ هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعلُ ماذا؟ قال: قُلْتُ: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دَمَ واحدٍ: وهو حليفُك، فتحمَّل دِيَته فيرجعَ الناسُ؛ قال: أنت وذاك، وأنا أتحمل ديته، فاذهب إلى ابن الحنظلية؛ يعني أبا جهل فقل له: هل لك أن ترجع اليومَ بمن معك عن ابن عمك؟ فجئتُهُ فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن ورائه، فإذا ابن الحضرميّ واقفٌ على رأسه وهو يقول: قد فَسَخْتُ عقدي من بني عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم؛ فَقُلْتُ له: يقول لك عُتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليومَ عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرَك؟ قُلْت: لا، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرج مُبادراً إلى عتبة وخَرَجْتُ معه لئلا يفوتَني من الخبر شيء، وعتبة يتَّكىء على إيماء بن رَحَضة الغِفاريّ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر، فطلعَ أبو جهل والشرّ في وجهه، فقال لعُتبة: انتفخَ سَحرُك! فقال عتبة: فستعلم؛ فَسَلّ أبو

(١) العقل: الدية.

(٢) الحنظلية أم أبي جهل، وهي أسماء بنت مخرِّبة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم.

جهل سيفَهُ فَضربَ به مَتْنَ فرسه؛ فقال إيماءُ بن رَحَضة: بئس المُقام هذا! فعند ذلك قامت الحرب.

رجع الحديث إلى ابن إسحاق

[نصح عتبة بن ربيعة قريشاً بالرجوع فأبى أبو جهل]

ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً، فقال: يا معشر قريش، واللَّه ما تصنعون بأن تَلقَوا محمداً وأصحابَه شيئاً! واللَّه لئن أصبتُمُوه، لا يزال الرجل منكم ينظرُ في وجه رجلٍ يكره النظر إليه، رجلٍ قتل ابنَ عمه أو ابنَ خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وسائر العرب؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون. قال حَكيم: فانطلقْتُ حتى جِئْتُ أبا جهل، فوجدته قد نَثَلَ[١] دِرْعاً له من جرابها وهو يُهيِّئُها؛ فقلت له: يا أبا الحَكَم، إنَّ عُتْبَةَ أرسلني إليك بكذا وكذا الذي قال؛ فقال: انتَفَخَ واللَّه سحرُه حين رأى محمداً وأصحابه. كلا واللَّه! لا مرجعَ حتى يَحْكُمَ اللَّه بيننا وبين محمد وأصحابه؛ وما يعتبه ما قال، ولكنه قد رأى أنَّ محمداً وأصحابه أكَلَةُ جَزُور[٢]، وفيهم ابنُهُ قد تخوَّفَكُم عليه. ثم بَعَثَ إلى عامر الحَضرميّ فقال له: هذا حليفُكَ يريد أن يرجع بالناس وقد رأيْتَ ثأرك بعينك، فقم فانشد خفرتك[٣] ومقتلَ أخيك. فقام عامر بن الحَضرميّ فاكتشف ثم صَرَخَ: واعمراه! واعمراه! فَحَمِيَتِ الحربُ، وحَقِبَ[٤] أمرُ الناس، واستوسَقوا[٥] على ما هم عليه من الشرّ، وأُفْسِدَ على الناس الرّأيُ الذي دعاهم إليه عُتبة بن ربيعة. ولما بَلَغَ عُتبة قولُ أبي جهل: «انتفخ سحره» قال: سيعلم مُصَفِّر الأسْتِ من انتفخ سحرُهُ: أنا أم هو! ثم التمس عُتبةُ بيضةً لِيُدْخِلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تَسَعَهُ من عِظَمِ هامته؛ فلما رأى ذلك اعتجر[٦] على رأسه ببردٍ له.

---

(١) نثل كنانته: نثرها. ونثلوا ركيّتهم: حفروها وأخرجوا نثيلتها: نبيثتها. ونثلوا حفرة فلان: حفروا قبره. ونثل الحافر: راث.

(٢) أكلة جزور: يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم.

(٣) وفي السيرة «خفرتك» والخفرة الذمة والعهد.

(٤) حقب: فسد.

(٥) الوَسْقُ: ضمك الشيء إلى الشيء بعضهما إلى بعض. والاتِّساق: الانضمام والاستواء كاتِّساقِ القمر إذا تم وامتلأ فاستوى. واستَوْسَقَت الإبل: اجتمعت وانضمت، والراعي يَسِقُها أي يجمعها.

(٦) الاعتجار: لفّ العلامة على الرأس.

[أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل]

وقد خرج الأسودُ بن عبد الأسد المخزوميّ، وكان رجلاً شرساً سيِّءَ الخُلق، فقال: أُعاهد اللَّه لأشربنّ من حوضهم أو لأهدِمَنّهُ أو لأموتنّ دونه، فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قَدَمَهُ بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُبرّ يمينَهُ، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله في الحوض. ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتبة، حتى إذا نصل[١] من الصفِّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فِتيةٌ من الأنصار ثلاثةُ نفرٍ، وهم: عوف ومُعَوّذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء ورجلٌ آخر يُقَالُ: هو عبد اللَّه بن رواحة؛ فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رَهْطٌ من الأنصار؛ قالوا: ما لنا بكم حاجة. ثم نادى مُناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «قم يا حمزة ابن عبد المطَّلِب، قم يا عُبيدة بن الحارث، قُمْ يا عليّ بن أبي طالب». فلما قاموا ودَنُوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقال عُبيدة: عُبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليٌّ: عليّ. قالوا: نعم، أكفاءٌ كِرامٌ. فبارز عُبيدة بن الحارث، وكان أسنّ القوم، عُتبةَ بن ربيعة؛ وبارز حمزةُ شيبة بن ربيعة؛ وبارز عليٌّ الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يُمْهِل شيبةَ أن قتله. وأمَّا عليٌّ فلم يُمْهِل الوليد بن عُتبة أن قتله. واختلف عُبيدة وعُتبةُ بينهما بضربتين كلاهما أثبت[٢] صاحبه؛ فكر حَمزةُ وعليٌّ على عُتبة بأسيافهما فذفَّفا[٣] عليه فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدة، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطِعَتْ رجلُهُ ومخه يسيل. فلما أتوا بِعُبَيدة إلى رسول اللَّه ﷺ قال: ألستُ شهيداً يا رسول اللَّه؟ قال: «بلى». فقال عُبيدة: لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أني بما قال أحقُّ منه حيث يقول:

وَنُسلِمُهُ حَتّى نُصَرَّعَ حَولَهُ وَنذهلَ عَن أَبنائِنا وَالحَلائِلِ

[الطويل]

قال محمد بن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنَّ عُتبة بن ربيعة قال للفِتية من الأنصار حين انتسبوا له: أكفاءٌ كرامٌ، إنَّما نريد قومَنا. ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضهم من بعض ـ وقد أمر رسولُ اللَّه ﷺ أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: «إن اكتنفكم القومُ فانضحوهم بالنَّبْل» ـ ورسول اللَّه ﷺ في العريش معه أبو بكر.

---

(١) نصل: خرج.

(٢) أثبت صاحبه: أثخنه بالجراح.

(٣) ذفف الجريح: أجهز عليه.

وكانت وقعة بدرٍ يومَ الجمعة صبيحةَ سبعَ عشرةَ من شهر رمضان، قال ابن إسحاق: كما حدَّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين. قال محمد بن جرير وحدَّثنا ابن حُمَيد قال: حدَّثنا سَلَمَة قال: قال لي محمد بن إسحاق حدَّثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان عن أشياخ من قومه: أنَّ رسول اللَّه ﷺ عدَّل صفوف أصحابه يومَ بدرٍ، وفي يده قِدحٌ(١) يُعَدِّلُ به القومَ، فمرَّ بسواد بن غَزيّة حليف بني عديّ بن النَّجار وهو مُسْتَنْتِلٌ(٢) من الصفّ، فطعن رسولُ اللَّه ﷺ في بطنه بالقدح، ثم قال: «استَوِ يا سواد بن غزية». فقال: يا رسول اللَّه، أَوْجَعْتَنِي! وقد بعثك اللَّه بالحقِّ، فأقِدني. قال: فكشف رسولُ اللَّه ﷺ عن بطنه وقال: «استَقِد»؛ فاعتنقه وقَبَّلَ بطنه. فقال: «ما حملك على هذا يا سوادُ»؟ فقال: يا رسول اللَّه، حضر ما ترى، فلم آمن الموتَ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ [جلدي] جلدك؛ فدعا له رسول اللَّه ﷺ بخير وقال له خيراً. ثم عدَّل رسول اللَّه ﷺ الصفوفَ، ورَجَعَ إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره، ورسول اللَّه ﷺ يناشد ربَّه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: «اللَّهمّ إن تهلك هذه العصابة اليوم ـ يعني المسلمين ـ لا تُعْبد بعد اليوم». وأبو بكر يقول: يا نبيّ اللَّه خلِّ بعض مُناشدتك ربك؛ فإن اللَّه مُنْجزٌ لك ما وعدك.

[دعاء النبي يوم بدر]

حدَّثنا محمد بن جرير قال: حدَّثنا محمد بن عُبَيد المُحاربيّ قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن المُبارك عن عكرمة بن عَمَّار قال: حَدَّثني سِماكٌ الحنفيّ قال سَمِعْتُ ابن عباس يقول: حدَّثني عمر بن الخطاب قال: لمَّا كان يوم بدر ونظر رسول اللَّه ﷺ إلى المشركين وعِدَّتهم وإلى أصحابه وهم نَيِّفٌ على ثلاثمائة، استقبل الكعبةَ وجعل يدعو ويقول: «اللَّهمّ أنجزْ لي ما وعدتني. اللَّهمَّ إن تُهلك هذه العصابةُ من أهل الإسلام لا تُعْبَدْ في الأرض». فلم يزل كذلك حتى سقط رِداؤه؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداءَهُ عليه، ثم التزمه من ورائه فقال: كفاك يا نبيّ اللَّه، بأبي أنت وأمّي، مناشدتُكَ لربك، سَيُنْجَزُ لك ما وعدك. فأنزل اللَّه تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

حدَّثنا محمد قال: حَدَّثنا ابنُ وكيع قال: حَدَّثنا الثَّقَفيّ يعني عبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عبَّاس: أنَّ النبيّ ﷺ قال وهو في قُبَّته يوم بدرٍ «اللَّهمّ أسألك

(١) القدح(بالكسر): السهم قبل أن ينصل ويراش.
(٢) مستنتل: متقدم.

عهدك ووعدَك. اللَّهمّ إن شئتَ لم تعبد بعد اليوم». قال: «فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا نبي اللَّه، فقد ألححت على ربك، وهو في الدّرع؛ فخرج وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر».

[رجع الحديث إلى حديث ابن أبي إسحاق]

قال: وقد خفق رسولُ اللَّه ﷺ خَفْقةً وهو بالعريش، ثم انتبه فقال: «يا أبا بكر أتاك نصرُ اللَّه، هذا جبريلٌ آخذٌ بعنان فرسه يقوده وعلى ثناياه النَّقْع»[1]، قال: وقد رُمِي مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطَّاب بسهم فَقُتِلَ، فكان أوّلَ قَتيلٍ من المسلمين ثم رُمِيَ حارثةُ بن سُراقة أحد بني عديّ بن النجار وهو يشربُ من الحوض بسهم فأصاب نحرَهُ فَقُتِلَ. ثم خرج رسولُ اللَّه ﷺ إلى الناس فحرَّضَهُم ونفَّلَ كلُّ امرئٍ ما أصاب، وقال: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليومَ رَجُلٌ فيُقْتَلُ صابراً مُحْتَسباً مُقْبِلاً غير مُدْبِرٍ إلا أدخله اللَّه الجنة». فقال عُمَيْرُ بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمراتٌ يأكلها: بَخٍ بَخٍ! أما بيني وبين أن أدخل الجنةَ إلا أن يقتلني هؤلاء! قال: ثم قَذَفَ التمراتِ من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ، وهو يقول:

رَكْضاً إلى اللَّه بِغَيْرِ زادِ ... إلا التُّقى وعَمَلَ المَعادِ
والصّبرَ في اللَّه على الجهادِ ... وكلُّ زادٍ عُرضَةُ النَّفادِ

[الرجز]

غيرَ التّقى والبرِّ والرَّشادِ

حدَّثنا محمد بن جرير قال: حَدَّثنا ابن حُمَيد قال: حدَّثنا سَلَمَة قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة: أنَّ عَوْف بن الحارث، وهو ابنُ عفراء، قال: يا رسول اللَّه، ما يُضْحِكُ الربَّ من عبده؟ قال: «غَمْسُهُ يده في العدوِّ حاسراً»؛ فنزع دِرْعاً كانت عليه فقذَفَها، ثم أخذ سيفه فقاتل القومَ حتى قُتِلَ.

[إلتقاء الفريقين وهزيمة المشركين]

حدَّثنا محمد قال: حدَّثنا ابن حُمَيد قال: حَدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: وحدَّثني محمد بن مُسلِم الزُّهريّ عن عبد اللَّه بن ثَعلبةَ بن صُعَيْر العُذري حليف بني زُهرة قال: لما التقى الناسُ ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جَهل: اللَّهمّ أقْطَعُنا للرَّحم وآتانا بما لا يُعرَف فأحِنْه الغداة؛ فكان هو المُستَفْتِح على نفسه. ثم إن رسول

(١) مردفين: متتابعين بعضهم أثر بعض.

اللَّه ﷺ أخذ حفنة من الحَصْباء واستقبل بها قريشاً، ثم قال: «شاهَتِ الوجوهُ» ثم نفحهم[١] بها، وقال لأصحابه: «شُدُّوا»؛ فكانت الهزيمةُ، فقتل اللَّه من قتل من صناديد قريش، وأُسِرَ من أُسِرَ منهم. فلما وضع القومُ أيديهم يأسرون ـ ورسول اللَّه ﷺ في العريش، وسعد بن مُعاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول اللَّه ﷺ مُتَوَشِحاً بالسيف في نفرٍ من الأنصار، يحرُسون رسول اللَّه ﷺ، يخافون عليه كرَّة العدو ـ رأى رسول اللَّه ﷺ ـ فيما ذُكِرَ لي ـ في وجه سعد بن مُعاذ الكَراهةَ فيما يصنع الناس؛ فقال له: «كأنك كرِهْتَ ما يَصْنَعُ الناس»! قال: أجل يا رسول اللَّه! كانت أوَّلُ وقعةٍ أوقعها اللَّه عزَّ وجلَّ بأهل الشرك؛ فكان الإثخانُ في القتل أعجبَ إليّ من استبقاء الرجال.

[نهى النبيّ عن قتل جماعة خرجوا مستكرهين]

حدَّثنا محمد قال: حدَّثنا ابن حُمَيد قال: حدَّثنا سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال: وحدَّثني العباس بن عبد اللَّه بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس: أنّ رسول اللَّه ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إنِّي قد عَرَفْتُ أنَّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كَرْهاً لا حاجة لهم بقتالنا؛ فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُلْهُ، ومن لقي أبا البَخْتَريّ بن هشام بن الحارث فلا يقتُلْهُ ومن لقي العبَّاس بن عبد المطلب ـ عمَّ رسول اللَّه ﷺ ـ فلا يقتُلْه، فأنَّما خَرَجَ مُسْتَكْرَهاً». قال: فقال أبو حُذَيفة بنُ عُتْبَة بن ربيعة: أيُقْتَلُ آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا[٢] وعشيرُتنا ونترك العبَّاسَ! واللَّه لئن لقيتُهُ لألْحِمَنَّهُ السيف! فبلغت رسول اللَّه ﷺ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص أما تسمع إلى قول أبي حُذَيْفة يقول أضربُ وجه عمّ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ بالسيف». فقال: عمر: يا رسول اللَّه، دَعني فلأضربنّ عُنُقَهُ بالسيف، فواللَّه لقد نافق. قال عمر: واللَّه إنه لأوَّل يوم كَناني فيه رسول اللَّه ﷺ بأبي حفص. قال: فكان أبو حُذَيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قُلْتُ يومئذٍ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تُكَفِّرَها عنِّي الشهادةُ؛ فَقُتِلَ يومَ اليمامة شهيداً.

[سبب نهي النبي عن قتل أبي البختري]

قال: وإنَّما نهى رسول اللَّه ﷺ عن قتل أبي البَخْتَريّ، لأنَّه كان أكفَّ القوم عن رسول اللَّه ﷺ وهو بمكة، كان لايؤذيه ولا يَبْلُغُه عنه بمكة شيءٌ يكرَهُهُ، وكان ممن

---

(١) نفحهم: ضربهم.

(٢) ورد في السيرة «إخواتنا» بدل: إخواننا».

قام في نَقْض الصحيفة التي كَتَبَتْ قريشٌ على بني هاشم وبني المُطَلَّب. فَلَقِيَهُ المُجذَّر بن ذِياد البَلَويّ حليفُ الأنصار من بني عَديّ، فقال المُجذَّر بن ذياد لأبي البختريّ: إنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قد نهى عن قتلِكَ، ومع أبي البختريّ زميلٌ له خَرَجَ معه من مكة، وهو جُنادةُ بن مُلَيْحَةَ بن زُهَير بن الحارث بن أسد ـ وجُنادة رجلٌ من بني لَيْث. واسم أبي البختريّ العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد ـ قال: وزميلي؟ فقال المجذَّر: لا واللَّه ما نحن بتاركي زميلك؛ ما أمرنا رسول اللَّه ﷺ إلا بك وحدَك. قال: واللَّه إذن لأموتنّ أنا وهو جميعاً! لا تتحدّث عنِّي نساء قريش بين أهل مكة أني تركْتُ زميلي حرصاً على الحياة. فقال أبو البختريّ حين نازله المُجذَّر وأبى إلا القتال وهو يَرْتَجِزُ:

لَنْ يُسلَمَ ابنُ حُرَّةٍ أكِيلَهُ[1] حتى يموتَ أو يرى سبيلَهْ

[الرجز]

فاقتتلا، فقتله المجذَّر بن ذياد. ثم أتى المُجذَّر بن ذياد رسول اللَّه ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق، لقد جَهِدْتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيكَ به، فأبى إلا القتالَ، فقاتلتُهُ فقتلتُهُ.

[عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف]

قال محمد بن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عَبَّاد عن عبد اللَّه بن الزُّبير عن أبيه، قال: وحدَّثنيه أيضاً عبد اللَّه بن أبي بكر وغيرُهما عبد الرحمن بن عَوْف قال: كان أُميَّة بن خَلَفٍ لي صديقاً بمكة. قال: وكان اسمي عبدَ عمرو، فَسُمِّيْتُ حين أسلَمْتُ عبد الرحمن ونحن بمكة؛ قال: وكان يلقاني بمكة فيقول: يا عبد عمرو، أرَغِبْتَ عن اسم سمَّاك به أبواك؟ فأقول نعم؛ فيقول: فإنِّي لا أعرِفُ الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أمَّا أنت فلا تجبني باسمك الأوَّل، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أجبه. فَقُلْتُ: اجعلْ بيني وبينك يا أبا عليّ ما شِئْتَ؛ قال: فأنت عبد الإله. فقلت نعم. قال: فَكُنْتُ إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه فأتحدَّثُ معه؛ حتى إذا كان يومُ بدرٍ، مَرَرْتُ به وهو واقفٌ مع عليّ ابنه آخذاً بيده، ومعي أدراعٌ قد سلبتها وأنا أحملها؛ فلما رآني قال: يا عبد عمرو، فلم أجبه. فقال: يا عبد الإله، قُلْتُ نعم. قال: هل لك فيَّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع؟ قلت: نعم، هَلُمّ إذاً؛ فَطَرَحْتُ الأدراعَ بين يدي وأخذْتُ بيدِهِ وبيد ابنه عليٍّ، وهو

(١) ورد في السيرة: زميله» بدل «أكيله».

يقول: ما رأيْتُ كاليوم قطّ، أما لكم حاجةٌ في اللبن[١]؟ ثم خرجت أمشي بينهما.

[مقتل أمية بن خلف وابنه]

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الواحد بن أبي عَوْن عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عَوْف قال: قال لي أمية بن خَلفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل المُعْلَم منكم بريش نَعَامَةٍ في صدره؟ قال: قلت: ذلك حمزة بن عبد المُطَّلِب؛ قال: ذلك الذي فعل بنا الأفاعيلَ. قال عبد الرحمن: فواللَّه إنِّي لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي ـ وكان هو الذي يُعَذِّبُ بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام، فَيُخْرِجُهُ إلى رَمْضَاء مكة إذا حَميت فَيُضْجِعُهُ على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقولُ: لا تزال هكذا حتى تفارقَ دينَ محمد؛ فيقول بلالٌ: أحدٌ أحدٌ ـ فقال بِلالٌ حين رآه: رأسُ الكفر أميةُ بن خَلَفٍ، لا نجوتُ إن نَجوا! قال: قُلْتُ: أي بلالُ، أبأسِيرَيّ! قال: لا نَجَوْتُ إن نجوا! قُلْتُ: أي بلال، أبأسِيريّ تسمِّع[٢] يابن السوداء! قال: لا نَجَوْتُ إن نجوا! ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصارَ اللَّه، رأسَ الكفر أُمية بن خلف، لا نجوت إن نجوا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة[٣] وأنا أذُبّ عنه. قال: فأخلف رجلٌ السيفَ فَضَرَبَ رِجلَ ابنه فوقع، وصاح أمية صيحةً ما سَمِعْتُ بمثلها قطُّ؛ قال: قلت: انْجُ بِنَفْسِكَ ولا نجاء! فواللَّه ما أغني عنك شيئاً. قال: فَهَبَروهما[٤] بأسيافِهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: رَحِمَ اللَّه بِلالاً! ذهب بأدراعي وفجعني بأسيريّ.

[قتال الملائكة في غزوة بدر]

قال ابن إسحاق حدَّثني عبد اللَّه بن أبي بكر أنه حُدّث عن ابن عبَّاس قال: حَدَّثني رجلٌ من بني غِفار قال: أقبَلْتُ أنا وابنُ عمّ لي حتى أصْعَدْنا في جبلٍ يُشرِفُ بنا على بدر، ونحن مُشْرِكان ننتظرُ الوَقعةَ على من تكون الدَّبرة[٥] ـ فننهب من ينهب. فبينا نحن في الجبل إذ دنت مِنَّا سحابةٌ، فَسَمِعنا فيها حَمْحَمَة الخيل، وسمَعْتُ قائلاً

(١) يقول ابن هشام في سيرته: «يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة من اللبن».
(٢) سَمَّعَ بالرجل: أذاعَ عنه عَيْباً ونَدَّدَ به وشَهَّرَه وفضَحَه، وأَسمَعَ الناسَ إياه.
(٣) المسكة: السوار.
(٤) فهبروهما: فقطعوهما.
(٥) ولّى دبره: انهزم. وكانت الدبرة له إذا انهزم قرنه، وكانت الدبرة عليه إذا انهزم هو. وجعل اللَّه الدابرة عليهم بمعنى الدبرة.

يقول: أقدِم حيزُومُ[١]. قال: فأما ابنُ عمي فانكشف قِناعُ قَلْبِهُ[٢] فمات مكانه. وأما أنا فَكِدْتُ أَهلِك، ثم تماسَكْتُ.

قال محمد بن إسحاق وحدَّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ عن رجالٍ من بني مازِن ابن النجَّار عن أبي داود المازنيّ، وكان شَهِدَ بدراً، قال: إني لأتبع رَجُلاً من المشركين يومَ بدرٍ لأضرِبَهُ، إذ وقع رأسُهُ قبل أن يصل إليه سيفي، فعلمت أنه قد قتله غيري.

حدَّثنا محمد بن جرير قال: حَدَّثنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن الحَكَم المِصري قال: حَدَّثنا يحيى بن بُكَير قال: حَدَّثني محمد بن إسحاق عن العَلاء بن كَثير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبي أمامة بن سَهْل بن حُنَيْف قال: قال لي أبي: يا بُنيّ، لقد رأيتنا يوم بدرٍ وإن أحدَنا ليُشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسُهُ عن جسده قبل أن يَصِلَ إليه السيفُ.

[لباس الملائكة يوم بدرٍ وحنين]

حَدَّثنا محمد قال: حَدَّثنا ابن حُمَيدٍ قال: حَدَّثنا سَلمةُ عن محمد قال: وحدَّثني الحسن بن عمارة قال: أخبرنا سَلَمة عن الحكم بن عُتيبة عن مِقسَم مولى عبد اللَّه بن الحارث عن عبد اللَّه بن عباس قال: كانت سيما الملائكة يومَ بدرٍ عمائمَ بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حُنينٍ عمائمَ حُمراً، ولم تقاتل الملائكة في يومٍ من الأيام سِوى يومِ بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مَدَداً وعَدَداً ولا يضربون.

[مقتل أبي جهل بن هشام]

حدَّثنا محمد قال: حدَّثنا ابن حُمَيد قال: حَدَّثنا سَلَمة قال: قال: محمد وحدَّثني ثور بن يزيد[٣] مولى بني الدِّيل عن عكرمة مولى ابنِ عباس عن ابن عباس، قال: وحَدَّثني عبد اللَّه بن أبي بكر، قالا: كان مُعاذ بن عمرو بن الجَموح أخو بني سَلَمة يقول: لما فَرَغَ رسول اللَّه ﷺ من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يُلْتَمَسَ في القتلى، وقال: «اللَّهم لا يُعْجِزَنَّك». وكان أوَّل من لَقِيَ أبا جهل، معاذ بن عمرو بن الجموح، قال: سَمِعْتُ القومَ، وأبو جهل في مثل الحرجة[٤]، وهم يقولون: أبو الحكم لا يُخلَص إليه؛ فلما سَمِعْتُها جعلتها من شأني، فَعَمَدْتُ نحوه، فلما أمكنني

(١) أقدم حيزوم: هو أمر بالاقدام، وهو التقدم في الحرب، والإقدام: الشجاعة.
(٢) قناع قلبه: غشاؤه، تشبيهاً بقناع المرأة.
(٣) ورد في السيرة لابن هشام: «زيد» بدل «يزيد» ولعلها الأصوب.
(٤) الحَرَجة: مجتمع شجر ملتفّ كالغيضة.

حملت عليه، فضربتُهُ ضَرْبَةً أطَنَّتْ قدَمَهُ بنصف ساقه، فو اللَّه ما شبَّهْتُها حين طاحت إلا كالنواة تطيح من تحت مِرْضَخَة[١] النوى حين يُضْرَبُ بها. قال: وضربني ابنُهُ عكْرَمة على عاتقي فَطَرَحَ يدي، فتعلَّقَتْ بِجلْدِهِ من جنبي، وأجهضني القتالُ عنها؛ فلقد قاتَلْتُ عامَّة يومي وإني لأسحبُها خلفي، فلما آذتني جَعَلْتُ عليها رجلي ثم تَمَطَّيتُ بها حتى طرَحْتُها. قال: ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفَّان. قال: ثم مرّ بأبي جهل، وهو عقيرٌ[٢]، مُعوِّذُ بن عَفراء، فضربه حتى أثبته[٣]، فتركه وبه رَمَقٌ، وقاتل مُعوّذٌ حتى قُتِلَ. فَمَرَّ عبد اللَّه بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول اللَّه ﷺ أن يُلتَمَس في القَتْلى، وقال لهم رسول اللَّه ﷺ فيما بلغني: «انظروا إن خفيَ عليكم في القتلى إلى أثرِ جُرْحٍ بِرُكْبَتِهِ؛ فإني ازدَحَمْتُ أنا وهو يوماً على مأدبةٍ لعبد اللَّه بن جُدْعان ونحن غلامان، وكُنْتُ أشبَّ ـ أو أشفَّ ـ منه بيسير، فدفعتُهُ فوقع على رُكْبَتَيْه فَخُدِشَ في إحداهما خَدْشاً لم يزل أثرُهُ فيها بعدُ». فقال عبد اللَّه بن مسعود: فوجدْتُهُ بآخر رَمَقٍ فعرفتُهُ، فَوَضَعْتُ رجلي على عُنُقِهِ؛ قال: وقد كان ضَبَثَ[٤] بي مَرَّةً بمكة فآذاني ولَكَزَني، ثم قُلْتُ: هل أخزاك اللَّه يا عدوَ اللَّه؟ قال: وبماذا أخزاني! أعمدُ[٥] من رجلٍ قتلتموه! لمن الدَّبرةُ اليوم؟ قال: قُلْتُ: للَّه ولرسوله ﷺ.

حَدَّثنا محمد بن جرير قال: حَدَّثنا ابنُ حُمَيد قال: حَدَّثنا سَلَمة عن محمد قال: زَعَمَ رجالٌ من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتَقَيْتَ يا رُوَيعِيَ الغنم مُرْتَقًى صعباً؛ ثم احتزَزْتُ رأسه، ثم جئت به رسولَ اللَّه ﷺ، فَقُلْتُ: يا رسول اللَّه، هذا رأسُ عدوّ اللَّه أبي جهل؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «اللَّه الذي لا إله غيره»! ـ وكانت يمينَ رسول اللَّه ﷺ ـ قُلْتُ: نِعم واللَّه الذي لا إله غيره، ثم ألقَيْتُ رأسه بين يدي رسول اللَّه ﷺ، قال: فَحَمَدَ اللَّه.

---

(١) هي حجر يضخ به النوى.

(٢) عقير: جريح.

(٣) أثبته: جرحه جراحة لا يتحرّك معها ولا يقوم.

(٤) ضبث الشيء وضبث عليه إذا قبض عليه وجسّه. قال الطرماح:

وضبثة كفّ باشرت ببنانها صعيداً كفاه فقد ماء المصافن

أراد ضربة المتيمم. وضبث به. بطش به. ومنه قيل للأسد: الضبثم لضبثه بالفريسة. ولطمه الأسد بمضابثه: بمخالبه. ووسم بعيره بضبثة الأسد وهي حلقة لها خطوط من قدّامها ومن ورائها. وبعير مضبوث

(٥) أعمد: أعجب.

[تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم]

قال محمد بن إسحاق وحدَّثني يزيدُ بن رُومان عن عُروة بن الزُّبير عن عائشة قالت: لما أمرَ رسولُ اللَّه ﷺ بالقَتْلى أن يُطْرَحوا في القَليب طُرِحوا فيها إلا ما كان من أُميةَ بنِ خَلَف، فإنه انتفخ في دُرْعِهِ فملأها؛ فذهبوا به لِيخرجوه فتزايلَ، فأقرَّوه وألقَوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة. فلما ألقَوْهم في القَليب، وقف رسول اللَّه ﷺ، فقال: «يا أهلَ القَليب هل وجدْتُمْ ما وعدكم رَبُّكُمُ حقاً فإني وجدت ما وعدني ربيّ حقّاً». فقال له أصحابه: يا رسولَ اللَّه، أتُكِّلمُ قوماً موتى؟ قال: «لقد علموا إن ما وعدهم ربُّهُم حقّ». قالت عائشة: والناس يقولون: «لقد سمعوا ما قُلْتُ لهم»، وإنَّما قال رسول اللَّه ﷺ: «لقد علموا».

قال ابن إسحاق وحدَّثني حَميدٌ الطويل عن أنس بن مالك قال: لما سَمِعَ أصحابُ رسول اللَّه ﷺ رسول اللَّه ﷺ وهو يقول من جَوْفِ الليل: «يا أهلَ القَليب يا عُتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام ـ فعدَّد من كان منهم في القَليب ـ هل وجدتم ما وعدكم رَبُّكم حقّاً فإني قد وَجدتُ ما وعدني ربي حقاً» قال المسلمون: يا رسول اللَّه، أتُنَادي قوما قد جيفوا! فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبوني».

قال محمد بن إسحاق وحدَّثني بعض أهل العلم: أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ يوم قال هذه المقالة قال: «يا أهلَ القَليب بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيِّكُم! كَذَّبتموني وصدَّقني الناسُ، وأخرجتُموني وآواني الناسُ، وقاتلتُموني ونصرني الناس». ثم قال: «هل وَجَدْتُم ما وعدكم ربُّكم حقّاً» للمقالة التي قالها. ولما أمرَ بهم رسول اللَّه ﷺ أن يلقوا في القَليب، أُخِذَ عتبة فسحب إلى القَليب، فنظر رسول اللَّه ﷺ، فيما بلغني، إلى وجه أبي حُذَيفة بن عُتبة، فإذا هو كئيبٌ قد تغيَّر؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «يا أبا حذيفة لعلَّك قد دَخَلَكَ من شأن أبيك شيء» أو كما قال؛ قال: فقال: لا واللَّه يا رسول اللَّه ما شككْتُ في أبي ولا في مصرَعِه، ولكنني كُنْتُ أعرِفُ من أبي رأياً وفضلاً وحلماً، فَكُنْتُ أرجو أن يهديه اللَّهُ إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذَكَرْتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كُنْتُ أرجو له، أحزنني ذلك. قال: فدعا رسول اللَّه ﷺ له بخير وقال له خيراً.

[إختلاف المسلمين على الفيء]

ثم إنَّ رسول اللَّه ﷺ أمر بما في العسكر مما جمع الناس فَجُمِعَ، واختلف

المسلمون فيه: فقال من جمعه: هو لنا، وقد كان رسول اللَّه ﷺ نَفَّل[1] كل امرىءٍ ما أصاب. فقال الذين كانوا يقاتلون العدوَّ ويطلبونهم: لولا نحن ما أصبتموه، لَنَحن شَغَلْنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين كانوا يحرُسون رسول اللَّه ﷺ مخافة أن يُخالِفَ إليه العدوّ: واللَّه ما أنتم بأحقَّ منَّا، ولقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ ولَّانا اللَّه ومنحنا أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكن خفنا على رسول اللَّه ﷺ كَرّةَ العدو، فَقُمنا دونَهُ، فما أنتم أحق به مِنَّا.

[مقتل النضر بن الحارث]

قال ابن إسحاق وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتادة ويزيد بن رُومان: أن رسول اللَّه ﷺ جمع الأسارَى من المشركين، وكانوا أربعةً وأربعين أسيراً، وكان من القَتْلى مثلُ ذلك، وفي الأسارى عُقبة بن أبي مُعَيط، والنَّضر بن الحارث بن كَلَدة، حتى إذا كان رسول اللَّه ﷺ بالصَّفراء، قُتِلَ النضرُ بن الحارث بن كلدة، قتله عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.

[تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أسر وعتاب النبي لها في ذلك]

قال محمد بن إسحاق حدَّثني عبد اللَّه بن أبي بكر عن يحيى بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة قال: قُدِمَ بالأسارى حين قُدِمَ بهم، وسَوْدة بن زَمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مَنَاحَتِهم على عَوْف ومُعَوِّذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب؛ قال: تقول سَوْدة: واللَّه إني لعندهم إذ أُتِينا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أُوتي بهم، فَرُجْتُ إلى بيتي ورسول اللَّه ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سُهَيلُ بن عمرو في ناحية الحُجرة مجموعة يداه إلى عُنُقِهِ بحبل. قالت: فو اللَّه ما ملكْتُ نفسي حين رأيْتُ أبا يزيد كذلك أن قلت: يا أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا مُتّم كِراماً! فواللَّه ما أنبهني إلاَّ قولُ رسول اللَّه ﷺ من البيت: «يا سَوْدة أعلى اللَّهِ وعلى رسوله»! قالت: فَقُلْتُ: يا رسول اللَّه، والذي بعثَكَ بالحقّ ما ملكْتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل أن قُلْتُ ما قلت.

[إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر]

قال محمد بن إسحاق: وكان أوّلُ من قَدِمَ مكةَ بمصاب قريش، الحَيْسُمانَ بنَ عبيد اللَّه بن إياس بن ضُبَيْعة بن رُومان بن كعب بن عمرو الخُزاعيّ؛ قالوا: ما

(١) نفل: غنم.

وراءك؟ قال: قُتِلَ عُتْبة بن رَبيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هِشام، وأُمَيّة بن خَلف، وزَمْعَة بن الأسود، وأبو البختريّ بن هِشام، ونُبَيه ومُنَبِّه ابنا الحَجَّاج. قال: فلمَّا جعل يُعدِّد أشرافَ قريش قال صَفوانُ بن أُمية وهو قاعدٌ في الحِجْرِ: واللَّه إن يَعْقِلْ هذا فَسَلُوه عنِّي؛ قالوا: ما فعل صفوان بن أُمية؟ قال: هو ذلك جالس في الحِجر، وقد واللَّه رأيْتُ أباه وأخاه حين قُتِلا.

[أبو لهب وتخلفه عن الحرب ثم موته]

قال محمد بن إسحاق حدَّثني حُسَين بن عبد اللَّه بن عُبَيد اللَّه بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال أبو رافع مولى رسول اللَّه ﷺ: كُنْتُ غُلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دَخَلَنا أهلَ البيت، فأسلم العباسُ وأسلمت أمّ الفضل، وأسلَمْتُ، وكان العباسُ يَهَابُ قومَهُ، ويَكْرَهُ خِلافَهم، وكان يكتُمُ إسلامَهُ، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لَهَبٍ عدو اللَّه قد تَخَلَّف عن بدر، وبعث مكانَه العاصيَ بن هشام بن المُغِيرة، وكذلك صنعوا، لم يتخلَّف رجلٌ إلاَّ بعث مكانَهُ رَجُلاً. فلما جاء الخبر عن مُصاب أهل بدر من قريش، كَبَته اللَّه وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوَّةً وعزّاً؛ وكُنْتُ رجلاً ضعيفاً، وكُنْتُ أعمل القداح أنحتها في حُجْرة زَمْزَم؛ فو اللَّه إنِّي لجالسٌ فيها أنْحَتُ القداح، وعندي أمّ الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرُّ رجليه يسير حتى جلس على طُنُبِ[1] الحجرة، فكان ظهرُهُ إلى ظهري. فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قَدِمَ؛ فقال أبو لَهَب: هلم إليّ يابن أخي، فعندك لَعَمْري الخبرُ؛ فَجَلَسَ إليه والناس قيامٌ عليه؛ فقال يابن أخي أخبرْني كيف كان أمرُ الناس؟ قال: لا شيء واللَّه، إن كان إلاَّ أن لَقِيناهم فأبحناهم أكتافَنا يقتُلون ويأسِرون كيف شاؤوا. وأيْم اللَّه مع ذلك ما لُمْتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خَيلٍ بُلْق بين السماء والأرض ما تُليقُ[2] شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فَرَفَعْتُ طُنُبَ الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك واللَّه الملائكة! فرفع أبو لَهَب يده فضرب وجهي ضربةً شديدة. قال: فساورتُهُ فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم بَرَكَ عليّ يضربني، وكُنْتُ رجلاً ضعيفاً؛ فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة فأخذتهُ فَضَرَبتهُ به ضربةً، فَشَجَّتْ في رأسه شَجَّةً منكرة وقالت: أتستضعِفُهُ أن غاب عنه سَيِّدُهُ! فقام مُوَلِّياً ذليلاً. فواللَّه ما عاش فيها إلا سبعَ ليالٍ حتى رماه اللَّه جلَّ جلاله بالعَدَسَة[3] فقتلته؛ فلقد تركه ابناه

(١) الطنب: مكان الجلوس. (٢) ما تُليقُ شيئاً: ما تبقي على شيء.
(٣) العَدَسَةُ: بثرةٌ تخرج بالإنسان، وربَّما قَتَلَتْ.

ليلتين أو ثلاثاً لا يدفِنانه حتى أنتن في بيته ـ وكانت قريش تتَّقي العدسة كما يُتَّقى الطاعون ـ حتى قال لهما رجلٌ من قريش ويحكما! لا تستحييان أن أباكما قد أنتن في بيته فلا تُغَيِّبانه! فقالا: نخشى هذه القَرحةَ! قال: فانْطَلِقا فأنا معكما. فما غَسَّلوه إلا قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ما يَمَسُّونه؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار، وقذَفوا عليه الحجارة حتى وارَوه.

[العباس وتألم النبي لأسره]

قال محمد بن إسحاق وحدَّثني العباس بن عبد اللَّه بن مَعبد عن بعض أهله عن الحكم بن عُتَيبة عن ابن عباس قال: لما أمسى القومُ من يوم بدرٍ، والأسارَى محبوسون في الوِثَاق، بات رسول اللَّه ﷺ ساهراً أوَّل ليلته؛ فقال له أصحابه: يا رسول اللَّه، ما لك لا تنام؟ فقال: «سمعت تضور العباس في وثاقه»؛ فقاموا إلى العباس فأطلقوه؛ فنام رسول اللَّه ﷺ.

قال ابن إسحاق وحدثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بني سَلَمة، وكان رَجُلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً. فقال رسول اللَّه ﷺ لأبي اليَسَر: «كيف أسَرْتَ العباس يا أبا اليَسَر»؟ فقال: يا رسول اللَّه، أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا. فقال رسول اللَّه ﷺ: «لقد أعانك عليه ملكٌ كريم».

قال ابن إسحاق عن الكَلْبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس: أن رسول اللَّه ﷺ قال للعباس بن عبد المُطَلِّب حين انتُهِي به إلى المدينة: «يا عباس افدِ نَفْسَكَ، وابنَ أخيك عَقِيلَ بن أبي طالب، ونَوْفَل بن الحارث، وحليفَكَ عُتبةَ بن عمرو بن جَحدَم أخا بني الحارث بن فِهْر؛ فإنَّك ذو مال». فقال: يا رسول اللَّه، إنِّي كُنْتُ مسلماً ولكن القوم استكرهوني؛ فقال: «اللَّه أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقّاً فاللَّه يَجزِيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا؛ فافْدِ نفسك». وكان رسولُ اللَّه ﷺ قد أخذ منه عشرين أُوقِيَّةً من ذهب. فقال العباس: يا رسولَ اللَّه، احسُبْها لي في فِدائي؛ قال: «لا، ذلك شيءٌ أعطاناه اللَّه منك». قال: فإنه ليس لي مال؛ قال: «فأين المال الذي وضعته بمكة حين خَرَجْتَ من عند أمِّ الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ، ثم قُلْتَ لها أن أُصِبْتُ في سفرتي هذه فَلِلْفضل كذا ولعبد اللَّه كذا ولِقُثَمَ كذا ولِعُبَيد اللَّه كذا» ؟ قال: والذي بعثك بالحقِّ ما علم هذا أحدٌ غيري وغيرُها، وإني لأعلم أنك رسول اللَّه. ففدى العباسُ نفسه وابنَ أخيه وحليفَه.

[فدت زينب زوجها أبا العاصي فرد عليها النبيّ الفداء]

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد اللَّه بن الزُّبير عن أبيه عن عائشة قالت: لما بَعَثَ أهلُ مكة في فِداءِ أسراهم، بَعَثَتْ زينبُ بنت رسول اللَّه ﷺ في فداء أبي العاصي بن الرَّبيع بمال، وبعثت فيه بقلادةٍ لها كانت خديجةُ أدخلتْها بها على أبي العاصي حين بَنَى عليها؛ فلما رآها رسول اللَّه ﷺ رقَّ لها رقَّةً شديدة وقال: «إن رأيتُمْ أن تُطلقوا لها أسيرَها وترُدّوا عليها الذي لها فافعلوا»! فقالوا: نعم يا رسول اللَّه؛ فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها.

[رثاء الأسود بن المطلب لأولاده]

قال ابن إسحاق: حدَّثني يحيى بن عَبَّاد عن أبيه قال: ناحت قُريشٌ على قَتْلاها، ثم قالت: لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمداً وأصحابه فَيشمَتوا بكم، ولا تبعَثوا في فِداء أسراكم حتى تيأسوا منهم، لا يتأرَّب عليكم محمد وأصحابُهُ في الفِداء. قال: وكان الأسودُ بن المُطَّلِب قد أصيب له ثلاثةٌ من ولده: زَمْعَة وعَقِيلٌ والحارث بنو الأسود، وكان يُحِبّ أن يبكي على بَنيه؛ فبينا هو كذلك إذ سمع نائحةً في الليل، فقال لغلامه وقد ذهب بصره: انظُر هل أُحِلّ النَّحيبُ؟ وهل بَكَتْ قريشٌ على قَتْلاها؟ لعلّي أبكي على أبي حَكيمة «يعني زمعة»؛ فإنَّ جوفي قد احترق؛ فلما رَجَعَ إليه الغُلامُ قال: إنما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضَلَّتْهُ؛ فذلك حين يقول الأسود:

أتبكي أن أُضِلَّ لها بعيرٌ ... ويَمْنَعُها البُكاءُ من الهجودِ
ولا تَبْكِي على بَكْرٍ ولَكِنْ ... على بدرٍ تقاصرَتِ الجُدُودِ
على بدرٍ سراةَ[1] بني هُصَيصٍ ... ومخزومٍ ورهط أبي الوليدِ
وبكِّي إن بَكَيْتِ على عقيلٍ ... وبَكِّي حارثاً أسدَ الأُسودِ
وبَكِّيهم ولا تُسمِي جميعاً ... فما لأبي حَكيمةَ من نَدِيدِ
ألا قد سادَ بعدهُمُ رجالٌ ولولا ... يومُ بدرٍ لم يسودوا

[الوافر]

[رثاء هند بنت عتبة أباها]

ومما قيل في بدرٍ من الشعر وغني به قول هند بنت عُتبة ترثي أباها:

(١) السراة: سيد القوم وكريمهم.

صوت

مَنْ حَسَّ لي الأَخَوينِ كالغُصنينِ أو مَنْ راهُما
قَرْمانِ[١] لا يتظالما نِ ولا يُرامُ حِماهما
وَيْلي على أبويّ والقبرِ الذي واراهُما
لا مثلُ كهلي في الكهو لِ ولا فتًى كفتاهما

ذكر الهشاميّ أن الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغَريض ـ وتمام هذه الأبيات:

أَسَدان لا يَتَذَلَّلا ن ولا يُرامُ حِماهما
رُمْحَيْنِ خَطِّيَّين في كَبِدِ السماء تراهما
ما خَلَّفا إذ وَدَّعا في سُودَدٍ شَرْواهما[٢]
سادا بغير تَكَلُّفٍ عفواً يَفِيضُ نَداهما

[مجزوء الكامل]

[معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثني الحارث بن أبي أسامة قال: حَدَّثنا محمد ابن سعد عن الواقِديّ، وأخبرني ابن أبي الأزهر قال: حَدَّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال: لما كانت وَقعةُ بدر، قُتِلَ فيها عُتبة بن ربيعة، وشَيبةُ بن رَبيعة، والوَليدُ بن عُتْبة؛ فأقبلت هند بنت عتبة تَرْثيهم، وبلغها تَسويمُ[٣] الخنساء هَوْدَجها في الموسم ومعاظمتُها العربَ بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد وأخويها صَخرٍ ومُعاوية، وأنها جَعَلَتْ تَشهد الموسم وتبكيهم، وقد سَوّمت هودَجَها براية، وأنها تقول: أنا أعظمُ العرب مُصِيبةً، وأن العرب قد عرفت لها بعضَ ذلك؛ فلما أُصيبت هند بما أُصيبت به وبلغها ذلك، قالت: أنا أعظمُ من الخنساء مُصيبةً، وأمَرَتْ بهودجها فَسُوّم براية، وشهدتِ الموسم بعُكاظ، وكانت سوقاً يجتمعُ فيها العربُ، فقالت: اقرِنوا جَمَلِي بِجَمَل الخنساء، ففعلوا؛ فلما أن دَنَتْ منها، قالت لها الخنساءُ: من أنت يا أُخيَّةُ؟ قالت: أنا هند بنت عُتبة أعظم العرب

(١) القرم: السيد العظيم.
(٢) شرواهما: مثلهما.
(٣) سوّم الشيء: جعل له علامة ليعرف ويتميز بها.

مُصِيبةً، وقد بلغني أنك تُعاظمين العرب بمصيبتك، فبم تُعاظمينهم؟ فقالت الخنساء: بعمرو بن الشَّريد، وصخرٍ ومعاوية ابني عمرو، وبِمَ تعاظمينهم أنتِ؟ قالت: بأبي عتبة بن ربيعة، وعمي شَيبةَ بنِ ربيعة، وأخي الوليد؛ قالت الخنساء: أوَ سَواءٌ هم عندكِ؟ ثم أنشدَتْ تقول:

أبكِّي أبي عَمْراً بعينٍ غزيرةٍ ... قليلٍ إذا نام الخليُّ هُجودُهَا
وَصِنويَّ لا أنسى: معاويةَ الذي ... له من سَرَاةِ الحرَّ[1] تينٍ وفودُهَا
وصخراً، ومن ذا مثلُ صخرٍ إذا غَدَا ... بسَاهَمةٍ[2] الأطال قُبِّا يقودُها
فَذلك يا هِنْدُ الرَّزِيَّةُ فاعلمي ... ونيرانُ حربٍ حين شُبَّ وَقودُهَا

[الطويل]

فقالت هندٌ تجيبها:

أُبكِّي عَميدَ الأبْطَحينِ[3] كليهمَا ... وحامِيَهما من كل باغٍ يريدُهَا
أبي عُتبةُ الخيرات ويحَكِ فاْعلمي ... وشَيْبةُ والحامي الذِّمارِ وليدُهَا
أولئك آلُ المجدِ من آل غالبٍ ... وفي العزِّ منها حين يُنْمى عَديدُهَا[4]

[الطويل]

وقالت لها أيضاً يومئذ:

من حَسَّ لي الأخَوَينِ كالغُصنيْن أو من رآهمَا

[مجزوء الكامل]

[أريحية الغناء]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: حَدَّثني بعضُ القُرشيِّين قال: قَدِمَ عبد اللَّه بن جعفر على مُعاوية وافداً، فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال: هذا ابن جعفر يشرب النَّبيذَ، ويسمعُ الغناءَ، ويُحرِّكُ رأسَهُ عليه؛ فجاء مُعاويةُ مُتغيِّراً حتى دخل على ابن جعفر، وعَزَّةُ المَيْلاءُ بين يديه كالشمس الطالعة في كِواء البيت[5] يُضيءُ بها البيتُ، تُغنِّيه على عودها:

---

(١) الحرّة: الأرض ذات الحجارة السود النخرة، والحرتان هما حرة بني سليم وحرة هلال بالحجاز.
(٢) الساهمة: الدقيقة. وقد ورد في بعض المصادر السلهبة بدل ساهمة.
(٣) الأبطحين: بطحة مكة وسهل تهامة.
(٤) عديدها: جموعها.
(٥) كواء البيت: مفرده كوة وهو منافذه وثقوبه.

تبلت فؤادك في الظلام خريدةٌ تشفي الضَّجيعَ ببارِدٍ بَسَّام
[الكامل]

وبين يديه عُسٌّ[١]؛ فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟ قال: أقسَمْتُ عليك يا أمير المؤمنين لتَشْرَبّن منه، فإذا عسلٌ مَجدوحٌ[٢] بمسك وكافور! فقال: هذا طيبٌ، فما هذا الغناء؟ قال: هذا شعر حسَّان بن ثابت في الحارث بن هشام؛ قال: فهل تُغَنِّي بغير هذا؟ قال: نعم، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابيّ الجافي[٣] الأدفر[٤]، القبيحُ المنظر، فيشافهُك به، فَتُعطيه عليه؛ وآخذه أنا، فأختار محاسنه ورقيق كلامه، فأعطيه هذه الحَسَنَةَ الوجه، اللَّيِّنة اللَّمس، الطيِّبة الريح، فَتُرَتله بهذا الصوت الحسن. قال: فما تحريكُكَ رأسك؟ قال: أرْيَحيَّةٌ أجدُها إذا سَمِعْتُ الغناء، لو سُئِلْت عندها لأعطَيْتُ، ولو لقيت لأبليت. فقال مُعاوية: قَبَّح اللَّه قوماً عرَّضوني لك. ثم خرج وبعث إليه بصلةٍ.

صوت

من المائة المختارة

[عمر بن أبي ربيعة ونعم]

أَيُّها القَلبُ ما أَراكَ تَفيقُ طالَ ما قَد تَعَلَّقَتْكَ العَلوقُ[٥]
مَن يَكُن مِن هَوى حَبيبٍ قَريباً فَأَنا النازِحُ البَعيدُ السَّحيقُ
قُضي الحُبُّ بَينَنا فَالتَقَينا وَكِلانا إِلى اللِّقاءِ مَشوقُ
[الخفيف]

الشعر في البيت الأوَّل والثالث لعمر بن أبي ربيعة، والبيت الثاني ليس له، ولكن هكذا غُنِّيَ؛ وليس هو أيضاً مُشَاكِلاً لحكاية ما في البيت الثالث. والغناء لبابَوَيه الكوفيّ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل. وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش، يُقالُ لها نُعْم، كان كثيرَ الذِّكر لها في شعره. أخبرني بذلك محمد بن خَلف ابن المَرزُبان عن أبي عبد اللَّه التَّميميّ عن القَحْذَميّ والمدائنيّ، قال: وهي التي يقول فيها:

أمن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فَمُبْكِرُ

قال: وكانت تُكنى أمَّ بكر، وهي من بني جُمَح. وتمام هذه الأبيات على ما حكاه ابن المَرْزُبان

(١) العس: القدح الكبير.
(٢) مجدوح: ممزوج.
(٣) الجافي: الغليظ.
(٤) الأدفر: النتن.
(٥) يقصد التكلف بالحب والجهد فيه.

عمن ذكرت:

فَـٱلـتَـقَـيـنـا وَلَـم نَـخَـفْ مـا لَـقـيـنـا لَـيـلَـةَ الـخَـيـفِ وَالـمُـنـى قَـد تَـشـوقُ[١]
وَجَـرى بَـيـنَـنـا فَـجَـدَّدَ وَصـلاً قُـلَّـبٌ[٢] حـوَّلٌ أريـبٌ رَفـيـقُ
لا تَـظُـنّـي أَنَّ الـتَّـراسُـلَ وَالـبَـذلَ لِـكُـلِّ الـنِّـسـاءِ عِـنـدي يَـلـيـقُ
هَـل لَـكَ الـيَـومَ إِن نَـأَتْ أُمُّ بَـكـرٍ وَتَـوَلَّـتْ إِلـى عَـزاءٍ طَـريـقُ

[الخفيف]

أخبرني محمد بن خَلف بن المَرزُبان قال حُدِّثت عن محمد بن حُمَيد عن عبد اللَّه بن سَوَّار القاضي عن بِشر بن المُفضَّل قال: بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نُعْماً اغتسلت في غديرٍ، فأتاه فأقام عليه، وما زال يشرب منه حتى جفَّ.

أخبرني محمد بن خَلفٍ قال: قال محمد بن حبيب الراويةُ: بلغني أن نُعماً استقبلت عمرَ بن أبي ربيعة في المسجد الحرام، وفي يدها خَلوقٌ[٣] من خلوق المسجد، فمسحت به ثوبه، ومضت وهي تضحك؛ فقال عمر:

أَدخَـلَ الـلَّـهُ رَبُّ مـوسـى وَعـيـسـى جَـنَّـةَ الـخُـلـدِ مَـن مَـلانـي خَـلـوقـا
مَـسَـحَـتْـهُ مِـن كَـفِّـهـا فـي قِـمـيـصـي حـيـنَ طـافَـتْ بِـالـبَـيـتِ مَـسـحـاً رَفـيـقـا
غَـضِـبَـتْ أَن نَـظَـرتُ نَـحـوَ نِـسـاءٍ لَـيـسَ يَـعـرِفـنَـنـي سَـلَـكـنَ الـطَّـريـقـا
وَأَرى بَـيـنَـهـا وَبَـيـنَ نِـسـاءٍ كُـنـتُ أَهـذي بِـهِـنَّ بَـونـاً سَـحـيـقـا

[الخفيف]

وهذا البيت الأوّل مما عِيب على عمر.

ومما غُنِّيَ فيه من تَشْبيب عمرَ بِنُعمٍ هذه:

صوت

دِيـنَ[٤] هـذا الـقـلـبُ مـن نُـعْـمٍ بِـسَـقـامٍ لَـيـس كـالـسُّـقْـمِ[٥]

(١) ورد في بعض المصادر «تسوق» بدل «تشوق».
(٢) القلب: المحتال البصير بتقليب الأمور.
(٣) نوع من العطور معظم أجزائه من الزعفران.
(٤) دين: جوزي وكوفيء.
(٥) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:
قَـد أَصـابَ الـقَـلـبَ مِـن نُـعـمٍ سُـقـمُ داءٍ لَـيـسَ كَـالـسُّـقـمِ

إِنَّ نُعماً أَقصَدَت[١] رَجُلاً آمِناً بِالخَيفِ إِذ تَرمي
بِشَتيتٍ[٢] نَبتُهُ رَتِلٍ طَيِّبِ الأَنيابِ وَالطَّعمِ
وَبِوَحفٍ[٣] مائِلٍ رَجِلٍ كَعَناقيدَ مِنَ الكَرمِ
[المديد]

ومنها:

صوت

خَليلَيَّ اربَعا[٤] وَسَلا بِمَغنى الحَيِّ[٥] قَد مَثَلا[٦]
بِأَعلى الوادِ عِندَ البِئـ ـرِ هَيَّجَ عَبرَةً سَبَلا
وَقَد تَغْنى بِهِ نُعمٌ وَكُنتُ بِوَصلِها جَذِلا
لَيالِيَ لا نُحِبُّ لَنا بِعَيشٍ قَد مَضى بَدَلا
وَتَهوانا وَنَهواها وَنَعصي قَولَ مَن عَذَلا
وتُرسِلُ في مُلاطَفَةٍ ونُعمِلُ نَحوَها الرُّسُلا
[مجزوء الوافر]

غَنَّاه الهذَليّ، ولحنُهُ من القَدر الأوسط من الثَّقيل الأوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن سُرَيج لحنان: رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها عن إسحاق ثاني ثقيل، ولسليم خفيفُ رملٍ، جميعاً عن الهشاميّ، قال: ويقال: إن اللحن المنسوب إلى سُلَيمٍ لحكم الوادي.

ومنها من قصيدة أولها:

لَقَد أَرسَلَت نُعمٌ إِلَينا أَنِ ائتِنا فَأَحبِبْ بِها مِن مُرسِلٍ مُتَغَضِّبِ
[الطويل]

يُغَنَّى منها في قوله:

صوت

فَقُلتُ لِجَنّادٍ خُذِ السَّيفَ وَاشتَمِل عَلَيهِ بِرفقٍ وَارقَبِ الشَّمسَ تَغرُبِ

---

(١) أقصدت: أصابت رجلاً وقتلته.
(٢) الثغر الشتيت: المفلج؛ أي أسنانه تتباعد.
(٣) الوحف: الشعر الكثيف الأسود.
(٤) أربعا: أقيما.
(٥) مغنى الحي: مكان الإقامة.
(٦) مثل: قام وانتصب.

وَأَسرِجْ لِيَ الدَّهماءَ وَٱعجِلْ بِمِمطَري[١] وَلا تُـعـلِـمَـنْ حَـيّـاً مِـنَ الـنـاسِ مَـذهَـبـي
فَـلَـمّـا ٱلـتَـقَـيـنـا سَـلَّـمَـتْ وَتَـبَـسَّـمَـتْ وَقـالَـت مَـقَـالَ الـمُـعـرِضِ الـمُـتَـجَـنِّـبِ
أَمِـن أَجـلِ واشٍ كـاشِـحٍ[٢] بِـنَـمـيـمَـةٍ مَـشـى بَـيـنَـنـا صَـدَّقـتَـهُ لَـم تُـكَـذِّبِ
[و] قَطَّعتَ حَبْلَ الوَصلِ مِنّا وَمَن يُطِع بِـذي وُدِّهُ قَـولَ الـمُـحَـرِّشِ[٣] يُـعـتَـبِ

[الطويل]

صوت

مـا بـالُ أهـلِـكِ يـا ربـابُ خُـزْراً[٤] كـأَنـهـم غِـضـابُ
إنْ زُرْتُ أهـلـكِ أوعَـدُوا وتَـهِـرّ دونـهـمُ الـكـلابُ

[مجزوء الكامل المرفل]

عروضه من الكامل[٥]. الشعر لعلسٍ ذي جَدَنٍ الحِميريّ، أخبرنا بذلك محمد ابن الحُسين بن دُرَيد عن عمه عن العَبَّاس بن هشام عن أبيه. والغناء لِطُوَيس؛ ولحنه المختار خفيفُ رملٍ بالبنصر.

(١) مِمطر: ثوب من الصوف يتقى به من المطر.
(٢) الكاشح: العدو المضمر للعداوة.
(٣) الحرش والتحريش: إغراؤك إنساناً بغيره.
(٤) الخَزَرُ: جيل خُزْرُ العيون. والخُزْرةُ: انقلاب الحَدَقة نحو اللحاظ. وهو أقبح الحول، قال:

إذا تَـخـازَرْتُ ومـا بـيـن مـن خَـزَرْ
ثـم كَـسَـرْتُ الـعَـيْـنَ مـن غَـيْـرِ عَـوَرْ

والخُزْرةُ: وجع في الصلب. وخَزَرْتُ فلانا خَزْراً: نظرت إليه بلحاظ عيني.
(٥) هو من مجزوء الكامل المرفل.

نسب علس ذي جدن وأخباره

هو عَلَس بن زيد بن الحارث بن الغَوْث بن سعد بن عَوف بن عَديّ ٱبن مالك بن زيد الجمهور بن سهل بن عمرو بن قيس بن مُعاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَريب بن زُهير بن أَعز بن الهم بن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعرُب بن قَحطان. وهو ملك من ملوك حِمْيَر، ولُقِّبَ ذا جَدَنٍ لحسن صوته، والجَدَن: الصوت بلغتهم؛ ويقال: إنه أَوَّل من تَغَنَّى باليمن.

أَخبرني الحسن بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن ٱبن الكلبيّ وأَبي مِسكين قالا: إنما سُمي ذا جدن لحسن صوته.

قبره وآثاره:

أَخبرني أحمد بن عُبَيْد اللَّه بن عَمَّار قال حدّثنا عبد اللَّه بن أبي سَعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن ٱبن الكلبيّ عن إسماعيلَ بن إبراهيم بن ذي الشّعار الهَمْدانيّ عن حَيَّان بن هانئ الأرحبيّ عن أبيه قال:

أَخبرني رجل من أَهل صَنعاء: أَنهم حفروا حفيراً في زمن مَرْوان، فوقفوا على أَزَجٍ[١] له باب فإذا هم برجل على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرجال، عليه خاتم من ذهب وعصابةٌ من ذهب، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه: «أنا عَلَس ذو جَدَن القَيل، لخليلي منّي النَّيل، ولعدوّي منّي الوَيل، طلبتُ فأدركتُ وأنا ٱبن مائة سنة من عمري، وكانت الوحش تأذَن[٢] لصوتي، وهذا سيفي ذو الكفّ عندي، ودِرعي ذاتُ الفُروج ورُمحي الهَزبريّ، وقوسي الفَجْواء[٣]، وقَرَني[٤] ذات الشرّ، فيها ثلثمائة

(١) عبارة القاموس وشرحه مادّة أزجّ: «الأزجّ محرّكة: ضرب من الأبنية. وفي الصحاح والمصباح واللّسان: الأزجّ: بيت يُبنى طُولاً ويُقال لها بالفارسيَّة أُوستان.

(٢) تأذن كنفرح: تسمع، يشير بذلك إلى جمال صوته.

(٣) القوس الفجواء: هي التي يبين وترها عن كبدها، ومثل الفجواء الفَجَّاء والمُنفَجَّة.

(٤) القرن: الجعبة. والحشر: الدقيق من الأسنة

حَشْر، من صنعة ذي نمر[١]، أعددتُ ذلك لدفع الموت عني فخانني». قال: فنظرنا فإذا جميعُ ذلك عنده. ووجدتُ هذا الخبرَ عن ٱبن الكلبي في بعض الكتب من غير رواية ٱبن عمَّار، فوجدت فيه: فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبراً، وعليه مكتوب تحت شارِبه[٢] بالمُسْنَدِ[٣]: «بأستِ ٱمرئ كنتَ في يده فلم يَنتصر».

إنقضت أَخبارُه.

(١) ذو نمر: واد بنجد في ديار بني كلاب (انظر معجم ياقوت في اسم نمر وكتاب ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه في اسم «ذي نمر».

(٢) للسيف شاربان وهما، كما قال ابن شميل، أنفان طويلان أسفل القائم أحمدهما من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب وتحتهما الغاشية، والشارب والغاشية يكونان من حديد وفضة وأدم.

(٣) المسند: خط لحمير.

أخبار طويس ونسبه

[أول من صنع الهزج والرمل]

طُوَيس لَقَبٌ، واسمه طاوُس، مولى بني مَخزوم. وهو أوَّل من غنى الغناء المُتقَن من المُخَنَّثين. وهو أوَّل من صنع الهَزَج والرَّمل في الإسلام. وكان يُقال: أحسن الناس غناءً في الثقيل ابن مُحْرز، وفي الرَّمل ابن سُرَيج، وفي الهَزَج طويس، وكان الناس يضربون به المثلَ، فيقال: «أهزجُ من طُوَيس».

[غنى أبان بن عثمان بالمدينة]

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر والحُسين بن يحيى قالا: حَدَّثنا حمَّاد ابن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكين، قال إسحاق: وحدَّثني المَدائنيّ والهيثم بن عديّ عن صالح بن كَيْسان: أن أبانَ بنَ عثمان وَفَدَ على عبد الملك بن مروان، فأمَّرَهُ على الحجاز؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أَهلُها، وخرج إليه أشرافُها، فخرج معهم طُوَيس؛ فلما رآه سَلَّم عليه، ثم قال له: أيّها الأمير، إنِّي كُنْتُ أعطَيْتُ اللَّه عهداً لئن رأيتُكَ أميراً لأخضِبَنّ يَديّ إلى المِرْفَقين، ثم أزْدُو[1] بالدُّفِّ بين يديك، ثم أبدَى عن دُفّه وتغنَّى بشعر ذي جَدَنٍ الحِميريّ:

مـــا بـــالُ أهـــلِـــكِ يـــا رَبـــابُ خُـــزْراً كـــأنَّـــهـــم غِـــضـــابُ

[مجزوء الكامل]

قال: فَطُرِبَ أبان حتى كاد أن يطير، ثم جعل يقول له: حَسْبُكَ يا طاوس ـ ولا يقول له: يا طُوَيس لِنُبْلِه في عينه ـ ثم قال له: اجلس فجلس؛ فقال له أبان: قد زعموا أنَّك كافر؛ فقال: جُعِلْتُ فِداءَكَ! واللَّه إني لأشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه وأنَّ مُحمداً رسول اللَّه، وأُصلِّي الخمسَ، وأصوم شهرَ رمضان، وأحجُّ البيت؛ فقال: أفأنتَ أكبر أم عمرو بن عثمان؟ ـ وكان عمروٌ أخا أبان لأبيه وأمّه ـ فقال له طُوَيس: أنا واللَّه، جُعِلْتُ فِداءك، مع جلائل نساء قومي، أُمْسِك بذيولهنَ يوم زُفَّت أمُّك المباركة إلى أبيك الطيِّب. قال: فاستحيا أبان ورمى بِطَرْفِه إلى الأرض.

---

(١) أزدو: أضرب.

وأخبرني بهذه القصَّة إسماعيلُ بن يونُس الشيعيّ قال: حَدَّثنا عمرُ بن شبَّة قال: حَدَّثنا العُتْبيّ عن أبيه بمثل هذه القصَّة عن أَبان وطُوَيس. وزاد فيها أن طُويساً قال له: نَذْري أيها الأمير! قال: وما نَذْرك؟ قال: نَذَرْتُ إن رأيتك أميراً في هذه الدار أن أُغنِّيَ لك وأزدُوَ بِدُفّي بين يديك. فقال له: أوْفِ بنذرك؛ فإن اللَّه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]. قال: فأخرج يديه مخضوبتَيْن، وأخرج دُفَّه وتغنّى:

مـــا بـــال أهـــلـــك يـــا ربـــاب

وزاد فيه: فقال له أبان: يقولون: إنَّك مشؤومٌ، قال: وفوق ذلك! قال وما بلغ من شُؤمك؟ قال: وُلِدْتُ ليلةَ قُبِضَ النبيّ ﷺ، وفُطِمْتُ ليلةَ مات أبو بكر رضي اللَّه عنه، واحتلمْتُ ليلةَ قُتل عمرُ رضوان اللَّه عليه، وزُفَّتْ إليَّ أهلي ليلةَ قُتِلَ عثمان رضي اللَّه عنه. قال: فاخرج عني عليك الدَّبار[1].

[أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين]

أخبرني إسماعيل قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثنا محمد بن الوليد قال: حَدَّثني مُصْعَب بن عثمان عن نَوْفل بن عُمارة قال: خرج يحيى بنُ الحكَم وهو أمير على المدينة، فَبَصُرَ بشخصٍ بالسَّبَخَة مما يلي مسجدَ الأحزاب، فلما نَظَرَ إلى يحيى ابن الحَكَم جلس، فاستراب به، فوَّجَهَ أعوانه في طلبه؛ فَأُتِيَ به كأنَّه امرأةٌ في ثياب مُصبَّغة مصقولة وهو مُمتشطٌ مُختضِبٌ. فقال له أعوانُهُ: هذا ابن نُغاش المُخَنَّث. فقال له: ما أحسَبُك تَقْرَأُ من كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ شيئاً، إقرأ أُمَّ القرآن؛ فقال: يا أبانا لو عَرَفْتُ أمَّهن عَرَفْتُ البنات؛ فقال له: أتتهزّأ بالقرآن لا أُمَّ لك! وأَمَرَ به فَضُرِبَتْ عَنقُهُ. وصاح في المُخَنَّثين: من جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم. قال زَرَجون المُخَنَّث: فخرجْتُ بعد ذلك أريدُ العالِيَةَ، فإذا بصوتِ دُفّ أعجبني، فَدَنَوْتُ من الباب حتى فَهِمْتُ نغماتِ قوم آنَسُ بهم، فَفَتَحْتَهُ وَدَخَلْتُ، فإذا بِطُوَيسٍ قائمٌ في يده الدّفّ يتغنَّى، فلما رآني قال لي: إيه يا زَرَجون! قَتل يحيى بنُ الحكم ابن نُغاش؟ قُلْتُ نعم؛ قال: أوَ جَعَلَ في المخنثين ثلاثمائة درهم؟ قُلْتُ نعم؛ فاندفع يُغَنِّي:

مـــا بـــالُ أهـــلِـــكِ يـــا رَبـــابُ خُـــزْراً كـــأنَّـــهـــم غِـــضـــابُ

إنْ زِرْتُ أهـــلـــك أوعـــدُوا وتَـــهِـــرُّ دونـــهـــمُ كـــلابُ

[مجزوء الكامل]

(١) ورد في بعض المصادر «دمار» بدل «دبار».

ثم قال لي: ويَحْكَ! أَفَما جَعَلَ فيَّ زيادةً ولا فَضَّلني عليهم في الجُعل بفضلي شيئاً.

[مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر]

أخبرني محمد بن عمرو العباسيّ القرشيّ قال: حَدَّثنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان ـ ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف ـ قال: حَدَّثني إسحاق بن محمد بن أبان الكُوفيّ قال: حَدَّثني حُسَيْنُ بن دحمان الأشقَر قال: كُنْتُ بالمدينة، فَخَلا لي الطريقُ وَسَطَ النهار، فجعلت أتغنَّى:

مـا بـالُ أهـلِـكِ يـا رَبـابُ خُـزْراً كـأنَّـهـم غِـضـابُ

[مجزوء الكامل]

قال: فإذا خوخةٌ[1] قد فُتِحَت، وإذا وجهٌ قد بدا تتبعه لحيةٌ حمراء، فقال: يا فاسقُ أسأتَ التأدية، ومَنَعْتَ القائلةَ، وأذَعْتَ الفاحِشَةَ؛ ثم اندفع يُغَنِّيه، فَظَنَنْتُ أنَّ طُوَيساً قد نُشِرَ بعينه، فَقُلْتُ له: أصلحَكَ اللَّه! من أين لك هذا الغناء؟ فقال: نَشَأْتُ وأنا غُلامٌ حَدَثٌ أتْبَعُ المغنِّين وآخُذُ عَنْهُم، فقالت لي أُمِّي: يا بُنَيَّ إنَّ المُغَنِّي إذا كان قبيح الوجه لم يُلْتَفَتْ إلى غنائِهِ، فَدَعِ الغِناءَ واطلُبِ الفقه؛ فإنه لا يضرّ معه قُبْح الوجه؛ فَتَرَكْتُ المغنِّين واتَّبَعْتُ الفُقَهاء، فبلغ اللَّه بي عزَّ وجلَّ ما ترى. فَقُلْتُ له: فأعِدْ جُعِلْتُ فداءك! قال: لا ولا كرامة! أتُريدُ أن تقول: أخذته عن مالك بن أنسٍ! وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم.

صوت

من المائة المختارة

لِـمَـنْ ربـعٌ بـذات الـجـيـش أمـسـى دارِسـاً خَـلَـقَـا
وَقَـفْـتُ بـه أُسـائِـلُـهُ وَمَـرَّتْ عِـيـسَـهُـم حِـزَقَـا
عَـلَـوْا بـك ظـاهـرَ الـبـيـداء والـمـحـزونُ قـد قَـلِـقَـا

[مجزوء الوافر]

ـ ذات الجيش: موضعٌ، ذَكَرَ النبيّ ﷺ أن جيشاً يغزو الكعبةَ، فَيُخْسَفُ بهم إلاَّ رَجُلاً واحِداً يُقْلَبُ وجهُهُ إلى قفاه، فَيَرْجِعُ إلى قومِهِ كذلك، فَيُخْبِرُهُم الخبرَ. حَدَّثني

(١) خرج من الخوخة وهي الباب الصغير على الباب الكبير. قال عمر بن أبي ربيعة:
بـيـضـاء آنـسـة لـلـخـدر آلـفـة ولـم تكن تألف الخوخات والسّددا

بهذا الحديث أحمد بن محمد الجَعديّ قال: حَدَّثنا محمد بن بَكَّار قال: حَدَّثنا إسماعيل بن زكريا عن محمد بن سُوَقَةَ قال: سَمِعْتُ نافعَ بن جُبَير بن مُطعِم يقول: حَدَّثتني عائشةُ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «يغزو جيشٌ الكعبة حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِفَ بأوَّلِهم وآخرهم». قالت عائشة: فَقُلْتُ يا رسول اللَّه، كيف يُخْسَفُ بأوَّلِهم وآخرهم وفيهم سِواهم ومَن ليس منهم؟ قال: «يُخْسَفُ بأوَّلِهم وآخرِهم ثم يُبْعَثون على قدر نياتهم» ـ الشعر للأحوص، والغِناءُ في هذا اللحن المختار للدَّلال المُخَنَّث وهو أحد من خصاه ابنُ حَزْم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المُخنَّثين، والخبرُ في ذلك يُذكَرُ بعدُ، ولحنه المختارُ من الثقيل الأول بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنصر في الأول والثالث. ولإسحاق فيه ثقيلٌ أولُ آخر. وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرَّمَل عن يونسَ والهشاميّ وغيرهما. وفيه رَمَلٌ يُنْسَبُ إلى ابن سُرَيج، وهو مما يُشَكّ في نسبته إليه. وقيل: إنَّ خفيف الرَّمَل لابن سريج، والرَّمَل لمالك. وذَكَرَ حَبَشٌ أن فيه للدَّلال خفيفَ ثقيلٍ بالبِنصر أيضاً.

ذكر الأحوص وأخباره ونسبه

[اسم الأحوص ولقبه ونسبه]

هو الأحوص. وقيل: إن اسمَهُ عبدُ اللَّه، وإنَّه لُقِّبَ الأحوصَ لِحَوَصٍ[١] كان في عينيه. وهو ابن محمد بن عبد اللَّه بن عاصِم بن ثابت بن أبي الأقلَح ـ واسم أبي الأقلح قيس ـ بن عُصَيمة بن النُّعمان بن أمية بن ضُبَيْعة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوْس. وكان يقال لبني ضُبَيعة بن زيدٍ في الجاهلية: بنو كِسَرِ الذَّهَب. وقال الأحوص حين نُفِيَ إلى اليمن:

بَدَّلَ الدَّهرُ مِن ضُبَيعَةَ عَكّا[٢] جيرَةً وَهوَ يَعقِبُ الأَبدالا

[الخفيف]

[سبب تسمية جده عاصم حمي الدبر]

وكان جدُّهُ عاصمٌ يُقالُ لَهُ حَمِيُّ الدَّبر؛ وكان رسولُ اللَّه ﷺ بَعَثَهُ بَعثاً، فَقَتَلَهُ المشركون؛ وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدَّبر، وهي النَّحْل، فلم يَقْدِروا عليه، حتى بَعَثَ اللَّه عزَّ وجلَّ الواديَ[٣] في الليل فاحتمله فَذَهَبَ به. وفي ذلك يقولُ الأحوصُ مُفْتَخِراً:

وَأَنا ابنُ الَّذي حَمَت لَحمَهُ الدَّبرُ قَتيل اللِّحيانِ[٤] يَومَ الرَّجيعِ

[الخفيف]

---

(١) حاص عين الصقر. وحاص الثوب حياصة. وحص عين صقرك. وحوصت عينه: ضاق مؤخرها، كأنما حيص جانب منها، وعين حوصاء، ورجل أحوص أخوص: ضيق العين غائرها كعين التركي المجهود.

(٢) عك: قبيلة قحطانية من اليمن.

(٣) قال شمر: وَدى أَي سال، قال: ومنه الوَدْيُ فيما أُرى لخُروجه وسَيَلانِه، قال: ومنه الوادي. ويقال: ودى الحِمارُ فهو وادٍ إذا أَنْعَظَ؛ ويقال: وَدَى بمعنى قَطَر منه الماء عند الإِنْعاظِ. قال ابن بري: وفي تهذيب غريب المصنف للتبريزي وَدَى وَدْياً أَدْلى ليَبُولَ، بالكاف، قال: وكذلك هو في الغريب. ابن سيده: والوَدْيُ والوَدِيُّ، والتخفيف أَفصح، الماءُ الرقيقُ الأَبيضُ الذي يَخرج في إِثْرِ البول، وخصص الأَزهري في هذا الموضع فقال: الماء الذي يخرج أَبيض رقيقاً على إِثر البول من الإِنسان، والمقصود هنا السيل.

(٤) اللحيان: حيّ من هذيل.

[قصة وفد عضل والقارة]

حدَّثنا بالخبر في ذلك محمدُ بن جَرِير الطَّبَريّ قال: حَدَّثنا ابن حُمَيد قال: حَدَّثنا سَلَمة بن الفَضل قال: حَدَّثنا محمد بن إسحاق عن عاصِم بن عُمَر بن قَتَادة قال: قَدِمَ على رسول اللَّه ﷺ بعد أُحُدٍ رهطٌ من عَضَل والقارة[١]، فقالوا: يا رسول اللَّه، إن فينا إسلاماً وخيراً، فابعث معنا نفراً من أصحابك، يُفَقِّهُونا في الدين، ويُقْرِئونا القرآن، ويُعَلِّمونا شرائع الإسلام؛ فَبَعَثَ رسولُ اللَّه ﷺ معهم نفراً ستةً من أصحابه[٢]: مَرثَد بن أبي مَرثَدٍ الغَنَويّ حليفَ حمزة بن عبد المُطَّلب، وخالد بن البُكَير حليفَ بني عديّ بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عَمرو بن عَوْف، وخُبَيبَ بن عديّ أخا بني جَحْجَبى بن كُلْفة بن عمرو بن عَوْف، وزيدَ بن الدَّثِنَّة[٣] أخا بني بَياضةَ بن عامر، وعبدَ اللَّه بن طارق حَليفاً لبني ظَفَر من بَليّ، وأمَّر رسول اللَّه ﷺ [عليهم] مَرثَد بن أبي مَرثَدٍ، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرَّجيع ـ ماءٌ لِهُذَيل بناحيةٍ من الحجاز من صَدْر الهَدْأَة[٤] ـ غدروا بهم، واستصرخوا عليهم هُذيلاً، فلم يُرَع القوم وهم في رحالهم إلاَّ بالرّجالِ في أيديهم السيوفُ قد غَشوهم؛ فأخذوا أسيافَهُم لِيُقَاتِلُوا القومَ؛ فقالوا: [إنا] واللَّه ما نُريدُ قتلكم، ولَكِنَّا نُريدُ

---

(١) الهَون، وعَضَل، والقارة من أخوة هذيل، فالهَوْن اشتُقّ من الشَّيء السهل، من قولهم: مرَّ على هَوْنِه وهِينته، أي على سكونٍ وهدوء. والهُون، بالضم الهاء: الهوان، من قوله جلّ ثناؤه: «أيُمسِكُه علَى هُونٍ أم يدُسُّه في التُّراب». واشتقاق عَضَل إمّا من قولهم: عضَّل بي الأمر وأعضَلَ بي، إذا صعُب. وكلُّ مستصعَب فقد عضَّل. وكذلك كلُّ شيءٍ ضاقَ به موضعهُ فقد عضّل به. قال الشاعر:

جمعٌ يظَلُّ به الفضاءُ معضِّلاً ... يَدَع الإكامَ كأنّهُنَّ صحارِي

ويقال: عضّلت الدجاجة، إذا اعترضت البيضة فعسُر خروجُها. وقال عمر بن الخطاب: رضي اللَّه عنهِ: أعضَلَ بي أهلُ الكوفة ما يرضَوْن أميراً. وعَضَلة السّاق من هذا، لالتباسها بالعَصَب.

وأمّا القارَة فإنّما سُمُّوا بهذا لأنَّ القارَة أكمَة سوداءُ فيها حجارة. وكان بعضُ بني كنانة أراد أن يفرِّقهم في الأحياء، فقال شاعرهم:

دَعُونا قارةً لا تُنفِرونا ... فنُجفِلَ مثلَ إجفالِ الظّليمِ

(٢) تتطابق الأسماء المذكورة هنا، مع ما ورد في تاريخ الطبري، وسيرة ابن هشام.

(٣) دثَّن الطائرُ يُدَثِّن تَدْثِيناً إذا طار وأَسْرَع السُّقوطَ في مواضِعَ مُتقارِبة وواترَ ذلك. ودَثَّن في الشَّجرة: اتَّخَذَ فيها عُشّاً. والدَّثِينة: الدفينة؛ عن ثعلب؛ قال ابن سيده: وأُراه على البدل. والدَّثِينَة والدَّفِينَة: منزل لبني سُلَيم، وحكاه يعقوب في المبدل؛ قال الشاعر:

ونحن تَرَكْنا بالدَّثينة حاضِراً، ... لآلِ سُلَيْمٍ، هامةً غيرَ نائم.

(٤) الهدأة موضع بين عُمان ومكة المكرمة.

أن نُصيبَ بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهدُ اللَّه وميثاقه ألا نَقْتلكم. فأمَّا مَرثَد بن أبي مرثد، وخالد بن البُكَير، وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح، فقالوا: إنَّا واللَّه لا نقبل من مُشْرِكٍ عهداً ولا عقداً أبداً! فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً. وأما زيد بن الدَّثِنَّة، وخُبَيب بن عديّ، وعبد اللَّه بن طارقٍ فَلانوا ورقوا ورَغِبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم[١]؛ فأسَروهم، ثم خَرَجُوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها؛ حتى إذا كانوا بالظَّهران[٢] انتزع عبد اللَّه بن طارق يدَه من القِران[٣]، ثم أخذ سَيْفَهُ واستأْخَرَ عن القوم، فَرَموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظَّهران. وأما خُبَيب بن عديّ وزيد بن الدَّثِنَّة، فقَدموا بهما مكة فباعوهما. فابتاع خُبَيباً حُجَيرُ بن أبي إهابٍ التَّميميّ حليفُ بني نَوفَل لِعُقْبةِ بن الحارث بن عامر بن نوفل ـ وكان حُجيرٌ أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمِّه ـ ليقتله بأبيه[٤]. وأما زيد ابن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفوانُ بن أميَّة لِيَقْتلَه بأمية بن خلف أبيه. وقد كان هُذَيل حين قُتِلَ عاصمُ بن ثابت قد أرادوا رأسَهُ ليبيعوه من صُلافةَ[٥] بنت سعد بن شُهَيد، وكانت قد نَذَرَتْ حين قَتَلَ عاصمٌ ابنها يوم أُحُدٍ لئن قَدَرت على رأسِ عاصمٍ لتشرَبنّ في قِحْفه الخمرَ[٦]، فمنَعَتْه الدَّبرُ. فلما حَالَت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يُمسِيَ، فتذهب عنه فنأخذه. فَبَعَثَ اللَّه عَزَّ وجلَّ الواديَ فاحتمل عاصِماً فَذَهَبَ به. وكان عاصمٌ قد أعطى اللَّه عزَّ وجلَّ عَهْداً لا يمسُّهُ مُشْرِكٌ أبداً ولا يمسُّ مشركاً أبداً تنجساً منه[٧]. فكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عنه يقولُ حين بلغه أن الدَّبر منعته: «عجباً لحفظ اللَّه عزَّ وجلَّ العبدَ المؤمن! كان عاصم نَذَرَ ألا يمسَّه مشركٌ ولا يمسَّ مُشْرِكاً أبداً في حياته، فمنعه اللَّه بعد مماته كما امتنع منه في حياته!».

---

(١) أعطوا بأيديهم: خضعوا وانقادوا.

(٢) الظهران: جبل عن أكمة الخيمة. ويقال اسم وادٍ بين مكة وعسفان.

(٣) القران: الحبل.

(٤) ورد في بعض النسخ «لابنه»، ولكن هذا غير صحيح، لأن الذي قتله خُبيب يوم بدر هو الحارث ابن عامر بن نوفل والد عقبة.

(٥) ورد في بعض النسخ «سلافة» بدل «صلافة».

(٦) القحف: العظمُ الذي فوق الدماغ.

(٧) النَّجَسُ والنَّجِسُ والنَّجُسُ والنَّجْسُ والنِّجْسُ: ضدُّ الطاهِر، والنَّجاسَة: ضِد الطَّهارة، قال اللَّه تعالى: (إنَّما المُشْرِكونَ نَجَسٌ)، وقُرِئَ (نَجْس) بِسكون الجيم مع فَتْحَة النون، وقرأ الضَّحّاك: (نَجِسٌ) مثال كَتِفٍ، وقرأ الحَسَن بن عِمران ونُبَيْح وأبو واقِد والجَرّاح وابنُ قُطَيْب: (نِجْسٌ) مثال رِجْس. وقال الفرّاء: إذا قالُوهُ مَعَ الرِّجْسِ أتْبَعوهُ إياه وقالوا: رِجْسٌ نِجْسٌ. وكان النبي ﷺ إذا دَخَلَ الخَلاءَ قال: اللَّهُمَّ إنّي أعوذُ بكَ من الرِّجْسِ النَّجْسِ الخَبيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطان الرَّجيم.

[رواية أخرى عن البعث ومصيره]

قال محمد بن جرير: وأمَّا غير ابن إسحاق، فإنَّه قصَّ من خبر هذه السَّرية غير الذي قصَّه غيرُه: من ذلك ما حَدَّثنا أبو كُرَيبٌ قال: حَدَّثنا جعفر بن عون العمري قال: حَدَّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عمر أو عمرو بن أَسِيدٍ عن أبي هُرَيرة: أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ بَعَثَ عشرةَ رهطٍ، وأمَّر عليهم عاصِمَ بنَ ثابت بن أبي الأقلح، فخرجوا، حتى إذا كانوا بالهَدْأة ذُكِروا لِحيٍّ من هُذَيل يُقالُ لهم بنو لَحيان، فبعثوا إليهم مائةَ رَجُلٍ رامِياً، فوجدوا مَأْكَلَهُم حيث أكلوا التمر، فقالوا: نَوَى يَثْرِب! ثم اتبعوا آثارهم؛ حتى إذا أحسَّ بِهم عاصِمٌ وأصحابُهُ التجأوا إلى جَبَلٍ، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم، وأعطوهم العهدَ؛ فقال عاصم: واللَّه لا أنزل على عهد كافرٍ، اللَّهمّ أخبِر نبيَّك عنَّا؛ وَنَزلَ إليهم ابنُ الدَّثنَّة البياضيّ، وخُبَيبٌ، ورَجُلٌ آخر؛ فأطلق القومُ أوتارَ قِسِيّهم، ثم أوْثَقوهم، فَجَرحوا رَجُلاً من الثلاثة، فقال: هذا واللَّه أوَّلُ الغدر، واللَّه لا أتبعكم، فضربوه وقتلوه؛ وانطلقوا بخبيبٍ وابن الدَّثنَّة إلى مكة، فَدَفَعوا خُبَيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نَوْفل بن عبد مَنَافٍ، وكان خُبَيبٌ هو الذي قتل الحارث بأُحُدٍ. فبينما خُبيبٌ عند بنات الحارث، استعار من إحدى بنات الحارث موسى ليَسْتَحِدّ[1] بها للقتل، فما راع المرأة ولها صبيٌ يدرج إلى خبيبٌ قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده، فصاحت المرأة؛ فقال خبيبٌ: أتحسبين أني أقتله! إن الغدر ليس من شأننا. قال: فقالت المرأة بعد: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيبٍ، لقد رأيته وما بمكة من ثمرةٍ وإن في يده لقطفاً من عنب يأكله، إن كان إلا رزقاً رزقه اللَّه خبيباً. وبعث حيٌّ من قيسٍ إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء، وقد كان لعاصم فيهم آثارٌ بأحدٍ، فبعث اللَّه عليه دبراً فحمتْ لحمه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً. فلما خرجوا بخبيبٍ من الحَرَم ليقتلوه، قال: ذَرُوني أُصلِّ ركعتين، فتركوه فصلَّى ركعتين، فجرت سُنَّةً لمن قُتِلَ صَبْراً أن يصلي ركعتين، ثم قال: لولا أن يُقالَ جَزِع لَزِدْتُ، وما أبالي:

عـلـى أيِّ شَـقٍّ كـان لـلَّـه مَـصـرَعـي[2]

[الطويل]

---

(١) في الحديث الذي جاء في عَشْرٍ من السُّنَّةِ: الاستحدادُ من العشر، وهو حلق العانة بالحديد؛ ومنه الحديث حين قدم من سفر فأراد الناس أن يطرقوا النساء ليلاً فقال: أَمْهِلوا كي تَمْتَشِذَ الشَّعِثَةُ وتَسْتَحِدَّ المُغِيبَةُ أي تحلق عانتها؛ قال أبو عبيد: وهو استفعال من الحديدة يعني الاستحلاف بها، استعمله على طريق الكناية والتورية. الأصمعي: استحدَّ الرجلُ إذا أَحَدَّ شَفْرته بحديدة وغيرها.

(٢) ورد هذا البيت في وافي الوفيات للصفدي، وهو:

لقد جمع الأحزابُ حولي، وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

ثم قال:

وَذَلِكَ في ذاتِ[١] الإلَهِ وَإِن يَشأ يُبارِكْ عَلى أَوصالِ شِلوٍ مُمَزَّعِ

[الطويل]

اللَّهم أحصِهم عَدَداً، وخذهم بِدَداً[٢]. ثم خَرَجَ به أبو سَرْوَعَة بنُ الحارث بن عامر بن نَوْفل بن عبد منافٍ، فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ.

حدَّثنا محمد قال: حَدَّثنا أبو كُرَيب قال: حَدَّثنا جعفر بن عَون عن إبراهيم بن إسماعيل، قال: وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جدِّه: أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ بَعَثَهُ وحدَهُ عيناً إلى قُريشٍ، قال: فَجِئْتُ إلى خَشَبة خُبيبٍ وأنا أتخوَّفُ العيونَ، فَرقِيتُ فيها، فحللتُ خُبيباً فوقع إلى الأرض، فانتبذْتُ[٣] غير بعيدٍ، ثم التفتُّ فلم أرَ لِخُبيبٍ أَثَراً، فكأنَّما الأرضُ ابتلعتْهُ، فلم تَظْهَرْ لِخُبيبٍ رمَّةٌ[٤] حتى الساعة.

قال محمد بن جرير: وأما زيد بن الدَّثنَّة، فإنَّ صَفوان بن أمية بعث [به]ـ فيما حَدَّثنا ابن حُمَيد قال: حَدَّثنا سَلمة عن ابن إسحاق [مع] مولًى له يُقَالُ له نِسطاس إلى التَّنعيم، فأخرجَهُ من الحَرَم ليقتله؛ واجتمع [إليه] رَهطٌ من قُرَيش فيهم أبو سُفيان بن حَرْب؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّم لِيُقْتَلَ: أنشُدَك اللَّه يا زيد، أَتُحِبُ أن محمداً عندنا الآن مكانَكَ فنضرب عنقَه وأنك في أهلك؟ فقال: واللَّه ما أُحبّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبُهُ شوكةٌ تُؤذيه وأنا جالس في أهلي! قال يقول أبو سفيان: ما رأيْتُ من الناس أحداً يحب أحداً كحُبّ أصحاب محمدٍ محمداً! ثم قتله نسطاس.

أخبرني أحمد بن الجَعد قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق المُسيَّبي قال: حَدَّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عُقبة عن ابن شِهابٍ[٥] قال:

[شعر لعاصم بن ثابت]

نَزِلَ عبد اللَّه[٦] وأبو أحمد ابنا جَحشٍ، حين قَدِما مُهاجِرَين، على عاصم بن ثابت، وكنيته أبو سليمان:

---

(١) في ذات الاله: أي طاعته وطلب رضاه وثوابه. الاوصال: الاعضاء. الشلو: الجسد. ممزع: ممزق ومقطع.

(٢) أي اللَّهم اقتلهم ومزقهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه.

(٣) انتبذت: تنحيْتُ. (٤) الرمة: العظمة البالية.

(٥) ورد في تهذيب التهذيب أن ابن شهاب اسمه محمد بن مسلم بن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه الزهري وهو الذي روى عنه موسى بن عقبة.

(٦) هو عبد اللَّه بن جحش بن رباب بن يعمر أبو محمد الأسدي، وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول اللَّه ﷺ، وهو وأخوه أبو أحمد صحابيان، واختهما زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ.

وقال عاصم:

أبـو سـلـيـمـانَ وريـشُ الـمُـقـعَـدِ[١] ومُـجـنـأٌ[٢] مـن جـلـد ثَـورٍ أجـردِ[٣]

[الرجز]

وذكر لنا الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير أن عاصماً، فيما قيل، كان يُكْنى أبا سفيان. قال: وقال في يوم الرَّجيع[٤]:

أنـا أبـو سـفـيـانَ مـثـلـي راما أضـربُ كـبـش[٥] الـعـارض[٦] الـقـدَّاما[٧]

[الرجز]

[كنية الأحوص واسم أمه]

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثنا إسماعيل بن عبد اللَّه عن إسماعيل بن إبراهيم بن عُقبة عن عمِّهِ قال: كنية الأحوص أبو محمد. وأمُّه أُثَيْلة بنت عُمير بن مَخشيٍّ؛ وكان أحمرَ أحوصَ العينين.

[رأي الفرزدق في شعره]

قال الزُّبيرُ: فحدَّثني محمد بن يحيى قال: قَدِمَ الفرزدقُ المدينةَ، ثم خَرَجَ منها، فَسُئِلَ عن شعرائها، فقال: رأيْتُ بها شاعِرَين وعَجِبْتُ لهما: أحدهما أخضر يَسْكُنُ خارجاً من بُطحان[٨] ـ يريد ابن هَرْمَةَ ـ؛ والآخر أحمر كأنه وَحَرَةٌ على بُرودةٍ في شعره ـ يريد الأحوص. والوحرة: يَعسوبٌ أحمر ينزلُ الأنبار[٩].

---

(١) المُقْعَدُ: فَرْخُ النسْرِ، وقيل: فَرْخُ كلِّ طائر لم يستقلّ مُقْعَدٌ. والمُقَعْدَدُ: فرخ النسر؛ عن كراع.

(٢) والمِجَنُّ: التُّرسُ، قال الأعشى:

فـثـابَـرَ بـالـرُّمـحِ حـتـى نَـحَـا هُ فـي كـفـلٍ كَـسَـرَاةِ الـمِـجَـنّ

وقيل هو الترس الذي لا حديد به.

(٣) يقصد الشاعر: أنا أبو سفيان ومعي سهام راشها المقعد، وترس من جلد قويّ، فما عذري إذا لم أقاتل.

(٤) الرَّجيع: ماء لهذيل بناحية الحجاز على تسعة أميال من الهدة والهدة على سبعة أميال من عسفان وأنت تريد مكة.

(٥) كَبْشُ الكتيبة: قائدها.

(٦) العارض: الجيش، واطلقت عليه هذه التسمية تشبيها له بالسرب العظيم من الجراد في انتشاره.

(٧) القَدَّام: السيد ومن يتقدم بالشرف.

(٨) بطحان: واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق وبطحان وقناة.

(٩) بفتح الهمزة، في العراق بينها وبين بغداد ثلاثة عشر فرسخاً، وهي مدينة صغيرة متحضرة لها سوق وفيها قلعة وفواكه كثيرة وهي على رأس نهر عيسى، وكان فيما سلف قبل الإسلام لا تصل مياه=

[هجاؤه لابنه]

وقال الأحوصُ يهجو نفسه ويذكر حَوصَه:

أَقبِح بِهِ مِن وَلَدٍ وأَشقِحِ مِثلِ جُريِّ الكَلبِ لَم يُفَقِّحِ[1]
إِن يَرَ سوءاً لَم يَقُم فَيَنبَحِ بالبابِ عِندَ خَلقِهِ المُستَقبَحِ
[الرجز]

قال الزُّبيرُ: ولم يبقَ للأحوص من ولده غير رجلين.

[طبقته في الشعر]

قال الزُّبيرُ: وجعل محمدُ بن سَلاَّم الأحوصَ، وابن قيس الرُّقيَّات، ونُصيباً، وجَميل بن مَعْمَرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام، وجعله بعد ابن قيس، وبعد نُصَيب[2]. قال أبو الفرج: والأحوصُ، لولا ما وَضَعَ بِهِ نفْسَهُ من دنيء الأخلاق والأفعال، أشدُّ تَقَدُّماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثرِ الرُّواة؛ وهو أسمحُ طبعاً، وأسهلُ كلاماً، وأصحُّ معنًى منهم؛ ولشعره رونقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوةٌ وعُذوبةُ ألفاظٍ لَيْسَتْ لواحدٍ منهم. وكان قليلَ المروءة والدِّين، هَجَّاءً للناس، مأبوناً[3] فيما يُروى عنه.

= الفرات إلى دجلة وإنما كان مغيضها في البطاح دون أن يتصل شيء منها بدجلة، فلما جاء الإسلام احتفر نهر عيسى حتى وصل به إلى بغداد، وهو الآن نهر كبير تجري فيه السفن إلى بغداد. والأنبار حد بابل، وسميت بهذا تشبيهاً لها ببيت التاجر الذي ينضد فيه متاعه وهي الأنبار، وقيل الأنبار بالفارسية الأهراء لأن أهراء الملك كانت فيها ومنها كان يرزق رجاله.

(١) ورد هذه البيت في بعض النسخ:

أسمج به من ولد وأقبح مثل جريّ الكلب لم يفقح

ورد هذا البيت في كتاب الحيوان للجاحظ، أشقح: تغير لونه. والفقح يستعمل للجرو أول ما يفتح عينيه وهو صغير.

(٢) يقول ابن سلام في كتاب طبقات الشعراء: «الطبقة السادسة من الإسلاميين حجازية، أربعة رهط: عبد اللَّه بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب بن حجير بن عبد معيص بن عامر بن لؤي بن غالب، من قريش الظواهر، وإنما نسب إلى الرقيات، لأن جدات له توالين يسمين رقية. والأحوص، عبد اللَّه بن محمد بن عاصم بن ثابت بن قيس وهو أبو الأقلح، شهد عاصم بدراً، وقتل يوم الرجيع، وحمته الدبر وهو من الأوس. وجميل بن معمر بن خيبري بن ظبيان بن حن بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. ونصيب مولى عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

(٣) مأبون: مُعاب.

[جلده]

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: حَدَّثني أبو عُبيدة أن جماعةً من أهل المدينة أخبروه: أنَّ السبب في جَلدِ سُليمانَ بنِ عبد الملك، أو الوليد بن عبد الملك إياه ونَفْيَهُ له، أنَّ شهوداً شهدوا عليه عنده أنه قال: إذا أخذْتُ جريري[1] لم أُبالِ أيّ الثلاثة لَقَيْتُ ناكِحاً أو مَنْكُوحاً أو زانياً! قالوا: وانضاف إلى ذلك أنَّ سُكَينةَ بنت الحسين رضي اللَّه عنهما فَخِرَتْ يوماً برسول اللَّه ﷺ؛ ففاخرها بقصيدتِهِ التي يقولُ فيها:

لَـيـس جَـهـلٌ أَتَـيـتِـهِ بِـبَـديـعِ

[الخفيف]

فزاده ذلك حَنَقاً عليه وغَيْظاً حتى نفاه.

[فخرت سكينة بالنبيّ ففاخرها بجده وخاله]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شبَّة: أن الأحوص كان يوماً عند سُكَيْنة، فأذَّنَ المؤذّن، فلمَّا قال: أشهدُ أن لا إله إلاَّ اللَّه، أشهدُ أنَّ مُحَمَداً رسول اللَّه، فَخِرَتْ سُكَيْنَة بِمَا سَمِعَتْ؛ فقال الأحوص:

فَـخَـرَتْ وانـتَـمَـتْ فَـقُـلـتُ ذَريـنـي لَـيـس جَـهـلٌ أَتَـيـتِـهِ بِـبَـديـعِ
فَـأَنـا ابـنُ الَّـذي حَـمَـتْ لَـحـمَـهُ الـدَّبْـرُ قَـتـيـلُ الـلِّـحـيـانِ يَـومَ الـرَّجـيـعِ
غَـسَّـلَـتْ خـالـيَ الـمَـلائِـكَـةُ الأَبـرارُ مَـيـتـاً طـوبـى لَـهُ مِـن صَـريـعِ

[الخفيف]

قال أبو زيد: وقد لَعَمْري فخرَ بِفَخْرٍ لو على غير سُكَينة فَخِرَ به! وبأبي سُكَينة ﷺ حمت أباه الدبرُ وغَسَّلَت خاله الملائكةُ.

[هجاؤه لابن حزم عامل المدينة]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حدَّثني محمد ابن يحيى عن أيّوب بن عُمر عن أبيه قال: لمَّا جاء ابنُ حزم عَاملِه من قِبَل سليمانَ ابن عبد الملك على المدينة والحجّ، جاءه ابنُ أبي جَهم بنِ حذيفةَ وحُمَيدُ بن عبد الرحمن بن عوف وسُراقة، فدخلوا عليه، فقالوا له: إيهِ يابنَ حَزْم! ما الذي جاء بك؟ قال: استعملني واللَّه يا أمير المؤمنين على المدينة على رَغم أنفِ من رَغِمَ أنفُه. فقال

(١) الجرير: الزمام، وهنا كناية عن إطلاق سراحه.

له ابنُ أبي جَهم: يابنَ حزم، فإنِّي أوّل من يَرغَم من ذلك أنفُهُ. قال: فقال له ابنُ حزم: صادِقٌ، واللَّه يُحبُّ الصَّادقين. فقال الأحوصُ:

سُلَيمانُ إذ وَلَّاكَ رَبُّنا حُكمَنا ... وَسُلطانَنا فاحكُم إذا قُلتَ وَاعدِلِ

يَؤُمُّ حَجيجَ المُسلِمينَ ابنُ فَرتَنى ... فَهَبْ ذاكَ حَجّاً لَيسَ بِالمُتَقَبَّلِ

[الطويل]

فقال ابن أبي عَتيق[١] للأحوص: الحمد للَّه يا أحوص، إذ لم أحُجَّ ذلك العام بنعمة ربي وشكره؛ قال: الحمد للَّه الذي صَرَفَ ذلك عنك يابن أبي بكرٍ الصِّدِّيق، فلم يُضْلِل دينك، ولم تَعْنِ[٢] نفسك، وتَرَ ما يُغيظُكَ ويُغيظُ المُسْلمين معكَ.

[وفد على الوليد وتعرض للخبازين فأمر عامل المدينة بجلده]

أخبرني الحرميّ قال: حدَّثنا الزُّبير قال: حَدَّثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه عن عمه موسى بن عبد العزيز قال: وَفَدَ الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه، فأنزله مَنْزِلاً، وأمَرَ بمطبَخِهِ أن يُمالَ عليه؛ ونَزِلَ على الوليد بن عبد الملك شُعيبُ ابن عبد اللَّه بن عمرو بن العاصي، فكان الأحوصُ يُراوِدُ وُصَفاءَ للوليد خَبَّازين عن أنفسهم ويريدهم أن يفعلوا به. وكان شُعيبٌ قد غَضِبَ على مولًى له ونحَّاه. فلما خافَ الأحوص أن يفتَضِحَ بمراودته الغُلمان، اندسَّ لمولى شُعيب ذلك فقال: ادخل على أمير المؤمنين فاذكر له أن شُعيباً أرادك عن نفسك، ففعل المولى. فالتفت الوليدُ إلى شُعيب فقال: ما يقول هذا؟ فقال: لكلامه غَوْرٌ[٣] يا أمير المؤمنين، فاشدُدْ به يدَكَ يَصدُقْكَ. فشدَّد عليه، فقال: أمرني بذلك الأحوصُ. فقال قيّم الخبَّازين: أصلحك اللَّه! إنَّ الأحوص يُراوِدُ الخبَّازين عن أنفسهم؛ فأرسل به الوليدُ إلى ابن حزم بالمدينة، وأمره أن يَجْلِدَهُ مائةً، ويَصُبَّ على رأسه زيتاً، ويُقيمُهُ على البُلُسِ، ففعل ذلك به. فقال وهو على البُلُسِ[٤] أبياته التي يقول فيها:

(١) ابن عتيق: لقب محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

(٢) أعنى نفسه: أنهكها وكلفها بما لا تستطيع.

(٣) غَوْرُ كلِّ شيء: قَعْرُه. يقال: فلان بعيد الغَوْر. وفي الحديث: أنه سَمِع ناساً يذكرون القَدَرَ فقال: إنكم قد أُخذتم في شِعْبَين بَعيدَي الغَوْرِ؛ غَوْرُ كل شيء: عُمْقه وبُعْده، أي يَبْعُد أن تدركوا حقيقةَ علمه كالماء الغائرِ الذي لا يُقْدَر عليه؛ ومنه حديث الدعاء: ومن أَبْعَدُ غَوْراً في الباطل مني.

(٤) البَلَاس: المِسْحُ؛ بلغة أهل المدينة على ساكنيها السلام، وهو فارِسيٌّ مُعَرَّب. ومن دُعائهم: أرانينه اللَّه على البُلُسِ: وهي غرائرُ كبار من مُسُوْحٍ يُجعَل فيها التِّبن ويُشهَر عليها مَنْ يُنَكَّلُ به ويُنادى عليه.

مـا مِـن مُـصـيـبَـة نَـكـبَـةٍ أُمـنـى بِـهـا إِلاّ تُـشـرِّفُـنـي[١] وَتَـرفَـعُ[٢] شـانـي[٣]

[الكامل]

[شعره الذي أنشده حين شهر به]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدَّثنا عمر بن شبَّة قال: حدَّثني أيّوبُ بن عمر قال: أخبرني عبد اللَّه بن عمران بن أبي فَرْوَةَ قال: رأيْتُ الأحوصَ حين وَقَفَه ابن حزمٍ على البُلُس في سوق المدينة وإنه ليصيح ويقول:

مـا مِـن مُـصـيـبَـة نَـكـبَـةٍ أُمـنـى بِـهـا إِلاّ تُـعَـظَّـمُـنـي وَتَـرفَـعُ شـانـي

وَتَـزولُ حـيـنَ تَـزولُ عَـن مُـتَـخَـمِّـطٍ[٤] تُـخـشـى بَـوادِرُهُ عَـلـى الأَقـرانِ

إِنّـي إِذا خَـفـيَ[٥] الـلِّـئـامُ رَأَيـتَـنـي كَـالـشَّـمـسِ لا تَـخـفـى بِـكُـلِّ مَـكـانِ

[الكامل]

[شعره في هجو ابن حزم]

قال: وهجا الأحوصُ ابنَ حزمٍ بشعرٍ كثيرٍ، منه:

أَقـولُ وَأَبـصَـرتُ ابْـنَ حـزم بـن فَـرتَـنـى وُقـوفـاً لَـهُ بِـالـمَـأزِمَـيـنِ[٦] الـقَـبـائِـلُ

تُـرى فَـرتَـنـى[٧] كـانَـت بِـمـا بَـلَـغَ ابـنُـهـا مُـصَـدِّقَـةً لَـو قـالَ ذَلِـكَ قـائِـلُ

[الطويل]

ـ أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ عن أبي عُبَيدة قال: كلُّ أَمَةٍ يقال لها فَرْتَنى. وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم قال: فَرْتَنى: الأمةُ بنتُ الأمة ـ قال الزُّبيرُ: فقال ابنُ حزم حين سَمِعَ قولَ الأحوص فيه «ابن فَرْتَنى» لرجلٍ من قومِهِ له علمٌ: أنحن من ولد فَرْتَنى؟ أو تَعرِفُها؟ فقال: لا واللَّه! قال: ولا أنا أعلم واللَّه ذلك! ولقد عضهني[٨] به، ولو كانت ولدَتْني لم أجهلْ ذلك.

---

(١) ورد في بعض المصادر «تشرقني» بدل «تعظمني».

(٢) ورد في بعض المصادر «وتعظم» بدل «وترقع».

(٣) وقد ورد البيت في ديوان الحماسة على الشكل التالي:

ما تعترينـي من خطوب ملمة إلا تشرّفني وتعظم شاني

(٤) رجل مُتَخمِّطٌ وخَمِطٌ: شديد الغضب له فورة وجلبة من شدة غضبه.

(٥) ورد في بعض المصادر «جهل» بدل «خفي».

(٦) المأزمين: جبل في مكة.

(٧) الأمة والمرأة الفاجرة.

(٨) العَضيهَةُ: الإفكُ والبُهْتَانُ والقَولُ الزُّورُ. وأَعْضَهْتُ إعْضاها أي أتيْتُ بمُنْكر. وعَضَهْتُ فُلاناً عَضْهاً، وهو أيضاً من كلام الكهنة وأهل السِّحْرِ. والإسْم العَضْيهَةُ.

قال الزُّبيرُ: وحدَّثني عمي مُصْعبٌ عن عبد اللَّه بن محمد بن عُمارة قال: فَرْتَنى: أمٌ لهم في الجاهلية من بَلْقَين[١]، كانوا يسبُّون بها، لا أدري ما أمرها، قد طرحوها من كتاب النسب وهي أمّ خالد [بنت خالد] بن سنان بن وهب بن لوذان السَّاعديَّة أم بني حَزْم.

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسفَ بن الماجِشون[٢]: أن الأحوص قال لابن حزمٍ:

لَعَمري لَقَد أَجرى ابنُ حَزمِ ابنِ فَرتَنى ... إِلى غايَةٍ فيها السِّمامُ المُثَمَّلُ[٣]

وَقَد قُلتُ مَهلاً آلَ حَزمِ بنِ فَرتَني ... فَفي ظُلمِنا صابٌ[٤] مُمِرٌّ وَحَنظَلُ

[الطويل]

---

(١) بلقين: حي من أسد، وأصلها بنو قين.

(٢) المَاجُشُونُ، أَهْمَلَه الجَوْهَرِيُّ، وصاحِبُ اللِّسَانِ، وهُوَ بضَمِّ الجِيمِ: السَّفِينَةُ. وقال أَبو سَعِيدٍ: الماجُشُون: ثِيَابٌ مُصَبَّغَةٌ، وأَنْشَدَ لأُمَيَّةَ بنِ أَبي عائِذٍ:

ويَخْفَى بفَيْحَاءَ مُغْبَرَّةٍ ... تَخالُ القَتامَ بِهَا الماجُشُونَا

والمَاجُشُون: لَقَبُ يُوسُفَ، أَو ابن يُوسُفَ، وكِلَاهُمَا صَحِيحٌ، ويُكْسَرُ الجِيمُ ويُفْتَحُ، فهو إِذاً مُثَلَّثٌ.. قُلْتُ هو لَقَبُ أَبِي سَلَمَةَ يُوسُفَ بنِ يَعْقُوب بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي سَلَمَة دِينَار، مَوْلَى آلِ المُنْكَدِر، رَوَى عن مُحَمَّدِ بنِ المُنْكَدِرِ، وسَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، وعَنْه مُحَمَّدُ بنُ الصّباح مات سنة ١٠٨ مُعَرَّبٌ: مَاهُ كُون، وقِيلَ: مَعْنَاه: يُشْبِهُ القَمَر، وقِيلَ: يُشْبِه القَمَرَ بِحُمْرَةٍ وَجْنَتَيْه. وفي حاشِيَةِ المَوَاهِبَ: المَاجِشُون، بكَسْرِ الجِيم وضَمِّ الشين، ومَعْنَاهُ: الوَرْدُ، وفي شَرْحِ الشِّفاءِ مَعْنَاهُ الأَبْيَضُ المُشْرَبُ بحُمْرَةٍ، مُعَرَّب ماهْ كُون، مَعْنَاهُ: لَوْنُ القَمَرِ، وعَلَى كَسْر الجِيم وضَمِّ الشِّينِ اقْتَصَرَ النَّوَوِيّ، رَحِمَه اللَّهُ تَعالَى، في شَرْحِ مُسْلم، والحَافِظُ ابنُ حجَرٍ في التَّقْرِيب، قالَ الصّاغَانِيُّ: وهُوَ من الأَبْنِيَةِ الَّتي أَغْفَلَهَا سِيبَوَيْهِ، قالَ شَيخُنَا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِذا كانَ لَقَباً مُرَكَّباً مِنْ لَفْظَين وهما: ماهْ، وكُون، فبِأَيِّ اعتبارٍ قَطَعَ وحَكَمَ على أَنَّهُ يُذْكَر في بابِ الشِّينِ، وأَنّه من مادة مجش، وما عَداه حُرُوفٌ زائدة؟ فالصّوابُ أَنْ يُذْكَر في بابِ النُّون على ما قَرّرناهُ، وحَرّرناه غيرَ مَرّةٍ. أَمَّا فَصْلُه وذِكْرُه في هذا البابِ والحُكْمُ عليه أَنَّهُ مُعرّب مِنْ كَلِمَتيْنِ فَلا مَعْنَى لِهذا الاعْتِبَار، واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، فتَأَمَّلْ. والمَنْجَشانِيّة: ع، عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنَ البَصْرَةِ، لِمَنْ يُرِيدُ مَكَّةَ، حَرَسَها اللَّهُ تَعَالَى، مَنْسُوبٌ إِلَى مَنْجَش، مَوْلَى قَيْسِ بنِ مَسْعُود بنِ قَيْسِ بنِ خالِدٍ، وهُوَ من تَغْيِيراتِ النَّسَبِ، لأَنَّ القِيَاسَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَنْجَشِيَّةَ، فتَأَمَّلْ. وممّا يُسْتَدْرَك عَلَيْه: المَجَاشُ، كسَحَابٍ: عَلَمٌ أو مَوْضِعٌ. وأَبُو عَمْرو عُثْمَانُ بنُ أَحْمَدَ بنِ سِمْعَانَ المَجَاشِيّ بَغْدَادِيٌّ، سَمِعَ الحَسَنَ بنَ عَلّويه القَطّان، مات سنة ٣٦٣. وأَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بنُ مُوْسَى المَجَاشِيُّ، شيخٌ لابنِ رِزْقَوَيْه. وأَبو الحُسَيْن عبدُ الوَاحِدِ بنُ محمّد المَجَاشِيُّ: شيخٌ لابنِ الرَّسِّيّ، وابنُه أَبو الحَسَنِ محمَّدٌ مات سنة ٤٩٩، نَقَلَه الحافظُ.

(٣) المُثَمَّلُ: السُّمُّ لأنه يُثَمِّلُ من يلجَأ إليه.

(٤) الصاب: عصارة شجر مرّ، وقيل: هو شجر إذا اعتصر خرج على هيئة اللبن.

وهي طويلة. وقال أيضاً:

أَهـوى أُمَـيَّـةَ إِن شَـطَّـت وَإِن قَـرُبَـت ... يَـومـاً وَأُهـدي لَـهـا نُـصـحـي وَأَشـعـاري
وَلَـو وَرَدتُ عَـلَـيـهـا الـفَـيـضَ[1] مـا حَـفَـلَـت ... وَلا شَـفَـت عَـطَـشـي مِـن مـائِـهِ الـجـاري
لا تَـرثِـيَـنَّ[2] لِـحَـزمـيٍّ رَأَيـتَ بِـهِ ... ضُـرّاً وَلَـو أُلـقـي[3] الـحَـزمـيُّ فـي الـنـارِ
الـنـاخِـسـيـنَ[4] بِـمَـروانٍ بِـذي خُـشُـبٍ ... والـمُـقـحِـمـيـنَ عَـلـى عُـثـمـانَ فـي الـدارِ

[البسيط]

[دفع عنه بنو زريق فمدحهم]

أخبرنا الحَرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حدَّثني جماعةٌ من مشايخ الأنصار: أنَّ ابن حزم لما جَلَدَ الأحوص و وقَفَهُ على البُلُس يضربه، جاءه بنو زُرَيق[5] فدفعوا عنه، واحتملوه من أعلى البُلُس. فقال في ذلك ـ قال ابن الزُّبيرُ: أنشدنيه عبد الملك بن الماجِشُونَ عن يوسف بن أبي سَلَمة الماجشون ـ :

إِمّـا تُـصِـبـنـي الـمَـنـايـا وَهـيَ لاحِـقَـةٌ ... وَكُـلُّ جَـنـبٍ لَـهُ قَـد حُـمَّ مُـضـطَـجَـعُ
فَـقَـد جَـزَيـتُ بَـنـي حَـزمٍ بِـظُـلـمِـهِـمُ ... وَقَـد جَـزَيـتُ زُرَيـقـاً بِـالَّـذي صَـنَـعـوا
قَـومٌ أَبـى طَـبَـعَ[6] الأَخـلاقِ أَوَّلُـهُـم ... فَـهُـم عَـلـى ذاكَ مِـن أَخـلاقِـهِـم طُـبِـعـوا
وَإِن أُنـاسٌ وَنَـوْا عَـن كُـلِّ مَـكـرُمَـةٍ ... وَضـاقَ بـاعُـهُـمُ عَـن وُسـعِـهـا وَسِـعـوا
إِنّـي رَأَيـتُ غَـداةَ الـسـوقِ مَـحـضَـرَهُـم ... إِذ نَـحـنُ نَـنـظُـرُ مـا يُـتـلـى وَنَـسـتَـمِـعُ

[البسيط]

[نفاه ابن حزم إلى دهلك وشعره في ذلك]

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمَّلي قال: حدَّثني غير واحدٍ من أهل العلم: أنَّ أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جلد

---

(١) الفيض: نهر بالبصرة.
(٢) ورد في بعض المصادر «لا ترثين» بدل «لا تأوين».
(٣) ورد في بعض المصادر «ألقي» بدل «طرح».
(٤) الناخسين: الطاردين لمروان والمزعجين له.
(٥) قوم من الخزرج، وهم بنو زريق بن عامر بن زريق الخزرجيّ، إليه يتبع كل زرقي ما خلا زريق ابن ثعلبة طيء.
(٦) من المجاز: طبع اللَّه على قلب الكافر. وإن فلاناً لطمع طبع: دنس الأخلاق: «ورب طمع، يهدي إلى طبع».

الأحوص في الخَنَث[١]، وطاف به وغرَّبَهُ إلى دَهلَك[٢] في مَحملٍ عُرياناً. فقال الأحوص وهو يُطافُ به:

ما من مُصيبةِ نكبةٍ أُبلى بها

الأبيات. وزاد فيها:

إنّي عَلى ما قَد تَرَونَ مُحَسَّدٌ أَنمي عَلى البَغضاءِ والشَّنآنِ
أصبحْتُ للأنصار فيما نابهم خَلفَاً وللشعراءِ من حَسَّانِ
[الكامل]

قال الزُّبيرُ: ومما ضُرِبَ فيه أيضاً قوله:

شَرُّ الحِزاميِّينَ ذو السِّنِّ مِنهُمُ وَخَيرُ الحِزاميِّينَ يَعدِلُهُ الكَلبُ
فَإِن جِئتَ شَيخاً مِن حِزامٍ وَجَدتَهُ مِنَ النَّوكِ والتَّقصيرِ لَيسَ لَهُ قَلبُ
فَلَو سَبَّني عَونٌ إِذاً لَسَبَبتُهُ بِشعريَ أَو بَعضُ الأُلى جَدُّهُم كَعبُ
[الطويل]

ـ عَوْن، يعني عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالبٍ عليه رضوان اللَّه. وكعب، يعني كعب بن لؤيّ ـ:

أُولَئكَ أَكفاءٌ لِبَيتي بُيوتُهُم وَلا تَستَوي الأَعلاثُ[٣] والأَقدُحُ[٤] القُضْبُ[٥]
[الطويل]

[أخبار متفرقة]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء، قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني محمد بن ثابتٍ

(١) الخُنْثَى: وهو الذي ليس بذكر ولا أُنْثَى، ومنه أُخِذَ المُخَنَّثُ. ويقال: بل سمي لتكسره كما يَخْنَثُ السقاء والجوالق إذا عطفته.

(٢) دَهْلَك: موضع، أعجمي معرب. والدَّهالِكُ: آكام سود معروفة؛ قال كثِّير عَزة:

كان عَدَوْليّاً زُهاءَ حُمُولها، غَدَتْ تَرْتَمي الدَّهْنا بها والدَّهالِكُ

(٣) العَلْثُ: الخَلْطُ. يقال: عَلَثَ يَعْلِثُ عَلْثاً، واعتلث. ويقال للزّنْد إذا لم يُورِ واعتاص: عُلاثة، ويقال: إنّما هو علث والعُلاثُ اسمه. قال: وإنّي غير معتلث الزناد أي: غير صلد الزّند. أي: أنا صافي النّسب. واعْتَلَث زنداً أخذه من شجرٍ لا يدري أيُوري أم لا. واعتلث سهماً أتّخذه بغير حذاقة. عُلاثَةُ: اسم رجل، ويقال: بل هو الشيء الذي يَجْمع من هنا وهناك.

(٤) القِدْح: السَّهْمُ قبل أن يُراش ويُنصَل، وجمعُه قِداح.

(٥) قال الليث: القضبُ مَن الشجر كل شجر سبطت أغصانه وطالت، والقضبُ قطعك القضِيبَ ونحوه. قال: والقضيبُ اسمٌ يقع على ما قَضَبْتَ من أغصان لتَتَّخِذَ منها سهاما أو قسيًا.

الأنصاريّ عن محمد بن فَضَالة قال: كان الأحوص بن محمد الأنصاريّ قد أوسعَ قومَهُ هِجاءً فملأهم شرّاً، فلم يبقَ له فيهم صديقٌ، إلا فتًى من بني جَحجَبى[١]. فلما أراد الأحوصُ الخروجَ إلى يزيد بن عبد الملك، نَهَضَ الفتى في جَهازِهِ وقام بحوائجه وشيَّعَهُ؛ فلما كان بِسِقايةِ سليمانَ ورَكِبَ الأحوصُ مَحمِلَهُ، أقبل على الفتى فقال: لا أخلف اللَّه عليك بخير! فقال: مَهْ! غَفَرَ اللَّه لك! قال الأحوصُ: لا واللَّه أو أعلِّقها حرباً! يعني قُباءَ وبني عمرو بن عَوْف.

[هجاآته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثني محمد بن يحيى قال: قال غَسَّان بن عبد الحميد: أقبل الأحوصُ حتى وَقَفَ على مَعْن بن حُمَيد الأنصاريّ، أحد بني عمرو بن عَوْف بن جَحْجَبى، فقال:

رَأَيتُكَ مَزهوّاً كأَنَّ أَباكُمُ ... صُهَيبَةَ أَمسى خَيرَ عَوفٍ مُرَكَّبا
تُقِرُّ بِكُم كُوَثى[٢] إِذا ما نُسِبتُمُ ... وَتُنكِرُكُم عَمرو بنُ عَوفِ بنِ جَحجَبى
عَلَيكَ بِأَدنى الخَطْبِ إِن أَنتَ نِلتَهُ ... وَأَقصِرْ فَلا يَذهَبْ بِكَ التّيهُ مَذهَبا

[الطويل]

فقام إليه بنوه ومواليه؛ فقال: دعوا الكلب، خَلُّوا عنه، لا يمسَّه أحدٌ منكم؛ فانصرف. حتى إذا كان عند أحجار المِراء بقباء لقيه ابنُ أبي جَرير أحدُ بني العَجْلان، وكان شديداً ضابطاً فقال له الأحوص:

وَإِنَّ بِقَومٍ سَوَّدوكَ لَحاجَةً ... إِلى سَيِّدٍ لَو يَظفَرونَ بِسَيِّدِ

[الطويل]

فألقى ثيابَهُ وأخذ بِحَلْقِ الأحوص، ومع الأحوص راويتُهُ، وجاء الناس ليخلِّصوه، فَحَلَفَ لئن خَلَّصَهُ أحدٌ من يديه ليأخُذنَّه وليدَعَنَّ الأحوص؛ فَخَنَقَهُ حتى استرخَى، وتركَهُ حتى أفاق؛ ثم قال له: كلُّ مملوكٍ لي حرٌ، لئن سُمِعَ أو سَمِعتُ هذا البيتَ من أحدٍ من الناس لأضربنَّك ضَرْبَةً بسيفي أُريدُ بها نفسَكَ ولو كُنْتَ تحت أستار الكعبة. فأقبل الأحوص على راويته فقال: إن هذا مجنون، ولم يسمع هذا البيت غيرُك؛ فإياك أن يسمَعَه منك خلق.

---

(١) جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وهو جدّ أُحيحة بن الجلاح اليثربي، وهو حيّ من الأنصار ثم من الأوس.

(٢) كوثى: محلة بمكة لبني عبد الدار.

أخبرني الحَرَميّ والطُوسِيّ قالا: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني بعضُ أصحابنا: أنَّ الأحوص مرَّ بعباد بن حَمزة بن عبد اللَّه بن الزُّبير ومحمد بن مُصعَب ابن الزُّبير بخيمتي أم معبد[١]، وهما يريدان الحج مَرْجِعَه من عند يزيدَ بن عبد الملك، وهو على نجيب له فارِهٍ ورَحْلٍ فاخرٍ وبِزَّةٍ مرتفعةٍ، فحدَّثَهُما أنَّه قَدِمَ على يزيد بن عبد الملك، فأجازه وكساه وأخدمه[٢]؛ فلم يرهما يَهشَّان لذلك، فجعل يقول: خيمتَيْ أُمَّ معبد، عبَّاد ومحمد، كأنه يَرُوضُ القوافيَ للشعر يريد قوله. فقال له محمد بن مصعب: إنِّي أراك في تهيئة شعر وقوافٍ وأراك تريد أن تهجوَنا! وكل مملوك لي حرٌ لئن هجوتَنا بشيءٍ إن لم أضربْكَ بالسيف مجتهداً على نفسك[٣]. فقال الأحوص: جعلني اللَّه فداك! إنِّي أخافُ أن تُسْمِعَ هذا فيَّ عدوّاً فيقول شعراً يهجُو كما به فَيَنْحَلْنِيه[٤]، وأنا أُبرئكُما الساعةَ، كلّ مملوكٍ لي حرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبداً.

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني عمي مصعب قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن خُبيب عن أبيه خُبيب بن ثابت قال: خَرَجْنا مع محمد بن عَبَّاد بن عبد اللَّه بن الزُّبير إلى العُمرة، فإنا لَبِقُرْب قُدَيد[٥] إذ لَحِقنا الأحوصُ الشاعرُ على جملٍ برَحْل؛ فقال: الحمد للَّه الذي وَفَّقَكُم[٦] لي، ما أُحِبّ أنكم غيرُكم، وما زِلْتُ أُحَرِّكُ في آثاركم مذ رُفِعْتُم[٧] لي؛ فقد ازدَدْتُ بكم غِبْطَةً. فأقبَلَ عليه محمد، وكان صاحبَ جدٍّ يَكْره الباطلَ وأهلَهُ، فقال: لكنَّا واللَّه ما اغتبطنا بك ولا نحبّ مُسايرتَكَ، فتقدَّم عنا أو تأخَّر؛ فقال: واللَّه ما رأيْتُ كاليوم جواباً! قال: هو ذاك. قال: وكان محمد

---

(١) بئر أم معبد أو خيمة أم معبد، موضع بين مكة والمدينة، نزله الرسول ﷺ، وهناك سمع هاتفاً ينشد:

جزى اللَّه خيراً والجزاء بكفه رفيقين قالا خيمتي أم معبد

(٢) أعطاه خادماً.

(٣) قال الليث: الجَهْد: ما جَهَد الإنسانَ من مَرَض أو أمر شاقٍّ فهو مَجْهود. قال: والجُهْد لغة بهذا المعنى، قال: والجُهد: شيء قليلٌ يعيش به المُقلّ على جَهْدِ العَيْش. قال اللَّه جل وعزّ: (والذِينَ لا يَجِدُونَ إلَّا جُهْدَهُم) على هذا المعنى. قال: والجَهْد أيضا: بلُوغُكَ غايةَ الأمر الّذي لا تألو عن الجَهْد فيه. تقول: جَهَدْتُ جَهْدي واجتهدتُ رَأْيي ونَفْسي حتى بلغتُ مجهودي.

(٤) قال الليث: يقال انتحل فلان شعر فلانٍ إذا ادعاه أنهُ قائله. ويقال نحل الشاعر قصيدة إذا نسبت إليه وهى من قيل غيره.

(٥) قُديد: اسم موضع قرب مكة، تقول الأخبار، سُمي بهذا الأسم لأنه لما رجع تبع من المدينة بعهد حربه لأهلها نزل قديداً فهبت ريح قدت خيم أصحابه فسمي قديداً.

(٦) وفقكم لي: جعلكم تصادفونني وتلاقونني.

(٧) رفع لي الشيء: أبصرته ورأيته من بعد.

صاحب جدّ يكره الباطل وأهلَه، فأشفَقْنا مما صَنَعَ، ومعه عِدَّةٌ من آل الزُّبير، فلم يقدِر أحدٌ منهم أن يَرُدَّ عليه. قال: وتقدَّمَ الأحوص، ولم يكن لي شأنٌ غيرَ أن أعتذرَ إليه. فلما هَبَطْنا من المُشلَّل[١] على خيمتي أم معبد سَمِعْتُ الأحوص يُهَمْهِمُ[٢] بشيء، فتفهَّمْتُهُ فإذا هو يقول: خيمتي أم معبد، محمد، كأنَّه يهيِّىءُ القوافي؛ فأمسَكْتُ راحلتي حتى جاءني محمد، فَقُلْتُ: إنِّي سَمِعْتُ هذا يُهَيىء لك القوافي، فإمَّا أذِنْتَ لنا أن نعتذِرَ إليه ونُرْضيَهُ، وإما خلَّيت بيننا وبينه فنضربه؛ فإنَّا لا نصادفه في أخلى من هذا المكان؛ قال: كلا! إن سعد بن مُصْعَب قد أخذ عليه ألا يهجو زُبيريّاً أبداً، فإن فعل رجوتُ أن يُخزيه اللَّه، دَعْه.

قال الزُّبير: وأما خبره مع سعد بن مُصعبٍ، فحدَّثني به عمي مُصعب قال أخبرني يحيى بن الزُّبير بن عَبَّاد أو مُصعب بن عثمان ـ شكَّ: أيهما حدَّثه ـ قال: كانت أمة الملك بنت حمزة بن عبد اللَّه بن الزُّبير، تحت سعد بن مصعب بن الزبير، وكان فيهم مأتمٌ، فاتهمته بامرأةٍ، فغارت عليه وفضحته. فقال الأحوص يمازحه:

وَلَيسَ بِسَعدِ النارِ من تَزعمونَهُ[٣] ... وَلَكِنَّ سَعدَ النارِ سَعدُ بنُ مُصعَبِ
أَلَم تَرَ أَنَّ القَومَ لَيلَةَ نوحِهِم[٤] ... بَغَوهُ فأَلفَوهُ عَلَى شَرِّ مَركَبِ
فَما يَبتَغي بِالغَيِّ[٥] لا دَرَّ دَرُّهُ ... وَفي بَيتِهِ مِثلُ الغَزالِ المُرَبَّبِ

[الطويل]

ـ قال: وسعد النار رجلٌ يقال له سعد حضنة، وهو الذي جدَّد لزياد بن عُبيد

---

(١) المشلل في طريق مكة، وهي ثنية مشرفة على قديد، وفيه دفن مسلم بن عقبة صاحب وقعة الحرة ونبش وصلب.

(٢) الهَمْهَمة: الكلام الخفيّ، وقيل: الهَمْهَمة تَرَدُّد الزَّئير في الصَّدْر من الهمّ والحَزَن، وقيل: الهَمْهَمة تَرْديد الصوت في الصدر؛ أنشد ابن بري لرجل قاله يوم الفتح يخاطب امرأته:

إِنَّكِ لو شَهِدْتِنا بالحَنْدَمهْ ... إِذْ فَرَّ صَفْوان وفَرَّ عِكْرِمَهْ
وأَبو يَزيدَ قائمٌ كالمُؤْتِمَهْ ... واسْتَقْبَلَتْهُم بالسيوف المُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كلَّ ساعِدٍ وجُمْجُمَهْ ... ضَرْباً، فما تَسْمع إلا غَمْغَمَهْ
لهُمْ نَهيتٌ خَلْفَنا وهَمْهَمَهْ ... لَمْ تَنْطِقي باللَّوْم أَدنى كلِمَهْ

وأَنشد هذا الرجز هنا الحَنْدَمة، بالحاء المهملة، وأَنشده في ترجمة خندم بالخاء المعجمة. والهَمْهَمة: نحوُ أَصوات البقر والفِيَلَة وأَشباه ذلك. والهَماهِم: من أَصوات الرعد نحو الزَّمازِم. وهَمْهَمَ الرَّعْدُ إذا سمعتَ له دَوِيّاً. وهَمْهَم الأَسدُ، وهمْهَم الرجلُ إذا لم يُبَيِّن كلامه. والهمْهَمة: الصوت الخفيّ، وقيل: هو صوت معه بَحَحٌ.

(٣) ورد في بعض المصادر «تذكرونه» بدل «تزعمونه».

(٤) ورد في بعض المصادر «جمعهم» بدل «نوحهم».

(٥) ورد في بعض المصادر «بالشرّ» بدل «بالغيّ».

اللَّه الحارثي الكتاب الذي في جدار المسجد، وهو آياتٌ من القرآن أحسب أن منها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل: ٩٠]. فلمَّا فَرَغَ منه قال لزياد: أعطني أجري؛ فقال له زياد: انتظِرْ، فإذا رأيتَنا نَعْمَلُ بما كتبتَ، فخُذ أجرَك ـ .

قال: فَعَمِلَ سعد بن مُصعبٍ سُفرةً، وقال للأحوص: اذهبْ بنا إلى سدّ عُبَيْد اللَّه بن عمر نَتَغَذّ عليه، ونشرب من مائه، ونَسْتَنْقِعُ فيه؛ فَذَهَبَ معه؛ فلما صارا إلى الماء، أمرَ غِلْمَانَهُ أن يَرْبطُوه وأراد ضربَهُ، وقال: ما جَزِعْتُ من هجائك إياي، ولكن ما ذِكرُك زَوْجَتي؟! فقال له: يا سعدُ، إنَّك تَعْلَم أنَّكَ إنْ ضَرَبْتَنِي لم أكفُفْ عن الهجاء، ولكن خيرٌ لك من ذلك أحلفُ لك بما يُرضيك ألاَّ أهجوَك ولا أحداً من آل الزُّبير أبداً؛ فأحلفه وتركه.

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: حَدَّثني مُصْعَبٌ عمي عن مصعب بن عثمان قال: قال الأحوص لمجمِّع[1] بن زيد بنِ جارية:

وَجُمِّعتَ مِن أَشياءَ شَتّى خَبيثَةٍ فَسُمِّيتَ لَمّا جِئتَ مِنها مُجَمِّعا

[الطويل]

فقال له مجمِّع: إنِّي لا أُحْسِنُ الشعر، ثم أخذ كُرْنَافةً[2] فَغَمَسَها في ماءٍ فغاصت، ثم رَفَعَ يَدَهُ عنها فَطَفَتْ، فقال: هكذا واللَّه كانت تَصنعُ خالاتُكَ السَّواحِرُ[3].

[خبره مع أم الليث والأنصارية الجميلة]

أخبرني الحَرَميّ قال: وحدَّثنا الزُّبيرُ قال: كانت امرأةٌ يُقالُ لها أمُّ لَيْث امرأةَ صدقٍ، فكانت قد فتحت بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خَوْخة، وكانت الأنصاريّةُ من أجمل أنصاريّةٍ خُلِقَتْ، فكلَّمَ الأحوصُ أمَّ ليثٍ أن تُدخله في بيتها يُكَلِّمُ الأنصاريَّةَ من الخوخة التي فتحت بينها وبينها، فأبَتْ؛ فقال: أما لأكافئنَّك، ثم قال:

(١) مجمع بضم أوّله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة. وجارية بالجيم والراء والياء المثناة كما في تهذيب التهذيب.

(٢) الكِرْنافُ: أُصول الكَرب تبقى في جِذْع النخلة بعد قطع السَّعف؛ وما قُطع مع السَّعف فهو كَرَب، الواحدة كِرْنافَةٌ، والجمع كَرانِيْفُ، وقال ابن عبّاد: الكُرْنافَةُ ـ بالضمّ ـ لغة فيها. ويقال للرجل العظيم القدَم: كأن قدَمه كِرْنافَةٌ؛ أي كَرَبَةٌ.

(٣) السَّواحِرُ كما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾.

هَيهاتَ مِنكَ بَنو عَمروٍ وَمَسكَنُهُم إِذا تَشَتَّيتَ قِنِّسرينَ[١] أَو حَلَبا
قامَت تَراءى وَقَد جَدَّ الرَّحيلُ بِنا بَينَ السَّقيفَةِ والبابِ الَّذي نُقِبا
إِني لَمانِحُها وُدّي وَمُتَّخِذٌ بِأُمِّ لَيثٍ إِلى مَعروفِها سَبَبا

[البسيط]

فلمَّا بَلَغَت الأبياتُ زوجَ المرأة، سدَّ الخوخةَ؛ فاعتذَرَتْ إليه أُمُّ ليث، فأبى أن يَقبَلَ ويصدّقها؛ فكانت أُمُّ لَيْث تدعو على الأحوص.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثني عمر بن شَبَّة قال: حدَّثني أبي قال: رَكِبَ الأحوصُ إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضَرب ابن حزم إياه، فَلَقِيَهُ رجلٌ من بني مخزوم يُقالُ له محمد بن عُتبة، فَوَعَدَهُ أن يُعِيْنَهُ؛ فلما دَخَلَ على الوليد قال: وَيْحك! ما هذا الذي رُمِيْتَ به يا أحوص؟! قال: واللَّه يا أمير المؤمنين، لو كان الذي رماني به ابنُ حزم من أمر الدين لاجتنبْتُهُ، فكيف وهو من أكبر معاصي اللَّه! فقال ابنُ عُتبة: يا أمير المؤمنين، إنَّ من فضل ابن حزمٍ وعَذله كذا وكذا، وأثنى عليه؛ فقال الأحوص: هذا واللَّه كما قال الشاعر:

وَكُنتَ كَذِئبِ السوءِ لَمّا رَأى دَماً بِصاحِبِهِ يَوماً أَحالَ[٢] عَلى الدَّمِ

[الطويل]

فأما خبره في بَقِيَّة أيَّام سليمانَ بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، فأخبرني به أبو خليفة الفضلُ بن الحُباب الجُمحيّ قال: حَدَّثنا عَوْن بن محمد بن سَلاَّم قال: حدَّثني أبي عمَّن حَدَّثه عن الزُّهريّ، وأخبرني به الطُّوسيّ والحَرَميّ بن أبي العَلاء قالا: حَدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال: حَدَّثني عمي مصعبٌ عن مصعب بن عثمان قال: كان الأحوص يَنْسِبُ بنساءٍ ذواتِ أخطار من أهل المدينة، ويتغنّى في شعرِهِ معبدٌ ومالك، ويَشيعُ ذلك في الناس، فَنُهي فلم يَنْتَهِ؛ فَشُكيَ إلى عامل سليمانَ بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتابَ فيه إليه؛ ففعل ذلك؛ فكتب سليمانُ إلى عامله يأمره أن يضرِبَهُ مائة سوطٍ ويُقيمَه على البُلُس للناس، ثم يُصَيِّرَه إلى دَهلَك[٣]، ففعل ذلك به؛ فثوى هناك

(١) قنسرين: كورة في الشام بالقرب من حلب، فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي اللَّه عنه في سنة سبع عشرة للهجرة.

(٢) أحال على الدم: أقبل عليه.

(٣) دهلك: جزيرة في بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها.

سلطانَ[١] سليمانَ بنِ عبد الملك؛ ثم وَليَ عمرُ بن عبد العزيز؛ فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه؛ فأبى أن يأذَنَ له: وكتب فيما كتب إليه به:

أَيا راكِباً إمّا عَرَضتَ فَبَلِّغَنْ هُديتَ أَميرَ المؤمِنينَ رَسائِلي
وَقُل لأَبي حَفصٍ إذا ما لَقيتَهُ لَقَد كُنتَ نَفّاعاً قَليلَ الغَوائِلِ
وَكَيفَ تَرى لِلعَيشِ طيباً وَلَذَّةً وَخالُكَ أَمسى مُوثَقاً في الحَبائِلِ

[الطويل]

ـ هذه الأبيات من رواية الزُّبير وحده، ولم يذكرها ابنُ سلاَّم ـ قال: فأتى رجالٌ من الأنصار عمرَ بن عبد العزيز، فكلَّموه فيه وسألوه أن يُقْدِمَهُ، وقالوا له: قد عَرفْتَ نسبه وموضعه وقديمه، وقد أخرجَ إلى أرض الشِّرْكِ، فنطلُبُ إليك أن تردَّهُ إلى حَرَمِ رسول اللَّه ﷺ ودارِ قومِه. فقال لهم عمر: فمن الذي يقول:

فَما هوَ إلاّ أَن أَراها فُجاءَةً فَأُبْهَتُ حَتّى ما أَكادُ أُجيبُ

[الطويل]

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ بأبياتكم ما دُرتُ حيث أدور[٢]
وَما كُنتُ زَوّاراً وَلكِنَّ ذا الهَوى إذا لَم يُزَرْ لا بُدَّ أَن سَيَزور

[الطويل]

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

كَأَنَّ لُبنى صَبيرُ[٣] غادِيَةٍ[٤] أَو دُميَةٌ زُيِّنَتْ بِها البِيعُ
أللَّهُ بَيني وَبَينَ قَيِّمِها يَفِرُّ مَنّي بِها وَأَتَّبِعُ

[المنسرح]

قالوا: الأحوص. قال: بل اللَّه بين قيِّمها وبينه. قال: فمن الذي يقول:

---

(١) يريد مدة سطانه.

(٢) نقل البعض عن ابن قتيبة الدينوري في كتاب الشعر والشعراء أن هذا البيت لعروة بن حزام العذري، ولكن هذا الكلام غير دقيق، فقد أورد الدينوري هذا البيت أثناء عرضه لحياة الأحوص.

(٣) الصَّبيرُ: السحاب الأبيض لا يكاد يُمطر. قال الشاعر:

يَروحُ إليهِمُ عَكَرٌ تَراغى كَأَنَّ دَوِيَّها رَعْدُ الصَّبيرِ

وقال الأصمعي: الصَّبِيرُ السحاب الأبيض الذي يُصْبَرُ بعضُه فوق بعض دَرَجاً. والجمع صُبُرٌ.

(٤) الغادية: السحابة تنشأ غدوة.

سَتُبْلى لكم[١] في مَضمِرِ القَلبِ والحَشا سَـريـرَةُ حـبٍّ يَـومَ تُـبـلـى الـسَّـرائِـرُ
[الطويل]

قالوا: الأحوص. قال: إن الفاسق عنها يومئذ لمشغولٌ، واللَّه لا أرُدُّه ما كان لي سلطان. قال: فمكث هناك بقيَّةَ ولاية عمر وصَدْراً من ولاية يزيد بن عبد الملك. قال: فبينا يزيدُ وجاريته حَبابَةُ ذاتَ ليلةٍ على سطح تُغَنِّيه بشعر الأحوص، قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت: لا وعينيك ما أدري! ـ قال: وقد كان ذهب من الليل شَطرُهُ ـ فقال: ابعثوا إلى ابن شِهابٍ الزُّهريّ، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك؛ فأُتيَ الزُّهريُّ فَقُرِعَ عليه بابُهُ فَخَرَجَ مُرَوَّعاً إلى يزيد؛ فلما صَعِدَ إليه قال له يزيد: لا تُرَعْ، لم نَدْعُكَ إلا لِخَيْرٍ، اجلس، من يقول هذا الشعر؟ قال: الأحوص ابن محمد يا أميرالمؤمنين. قال: ما فعل؟ قال: قد طال حبسه بِدَهْلَك. قال: قد عَجِبْتُ لِعُمَر كيف أغفله. ثم أمَرَ بِتَخْلِيَة سَبِيلِه، ووهبَ له أربَعمائة دينار. فأقبل الزُّهريّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشَّرَهم بذلك.

[عتابه الخليفة]

أخبرني الحَرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاريّ قالا: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافةَ أدنى زيدَ بن أَسْلَم، وجفا الأحوصَ. فقال له الأحوص:

أَلَـسـتَ أَبـا حَـفـصٍ هُـديـتَ مُـخَـبِّـري أَفي الـحَـقِّ أَن أُقصى وَيُدنى ابـنُ أَسـلَـما
[الطويل]

فقال عمر: ذلك هو الحقّ.

قال الزُّبيرُ: وأنشدنيها عبد الملك بن الماجِشون عن يوسفَ بن الماجشون:

أَلا صِـلَـةُ الأَرحـامِ أَدنـى إِلـى الـتُّـقـى وَأَظـهَـرُ فـي أَكـفـائِـهِ لَـو تَـكَـرَّمـا
فَـمـا تَـرَكَ الـصُّـنـعُ الَّـذي قَـد صَـنَـعـتَـهُ وَلا الـغَـيـظُ مِـنّـي لَـيـسَ جِـلـداً وَأَعـظُـمـا
وَكُـنّـا ذَوي قُـربـى لَـدَيـكَ فَـأَصـبَـحَـتْ قَـرابَـتُـنـا ثَـدْيـاً أَجَـدَّ[٢] مُـصَـرَّمـا[٣]
وَكُـنـتَ وَمـا أَمَّـلـتُ مِـنـكَ كَـبـارِقٍ لَـوى قَـطـرَهُ مِـن بَـعـدِ مـا كـانَ غَـيَّـمـا

(١) ورد في بعض المصادر «ستُبلى لكم» بدل «ستبقى لها».

(٢) الجَدُودُ: كلُّ أنثى يَبس لبنُها الجَدائدُ والجِدادُ.

(٣) ناقةٌ مُصَرَّمةٌ، وذلك أن يُصَرَّم طُبْيُها فيَقْرَحُ عمداً حتى يفسُدَ الإحليلُ فلا يخرُجُ منه لَبَنٌ، فيَيْبَسُ وذلك أقْوَى لها.

وَقَد كُنتَ أَرجى الناسِ عِندي مَوَدَّةً لَيالِيَ كانَ الظَّنُّ غَيباً مُرَجَّما
أَعُدُّكَ حِرزاً إِن جَنَيتُ ظُلامَةً وَمالاً ثَرِيّاً حينَ أَحمِلُ مَغرَما
تَدارَك بِعُتَبى عاتِباً ذا قَرابَةٍ طَوى الغَيظَ لَم يَفتَح بِسُخطٍ لَهُ فَما

[الطويل]

أخبرني الحَرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: كَتَبَ إليّ إسحاقُ بنُ إبراهيم أنَّ أبا عُبيدة حَدَّثَهُ: أنَّ الأحوص لم يزل مقُيماً بِدْهلَك حتى مات عمرُ بن عبد العزيز، فَدَسّ إلى حَبابة فَغَنَّتْ يزيدَ بأبيات له ـ قال أبو عُبَيدة: أظنُّها قوله:

صوت

أَيُّهَذا المُخبِري عَن يَزيدٍ بِصَلاحٍ فِداكَ أَهلي وَمالي
ما أُبالي إِذا يَزيدٌ بَقي لي مَن تَوَلَّت بِهِ صُروفُ اللَيالي

[الخفيف]

لم يجنِّسْهُ. كذا جاء في الخبر أنها غَنَّته به، ولم يذكر طريقتَهُ قال أبو عُبَيدة: أُراه عَرَّض بعمر بنِ عبد العزيز ولم يقدِرْ أن يُصرِّحَ مع بني مروان ـ فقال: من يقول هذا؟ قالت: الأحوص، وهوّنتْ أمرَه، وكلَّمته في أمانه فأمَّنه. فلما أصبح حضر فاستأذنت له، ثم أعطاه مائةَ ألفِ درهم.

أخبرنا الحسينُ بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عدِيّ عن صالح بن حسَّان: أن الأحوص دَسَّ إلى حَبَابَة، فَغَنَّت يزيدَ قوله:

كريمُ[1] قريشٍ حينَ يُنْسَب والذي أقرَّت له بالملك كَهلاً وأمْرَدَا
وليس وإن أعطاك في اليومِ مانعاً[2] إذا عُدْتَ من أضعاف أضعافه غَدا
أهان تِلادَ المال للحمد إنه إمام هُدًى يَجري على ما تعوَّدا
تشرَّف مَجداً من أبيه وجدّه وقد وَرِثا بُنيانَ مجدٍ تشيَّدا[3]

[الطويل]

فقال يزيد: ويلكِ يا حَبَابةُ! من هذا مِنْ قُريش؟ قالت: ومن يكون! أنت هو يا

(١) ورد في بعض المصادر «شريف» بدل «كريم».
(٢) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي «وليس عطاءٌ كان في اليوم مانعاً».
(٣) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
يشرف مجداً من أبيه وجده وقد أورثا بنيان مجدٍ مشيدا

أمير المؤمنين؛ فقال: ومَنْ قَالَ هذا الشعرَ؟ قالت: الأحوص يمدح به أميرَ المؤمنين؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دَهْلَك، وأمرَ له بمالٍ وكُسْوة.

[الخليفة يعجب بشعره]

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حدَّثني بعضُ أهل العلم قال: دَخَلَ الأحوصُ على يزيد بن عبد الملك وهو خليفةٌ؛ فقال له يزيد: واللَّه لو لم تَمتّ إلينا بحرْمة، ولا توَسلْتَ بدالة، ولا جددت لنا مدحاً، غير أنك مُقتَصِرٌ على البيتين اللّذين قُلتَهما فينا، لكنت مستوجباً لجزيل الصلة منّي حيث تقول:

وَإِنّـي لَاسـتَـحـيـيـكُـمُ أَن يَـقـودَنـي ... إِلـى غَـيـرِكُـمْ مِـن سـائِـرِ الـنـاسِ مَـطـمَـعُ
وَأَن أُجـتَـدي لِـلـنَّـفـعِ غَـيـرَكَ مِـنـهُـمُ ... وَأَنـتَ إِمـامٌ لِـلـرعـيّـةِ[1] مَـقـنَـعُ

[الطويل]

قال: وهذه قصيدةٌ مدح بها عمرَ بنَ عبد العزيز.

أخبرني الحرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: حَدَّثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه الزُّهريّ قال: حَدَّثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال: لما وُليَ يزيدُ بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأُقدِم عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ درهم؛ فلما قَدِمَ قُباءَ صبَّ المالَ على نِطع ودعا جماعةً من قومِهِ، وقال: إني قد عَمَلْتُ لكم طعاماً؛. فلما دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال، وقال: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥].

قال الزُّبيرُ: وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذٍ بهذه القصيدة:

صَـرَمَـتْ حَـبـلَـكَ الـغَـداةَ نَـوارُ ... إِنَّ صَـرْمـاً لِـكُـلِّ حَـبـلٍ قُـصـارُ[2]

[الخفيف]

وهي طويلة، يقول فيها:

مَـن يَـكُـنْ سـائِـلاً فَـإِنَّ يَـزيـداً ... مَـلِـكٌ مِـن عَـطـائِـهِ الإِكـثـارُ
عَـمَّ مَـعـروفُـهُ فَـعَـزَّ بِـهِ الـدِّيـنُ وَذَلَّـتْ لِـمُـلـكِـهِ الـكُـفّـارُ
وَأَقـامَ الـصِّـراطَ فـابـتَـهَـجَ الـحَـقُّ مُـنـيـراً كَـمـا أَنـارَ الـنَّـهـارُ

[الخفيف]

ومن هذه القصيدة بيتان يُغنّى فيهما، وهما:

---

(١) ورد في بعض المصادر للبرية» بدل «للرعية».
(٢) القصار: الغاية والهدف.

صوت

بَشَرٌ لَو يَدِبُّ ذَرٌّ عَلَيهِ ... كانَ فيهِ مِن مَشيهِ آثارُ
إِنَّ أَروى إِذا تَذَكَّرَ أَروى ... قَلبُهُ كادَ قَلبُهُ يُستَطارُ

[الخفيف]

غَنَّت فيه عَريبُ لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وذكر ابنُ المكيّ أنه لجدّه يحيى.

[كيده لابن حزم]

أخبرني الحرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني عمي مصعبٌ عن مصعب بن عثمان قال: حَجَّ يزيدُ بن عبد الملك فتزوَّج بنتَ عَوْن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه وأصدَقَها مالاً كثيراً؛ فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم: إنه بلغ أمير المؤمنين أنَّ يزيد بن عبد الملك قد تَزَوَّج بنتَ عَون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب وأصدَقَها مالاً كثيراً، ولا أراه فعلَ ذلك إلاَّ وهو يراها خيراً منه، قَبَّحَ اللَّه رأيَهُ! فإذا جاءك كتابي هذا فادْعُ عَوْناً فاقبض المالَ منه؛ فإن لم يدفعه إليك فاضربه بالسِّياط حتى تَستَوفيه منه ثم افسَخْ نِكاحَه. فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عَوْن بن محمد وطالبه بالمال؛ فقال له: ليس عندي شيءٌ وقد فَرَّقْتُهُ. فقال له أبو بكر: إنَّ أميرَ المؤمنين أمرني إن لم تَدْفَعْهُ إليَّ كلَّه أن أضربك بالسِّياط ثم لا أرفعها عنك حتى أستوفيه منك؛ فَصَاحَ به يزيدُ: تعال إليَّ؛ فجاءه؛ فقال له فيما بينه وبينه: كأنَّك خَشِيْتَ أن أسلمك إليه، ادفع إليه المالَ ولا تعرّض له نفسك؛ فإنه إن دفعه إليك ردَدْتُهُ عليك، وإن لم يردَّه عليّ أخلفتُهُ عليك، فَفَعَلَ: فلما ولي يزيدُ بن عبد الملك، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وفي الأحوص، فحملا إليه، لما بين أبي بكر والأحوص من العداوة؛ وكان أبو بكر قد ضَرَبَ الأحوص وغرَّبَه إلى دَهْلَكَ وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز، وعمرُ إذ ذاك على المدينة. فلما صارا بباب يزيد أُذِنَ للأحوص، فَرَفَعَ أبو بكر يديه يدعو، فلم يخفضهما حتى خرج الغِلمانُ بالأحوص مُلَبَّباً[1] مكسورَ الأنف، وإذا هو لمَّا دخل على يزيد قال له: أصلحك اللَّه، هذا ابنُ حزم الذي سفَّهَ رأيَكَ وردَّ نِكاحَكَ؛ فقال يزيدُ: كَذَبْتَ! عليك لعنةُ اللَّه وعلى من يقولُ ذلك! أكسِروا أنفه، وأمر به فَأُخْرِجَ مُلَبَّباً.

(١) أخذ بتلبيبه وهو ما في موضع اللبب من ثيابه، أي تجمع ثيابه عند صدره ونحره.

[بهو أدبي]

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه عن عبد اللَّه بن عمرو الجُمحيّ قال: كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد اللَّه بن صفوان الجُمحيّ قد اتَّخَذَ بيتاً فجعل فيه شَطَرَنجاتٍ ونَرْداتٍ[١] وقِرْقاتٍ[٢] ودفاترَ فيها من كُلِّ علم، وجعل في الجِدار أوتاداً، فمن جاء عَلَّقَ ثيابَهُ على وتدٍ منها، ثم جَرَّ دفتراً فقرأه، أو بعض ما يُلعب به فَلَعِبَ به مع بعضهم. قال: فإنَّ عبد الحكم يوماً لفِي المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحَنَّاطين، باب بني جُمَحَ، عليه ثوبان مُعصفران مدلوكان وعلى أُذُنِهِ ضِغثُ[٣] ريحانٍ وعليه رَدْعُ[٤] الخلوق[٥]، فأقبل يشقُّ الناسَ حتى جلس إلى عبد الحكم بن عمرو بن عبد اللَّه؛ فجعل من رآه يقول: ماذا صُبَّ عليه من هذا! ألم يجد أحداً يجلس إليه غيرَه! ويقول بعضهم: فأيّ شيء يقوله له عبد الحكم وهو أكرمُ من أن يَجْبَهَ مَنْ يقعُد إليه! فتحدَّث إليه ساعةً ثم أهوى فشبَّكَ يده في يد عبد الحكم وقام يَشقّ المسجدَ حتى خَرَجَ من باب الحنَّاطين ـ قال عبد الحكم: فَقُلْتُ في نفسي: ماذا سَلَّطَ اللَّه عليَّ منك! رآني معك نصفُ الناس في المسجد ونِصفهم في الحنَّاطين،ـ حتى دَخَلَ مع عبد الحكم بيته، فَعَلَّقَ رِدَاءه على وتدٍ وحَلَّ أزراره واجترَّ الشّطْرَنج وقال: من يلعب؟ فبينا هو كذلك إذ دخل الأبجرُ المُغنِّي، فقال له: أيّ زِنديقٍ جاء بك إلى هاهنا؟ وجعل يشتمُهُ ويمازِحُهُ. فقال له عبد الحكم: أتشتُمُ رجُلاً في منزلي! فقال: أتعرفه؟ هذا الأحوص؛ فاعتَنَقَهُ عبد الحكم وحَيَّاه. وقال له: أمَّا إذا كُنْتَ الأحوص فقد هان عليَّ ما فعلت.

أخبرني الطُّوسيّ والحرَميّ قالا: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثني حُمَيد بن

---

(١) النَّرْدُ: الكَعْبُ الذي يُلْعَبُ به.

(٢) القرق: لعب السُّدَّرِ كسُكَّر. وقد قَرِق كفرِح: إذا لعِبَ به، وهو لصِبْيانِ الأعْراب بالحِجاز، كانوا يخُطّون أربَعاً وعِشْرين خطّاً، وهو خطّ مربّع، في وسَطِه خطٌّ مربَّع، في وسطه خطّ مربّع، ثمّ يُخَطّ من كُلِّ زاوية من الخَطّ الأول الى الخطّ الثالث، وبين كل زاويَتَين خطٌّ، فيصير أربعةٌ وعِشرين خطّاً وصورتُه هذا كما تراها، فيصُفّون فيه حُصَيّات. وقد جاءَ ذكرُها في الحديث عن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه: أنه كان ربّما يَراهم يلعَبون بالقِرْقِ، فلا ينْهاهُم، كذا في غَريبِ الحديث لإبراهيم الحرْبي، رحمه اللَّه تعالى.

(٣) الضِّغْثُ: قبضة قضبانٍ يجمعها أصل واحد.

(٤) الرّادعةُ والمُرَدَّعةُ: قميصٌ قد لُمِّعَ بالزّعفران أو بالطّيب في مواضع، وليس مصبوغاً كله، إنما هو مُبَلَّق كما تردع الجارية صدْرَ جَيْبها بالزّعفران بملء كفّها، والفعل: الرَّدْع.

(٥) الخلوق: ضرب من الطيب وقيل الزعفران.

عبد العزيز عن أبيه قال: لما قَدِمَ عبد الملك بن مروان حاجّاً سنةَ خمس وسبعين، وذلك بعد ما اجتمع الناسُ عليه بعامين، جَلَسَ على المنبر فَشَتَمَ أهلَ المدينة ووبَّخَهم ثم قال: إنِّي واللَّه يا أهل المدينة قد بلوتُكُم فوجدْتُكُم تنفَسون القليلَ وتحسُدون على الكثير، وما وجدْتُ لكم مثلاً إلا ما قال مُخَتِّثُكم وأخوكم الأحوص:

وَكَم نَزَلَتْ بي مِن خُطوبٍ[1] مُهِمَّةٍ ... خَذَلتُم عَلَيها ثُمَّ لَم أَتَخَشَّعِ
فَأَدبَرَ عَنّي شرُّها لَم أُبَلْ[2] بِها ... وَلَم أَدعُكُم في كربِها المُتَطَلِّعِ

[الطويل]

فقام إليه نَوْفَلُ بن مُساحِق فقال: يا أمير المؤمنين، أقرَرْنا بالذنب وطَلَبْنا المَعذِرةَ؛ فَعُدْ بحلمك، فذلك ما يُشبِهُنا منك ويُشْبِهُكَ منا؛ فقد قال من ذَكَرتَ من بعد بيتيه الأولين:

وَإِني لَمُستَأنٍ وَمُنتَظِرٌ بِكُم ... وَإِن لَم تَقولوا في المُلِمّاتِ دَعْ دَعِ[3]
أُؤَمِّلُ مِنكُم أَن تَروا غَيرَ رَأيِكُم ... وَشيكاً وَكَيما تَنزِعوا خَيرَ مَنزَعِ

[الطويل]

أخبرني الحَرَميّ والطُّوسيّ قالا: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني محمد بن الضحَّاك عن المُنْذِر بن عبد اللَّه الحِزاميّ، أن عراك بن مالك[4] كان من أشدِّ أصحابِ عمرَ ابن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفَيء والمَظالم من أيديهم؛ فلما وُلِيَ يزيدُ بن عبد الملك ولَّى عبد الواحد بن عبد اللَّه النَّصري المدينةَ، فَقَرَّبَ عِراكَ بن مالك وقال: صاحبُ الرجل الصالح، وكان لا يقطع أمراً دونه، وكان يجلس معه على سريره. فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيدَ بن عبد الملك: أن ابْعَثْ مع عِراك بن مالك حَرَسيًّا حتى يُنْزِلَهُ أرضَ دَهْلَكَ وخُذْ من عِراكٍ حُمولَتَهُ. فقال لحَرسِيّ بين يديه وعِراكٌ معه على السرير: خُذْ بيد عِرَاك فابْتَعْ من ماله راحِلةً ثم توجَّه به نحو دَهْلَكَ حتى تُقِرَّه فيها؛ فَفَعَلَ ذلك الحَرَسيّ. قال: وأقدمَ الأحوص؛ فمدحه الأحوصُ؛ فأكرمه وأعطاه. قال: فأهلُ دَهلَك يَأثِرُون الشعرَ عن الأحوص، والفقه عن عِراك بن مالك.

---

(١) ورد في بعض المصادر «خطوب» بدل «أمور».
(٢) أبل: أصله أبالي، فحذف آخره للجازم ثم حُذِفت حركة اللام تخفيفاً كما تحذف نون يكون بعد الجازم، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين.
(٣) دع دع: هذه كلمة تقال للعاثر ومعناها: دع العثار وقم وانتعش واسلم.
(٤) عِراكَ بن مالك الغفاري التابعي، مات في ولاية يزيد بن عبد الملك.

أخبرني أبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب عن محمد بن سَلاَّم عن أبي الغَرَّاف عمن يَثِق به قال: بَعَثَ يَزيدُ بن عبد اللملك حين قُتِلَ يزيدُ بن المُهلَّب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيدَ بن المهلَّب، منهم الفرزدق وكُثَيرٌ والأحوص؛ فقال الفرزدق: لقد امتدَحْتُ بني المهلَّب بمدائح ما امتدحْتُ بمثلها أحداً، وإنه لقبيحٌ بمثلي أن يكذِّبَ نَفْسَه على كبر السنّ، فَلْيُعفِني أميرُ المؤمنين؛ قال: فأعفاه. وقال كُثَيرٌ: إنِّي أكره أن أُعَرِّضَ نفسي لشعراء أهلِ العراق إنْ هجوتُ بني المهلَّب. وأما الأحوصُ فإنَّه هجاهم. ثم بعث به يزيدُ بن عبد الملك إلى الجَرَّاح بن عبد اللَّه الحَكَميّ وهو بأذربيجان، وقد كان بلغ الجَرَّاحَ هِجاءُ الأحوص بَني المُهلَّب، فَبَعَثَ إليه بِزِقٍّ من خمرٍ فَأُدْخِلَ منزلَ الأحوص، ثم بَعَثَ إليه خَيلاً فَدَخَلَتْ منزلَهُ فصبّوا الخَمْرَ على رأسِهِ ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتوا به الجَرَّاحَ، فأمَرَ بِحَلْقِ رأسه ولحيته، وضربه الحَدَّ بين أوجه الرجال، وهو يقول: ليس هكذا تُضْرَب الحدود؛ فَجَعَلَ الجرَّاح يقول: أجَل! ولكن لمَّا تعلم؛ ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يَعْتَذِر فأغضى له عليها.

[رأي أبي الفرج]

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغَضّ منه في شعره، ولكنا ذكرنا من كل ما يُؤثَر عنه ما تُعرَف به حاله من تَقَدُّم وتأخرٍ، وفضيلةٍ ونقصٍ؛ فأما تفضيله وتقدُمُه في الشعر فَمُتَعالَم مشهورٌ، وشعرُهُ يُنبِىء عن نفسه ويدلّ على فضلِهِ فيه وتقدُّمِهِ وحسنِ رَوْنَقه وتهذّبِهِ وصفائه.

[رأي الفرزدق وجرير في نسيبه]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء والطُّوسِيّ قالا حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثنا عبد الملك بن عبد العزيز[1] قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن مُسلِم بن جُندَب الهُذَليّ قال: حَدَّثنا شيخٌ لنا من هُذَيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال: سَمِعْتُ بالفرزدق وجرير على باب الحَجَّاج، فَقُلْتُ: لو تعرّضْتُ ابنَ أختِنا! فامتطَيْتُ إليه بعيراً، حتى وجدْتُهما قبل أن يَخْلُصا[2]، ولكلِّ واحدٍ منهما شِيعةٌ؛ فَكُنْتُ في شيعة الفرزدق؛ فقام الآذِنُ يوماً فقال: أين جرير؟ فقال: جرير: هذا أبو فِراس؛ فأظهرت شيعتُهُ لَوْمَهُ وأسرَّتْهُ؛ فقال الآذِنُ: أين الفرزدقُ؟ فقام فدخل؛ فقالوا لجرير: أتُناوِئُهُ وتُهاجِيه

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد اللَّه بن أبي سلمة الماجشون.
(٢) خَلَصْتُ إليه: وصلت إليه.

وتُشاخِصُهُ، ثم تُبَدَّى عليه فتأبى وتُبَدِّيه؟! قَضَيْتَ له على نفسك! فقال لهم: إنه نَزْرُ القول، ولم يَنْشب[١] أن يَنفَد ما عنده وما قال فيه فَيُفَاخِرَهُ ويرفعَ نَفْسَه وعليه؛ فما جِئْتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واستُحْسِن؛ فقال قائلهم: لقد نَظَرْتَ نظراً بعيداً. قال: فما نَشِبوا أن خرج الآذن فصاح: أين جرير؟ فقام جريرٌ فَدَخَلَ؛ قال: فدخلت، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفد، وإذا هو يقول:

أين الذين بهم تُسامِي دَارِماً[٢] أم مَن إلى سَلَفي طُهَيّة[٣] تَجْعَلُ

قال: وعمامتُهُ على رأسِهِ مثل المِنسَف[٤]، فَصِحْتُ من ورائه:

هذا ابنُ يوسف فاعلموا وتفهَّموا بَرِح الخفاءُ فليس حين تَناجي
مِن سَدِّ مُطَّلَعَ[٥] النِّفاقِ عَلَيكُمُ أَم مَن يَصولُ كَصَولَةِ الحَجّاجِ
أَم مَن يَغارُ عَلى النِّساءِ حَفيظَةً إذ لا يَثِقنَ بِغَيرَةِ الأَزواجِ
قُل لِلجَبانِ إذا تَأَخَّرَ سَرجُهُ هَل أَنتَ مِن شَرَكِ المَنِيَّةِ ناجي[٦]

[الكامل]

قال: وما تشبيبها؟ وطُرِبَ: فقال جرير:

لجَّ[٧] الهَوى بِفُؤادِكَ الملجاجِ[٨] فَاحبِسْ بِتُوضِحَ باكِرَ الأَحداجِ

[الكامل]

وأمَرَّها، أو قال: أمضاها. فقال: أَعطوه كذا وكذا؛ فاستقلَلْتُ ذلك. فقال الهُذَليّ: وكان جرير عربياً قَرَويّاً، فقال للحجَّاج: قد أمر لي الأمير بما لم يُفْهَمْ عنه، فلو دعا كاتباً وكَتَبَ بما أمر به الأميرُ! فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضِعفِهِ، وأعطى الفرزدق أيضاً. قال الهُذَليّ: فَجِئْتُ الفرزدقَ فأمر لي بستين ديناراً وعبدٍ، ودَخَلْتُ على

(١) من المَجَاز: في الحديث: «لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ مات» قال ابْنُ الأَثِيرِ: لم يَلْبَثْ، وحَقيقتُهُ: لم يَتَعلَّقْ بشْيءٍ غيرِه ولا بِسِوَاه.
(٢) دَارِم: اسم قبيلة.
(٣) طهية هي طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد، فولدت له أبا سود وعوفاً وجشيشاً، فغلبت على بنيها فنسبوا اليها.
(٤) المنسف: ما ينسف به الطعام، وهو شيءٌ طويل منصوبُ الصدر أعلاه مرتفعٌ. والنُسافَةُ: ما يسقط منه.
(٥) المطلع: المأتى.
(٦) تنسب هذه الأبيات لجرير.
(٧) ورد في بعض المصادر «هاج» بدل «لجَّ».
(٨) ورد في بعض المصادر «المهتاج» بدل «الملجاج».

رُواته فوجدْتُهُم يُعدِّلون ما انحرف من شعره، فأخذْتُ من شعرِهِ ما أَرَدْتُ. ثم قُلْتُ له: يا أبا فراس، من أشعرُ الناس؟ قال: أشعرُ الناس بعدي ابنُ المَراغة. قلت: فَمَنْ أنسبُ الناس؟ قال الذي يقول:

لي لَيلَتانِ فَلَيلَةٌ مَعسولَةٌ أَلقى الحَبيبَ بِها بِنَجمِ الأَسعُدِ
وَمُريحَةٌ[1] هَمّي عَليَّ كَأَنَّني حَتّى الصَّباحِ مُعَلَّقٌ بِالفَرقَدِ

[الكامل]

قلت: ذاك الأحوص؛ قال: ذاك هو. قال الهذليّ: ثم أتَيْتُ جريراً فَجَعَلْتُ أستقل عنده ما أعطاني صاحبي أَسْتَخْرِجُ به منه؛ فقال: كم أعطاك ابنُ أُختِك؟ فأخبرْتُهُ؛ فقال: ولك مثله؛ فأعطاني ستين ديناراً وعبداً. قال: وجِئْتُ رُواته وهم يُقوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّناد[2]، فأخذت منه ما أَرَدْتُ، ثم قلت: يا أبا حَزرَة، من أنسبُ الناس؟ قال الذي يقول:

---

(١) مريحة من أراح الإبل إذا ردها إلى المراح، والمراد أنها تسوق إليه همه.

(٢) قَوَافِي الشِّعْرِ المُشْتَمِلِ على السِّنادِ، اختَلَفَتْ ولم تأْتَلِف بحَسب مَجارِي العادةِ في انْتِظَام القوافي. قال شيخُنا: وهذا نقله في الكافي عن قُدَامَةَ، وقال هو صادقٌ في جميع وجوه السِّنَادِ، ثم إن السِّنَادَ كونه اختلافَ الأَردافِ فقط هو قولُ أَبي عُبيدَةَ، وقيل: هو كلُّ عَيْبٍ قبلَ الرَّوِيّ، وهذا قول الأكثر. وفي شرح الحاجبية: السِّنادُ أَحَدُ عيوب القوافي. وفي شرح الدّمَاميني على الخَزرَجِية قيل: السِّنَاد: كُلُّ عَيْبٍ يلحق القافيةَ أي عيب كان. وقيل هو كل عيب سوى الإِقواءِ، والإِكفاءِ، والإِيطاءِ، وبه قال الزَّجَّاجُ. وقيل: هو اختلاف ما قَبْلَ الرَّويِّ وما بَعْدَه، من حركة أو حرف، وبه قال الرُّمانيُّ، وغَلِطَ الجوهريُّ في المِثالِ والرِّوايةِ الصحيحةِ، في قول عَبيدِ بن الأَبرص:

فقد أَلجُ الخُدُورَ على العَذَارَى كَأَنَّ عُيُونَهُنَّ عُيونُ عِينِ

ثم قال:

فإن يَكُ فاتَنِي أَسَفاً شَبَابي وأَصْبَحَ رَأْسُهُ مِثلَ اللَّجِينِ

اللَّجِينُ، بفتح اللام، لا بِضَمّه، كما ضَبَطَه الجَوهَريُّ فلا إسنادَ حينئذ واللجين هو الخِطمِيُّ المُوخَفُ وهو يُرْغِي وَيشهَأَبُّ عند الوَخْفِ، وسيأْتي الوَخْفُ. والذي ذكَرَه المُصنِّف من التصويب، للخُرُوجِ من السِّنَادِ هو زَعمُ جماعة. والعرب لا تَتحاشَا عن مِثله فلا يكون غلطاً منه، والرِّواية لا تُعَارَضُ بالرواية. وفي اللسان، بعدَ ذِكرِ البيتين: وهذا العَجُز الأَخير غيره الجوهريُّ فقال:

وأَصبَحَ رأْسُهُ مِثْلَ اللُّجَيْنِ

والصحيح الثابت.

وأَضْحَى الرَّأْسُ مِنّي كاللَّجِينِ

والصواب في إنشادهما تقديم البيت الثاني على الأول، وقد أَغفلَ ذلك المصنِّفُ. ورُوِيَ عن ابن سَلَّام أنه قال: السِّنَاد في القوافي مثل: شَيْبٍ وشِيبٍ، وسانَدَ فلانٌ في شعرِه. ومن هذا يقال: خَرَجَ القَوْمُ مُتَسَانِدِينَ. وقال ابن بُزُرْج: أَسْنَدَ في الشِّعْرِ إسناداً بمعنى سَانَدَ الشاعِرُ، إذا نَظَم كذلكَ=

يا لَيتَ شِعري عَمَّن كَلِفتُ بِهِ مِن خَشعَمٍ إِذ نَأَيتُ ما صَنَعوا
قَومٌ يَحُلُّونَ بِالسَّديرِ[1] وَبِالحيرَةِ مِنهُم مَرأَى وَمُستَمَعُ
أَن شَطَّتِ الدارُ عَن ديارِهِمُ أَأَمسَكوا بِالوِصالِ أَم قَطَعوا
بَل هُم عَلى خَيرِ ما عَهِدتُ وَما ذَلِكَ إِلاّ التأميلُ والطَّمَعُ

[المنسرح]

قلت: ومن هو؟ قال: الأحوص؛ فاجتمعا على أن الأحوصَ أنسبُ الناس.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص:

لي لَيلَتانِ فَلَيلَةٌ مَعسولَةٌ

وأول ما يغني به فيها:

صوت

يا لَلرِّجالِ لِوَجدِكَ المُتَجَدِّدِ وَلِما تؤَمِّلُ مِن عَقيلَةَ في غَدِ
تَرجو مَواعِدَ بَعثُ آدَمَ دونَها كانَت خَبالاً لِلفؤادِ المُقصَدِ
هَل تَذكُرينَ عَقيلَ أَو أَنساكِهِ بَعدي تَقَلُّبُ ذا الزَّمانِ المُفسِدِ
يَومي وَيَومَكِ بِالعَقيقِ إِذِ الهَوى مِنّا جَميعُ الشَّملِ لَم يَتَبَدَّدِ
لي لَيلَتانِ فَلَيلَةٌ مَعسولَةٌ أَلقى الحَبيبَ بِها بِنَجمِ الأَسعُدِ
وَمُريحَةٌ هَمّي عَلَيَّ كَأَنَّني حَتّى الصَّباحِ مُعَلَّقٌ بِالفَرقَدِ

[الكامل]

= وعن ابن سيده: سانَدَ شِعْرَه سِنَاداً، وسانَدَ فيه، كلاهما خَالَفَ بين الحَرَكَاتِ التي تَلي الأَرْدافَ. قال شيخُنَا: وقد اتَّفَقُوا على أَنَّ أَنواعَ السِّنَادِ خمسةٌ: أَحدُها: سِنَادُ الإِشباعِ، وهو اختلافُ حرَكةِ الدَّخِيل، كقول أَبي فِراس:

لَعَلَّ خَيالَ العامِرِيَّةِ زائِرُ فَيُسْعَدَ مَهْجُورٌ ويُسْعَدَ هاجِرُ

ثم قال:

إِذا سَلَّ سَيْفُ الدَّوْلةِ السَّيْفَ مُصْلَتاً تَحَكَّمَ في الآجالِ يَنْهَى ويامُرُ

فحركة الدَّخِيل في هاجِر: كسرة.

(١) قيل: السَّدِيرُ: النَّهْر مطلقاً. وقد غَلَب على اسم نهْر بالحيرة. وقيل: سَديرٌ: قَصْرٌ في الحِيرَة من منازل آل المنذر.

ـ عروضه من الكامل. يقال: يا للرجال ويا للرجال بالكسر والفتح. وفي الحديث أن عمر رضي اللَّه عنه صاح لمّا طُعِنَ: يا للَّه ويا للمسلمين. وقوله: «في غد» ، يريد فيما بعدُ وفي باقي الدهر؛ قال اللَّه سبحانه: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٦]. والخَبَل والخبال: النقصان من الشيء. والمُخبَّل: ، أصله مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل. والمعسولة: الحُلْوة المُشْتهاة ـ .

الشعر للأحوص. والغناء في البيت الأوّل والثاني لمالك خفيفُ رَملٍ بالبنصر عن الهشاميّ وحبش. وفي الثالث والرابع لسليمانَ أخي بابَوَيه ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو. وفيهما وفي الخامس والسادس لحنٌ لابن سُرَيج ذكره يونسُ ولم يجنِّسه. وذكر حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه أن لمَعبَدٍ في الأبيات كلِّها لحناً وأنه من صحيح غنائه، ولم يجنِّسه.

[سألت امرأة ابناً للأحوص عن شعر له]

أخبرني الحُسينُ بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أيوب بن عَبايةَ قال: بلغني أن ابناً للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفةٍ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثني إبراهيم بن زيد عن عَنْبَسة بن سَعيد ابن العاصي قال: أخبرني أَشْعَبُ بن جُبَير قال: حَضَرَت امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابنُ الأحوص بن محمد الشاعر؛ فقالت له: أتروي قول أبيك:

لي لَيلَتانِ فَلَيلَةٌ مَعسولَةٌ أَلقى الحَبيبَ بِها بِنَجمِ الأَسعُدِ
وَمُريحَةٌ هَمّي عَليَّ كَأَنَّني حَتّى الصَّباحِ مُعَلَّقٌ بِالفَرقَدِ

[الكامل]

قال نعم. قالت: أتدري أيّ اللّيلتين التي يبيت فيها مُعَلَّقاً بالفَرقَدِ؟ قال: لا واللَّه. قالت: هي ليلة أُمِّك التي يبيت معها فيها. قال إبراهيم في خبره: فقلت لأشعب: يا أبا العلاء، فأيّ ليلتيه المعسولة؟ فقال:

سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ

[الطويل]

هي ليلة الإسراف، ولا تسأل عما بعدها.

[ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص]

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال: أنشد ابنُ جندبٍ قولَ الأحوص:

لي لَيلَتانِ فَلَيلَةٌ مَعسولَةٌ أَلقى الحَبيبَ بِها بِنَجمِ الأَسعُدِ

وَمُـريـحَـةٌ هَـمّـي عَـلـيَّ كَـأَنَّـنـي حَـتّـى الـصَّـبـاحِ مُـعَـلَّـقٌ بِـالـفَـرقَـدِ
[الكامل]

فقال: أما إن اللَّه يعلم أن الليلة المُريحة هي لألذ الليلتين عندي. قال الحرمي بن أبي العلاء: وذلك لكَلَفه بالغزل والشوق والحنين وتمنِّي اللقاء.

[معشوقة الأحوص]

وللأحوص مع عقيلة هذه أخبارٌ قد ذُكِرَت في مواضع أُخَر. وعقيلة امرأةٌ من ولد عَقيل بن أبي طالب رضي اللَّه عنه. وقد ذكر الزُّبيرُ عن ابن بنت الماجشون عن خاله أن عقيلةَ هذه هي سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام، كَنَى عنها بعقيلة.

[أخبار متفرقة]

أخبرني الحَرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني عمر بن أبي بكر المؤملي: أن إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هشامٍ وهو والي المدينة قولَ الأحوص:

إذ أنـتِ فـيـنـا لـمـن يَـنـهـاكِ[1] عـاصـيـةٌ وإذ أجُـرّ إلـيـكـم سـادراً رسـنـي
[البسيط]

فَوَثَبَ أبو عُبيدة بن عَمَّار بن ياسرٍ قائماً ثم أرخى رداءَهُ ومضى يمشي على تلك الحال ويجرّه حتى بلغ العِرْض[2] ثم رجع. فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس: ما شأنُك؟ فقال: أيها الأمير، إني سَمِعْتُ هذا البيت مرةً فأعجبني، فحلفت لا أسمعه إلا جَرَرْتُ رَسَني.

نسبة هذا البيت وما غني فيه من الشعر

صوت

سـقـيـاً لـربـعـك مـن ربـع بـذي سَـلَـم . . . ولـلـزمـان بـه إذ ذاك مـن زَمَـنِ
إذ أنـتِ فـيـنـا لـمـن يـنـهـاكِ عـاصـيـةٌ . . . وإذ أجُـرَ إلـيـكـم سـادراً رسـنـي
[البسيط]

عروضُهُ من البسيط. غَنَّى ابن سُرَيج في هذين البيتين لَحْناً من الثقيل الأوّل

(١) ورد في بعض المصادر «يهواك» بدل «ينهاك».
(٢) العرض: الوادي الذي فيه زرع ونخل.

بالوُسطى عن عمرو. وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوُسطى ولم يَنْسُبْه إلى أحد، وذكر حبشٌ أنه للغريض.

[تفضيل حماد له]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاَّم عن سالم بن أبي السَّحماء وكان صاحب حمَّادٍ الراوية:

أنَّ حمَّاداً كان يُقدِّمُ أحوص في النَّسيب.

أخبرني الحرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: حَدَّثنا عمرُ بن أبي سليمان عن يوسفَ بن أبي سُليمان بن عُنيزة قال: هجا الأحوص رَجُلاً من الأنصار من بني حرام يُقال له ابن بَشير، وكان كثيرَ المال؛ فَغَضِبَ من ذلك، فَخَرَجَ حتى قَدِمَ على الفرزدقَ بالبصرة وأهدى إليه وألطَفَه[1]، فقبل منه، ثم جلسا يتحدَّثان؛ فقال الفرزدق: مِمَّن أنت؟ قال: من الأنصار. قال: ما أقدَمَك؟ قال: جِئْتُ مُسْتَجيراً باللَّه عزَّ وجلَّ ثم بك من رجلٍ هجاني؛ قال: قد أجارَكَ اللَّهُ منه وكفاك مُؤنَتَهُ، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني؛ فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

أَلا قِفْ بِرَسمِ الدّارِ واستَنطِقِ الرّسما فَقَد هاجَ أَحزاني وَذَكَّرَني نُعما

قال بلى؛ قال: فلا واللَّه لا أهجو رجلاً هذا شعرُهُ. فخرج ابن بشير فاشترى أفضلَ من الشراء الأوّل من الهدايا، فَقَدِمَ بها على جرير؛ فأخذها وقال له: ما أقدَمك؟ قال: جِئْتُ مُستجيراً باللَّه وبك من رجلٍ هجاني. فقال: قد أجارك اللَّه عزَّ وجلَّ منه وكفاك، أين أنتَ عن ابن عمك الأحوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني؛ قال: فأطرقَ ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

تمشّى بشتمي في أكاريسِ مالكٍ تُشيدُ بِهِ كَالكَلبِ إِذ يَنبَحُ النَّجما[2]
فَما أَنا بِالمَخسوسِ في جِذمِ[3] مالِكٍ وَلا بِالمُسَمّى ثُمَّ يَلتَزِمُ الإِسما

(١) من المجاز: لطفت بفلان: رفقت به، وأنا ألطف به إذا أريته مودة ورفقاً في المعاملة، وهو لطيف بهذا الأمر: رفيق بمداراته. و«اللَّه لطيف بعباده» وقد لطف بهم، ولطف الشيء لطفاً ولطافة: صار لطيفاً. وألطفه بكذا: أتحفه وبرّه.

(٢) الكِرْس ـبالكسرـ: أبيات من الناس مُجْتَمِعة، والجمع: أكراس وأكارس وأكاريس. وقال ابن دريد: الأكارِس: الجماعات من الناس، لا واحِدَ لها مِن لَفْظِها، هكذا يقول الأصمعيّ. وقال أبو عمرو: واحِدُها كِرْسٌ؛ ثمَّ أكراسٌ؛ ثمَّ أكاريس.

(٣) الجذم: الأصل.

=

وَلَـكِـنَّ بـيـتـي إن سَـأَلـتَ وَجَـدتَـهُ تَوَسَّطَ مِنها العِزَّ وَالحَسَبَ الضَّخْما[1]

[الطويل]

قال: بلى واللَّه؛ قال: فلا واللَّه لا أهجو شاعراً هذا شعره. قال: فاشترى أفضل من تلك الهدايا وقَدِمَ على الأحوص فأهداها إليه وصالحه.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

أَلا قِف بِرَسمِ الدارِ واستَنطِقِ الرَّسما فَقَد هاجَ أَحزاني وَذَكَّرَني نُعْمَى
فَبِتُّ كَأَنّي شارِبٌ مِن مُدامَةٍ إِذا أَذهَبَتْ هَمّاً أَتاحَت لَهُ هَمّا

[الطويل]

غناه إبراهيمُ الموصليّ خفيفَ رَملٍ بالوُسطى عن الهشاميّ. وذكر عبد اللَّه بن العبَّاس الرَّبيعي أنه له.

[أنشد أبو السائب شعراً له فطرب ومدحه]

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثني الزُّبيرُ قال: حَدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: قال لي أبو السائب المَخزوميّ: أنشدني للأحوص؛ فأنشدْتُهُ قوله:

قالَت وَقُلتُ تَحَرَّجي وَصِلي حَبلَ امرِيءٍ بِوِصالِكُم صَبِّ
واصِلْ إِذاً بَعْلي فَقُلتُ لَها أَلغَدرُ شيءٌ لَيسَ مِن ضَربي

[أحذ الكامل]

صوت

ثِنتانِ لا أَدنو لِوَصلِهِما عِرسُ الخَليلِ وَجارَةُ الجَنبِ[2]
أَما الخَليلُ فَلَستُ فاجِعَهُ والجارُ أَوصاني بِهِ رَبّي
عوجوا كَذا نَذكُرْ لِغانِيَةٍ بَعضَ الحَديثِ مَطيَّكُم صَحبي

= ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

وَلَكِن أَبى لَو قَد سَأَلتَ وَجَدتَهُ تَوَسَّطَ مِنها العِزَّ وَالحَسَبَ الضَّخْما

(١) ورد هذا البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

وَلَكِن أَبى لَو قَد سَأَلتَ وَجَدتَهُ تَوَسَّطَ مِنها العِزَّ وَالحَسَبَ الضَّخْما

(٢) جارة الجنب: اللازق بك إلى جنبك.

وَنَـقُـلْ لَـهـا فـيـمَ الـصُّـدودُ وَلَـم نُـذنِـبْ بَـلَ أَنـتِ بَـدأتِ بِـالـذَّنـبِ
إِن تُـقـبِـلـي نُـقـبِـلْ ونُـنـزِلْـكُـم مِـنّـا بِـدارِ الـسَّـهـلِ والـرُّحـبِ
أَو تُـدبِـري تَـكـدُرْ مَـعـيـشَـتُـنـا وَتُـصَـدِّعـي مُـتـلائِـمَ الـشّـعـبِ
[أحذ الكامل]

ـ غنَّى في «ثنتان لا أدنو» والذي بعدَه ابنُ جامع ثقيلاً أوّل بالوُسطى. وغَنَّى في «عوجوا كذا نذكر لغانيةٍ» والأبياتِ التي بعده ابنُ مُحرِزٍ لحناً من القدر الأوسطِ من الثقيل الأوّل مطلقاً في مجرى البنصر ـ قال: فأقبل عليّ أبو السائب فقال: يابنَ أخي، هذا واللَّه المحبُّ عيناً لا الذي يقول:

وكُـنْـتُ إذا خـلـيـلٌ رام صَـرْمـي وَجَـدْتُ ورايَ مُـنـفَـسَـحـاً عـريـضـاً
[الوافر]

اذهب فلا صَحِبَك اللَّه ولا وسَّع عليك «يعني قائل هذا البيت».

[أنسب الشعراء]

أخبرني الحرميّ قال: حدثّني الزُّبير قال: حَدثَّنا خالد بن وضاح قال: حَدَّثني عبد الأعلى بن عبد اللَّه بن محمد بن صفوان الجُمحيّ قال: حَملت دَيناً بعسكر المهدي، فركب المهديُّ بين أبي عُبَيد اللَّه وعمر بن بَزيع، وأنا وراءَه في موكبه على بِرْذَوْنٍ قَطوف[1]؛ فقال: ما أنسبُ بيتٍ قالته العربُ؟ فقال له أبو عُبيد اللَّه: قولُ امرىء القيس:

وَمـا ذَرَفَـت عَـيـنـاكِ إلاّ لِـتَـضـرِبـي بِـسَـهـمَـيـكِ فـي أَعـشـارِ قَـلـبٍ مُـقَـتَّـلِ
[الطويل]

فقال: هذا إعرابيٌّ قحٌ. فقال عمر بن بزيع: قولُ كُثَيِّر يا أمير المؤمنين:

أُريـدُ لأَنـسـى ذِكـرَهـا فَـكَـأَنَّـمـا تَـمَـثَّـلُ لـي لَـيـلـى بِـكُـلِّ سَـبـيـلِ
[الطويل]

فقال: ما هذا بشيءٍ، وما له يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثَّل له! فقلت: عندي حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلني اللَّه فداك! قال: الحقْ بي؛ قلت: لا لحاق بي، ليس ذلك في دابّتي. قال: احملوه على دابة. قلت: هذا أوَّل الفتح؛ فحملت على دابّة، فَلَحِقْتُ؛ فقال: ما عندك؟ فقلت: قولُ الأحوص:

إِذا قُـلـتُ إِنّـي مُـشـتَـفٍ بِـلِـقـائِـهـا وَحُـمَّ الـتَّـلاقـي بَـيـنـنـا زادَنـي سُـقْـمـا
[الطويل]

(١) القطوف: الدابة التي تبطىء في سيرها.

فقال: أحسن واللَّه! اقضوا عنه دَينَه؛ فقُضِيَ عنِّي دَيني.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الشعر الذي هو:

أُريدُ لَأَنسى ذِكرَها فَكَأَنَّما تُمَثَّلُ لي لَيلى عَلى بِكُلِّ سبيلِ[1]

صوت

أَلا حَيِّيا لَيلى أَجَدَّ رَحيلي وَآذَنَ أَصحابي غَداً بِقُفولِ
وَلَم أَرَ مِن لَيلى نَوالاً أَعُدُّهُ أَلا رُبَّما طالَبتُ غَيرَ مُنيلِ
أُريدُ لَأَنسى ذِكرَها فَكَأَنَّما تَمَثَّلُ لي لَيلى بِكُلِّ سَبيلِ
وَلَيسَ خَليلي بِالمَلولِ وَلا الَّذي إِذا غِبتُ عَنهُ باعَني بِخَليلِ
وَلَكِن خَليلي مَن يَدومُ وِصالُهُ وَيَحفَظُ سِرّي عِندَ كُلِّ دَخيلِ

[الطويل]

عرُوضُهُ من الطويل. الشعر لكُثَيِّر. والغناء في ثلاثة الأبيات الأوَل لإبراهيمَ، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتر في مجرى البنصر. ولابنه إسحاق في:

وَلَيسَ خَليلي بِالمَلولِ وَلا الَّذي

ثقيلٌ آخرُ بالوسطى.

[حديث ابن سلَّام عن كثير وجميل]

أخبرني أبو خليفة قال: حَدَّثنا محمد بن سَلاَّم، وأخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ عن محمد بن سلاَّم قال: كان لكثيرٍ في النَّسيب حظٌ وافر، وجميلٌ مُقدمٌ عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً، ولكثيرٍ من فنون الشعر ما ليس لجميل. وكان كُثَيِّر راوية جميل، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعشق، ولم يكن كُثَيِّر بعاشق، وكان يتقوَّل. قال: وكان الناس يستحسنون بيت كثيرٍ في النَّسيب:

أُريدُ لَأَنسى ذِكرَها فَكَأَنَّما تَمَثَّلُ لي لَيلى بِكُلِّ سَبيلِ

[الطويل]

(١) هذا البيت ينسب لكثير عزة وجميل بثينة.

قال: وقد رأيت من يُفضِّل عليه بيتَ جميلٍ:

خَـلـيـلَـيَّ فـيـمـا عِـشـتُـمـا هَـل رَأَيـتُـمـا قَـتـيـلاً بَـكـى مِـن حُـبِّ قـاتِـلِـهِ قَـبـلـي

[الطويل]

[حديث ابن مصعب الزبيري عن كثير]

قرأت في كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البَلاذُريّ: وذكر إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ أن عبد اللَّه بن مُصعَب الزُّبيريّ كان يوماً يذكرُ شعر كُثَيِر ويَصِفُ تفضيلَ أهل الحجاز إياه، إلى أن انتهى إلى هذا البيت؛ قال إسحاقُ: فَقُلْتُ له: إنَّ الناس يعيبون عليه هذا المعنى ويقولون: ما له يريد أن ينساها؛ فتبسَّمَ ابنُ مصعبٍ ثم قال: إنكم يا أهل العراق لتقولون ذلك.

[ذكر كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوهْريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثني أبو يحيى الزُّهريّ قال: حَدَّثني الهِزَبْرِيّ قال: قيل لكثيرٍ: ما أنسب بيتٍ قلته؟ قال: الناس يقولون:

أُريـدُ لَأَنـسـى ذِكـرَهـا فَـكَـأَنَّـمـا تَـمَـثَّـلُ لـي لَـيـلـى بِـكُـلِّ سَـبـيـلِ

[الطويل]

وأنسبُ عندي منه قولي:

وَقُـلْ أُمُّ عَـمـرٍو داؤُهُ وَشِـفـاؤُه لَـدَيـهـا وَرَيّـاهـا إلـيـه طـبـيـبُ[1]

[الطويل]

وقد قيل: إن بعض هذه الأبيات للمتوكِّل الليثي.

---

(١) ويروى في بعض المصادر على الشكل التالي:

وَقُـلْ أُمُّ عَـمـرٍو داؤُهُ وَشِـفـاؤُه لَـدَيـهـا وَرَيّـاهـا إلـيـه طـبـيـب

[الطويل]

هذا البيت للمتوكل الليثي، وهو المتوكل بن عبد اللَّه بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عامر بن ليث. من شعراء الحماسة، وهو ليثي من ليث بن بكر، يكنى أبا جهمة من أهل الكوفة في عصر معاوية وابنه يزيد. مدح عدداً من الأمراء منهم سعيد بن العاص أمير المدينة وعبد اللَّه بن خالد بن أسيد أمير الكوفة وغيرهم. وأغلب الظن أنه توفي سنة وفاة عبد الملك بن مروان أي سنة (٨٥هـ) وكان بينه وبين الأخطل مساجلات دلت على فطنة، وذكاء متوقد، وشعر جزل رائق رائع. ولم يكن من أسرة معروفة مشهورة، لذلك حجبت أخباره وسيرته ولم يصلنا إلا القليل.

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حدَّثني عثمان ـ قال الحَرَميّ: أحسبَهُ ابن عبد الرحمن المَخزوميّ ـ قال حدَّثنا إبراهيم بن أبي عبد اللَّه قال: قيل لمحرز ابن جعفر: أنت صاحب شعرٍ، ونراك تَلزَم الأنصار، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى واللَّه، إن هناك للشِّعرِ عينَ الشِّعرِ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول:

يَقولونَ لَو ماتَت لَقَد غاضَ حُبُّهُ ... وَذَلِكَ حينُ الفاجِعاتِ وَحيني
لَعَمرُكَ إِنّي إِن تُحَمَّ وَفاتُها ... بِصُحبَةِ مَن يَبقى لَغَيرُ ضَنينِ

[الطويل]

وهو الذي يقول:

وَإِنّي لَمِكرامٌ لِساداتِ مالِكٍ ... وَإِنّي لِنَوْكَى مالِكٍ لَسَبوبُ
وَإِنّي عَلى الحِلمِ الَّذي مِن سَجيَّتي ... لَحَمّالُ أَضغانٍ لَهُنَّ طَلُوبُ

[الطويل]

[مرض موته]

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثني الزُّبيرُ قال: حَدَّثني عمي مَصعبٌ قال: حَدَّثني يحيى بن الزُّبير بن عَبَّاد بن حَمزة بن عبد اللَّه بن الزُّبير، قال الزُّبيرُ وحدَّثني علي بن صالح عن عامر بن صالح: أن الأحوص قال في مَرَضِه الذي مات فيه ـ وقال عامر ابن صالح: حين هَرَبَ من عبد الواحد النَّصريّ إلى البصرة ـ:

يا بِشرُ يا رُبَّ مَحزونٍ بِمَصرَعِنا ... وَشامِتٍ جَذِلٍ ما مَسَّهُ الحَزَنُ
وَما شَماتُ امرِىءٍ إِن ماتَ صاحِبُهُ ... وَقَد يَرى أَنَّهُ بِالمَوتِ مُرتَهَنُ
يا بِشرُ هُبّي فَإِنَّ النَّومَ أَرَّقَهُ ... نأيٌ مُشِتٌّ وَأَرضٌ غَيرُها الوَطَنُ

[البسيط]

ذكر الدلال وقصته حين خصي ومن خصي معه والسبب في ذلـك وسـائر أخباره

[اسمه وكنيته وولاؤه]

الدَّلال اسُمه ناقِد[١]، وكنيته أبو يزيد[٢]، وهو مدنيّ مولى بني فَهْم.

وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خُرداذْبَه قال: قال إسحاق: لم يكن من المُخَنَّثين أحسنُ وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ من الدَّلال. قال: وهو أحد من خصاه ابنُ حزم. فلما فُعِلَ ذلك به قال: الآن تمَّ الخُنْث.

وأخبرني الحُسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أبي عبد اللَّه مصعب الزُّبيري قال: الدَّلال مولى عائشةَ بنت سعيد بن العاص.

[كان ظريفاً صاحب نوادر]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد اللَّه مُصعَب الزُّبيري قال: كان الدَّلال من أهل المدينة، ولم يكن أهلُها يَعُدّون في الظرفاء وأصحابِ النوادر من المُخَنَّثين بها إلا ثلاثةً: طُوَيسٌ، والدَّلالُ، وهِنبٌ[٣]؛ فكان هِنْبٌ أقدمهم، والدلال أصغَرَهم. ولم يكن بعد طُويسٍ أظرفُ من الدَّلال ولا أكثرُ مُلَحاً.

قال إسحاق: وحدَّثني هِشام بن المُرَيَّة عن جَرير، وكانا نديمين مدنيَّين، قال: ما ذكرتُ الدَّلالَ قطُّ إلا ضَحِكْتُ لكثرة نوادره. قال: وكان نَزْرَ الحديث، فإذا تكلَّم أضحك الثَّكلى، وكان ضاحِكَ السن، وصنعتُهُ نَزْرةٌ جَيِّدة، ولم يكن يغنِّي إلا غناءً مُضعَفاً، يعني كثيرَ العمل.

---

(١) في بعض النسخ «نافد» وفي سائرها «نافذ».

(٢) في بعض المصادر «أبو زيد»، ولعلّ هذه الكنية هي الأصوب.

(٣) هنب هو من المخنَّثين الذين نفاهم النبي ﷺ إلى خارج الجزيرة العربية، وقد حرَّف أصحاب الحديث الاسم، فقالوا «هيت».

[كان أهل المدينة يفخرون به]

قال إسحاق: وحدَّثني أيُّوبُ بن عَبايةَ قال: شهدت أهلَ المدينة إذا ذكروا الدَّلال وأحاديثَه، طَوَّلوا رِقَابَهم وفَخَروا به؛ فَعَلِمْت أن ذلك لَفَضِيلةٍ كانت فيه.

[كان يلازم النساء]

قال: وحدَّثني ابنُ جامِع عن يونس قال: كان الدَّلالُ مُبتلًى بالنساء والكَوْن معهن، وكان يُطْلَب فلا يُقدَر عليه، وكان بديع الغناء صحيحَه حَسَن الجِرْم[١].

[سبب لقبه، وتوسطه بين الرجال والنساء]

قال إسحاق وحدَّثني الزُّبيري قال: إنَّما لُقِّبَ بالدَّلال لشكله وحُسن دَلِّه وظَرْفه وحلاوة منطقه وحسن وجهه وإشارته. وكان مشغوفاً[٢] بمخالطة النساء ووصفهن للرجال. وكان من أَراد خِطْبة امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها، فلا يزال يَصِفُ له النساء واحدةً فواحدةً حتى ينتهيَ إلى وصف ما يُعجِبه؛ ثم يتوسط بينه وبين من يُعجبه منهن حتى يتزوَّجَها؛ فكان يُشاغِلُ كلَّ من جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء.

[سبب الخصاء]

قال إسحاق وحدَّثني مُصْعَب الزُّبيري قال: أنا أعلم خَلقِ اللَّه بالسبب الذي من أجله خُصيَ الدَّلال؛ وذلك أنه كان القادِمُ يَقدَم المدينةَ، فيسأل عن المرأة يتزوَّجها فَيُدَلُّ على الدَّلال؛ فإذا جاءه قال له: صِفْ لي من تعرف من النساء للتزويج؛ فلا يزال يصف له واحدةً بعد واحدة حتى ينتهيَ إلى ما يوافِقُ هواه؛ فيقول: كيف لي بهذه؟ فيقول: مهرُها كذا وكذا؛ فإذا رَضِيَ بذلك أتاها الدَّلال، فقال لها: إنِّي قد أَصَبْتُ لك رَجُلاً من حالِهِ وقِصَّته وهيئته ويَساره ولا عهدَ له بالنساء، وإنَّما قَدِمَ بلدنا آنفاً؛ فلا يزال بذلك يُشَوِّقُها ويُحَرِّكها حتى تُطيعَهُ؛ فيأتي الرجُلَ فَيُعْلِمُهُ أنه قد أحكم له ما أراد. فإذا سُوِّيَ الأمرُ وتزوَّجَتْهُ المرأة، قال لها: قد آن لهذا الرجل أن يَدْخُلَ بك، والليلةَ موعده، وأنتِ مُغْتَلِمَةٌ[٣] شَبِقَةٌ جامَّة[٤]؛ فساعةَ يدخل عليك وقد دَفَقْتِ عليه مثلَ سَيْل

---

(١) جِرمُ الصَّوتِ: جهارتهُ، تقول: ما عَرفته إلا بِجِرمِ صوته.

(٢) والشَّغاف: مولج البلغم، ويقال: غِشاء القلب. «وقد شَغَفَها حباً» أي: غَشِيَ القلب حبها.

(٣) غَلِمَ يَغْلَمُ غَلَماً وغِلْمةً أي غُلِبَ شهوة.

(٤) جُمَّ وفرس جَمُومٌ إذا ذهب منه إِحْضارٌ جاءه إِحْضارٌ، وكذلك الأُنثى؛ قال النمر بن تَولَب:

جَمُومُ الشَّدِّ شائلةُ الذُّنابَى، تَخالُ بَياضَ غُرَّتِها سِراجَا =

العَرِم، فَيَقْذَرُك ولا يُعاوِدُك، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك؛ فتقول: فكيف أصنع؟ فيقول: أنتِ أعلم بدواء حِرّكِ ودائه ما يسكِّن غُلْمتك؛ فتقول: أنت أعرف؛ فيقول: ما أجد له شيئاً أشفى من النيك، فيقول لها: إن لم تخافي الفضيحةَ فابعثي إلى بعض الزنوج حتى يقضيَ بعضَ وَطَرِك ويكُفَّ عاديةَ حِرّك؛ فتقول له: وَيلَك! ولا كلَّ هذا! فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول لها: فكما جاء عليّ أقوم، فأخفّفك وأنا واللَّه إلى التخفيف أحوج؛ فتفرح المرأة فتقول: هذا أمرٌ مستور، فينيكها؛ حتى إذا قضى لذته منها، قال لها: أمَّا أنت فقد استرحتِ وأمِنْتِ العيب، وبَقِيتُ أنا؛ ثم يجيء إلى الزوج، فيقول له: قد واعَدْتُها أن تَدْخُلَ عليك الليلة، وأنت رجلٌ عَزَبٌ، ونساء المدينة خاصَّةً يُرِدْن المطاولة في الجماع، وكأنِّي بك كما تدخله عليها تفرغ وتقوم، فَتُبغضك وتمقُتك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتَها الدُّنيا، ولا تنظر في وجهك بعدها؛ فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوتُهُ؛ فيقولُ له: كيف أعمل؟ قال: تطلب زَنجيَّةً فتنكيها مرتين أو ثلاثاً حتى تَسكُن غُلمتك؛ فإذا دَخَلْتَ الليلةَ إلى أهلك لم تَجَدْ أَمْرَكَ إلاَّ جميلاً؛ فيقول له ذاك: أعوذ باللَّه من هذه الحال، أزِناً وزَنجيَّةً! لا واللَّه لا أفعل! فإذا أكثر محاورته قال له: فكما جاء عليّ قُمْ فنكني أنا حتى تسكن غُلْمَتُك وشَبَقُك؛ فيفرح فينيكه مرَّةً أو مرتين؛ فيقول له: قد استوى أمرُك الآنَ وطابت نَفْسُكَ، وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكاً يملؤها سروراً ولَذَّةً. فينيك المرأةَ قبل زوجها، وينيكه الرجلُ قبل امرأته؛ فكان ذلك دأبَهُ، إلى أن بَلَغَ خَبَرُهُ سليمانَ بن عبد الملك، وكان غَيُوراً شديد الغَيرة، فَكَتَبَ أن يُخصى هو وسائر المُخَنَّثين بالمدينة ومكة، وقال: إن هؤلاء يدخلون على نساء قُرَيش ويُفسدونهن. فَوَرَدَ الكتابُ على ابن حزم فخصاهم. هذه رواية إسحاق عن الزُّبيري. والسبب في هذا أيضاً مُخْتَلفٌ فيه، وليس كلُّ الرُّواة يروون ذلك كما رواه مُصعَب.

[رواية أخرى في سبب خصي المُخَنَّثين]

فمما رُوِيَ من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ ـ وهذا خبر أصحُّ ما روي في ذلك إسناداً ـ قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبَّة عن مَعْن بن عيسى، هكذا رواه الجَوْهريّ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثني عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني أبو غَسَّان قال: قال ابن جَناح مَعْن بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد

= قوله شائلة الذُّنابى يعني أنها ترفع ذَنَبها في العَدْو. واسْتَجَمَّ الفرسُ والبئر أي جَمَّ. ويقال: أَجِمَّ نَفْسَك يوماً أو يومين أي أَرِحْها؛ وفي الصحاح: أَجْمِمْ نَفْسَك. ويقال: إني لأَسْتَجِمُّ قلبي بشيء من اللَّهو لأَقْوَى به على الحق.

عن أبيه وعن محمد بن مَعن الغِفاريّ قالا: كان سبب ما خُصِيَ لَهُ المُخَنَّثون بالمدينة أن سليمان بن عبد الملك كان في نادية[١] له يَسْمُرُ ليلةً على ظَهْرِ سَطح، فَتَفَرَّقَ عنه جلساؤه، فدعا بِوَضُوء فجاءت به جارِيةٌ له، فبينا هي تَصُبُّ عليه إذ أومأ بيدِهِ وأشار بها مَرَّتين أو ثلاثاً، فلم تَصُبَّ عليه؛ فأنكر ذلك فرفع رأسَهُ، فإذا هي مُصْغِيَة بسمعها إلى ناحية العَسْكَر، وإذا صوتُ رجل يُغَنِّي، فأنْصَتَ له حتى سمع جميعَ ما تَغَنَّى به؛ فلمَّا أصبح أَذِن للناس، ثم أجرى ذِكرَ الغِناء فَلَيَّنَ فيه حتى ظَنَّ القومُ أنَّه يَشتهيه ويريدُهُ، فأفاضوا فيه بالتَّسهيل وذكرِ من كان يسمعه؛ فقال سليمان: فهل بقي أحد يُسْمَعُ منه الغناء؟ فقال رجل من القوم: عندي يا أمير المؤمنين رجلان من أهل أَيْلَة مُجِيدان مُحكمان؛ قال: وأين منزلُك؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها؛ قال: فابعث إليهما، ففعل؛ فَوَجَدَ الرسولُ أحدَهما، فأدخله على سليمان؛ فقال: ما اسمُك؟ قال: سُمَير، فسأله عن الغِناء، فاعترف به؛ فقال: متى عهدُك به؟ قال: الليلةَ الماضية. قال: وأين كُنْتَ؟ فأشار إلى الناحية التي سَمِعَ سليمانُ منها الغناء؛ قال: فما غنَّيت به؟ فأخبره الشعرَ الذي سمعه سليمانُ؛ فأقبل على القوم فقال: هَدَرَ الجملُ فَضبِعتِ[٢] الناقة، ونَبَّ[٣] التيس فَشَكِرَت الشاةُ[٤]، وهَدَرَ[٥] الحمام فزافَتِ[٦] الحمامةُ، وغَنَّى الرجلُ فَطَرُبَتِ المرأةُ، ثم أمر به فَخُصِيَ[٧]. وسأل عن الغناء أين

(١) النَّادية مؤنث نادي وهو مجلس القوم.

(٢) الضَّبَعُ بالتحريك والضَّبَعَةُ: شِدَّة شهوة الناقة للفحل، وقد ضَبِعَتْ بالكسر تَضْبَعُ ضَبَعاً، وأضْبَعَتْ أيضاً بالألف.

(٣) نبَّ التَّيس يَنبُّ نبيباً، إذا صاح وهاج. والأنبوبة: ما بين كلِّ عُقدتين من القَصَب. والجمع أنبوبٌ وأنابيب.

(٤) الشَّكورُ من الدوابّ: ما يكفيه العلَفُ القليل.

(٥) هَدَرَ الحمامُ هَديراً، أي صوَّت، وتروى بعض المصادر «هديل».

(٦) زَافَتِ الْحَمَامَةُ، أَهْمَلَهُ الجَوْهَرِيُّ، وقال ابنُ دُرَيْدٍ: زَافَتْ، تَزُوفُ، زَوْفاً: نَشَرَتْ جَنَاحَيْهَا وذَنَبَهَا وسَحَبَتْهُمَا علَى الأَرْضِ.

(٧) أورد الجاحظ قصة خصي الدَّلال، وقال: «وإنما قيل لعلقمةَ بن عَبَدَةَ الفحلُ، حين وقعَ على هذا اسمُ الخصي، وكان عبداً صالحاً، وهو كان جَنَبَ الجدِيل وداعراً، الفحلين الكريمين، إلى عمان، وكان من نازليها، وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة بنِ مَظْعونٍ في شرب الخمر، وهو الذي قال لعمر بن الخطاب رضي اللّه تعالى عنه: أتَقبَلُ شهادةَ الخصيِّ؟ قال: أما شهادتك فأقبَلُ، وهو عَلقمةُ بن سهْلِ بن عمارة، فلمَّا سمّوه الخصيّ، قالوا لعلقمةَ بن عَبَدة: الفحل، وعلقمةُ الخصيّ، الذي يقول:

فلن يَعْدَمَ الباقون قبراً لجثَّتي ... ولن يعدَم الميراثَ منِّي الموالِيا

حِراصٌ على ما كنت أجمعُ قَبْلَهم ... هَنِيئاً لهمْ جَمْعِي وما كنتُ والِيا =

أصله؟ فقيل: بالمدينة في المُخَنَّثين، وهم أئمَّتُهُ والحذَّاقُ فيه. فَكَتَبَ إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ، وكان عامِلَه عليها، أن أخْصِ من قِبَلَك من المُخَنَّثين المُغَنِّين ـ فزعم موسى بن جعفر بن أبي كثير قال أخبرني بعض الكتاب قال: قرأت كتاب سليمان في الديوان، فرأيت على الخاء نقطةً كتمرة العَجوة؛ قال: ومن لا يعلم يقول: أنه صَحَّفَ القارىء، وكانت أخْصِ ـ قال: فتبَّعهم ابن حزم فَخَصى منهم تسعةً؛ فمنهم الدَّلال وطَريف، وحَبيبٌ نَوْمةُ الضُّحى. وقال بعضهم حين خُصِيَ: سَلِم الخاتنُ والمختون. وهذا كلام يقوله الصبيّ إذا خُتِنَ.

قال: فَزَعَمَ ابن أبي ثابت الأعرج قال: أخبرني حَمَّاد بن نَشيط الحَسَنيّ قال: أقبلْنا من مكة ومعنا بَدَراقُس وهو الذي خَتَّنَهم، وكان غُلامُهُ قد أعانه على خِصائهم، فنزلنا على حبيب نَوَمةِ الضُّحى، فاحتفل لنا وأكرمنا؛ فقال له ثابت: من أنت؟ قال: يابن أخي أتجهلني وأنت وليت ختاني! أو قال: وأنت ختنتني؛ قال: واسوءتاه! وأيّهم أنت؟ قال أنا حبيب. قال ثابت: فاجتنبت طعامه وخِفْتُ أن يَسُمَّنِي. قال: وجعلَتْ لِحيةُ الدَّلال بعد سنة أو سنتين تتناثر. وأما ابن الكَلْبيّ فإنه ذكر عن أبي مِسكِين ولَقِيطٍ أن أيمن كتب بإحصاء من في المدينة من المُخَنَّثين لِيَعْرِفَهُم، فَيُوْفِدُ عليه من يختاره للوفادة؛ فَظَنَّ الوالي أنه يريد الخِصاء، فخصاهم.

أخبرني وكيع قال: حَدَّثني أبو أَيُّوب المَدينيّ قال: حَدَّثني محمد بن سَلاَّم قال: حَدَّثني ابن جُعدُبة، ونسخت أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المَدِينيّ عن ابن جُعدُبة واللفظ له: أن الذي هاج سليمانَ بن عبد الملك على ما صنعه بِمَن كان بالمدينة من المُخَنَّثين، أنه كان مُسْتَلْقِياً على فراشِهِ في الليل، وجاريةٌ له إلى جانبِهِ، وعليها غِلالةٌ ورِداءٌ مُعَصْفَران، وعليها وِشاحان من ذهب، وفي عُنُقِها فصلان من لؤلؤ وزَبَرْجَد وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفاً، وفي عسكره رجلٌ يُقالُ له سُمَير الأيليّ يُغَنِّي، فلم يفكر سليمانُ في غنائِهِ شُغلاً بها وإقبالاً عليها، وهي لاهيةٌ عنه لا تُجيبه

= ودُلِّيتُ في زَوْراءَ ثُمَّتَ أعنَقوا ... لشأنِهِمُ قَدْ أفْرَدُونِي وشَانِيا
فأصبح مالي من طريفٍ وتالدٍ ... لغيري وكانَ المالُ بالأمس ماليا

وكما عرَض للدَّلال ونَومَةِ الضُّحى، مِن خصاءِ عُثمانَ بن حيَّان المرّيّ والي المدينة لهما، بكتابِ هشام بن عبد الملك. فمِنْ بني مرْوان من يدَّعي أنَّ عاملَ المدينةِ صحَّف، لأنه رأى في الكتاب: أَحصِ مَنْ قِبَلَكَ مِنَ المخنَّثين فقرأها: اخْصِ مَنْ قِبَلَك من المخنَّثين، وذكر الهيثمُ عن الكاتب الذي تولَّى قراءة ذلك الكتاب، أنَّه قال: وكيف يقولون ذلك ولقد كانت الخاء معجمةً بنقطةٍ، كأنها سُهيل أو تمْرةُ صيحانية؟ فقال اليقطري: ما وجْهُ كتابِ هشام في إحصاءِ عدَد المخنَّثين؟وهذا لا معنى له، وما كان الكتابُ إلّا بالخاء المعجمة دون الحاء المهمَلة.

مُصْغِيَةٌ إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فَحَوَّلَ [سليمان] وجهه عنها مُغضَباً، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها، فَسَمِعَ سُمَيراً يُغنِّي بأحسن صوت وأطيب نغمة:

صوت

مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فأَرَّقَها ... مِن آخِرِ اللَّيْلِ حتّى شَفَّها السَّهَرُ
تُدْنِي على جِيدِها ثِنْيَيْ مُعَصْفَرَةٍ ... والحَلْيُ مِنْها على لَبّاتِها خَصْرُ
لَمْ يَحْجُبِ الصَّوْتَ أَحْراسٌ ولا حَلَقٌ ... فدَمْعُها لطُرُوقِ الصَّوْتِ مُنْحَدِرُ
في لَيلةِ النِّصْفِ لا يَدْرِي مُضاجِعُها ... أَوَجْهُها عِنْدَه أَبْهَى أمِ القَمَرُ

[البسيط]

ويروى:

أَوَجْهُها ما يرى أم وجهُها القَمَرُ

لو خُلِّيَتْ لَمَشَتْ نَحْوِي على قَدَمٍ ... تكادُ مِن رِقَّةٍ للمَشْيِ تَنْفَطِرُ

[البسيط]

ـ الغناء لِسُمير الأيليّ رَمَلٌ مُطلَقٌ بالبنصر عن حَبَشٍ. وأخبرني ذُكاءُ وَجْه الرُّزَّة أنه سمع فيه لحناً للدَّلال من الثَّقيل الأول ـ فلم يَشكُك سليمانُ أنَّ الذي بها مما سمعت، وأنها تهوى سُمَيراً؛ فوجه من وقته مَنْ أحضره وحَبَسَهُ، ودعا لها بسيف ونِطْع، وقال: واللَّه لَتَصْدُقِنِّي أو لأضرِبَنَّ عنقك! قالت: سَلْني عما تريد؛ قال: أخبريني عما بينك وبين هذا الرجل؛ قالت: واللَّه ما أعرفه ولا رأيته قطّ، وأنا جاريةٌ مَنشئي الحجازُ، ومن هناك حُمِلْتُ إليك، وواللَّه ما أعرف بهذه البلادِ أحداً سواك. فَرَقَّ لها، وأحضر الرجلَ فَسَأَلَهُ، وتَلَطَّفَ له في المسألة، فلم يجد بينه وبينها سبيلاً، ولم تَطِبْ نَفْسُهُ بتخليته سَوياً فخصاه؛ وكتب في المُخَنَّثين بمثل ذلك. هذه الرواية الصحيحة.

[أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدَّلال]

وقد أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني عمي قال: قيل للوليد بن عبد الملك: إنَّ نساءَ قريش يدخل عليهن المُخَنَّثون بالمدينة، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يدخل عليكن هؤلاء»[1]. فكتب إلى ابن حزم الأنصاريّ أن اخصِهم، فخصاهم. فمَرَّ ابن أبي عتيق فقال: أَخَصَيتم الدَّلال! أما واللَّه لقد كان يُحسِن:

(١) حديث شريف.

لِـمَـن رَبْـعٌ بـذات الـجَـيْـش أمـسـى دارِسـاً خَـلَـقَـا
تـأبَّـدَ[١] بـعـد سـاكـنـه فـأصـبـح أهـلُـهُ فِـرَقَـا
وَقَـفْـتُ بِـهِ أُسـائِـلُـهُ وَمَـرَّتْ عِـيـسُـهُـم حِـزَقـا[٢]

[مجزوء الوافر]

ثم ذهب ثم رجع، فقال: إنَّما أعني خَفيفَه، لَسْتُ أعني ثَقِيلَهُ.

[أسف الماجشون لذلك]

أخبرني الحُسَينُ بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن الماجِشون: أنَّ خليفة صاحِبَ الشُّرطة لما خُصِيَ المُخَنَّثُون مَرَّ [بأبيه][٣] الماجشون وهو في حَلْقتِهِ؛ فَصَاحَ بِهِ: تعالَ فجاءه؛ فقال: أَخَصَيْتُم الدَّلال! قال نعم؛ قال: أما [واللَّه] إنَّهُ كان يُجِيدُ:

لِـمَـن رَبْـعٌ بـذات الـجَـيْـش أمـسـى دارِسـاً خَـلَـقَـا

[مجزوء الوافر]

ثم مَضَى غيرَ بَعِيدٍ فَرَدَّهُ، ثم قال: أستغفرُ اللَّه! إنَّما أعني هَزَجَهُ لا ثَقِيلَه.

[أضحك الناس في الصلاة]

أخبرني الحُسينُ بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: حدَّثني حَمْزَةُ النَّوفَليّ قال: صلَّى الدَّلالُ المُخَنَّث إلى جانبي في المسجد، فَضَرَطَ ضَرْطَةً هائلةً سمعها من في المسجد، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد، وهو يقول في سجوده رافِعاً بذلك صوتَهُ: سَبَّح لك أعلايَ وأسفلي؛ فلم يبقَ في المسجدِ أحدٌ إلا فُتِنَ وقَطَعَ صلاته بالضَّحِكِ.

[طرب شيخ في مجلس ابن جعفر]

أخبرني الحُسينُ عن حمَّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن أشياخِهِ: أنَّ عبد اللَّه بن جعفر قال لصديقٍ لَهُ: لو غَنَّتْكَ جاريتي فلانة:

لِـمَـن رَبْـعٌ بـذات الـجَـيْـش أمـسـى دارِسـاً خَـلَـقَـا

[مجزوء الوافر]

---

(١) أبدت الدواب وتأبدت: توحشت، وهي أوابد ومتأبدات. وفرس قيد الأوابد وهي نفر الوحوش.

(٢) شهدت عند فلان حلقاً وحزقاً. وبين يديه حزقة وحزيقة وحزيق أي جماعة. ويقال: تتابعوا كأنهم حزق الجراد.

(٣) في الاصول «مرَّ بابن ماجشون»، ولعلّ ما أوردناه أصوب، إذ الذي كان يعجبه الدلّال ويستحسن غناءه ويدنيه ويقربه هو الماجشون، وابن الماجشون لم يره الدلال، وإنما تحدث عنه مع أبيه.

لما أدركت ذَكاتك[١]؛ فقال: جُعِلْتُ فِداك، قد وَجَبَتْ جُنوبُها «فَكُلوا منها وأَطْعِمُوا البائِسَ الفقيرَ». فقال عبد اللَّه: يا غُلام، مُرْ فُلانة أن تَخْرُجَ؛ فَخَرَجَتْ معها عودها. فقال عبد اللَّه: إنَّ هذا الشيخَ يَكْره السَّماعَ. فقالت: وَيْحَهُ! لو كَرِهَ الطعامَ والشرابَ كان أقربَ [له] إلى الصواب! فقال الشيخ: فكيف ذاك وبهما الحياة؟! فقالت: إنَّهما رُبَّما قَتَلا وهذا لا يقتل. فقال عبد اللَّه غَنِّي:

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْش أمسى دارِساً خَلَقا

[مجزوء الوافر]

فَغَنَّتْ؛ فجعل الشيخ يُصَفِّقُ وَيَرْقُصُ ويقولُ:

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتَدِّي زِيَمْ[٢]

ويُحَرِّكُ رأسَهُ ويَدُورُ حتى وَقَعَ مَغشيّاً عليه، وعبد اللَّه بن جعفر يضحك منه.

[غَنَّى الدلال الغمر بن يزيد فَطُرِبَ]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني أبو غسَّان قال: مَرَّ الغَمر بن يزيد بن عبد الملك حاجّاً، فغناه الدَّلال:

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾؛ قال أَبو إسحق: معناهُ إلاَّ ما أَدْرَكْتُمْ ذَكاتَه من هذه التي وصفنا. وكلُّ ذَبْحٍ ذَكاةٌ. ومعنى التَّذْكِية: أَنْ تُدْرِكَها وفيها بَقِيَّة تَشْخُب مَعَها الأَوْداج وتَضْطَرِبُ اضْطرابَ المَذْبوحِ الذي أُدْرِكَتْ ذَكاتُه، وأَهل العلم يقولون: إن أَخْرَجَ السبُعُ الحِشْوَةَ أَو قَطَع الجَوْفَ قَطْعاً تخرج معه الحِشْوة فلا ذَكاةَ لذلك، وتأْويلُه أَن يصير في حالة ما لا يُؤثِّرُ في حياته الذَّبْحُ. وفي حديث الصيد: كُلْ ما أَمْسَكَتْ عَلَيْك كلابُكَ ذَكيٌّ وغيرُ ذَكيٍّ؛ أَراد بالذَّكيِّ ما أُمْسِكَ عليه فأَدْرَكَه قبلَ زُهُوقِ رُوحه فذَكَّاه في الحَلْقِ واللَّبَّةِ، وأَراد بغير الذَّكيِّ ما زَهَقَتْ روحُه قبل أَن يُدْرِكَه فيُذَكِّيَهُ ممَّا جَرَحَه الكلبُ بسِنِّه أَو ظفْرِه. وفي حديث محمد بن علي: ذَكاةُ الأَرض يُبْسُها؛ يريد طَهارَتَها من النَّجاسَةِ، جَعَلَ يُبْسَها من النجاسة الرَّطْبة في التَّطْهير بمَنْزِلة تَذْكِيَةِ الشاةِ في الإِحْلالِ لأَن الذبح يطهرها ويحلِّل أَكْلَها. وأَصل الذكاة في اللغة كُلِّها إِتْمامُ الشيء، فمن ذلك الذَّكاءُ في السِّنِّ والفَهْم وهو تمام السنِّ.

(٢) تَزَيَّمَ: صار زِيَماً، وقيل في قول النابغة منزلاً زِيَماً أَي مُتَفَرِّقَ النبات، وقيل: أَراد تتفرق عنه الناس، وأَراد بثلاث ليالٍ أَيام التَّشْريق ثم نَفَرَت واحدة إِلى ذي المَجازِ؛ قال السيرافي: أَصله في اللحم فاستعاره؛ وفي خطبة الحجاج:

هذا أَوانُ الحَرْبِ فاشْتَدّي زِيَمْ قال: هو اسم ناقة أَو فرس وهو يخاطبها يأْمرها بالعَدْوِ، وحرف النداء محذوف؛ وفي قَصِيدِ كَعْبِ بن زهير:

سُمْرُ العُجاياتِ يَتْرُكْنَ الحَصى زِيَماً، لم يَقِهِنَّ رؤوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ

الزِّيَمُ: المتفرق، يصف شدة وطئها أَنه يُفَرِّقُ الحَصى. وزِيَمُ: اسم فرس جابر بن حُنَيْنٍ

بـانَـت سُـعـادُ وَأَمـسـى حَـبـلُـهـا ٱنـصَـرَمـا[١] وَٱحْتَلَّتِ الغَمْرَ[٢] فَالأَجراعَ[٣] مِن إِضَما[٤]

[البسيط]

فقال لَهُ الغَمْرُ: أَحْسَنْتَ واللَّه، وغَلَبْتَ فيه ابنَ سُرَيج! فقال له الدَّلال: نعمةُ اللَّه عليَّ فيه أعظمُ من ذلك؛ قال: وما هي؟ قال: السُّمْعة، ولا يسمعه أحدٌ إلا عَلِم أنه غناء مُخَنَّثٍ حقاً.

نسبة هذا الصوت:

صوت

بـانَـت سُـعـادُ وَأَمـسـى حَـبـلُـهـا ٱنـصـرمـا وَٱحْـتَـلَّـتِ الـغَـمْـرَ فَـالأَجـراعَ مِـن إِضَـمـا

[البسيط]

إِحـدى بَـلِـيٍّ[٥] وَمـا هـامَ الـفُـؤادُ بِـهـا إِلاّ الـسَّـفـاهَ[٦] وَإِلاّ ذِكـرَةً[٧] حُـلُـمـا

هَـلاّ سَـأَلـتِ بَـنـي ذُبـيـانَ مـا حَـسَـبـي إِذا الدُّخانُ تَغَشّى[٨] الأَشمَطَ[٩] البَرِما[١٠]

[البسيط]

الشعر للنابغة الذُّبيانيّ، والغناء للدَّلال خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بالوسطى عن الهِشامي. وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر لِمَعْبد عن عمرو بن بانة. وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوَّل بالبنصر عن حَبَش. وفيه لنشيطٍ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عنه. وذَكَرَ الهشاميّ أن لحن مَعبدٍ ثقيلٌ أوَّل، وَذَكَرَ حَمَّاد أنه للغريض. وفيه لجميلة ودَحمان لحنان، ويُقالُ: إنهما جميعاً من الثقيل الأوّل.

[احتكم إليه شيعي ومرجىء]

أخبرني الحُسينُ بن يحيى قال: أخبرنا حمَّاد بن إسحاقَ إجازةً عن أبيه عن

---

(١) ورد في بعض المصادر «انجذما» بدل «انصرما».

(٢) ورد في بعض المصادر «الشرع» بدل «الغمر». والغمر هو الماء الكثير، ويقال إن هناك بئراً قديمة في مكة المكرمة، تحمل هذا الاسم.

(٣) الأجراع، الجَرَعَةُ بالتحريك: واحدة الجَرَع، وهي رملة مستوية لا تنبت شيئاً.

(٤) أضم: واد بجبل تهامة هو الوادي الذي فيه المدينة.

(٥) بَلِيّ: قبيلة من قضاعة.

(٦) السفاه: السَّفَهُ: ضدُّ الحِلم، وأصله الخِفَّةُ والحركةُ. يقال: تَسَفَّهَتِ الريحُ الشجرَ، أي مالتْ به.

(٧) الذاكرة: نقيض النسيان.

(٨) تغشى: تلبس.

(٩) الشَّمَطُ: بياضُ شَعَر الرأسِ يخالط سوادَه، والرجلُ أَشْمَطُ.

(١٠) البرم: البَرَمُ: الذّي لا يُياسِرُ القومَ، ولا يدخل معهم في المَيْسِر، وجمعه: أَبْرام.

المدائنيّ قال: اختَصَمَ شيعيٌ ومرجىء[1]، فجعلا بينهما أوَّلَ من يطلع، فطلع الدَّلال؛ فقالا له: أبا زيد، أيّهما خيرٌ الشيعي أم المرجىء؟ فقال: لا أدري إلا أن أعلاي الشيعي وأسفلي مرجىء!

[هربه من المدينة إلى مكة]

قال إسحاق: قال المدئنيّ: وأخبرني أبو مِسكينٍ عن فليح بن سُليمان قال: كان الدَّلال مُلازِماً لأمِّ سعيد الأسلميَّة وبنتٍ ليحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي، وكانتا من أمْجَنِ النساء، كانتا تخرُجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خَلاخِيلهما؛ فقال معاوية لِمَروان بن الحكم: اكفني بنتَ أخيك؛ فقال: أفعل؛ فاستزارها، وأمر ببئر فَحُفِرَت في طريقها، وغُطِّيَت بحصيرٍ، فلما مَشَتْ عليه سَقَطَتْ في البئر فكانَتْ قَبرها. وطُلِبَ الدَّلال فهرب إلى مكة؛ فقال له نساء أهلِ مكة: قتلت نساء أهل المدينة وجِئْتَ لتقتلنا! فقال: واللَّه ما قتلهنَّ إلا الحكاك. فقلن: اعزب أخزاك اللَّه، ولا أدنى بك داراً، ولا آذانا بك! قال: فمنْ لَكُنّ بعدي يدلّ على دائكنّ ويعلم موضع شفائكنّ؟ واللَّه ما زنيت قطّ ولا زُنيّ بي، وإني لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم.

[كان الماجشون يستحسن غناءه]

قال إسحاق وحدَّثني الواقديّ عن ابن الماجِشون قال: كان أبي يُعْجِبُهُ الدَّلال ويَسْتَحْسِنُ غناءه ويُدنيه ويُقرِّبُهُ، ولم أره أنا، فَسَمِعْتُ أبي يقول: غنَّاني الدَّلال يوماً بشعر مجنون بني عامر، فلقد خِفْتُ الفتنةَ على نفسي؛ فَقُلْتُ: يا أبتِ، وأيّ شعر تغنَّى؟ قال قوله:

صوت

عَسى اللَّهُ أَن يُجري المَوَدَّةَ بَينَنا ... وَيوصِلَ حَبلاً مِنكُمُ بِحِبالِيا
فَكَم مِن خَليلَيْ جَفوَةٍ قَد تَقاطَعا ... عَلى الدَّهرِ لَمّا أَن أَطالا التَّلاقِيا
وَإِنّي لَفي كَربٍ وَأَنتِ خَلِيَّةٌ ... لَقَد فارَقَتْ في الوَصفِ حالُكِ حالِيا
عَتِبتُ فَما أَعتَبتِني بِمَوَدَّةٍ ... وَرُمتُ فَما أَسعَفتِني بِسُؤالِيا

[الطويل]

(١) المرجئة مذهب إسلامي، ظهر في القرن الأول للهجرة، واعتبر أن الإيمان إقرار باللسان، واللَّه هو الذي يحكم بين الناس، فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم فرق أربع: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة.

الغناء في هذا الشعر للغريض ثقيلٌ أوَّل بالوسطى، ولا أعرف فيه لحناً غيره. وذكر حمَّاد في أخبار الدَّلال أنه للدَّلال، ولم يُجَنِّسه.

[خبره مع مُخَّة المخنث]

قال إسحاق: وحدَّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ قال: قَدِمَ مُخَنَّثٌ من مكة يُقَالُ له مُخَّة، فَجَاءَ إلى الدَّلال فقال: يا أبا زيد، دُلَّني على بعض مُخَنَّثِي أهلِ المدينة أكايدُه وأمازِحُهُ ثم أجاذبُهُ؛ قال: قد وَجَدْتُهُ لك ـ وكان خُثَيم بن عِراك بن مالكٍ صاحبُ شُرْطة زِيَاد بن عبيد اللَّه الحارثيّ جارَهُ، وَقَدْ خَرَجَ في ذلك الوقت لِيُصَلِّي في المسجد ـ فأومأ إلى خُثَيم فقال: الحَقْهُ في المسجد؛ فإنَّه يقومُ فيه فيصلي ليرائي الناس، فإنك ستظفر بما تريد منه؛ فَدَخَلَ المسجد وجلس إلى جنب ابن عِراك، فقال: عَجِّلي بِصَلاتك لا صلَّى اللَّه عليكِ! فقال خُثَيم: سُبحان اللَّه! فقال المُخَنَّث: سَبَّحْتِ في جامعةٍ[1] قَرَّاصةٍ، انصرفي حتى أتحدَّث معكِ؛ فانصرف خُثَيمٌ من صلاته، ودعا بالشُّرَط والسِّياطِ فقال: خذوه فأخذوه، فضربه مائةً وحبسه.

[إضحاكه الناس في الصلاة]

أخبرني الحُسينُ عن حَمَّاد عن أبيه قال: صَلَّى الدَّلالُ يوماً خَلْفَ الإمام بمكة، فقرأ: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]؛ فقال الدَّلال: لا أدري واللَّه! فَضَحِكَ أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة؛ فلما قضى الوالي صلاتَهُ دعا به، وقال له: ويلك! ألا تَدَعُ هذا المجونَ [و]السفه! فقال له: قد كان عندي أنك تعبد اللَّه، فلما سَمِعْتك تستفهم، ظَنَنْتُ أنَّك قد تشكَّكت في ربك فثبَّتُّك؛ فقال له: أنا شككت في ربي وأنت ثبَّتني! اذهب لعنك اللَّه! ولا تُعاودْ فأُبالغ واللَّه في عقوبتك!

[أخبار متفرقة]

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم قال:

سألَ رجلٌ الدَّلال أن يزوِّجَه امرأةً فزوَّجَه، فلما أعطاها صِداقَها وجاء بها إليه فدخلت عليه، قام إليها فواقعها، فَضَرَطَتْ قبل أن يطأها، فَكَسِلَ عنها الرجلُ ومَقَتَها وأَمَرَ بها فأُخْرِجَتْ؛ وبَعَثَ إلى الدَّلال، فعرَّفَهُ ما جرى عليه؛ فقال له الدَّلالُ: فديتُكَ! هذا كلُّه من عزّة نفسها؛ قال: دَعني منك؛ فإني قد أبغضتُها، فاردُدْ عليّ دراهمي، فردَّ بعضَها، فقال له: لم رَدَدْتَ بعضها وقد خَرَجَتْ كما دَخَلَت؟ قال: للروعة التي

(١) الجامعة: الغلّ والحقد لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

أدخلتها على استِها، فَضَحِكَ وقال له: اذهب فأنت أقضى الناسِ وأفقَهُهُم.

[سكر مع فتية]

أخبرني الحَسن بن علي قال: حَدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ قال: حَدَّثني محمد بن سلاَّم عن أبيه، قال وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن محمد بن سلاَّم عن أبيه قال: إنَّ الدَّلال خرج يوماً مع فتيةٍ من قُرَيش في نُزهةٍ لهم، وكان معهم غُلامٌ جميل الوجه، فأعجبه؛ وعلم القومُ بذلك، فقالوا: قد ظَفَرْنا به بقيَّة يومنا، وكان لا يصبر في مجلس حتى ينقضيَ، وينصرفُ عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبَّةً في محادثة النساء؛ فغمزوا الغلامَ عليه؛ وفَطِنَ لذلك فَغَضِبَ، وقام لِيَنْصَرِفَ؛ فأقسم الغلامُ عليه والقومُ جميعاً فجلس؛ وكان معهم شرابٌ فشربوا، وسقَوه وحملوا عليه لئلا يبرحَ، ثم سألوه أن يُغَنِّيهم فَغَنَّاهم:

صوت

زُبَيريَّةٌ بالعَرجِ مِنها مَنازِلٌ ... وَبِالخَيفِ مِن أَدنى مَنازِلِها رَسمُ[١]

أُسائِلُ عَنها كُلَّ رَكْبٍ[٢] لَقيتُهُ ... وَما لي بِها مِن بَعدِ مَكَّتِنا عِلمُ

أَيا صاحِبَ الخَيماتِ[٣] مِن بَطنِ أَرثَدٍ[٤] ... إِلى النَّخلِ مِن وَدَّانَ[٥] ما فَعَلَتْ نُعمُ

فَإِن تَكُ حَربٌ بَينَ قَومي وَقَومِها ... فَإِنّي لَها في كُلِّ نائِرةٍ[٦] سِلمُ[٧]

[الطويل]

---

(١) ورد في بعض المصادر «أعلى» بدل «أدنى».

(٢) ورد في بعض المصادر «فرد» بدل «ركب».

(٣) ورد في بعض المصادر «النخلات» بدل «الخيمات».

(٤) أرثد: اسم واد بين مكة والمدينة في وادي الأبواء.

(٥) قرية من أمهات القرى بالحجاز، وهو فعلان من الود. وفي سيرة ابن إسحاق: غزوة الأبواء وهي غزوة ودّان. وقال يعقوب بن حميد: أقبلت من مكة، فلما صرت بودان لقيت صفراء من مولداتها فقلت: يا جارية ما فعلت نعم؟ فقالت: سل النصيب، تريد قوله:

ألا تسأل الخيماتِ من بطن أرثدٍ ... إلى النخل من ودّان ما فعلتْ نعمُ

(٦) نار وأنار واستنار. وشيء منير ومستنير ونيّر. وأنار السراج ونوره. وصلّى الفجر التّنوير. واهتدوا بمنار الأرض: بأعلامها. وهدم فلانٌ منار المساجد: جمع منارة. ووضع السّراج على المنارة. وتنوّر النّار: تبصّرها وقصدها. قال الكميت:

إذا زندوا ناراً لليوم كريهةٍ ... سبقنا إلى إيقادها من تنوّرا

وبينهم نائرة: عداوة وشحناء.

(٧) الأبيات للأحوص الأنصاري.

ذكر يحيى المكيّ وعمرو بن بانة أنَّ الغناء في هذا الشعر لِمَعْبَد ثاني ثقيل بالوُسطى، وذَكَرَ غيرهما أنَّه للدَّلال. وفيه لِمُخارق رَمَلٌ. وذَكَرَ إسحاق هذا اللّحن في طريقة الثقيل الثاني ولم يَنْسِبْهُ إلى أحد ـ قال: فاستُطير القومُ فَرَحاً وسروراً وعلا نعيرُهُم؛ فَنَذَرَ[١] بهم السلطان، وتَعَادَتِ[٢] الأشراط، فأحسُّوا بالطلب فهرَبوا؛ وبَقِيَ الغُلامُ والدَّلال ما يُطيقان بَراحاً من السكر؛ فأُخذا فأُتي بهم أمير المدينة؛ فقال للدَّلال: يا فاسق! فقال له: من فمك إلى السماء؛ قال: جَئُوا[٣] فَكَّه؛ قال: وعُنْقه أيضاً. قال: يا عدوّ اللَّه! أما وَسَعَك بيتُك حتى خَرَجْتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تَفْسُقُ به! فقال: لو عَلِمْتُ أنك تغار علينا وتشتهي أن نفسق سرّاً ما خَرَجْتُ من بيتي؛ قال: جردوه واضربوه حدّاً؛ قال: وما ينفعك من ذلك! وأنا واللَّه أُضرب في كل يوم حدوداً؛ قال: ومن يتوَلَّى ذلك منك؟ قال: أيُورُ المسلمين؛ قال: ابطحوه على وجهه واجلسوا على ظهره؛ قال: أحسب الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أُناك. قال: أقيموه لعنه اللَّه واشهروه في المدينة مع الغُلام؛ فأُخرِجا يُدارُ بهما في السِّكَك. فقيل له: ما هذا يا دَّلال؟ قال: اشتهى الأمير أن يَجْمَعَ بين الرأسين، فَجَمَعَ بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا، ولو قيل له الآن: إنَّك قوَّاد غَضِبَ! فبلغ قوله الوالي فقال: خَلُّوا سبيلهما، لعنة اللَّه عليهما!

[شهادة معبد فيه]

قال إسحاق في خبره خاصّةً ـ ولم يذكره أبو أيُّوب ـ فحدَّثني أبي عن ابن جامع عن سياطٍ قال: سَمِعْتُ يونسَ يقول قال لي مَعبدٌ: ما ذَكَرْتُ غِناءَ الدَّلال في هذا الشعر:

زُبَيْرِيَّةٌ بِالعَرجِ مِنها مَنازِلٌ

إلا جدَّد لي سروراً، ولَوَدِدْتُ أني كُنْتُ سبقتُهُ إليه لحسنه عندي. قال يونس: فقُلتُ له: ما بَلَغَ من حسنه عندك؟ قال: يكفيك أني لم أسمع أحسنَ منه قطّ.

[المخنثون]

أخبرني الحسين عن حمَّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسان قال: كان بالمدينة عُرْس، فاتفق فيه الدَّلال وطُوَيس والوَليد المُخَنَّث، فدخل عبد

(١) نَذَر القومُ بالعَدُوِّ أي عَلِموا بمسيرهم.
(٢) تعادت: من العدو وهو سرعة الركض.
(٣) جئوا: اضربوا.

الرحمن بن حَسَّان، فلما رآهم قال: ما كُنْتُ لِأَجلسَ في مجلس فيه هؤلاء؛ فقال له طويس: قد عَلِمْتَ يا عبد الرحمن نكايتي فيك وأن جَرْحي إياك لم يندمل ـ يعني خبره معه بحضرة عبد اللَّه بن جعفر، وذكره لِعَمَّته الفارِعة ـ فاربَح نفسك وأقبِلْ على شأنك؛ فإنه لا قيامَ لكَ بِمَنْ يَفهمك فهمي. وقال له الدَّلالُ: يا أخا الأنصار! إن أبا عبد النَّعيم أعلم بك منِّي، وسأُعلِمُكَ بعض ما أعلم به. ثم اندفع ونقر بالدُّفّ، وكلُّهم ينقُرُ بِدُفِّهِ معه، فتغنَّى:

صوت

أَتَهجُرُ يا إنسانُ مَن أَنتَ عاشَقُهْ ... وَمَن أَنتَ مُشتاقٌ إِلَيهِ وَشائِقُهْ[1]

وَرِيم أَحَمٍّ المُقلَتَينِ مُوَشَّحٌ ... زَرابِيُّهُ[2] مَبثوثَةٌ وَنَمارِقُهْ

ترى الرَّقمَ[3] والديباج في بيته معاً ... كما زَيَّنَ الروضَ الأنيقَ[4] حدائقُهْ

وسِرب ظباء تَرتَعي جانبَ الحِمى ... إلى الجو فالخبتين بيض عقائقُهْ

وما من حِمًى في الناس إلا لنا حِمًى ... وإلا لنا غَرْبيُّه ومشارقُهْ

[مجزوء الطويل]

فاستضحك عبد الرحمن وقال: اللَّهم غَفْراً، وجلس.

لحنُ الدَّلال في هذه الأبيات هَزَجٌ بالبِنْصر عن يحيى المَكيّ وحَمَّاد.

[استدعاء الخليفة له]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أبي عبد اللَّه الجُمَحيّ عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارِث بن هشام قال: سَمِعْتُ عمي عُتبةَ يقول: حَدَّثني مولى للوليد بن عبد الملك قال: كان الدَّلال ظريفاً جميلاً حسنَ البيان، من أحْضَرِ الناس جواباً وأحجِّهم؛ وكان سليمانُ بن عبد الملك قد رَقَّ له حين خُصِيَ غَلَطاً، فوَّجه إليه مولًى له وقال له: جئني به سِرّاً، وكانت تبلُغه نوادرُهُ وطيبُه، وحذَّرَ رَسولَهُ أن يعلَمَ بذلك أحدٌ. فَنَفَذَ المولى إليه وأعلمه ما أمره به، وأمَرَهُ بالكتمان وحذَّرَهُ أن يَقِفَ على مقصده أحدٌ، ففعل، وخرج به إلى الشام، فلما قَدِمَ أنزله المولى

(١) ورد في بعض المصادر «ووامقه» بدل «وشائقه».

(٢) الزرابي: البسط، كل ما بسط واتكىء عليه.

(٣) فلان يلبس الرقم وهو الوشي. وفي الحديث «وما أنا والدنيا والرقم» ورقم الثوب وغيره: وشاه.

(٤) ورد في بعض المصادر «الاثيث» بدل «الانيق». والأثيث هو العظيم.

مَنْزِلَهُ وأعلم سليمانَ بمكانِهِ؛ فدعا به ليلاً فقال: وَيلَكَ ما خبرُكَ؟ فقال: جُبِبتُ من القُبُل مرَّةً أخرى يا أمير المؤمنين، فهل تريد أن تَجُبَّني المرَّةَ من الدُّبُرِ؟! فَضَحِكَ وقال: اعزُبْ أخزاك اللَّه! ثم قال له: غنِّ؛ فقال: لا أُحسن إلا بالدُّفِ؛ فأمَرَ فأُتِيَ له بدُفّ؛ فغنَّى في شعر العَرْجيّ:

أَفي رَسمِ دارٍ دَمعُكَ المُتَحَدِّرُ ... سَفاهاً وَما ٱستِنطاقُ[1] ما لَيسَ يُخبِرُ
تَغَيَّرَ ذاكَ الرَّبعُ مِن بَعدِ جِدَّةٍ ... وَكُلُّ جَديدٍ مَرَّةً مُتَغَيِّرُ
لِأَسماءَ إِذ قَلبي بِأَسماءَ مُغرَمٌ ... وَما ذِكرُ أَسماءَ الجَميلةِ[2] مُهجَرُ
وَمَمشى ثَلاثٍ بَعدَ هدءٍ[3] كَواعِبٍ ... كَمِثلِ الدُّمى بَل هُنَّ مِن ذاكَ أَنضَرُ
فَسَلَّمْنَ تَسليماً خَفِيّاً وَسَقَّطَتْ ... مَصاعِبةٌ[4] ظُلعٌ مِنَ السَّيرِ حُسَّرُ
لَها أَرَجٌ مِن زاهِرِ البَقلِ وَالثَرى ... وَبُرْدٌ إِذا ما باشَرَ الجِلدَ يَخصَرُ[5]
فَقالَت لِتِربَيها الغَداةَ تَبَقَّيا[6] ... بِعَينٍ وَلا تَستَبعِدا حِينَ أُبصِرُ
وَلا تُظهِرا بُردَيكُما وَعَلَيكُما ... كِساءانِ مِن خَزٍّ بِنَقشٍ وَأَخضَرُ
فَعَدّى فَما هَذا العِتابُ بِنافِعٍ ... هَوايَ وَلا مُرجي الهَوى حِينَ يُقصِرُ

[الطويل]

فقال له سليمان: حقَّ لك يا دَلال أن يُقالَ لك الدَّلال! أحسَنْتَ وأجمَلْتَ! فواللَّه ما أدري أيّ أمرَيْك أعجب: أسُرعةُ جوابك وجودةُ فهمك أم حُسنُ غِنائك، بل جميعاً عَجَب! وأمر له بصلة سَنِيَّة. فأقام عنده شهراً يشرب على غنائه، ثم سرَّحَهُ إلى الحجاز مُكرماً.

[قصته مع شامي من قواد هشام]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال: حَجَّ هشام بن

(١) ورد في بعض المصادر «استخبار» بدل «استنطاق».
(٢) ورد في بعض المصادر «المليحة» بدل «الجميلة».
(٣) الهدء: أتانا فلان وقد هَدَأَتِ الرِّجْلُ، أي بعد ما سكن الناس بالليل، وأتانا وقد هَدَأَتِ العيونُ، وأتانا فلان هُدوءاً، إذا جاء بعد نَوْمَةٍ؛ وبعد هُدْءٍ من الليل، أي بعد هَزيع من الليل؛ وبعد ما هَدَأَ الناس، أي ناموا.
(٤) ورد في بعض المصادر «كما سقطت» بدل «مصاعبة». والمصاعبة جمع مصعب وهو الفحل الذي هُجر، فلم يركب أو لم يمس حتى صار صعباً.
(٥) الخَصَرُ بالتحريك: البَرْدُ. وقد خَصِرَ الرجل، إذا آلَمَهُ البَرْدُ في أطرافه. يقال: خَصِرَتْ يَدي. وخَصِرَ يوْمُنا: اشتدّ برْدُهُ. وماءٌ خَصِرٌ: باردٌ.
(٦) تبقيا بعين أي انتظر بمرأى مني.

عبد الملك، فلما قَدِمَ المدينةَ نَزِلَ رجلٌ من أشراف أهل الشام وقوَّادهم بجنب دار الدَّلال، فكان الشاميّ يسمعُ غناء الدَّلال ويُصغي إليه ويصعد فوق السطح ليقرُبَ من الصوت؛ ثم بعث إلى الدَّلال: إمَّا أن تزورنا وإما أن نزورك؛ فبعث إليه الدَّلال: بل تزورنا، فتهيَّأَ الشاميّ ومضى إليه، وكان للشاميّ غلمانٌ رُوقَةٌ[١]، فمضى معه بغلامين منهم كأنهما دُرَّتان. فغنَّاه الدَّلال:

قَدْ كُنْتُ آمُلُ فيكمُ أملاً ... والمرءُ ليس بِمُدركٍ أملَهْ
حتى بدا لي منكُمُ خُلفٌ ... فَزَجَرْتُ قلبي عن هوًى جَهلَهْ
ليس الفتى بِمُخَلَّدٍ أبداً ... حقاً وليس بفائتٍ أجلَهْ
حيِّ العَمُودَ ومن بعقوته[٢] ... وقَفَا العمودِ وإن جلا أهلُهْ[٣]

[الكامل المرفل]

قال: فاستحسن الشامي غناءه، وقال له: زدني؛ فقال: أو ما يكفيك ما سمعت؟ قال: لا واللَّه ما يَكفيني. قال: فإن لي إليك حاجةً. قال: [و]ما هي؟ قال: تبيعني أحدَ هذين الغلامين أو كليهما؛ قال: اختر أيَّهما شئتَ؛ فاختار أحدَهما. فقال الشاميّ: هو لك؛ فَقَبِلَه الدَّلال، ثم غنَّاه:

دَعَتني دَواعٍ من أُرَيّا فهيّجَتْ ... هوًى كان قِدْماً من فؤادِ طَرُوبِ
لعلّ زَمَاناً قد مضى أن يعود لي ... فَتَغْفِرَ أرْوى عند ذاك ذنوبي
سَبَتْني أُريّا يوم نَعْفَ[٤] مُحَسّرٍ[٥] ... بوجهٍ جميلٍ للقلوب سَلُوبِ

[الطويل]

فقال له الشاميّ: أحسنت! ثم قال له: أيُّها الرجل الجميلُ، إنَّ لي إليك حاجةً؛ قال: وما هي؟ قال: أُريدُ وصيفةً وُلِدَت في حِجْرٍ صالح، ونشأت في خير، جميلةَ الوجه مجدولةً، وضيئةً، جعدةً[٦]، في بياض مشربة حمرةً، حسنة القامة، سَبْطةً[٧]،

---

(١) الرَّوْقُ: الإعجاب، وراقَني: أعجبني فهو رائقٌ وأنا مَرُوقٌ، ومنه الرُّوْقَةُ، وهو ما حسن من الوصائف والوصفاء.

(٢) العقوة: الساحة. (٣) هكذا، ورد في جميع النسخ، ولا يخفى الوهن فيه.

(٤) نزلوا بالنعف وهو المكان المرتفع، والجمع: نعاف. وبدت مناعف الجبال وهي ما عرض من أعاليها وشماريخها. وما أحسن نعفة الدّيك! وهي رعثته. قال:

فيا ليتني ديك لشغبة داجن ... أحمّ الذنابي أحمر النعفات

(٥) محسر: موضع بين مكة وعرفة، وقيل بين منى وعرفة، وقيل بين منى ومزدلفة.

(٦) جعدة: شعرها مجعد. (٧) يقال: غلام سبط الجسم أي حسن القدّ لطيفه.

أَسِيلةَ[١] الخدّ، عَذْبَةَ اللسان، لها شكلٌ ودَلٌّ، تملأ العينَ والنفسَ. فقال له الدَّلال: قد أصبتُها لك، فما لي عليك إن دَلَلْتُك؟ قال: غلامي هذا؛ قال: إذا رأيتَها وقَبِلْتَها فالغلام لي؟ قال: نعم؛ فأتى امرأةً كنَّى عن اسمها، فقال لها: جُعِلْتُ فداك! إنه نَزَلَ بِقُرْبي رجلٌ من أهل الشام من قوَّاد هشام له ظَرْفٌ وسخاء، وجاءني زائراً فأكرمته، ورأيْتُ معه غلامين كأنهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزَّاهِرة، ما وَقَعَتْ عيني على مثلهما ولا يَنْطَلِق لساني بوصفهما، فَوَهَبَ لي أحدَهما والآخرُ عنده؛ وإن لم يصل إليَّ فنفسي خارجةٌ. قالت: فتريد ماذا؟ قال: طُلِبَ منِّي وصيفةً يشتريها على صِفَةٍ لا أعلمها في أحدٍ إلا في فلانة بنتك، فهل لك أن تُرِيها له؟ قالت: وكيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها؟ قال: فإني قد شَرَطْتُ عليه ذلك عند النَّظرِ لا عند البَيْع، قالت: فشأنَكَ ولا يعلم أحدٌ بذلك. فمضى الدَّلال فجاء الشاميُّ معه؛ فلما صار إلى المرأة أدخَلَتْه، فإذا هو بِحَجَلةٍ[٢] وفيها امرأةٌ على سرير مُشرِفٍ بَرْزَةٌ جميلةٌ، فوضع له كرسيٌّ فجلس؛ فقالت له: أمِنَ العرب أنت؟ قال: نعم. قالت: من أيّهم؟ قال: من خُزاعة. قالت: مرحباً بك وأهلاً، أيَّ شيء طَلَبْتَ؟ فوصف الصِّفةَ؛ فقالت: أصبْتَها، وأصغَتْ[٣] إلى جاريةٍ لها فَدَخَلَتْ فمكثت هُنَيهةً ثم خَرَجَت؛ فَنَظَرَتْ إليها المرأة فقالت لها: أي حبيبتي، اخرجي؛ فخرجت وصيفةٌ ما رأى الرَّاؤون مثلها؛ فقالت لها: أقْبِلي فأقبلت، ثم قالت لها أدبِري، فأدبَرَت تملأُ العينَ والنفسَ؛ فما بقي منها شيءٌ إلا وَضَعَ يدَهُ عليه. فقالت: أَتُحِبّ أن نُؤزِّرَها لك؟ قال: نعم؛ قالت: أي حبيبتي ائتَزِري، فضمَّها الإزارُ وظَهَرَتْ محاسنُها الخَفِيَّة، وضرب بيده على عجيزتها وصَدْرها، ثم قالت أتُحِبّ أن نُجرِّدَها لك؟ قال: نعم؛ قالت: أيْ حبيبتي وضِّحي؛ فألقت إزارَها فإذا أحسنُ خَلْق اللَّه كأنَّها سبيكةٌ. فقالت: يا أخا أهلِ الشام كيف رأيْتَ؟ قال مُنْية المتمنِّي؛ قال: بكم تقولين؟ قالت: ليس يومُ النظر يومَ البَيْع، ولكن تعود غداً حتى نُبايعَكَ ولا تنصرف إلا على الرِّضا، فانصرف من عندها؛ فقال له الدَّلال: أرَضيتَ؟ قال: نعم، ما كُنْتُ أحسَب أن مثل هذه في الدنيا؛ فإنَّ الصفةَ لتَقْصُر دونها؛ ثم دفع إليه الغلامَ الثاني. فلما كان من الغدِ قال له الشاميّ: امضِ بنا، فمضيا حتى قرعا الباب؛ فَأُذِنَ لهما، فدخلا وسلَّماً، ورحَّبَت المرأةُ بهما، ثم قالت للشاميّ: أعطنا ما تبذُل؛ قال: ما لها عندي ثمنٌ إلا وهي أكبرُ منه، فقولي يا أمَةَ

(١) الأسيل: السهل اللين.
(٢) الحَجَلَةُ بالتحريك: واحدة حِجالِ العروس، وهي بيتٌ يُزَيَّنُ بالثِّياب والأسرَّةِ والسُّتور.
(٣) أصغت: مالت برأسها إليها.

اللَّه؛ فقالت: بل قُل؛ فإنا لم نُوطِئكَ أعقابَنا ونحن نريد خِلافَكَ وأنت لها رِضاً. قال: ثلاثة آلاف دينار؛ فقالت: واللَّه لَقُبْلَةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار؛ قال: بأربعة آلاف دينار؛ قالت: غَفَرَ اللَّه لك! أعطنا أيها الرجل؛ قال: واللَّه ما معي غيرُها ـ ولو كان لزدتُكِ ـ إلا رَقيقٌ ودوابُّ وخُرثيٌّ[1] أحمله إليك؛ قالت: ما أُراك إلا صادقاً، أتدري من هذه؟ قال: تُخْبِريني. قالت: هذه ابنتي فلانةُ بنت فلان، وأنا فلانة بنت فلان، وقد كنت أردْتُ أن أعرِضَ عليك وصيفةً عندي، فَأَحْبَبْتُ إذا رأيت غداً غِلَظ أهلِ الشام وجفاءهم، ذكرتَ ابنتي فَعَلِمَتَ أنكم في غير شيء، قُمْ راشداً. فقال للدَّلال: خدعتَني! قال: أو لا تَرْضَى أن ترى ما رأيْتَ من مثلها وتَهب مائةَ غلامٍ مثل غلامك؟ قال: أمَّا هذا فنعم. وخرجا من عندها.

نسبة ما عرفت نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

قد كُنْتُ آمُلُ فيكمُ أمَلاً ... والمرءُ ليس بِمُدرِكٍ أمَلَهْ
حتى بدا لي منكمُ خُلُفٌ ... فَزَجَرْتُ قلبي عن هوًى جَهلَهْ

[الكامل]

الشعر لِلمُغيرة بن عمرو بن عثمان. والغناء للدَّلال، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثَّقيل الأول بالبنصر في مَجراها؛ وجدتُهُ في بعض كتب إسحاقَ بخط يده هكذا. وذَكَرَ عليّ بن يحيى المُنَجِّم أن هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سُرَيج، وأن لحن الدَّلال خفيفُ ثقيلٍ نَشِيد. وذكر أحمد بن المَكِّي أن لحن الدَّلال ثاني ثقيلٍ بالوُسطى، ولحن ابنُ سُرَيج ثقيلٌ أوَّلُ. وفيه لمتيَّمَ وعَرِيبَ خفيفاً ثقيلٍ، المُطلَقُ المُسجَحُ منهما لعَريبَ.

ومنها:

صوت

دَعَتْني دواعٍ من أُرَيّا فهيَّجَتْ ... هوًى كان قِدْماً من فؤادِ طروبِ
سَبَتْنِي أُرَيّا يوم نَعْفِ مُحسِّرٍ ... بوجهٍ صَبيحٍ للقلوبِ سَلُوبِ
لعلَّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي ... وتَغْفِرَ أرْوى عند ذاكَ ذنوبي

[الطويل]

(١) نقلوا خرثي متاعهم وهو سقطه.

الغناء للدَّلال خَفيفُ ثَقيلٍ أول بالوُسطى في مَجراها من رواية حَمَّاد عن أبيه، وذكر يحيى المكِّي أنه لابن سُرَيج.

[غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته]

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن أبي قَبيصة قال: جاء الدَّلال يوماً إلى منزل نائلةَ بنت عَمَّار الكَلْبيّ، وكانت عند معاوية فطلَّقَها، فَقَرَعَ البابَ فلم يُفْتَحْ له؛ فغنى في شعر مجنون بني عامرٍ ونَقَرَ بدُفِّه:

خَليلَيَّ لا وَاللَّهِ لا أَملِكُ البُكا ... إِذا عَلَمٌ مِن أرض لَيلى بَدا لِيا
خَليلَيَّ إِن بانوا بِلَيلى فهيِّئا ... ليَ النَّعشَ والأكفان واستغفِرا لِيا

[الطويل]

فخرج حشَمُها فزجروه وقالوا: تَنَحَّ عن الباب. وسَمِعَتِ الجَلبَةَ، فقالت: ما هذه الضَّجَّة بالباب؟ فقالوا: الدَّلال. فقالت: ائذنوا له. فلما دَخَلَ عليها شَقَّ ثيابَهُ وطَرَحَ التُّرابَ على رأسه وصاحَ بوَيله وحَربِه؛ فقالت له: الوَيْلُ ويلُك! ما دهاك؟ وما أمرُك؟ قال: ضَرَبَني حَشَمُكِ؛ قالت: وَلِمَ؟ قال: غَنَّيتُ صوتاً أُريد أن أُسمِعَكِ إياه لأدخُلَ إليك؛ فقالت: أُفٍّ لهم وتُفٍ! نحن نبلغ لك ما تحبّ ونُحْسِنُ تأديبَهم؛ يا جارية هاتي ثياباً مقطوعةً؛ فلما طُرِحت عليه جَلَسَ؛ فقالت: ما حاجتك؟ قال: لا أسألكِ حاجةً حتى أغنِّيك. قالت: فذاك إليك؛ فاندفع يغنِّي شعرَ جميل:

إِرحَميني فَقَد بَليتُ فَحَسبي ... بَعضُ ذا الداءِ يا بُثَينَةُ حَسبي
لامَني فيكِ يا بُثَينَةُ صَحْبي ... لا تَلوموا قَد أَقرَحَ الحُبُّ قَلبي
زَعَمَ الناسُ أَنَّ دائيَ طِبّي ... أَنتِ وَاللَّهِ يا بُثَينَةُ طِبّي

[الخفيف]

ثم جلس فقال: هل من طعام؟ قالت: عليَّ بالمائدة؛ فأُتِيَ بها كأنها كانت مُهيأةً عليها أنواعُ الأطعمة، فأكل، ثم قال: هل من شرابٍ؟ قالت: أمَّا نبيذٌ فلا، ولكن غيرُه. فأُتِيَ بأنواع الأشربة، فَشَرِبَ من جميعها. ثم قال: هل من فاكهة؟ فأُتِيَ بأنواع الفواكه فتفكَّه، ثم قال: حاجتي خمسةُ آلاف درهم، وخمس حللٍ من حلل معاويةَ، وخمسُ حلل من حلل حبيب بن مَسلَمة، وخمسٌ حلل من حلل النُّعمان بن بَشير؛ فقالت: وما أردتَ بهذا؟ قال: هو ذاك، واللَّه ما أرضى ببعضٍ دون بعضٍ، فإما الحاجة وإما الردّ؛ فَدَعَتْ له بما سأل، فَقَبَضَهُ وقام. فلما توسَّطَ الدار غنَّى ونَقَرَ بدُفّه:

لَيتَ شِعري أَجَفوَةٌ أَم دَلالٌ ... أَم عَدُوٌّ أَتى بُثَينَةَ بَعدي

فَمُريني أُطِعكِ في كُلِّ أَمرٍ أَنتِ وَاللَّهِ أَوجَهُ الناسِ عِندي

[الخفيف]

وكانت نائِلةُ عند معاويةَ، فقال لفاخِتَةَ بنتِ قَرَظَةَ: اذهبي فانظري إليها، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ إليها، فقالت له: ما رأيْتُ مثلَها، ولكنِّي رَأَيْتُ تحت سُرَّتها خالاً ليُوضَعَنّ منه رأسُ زوجها في حجرها؛ فطلقها معاوية؛ فتزوَّجَها بعده رجلان: أحدهما حبيبُ بن مَسْلَمة، والآخر النُّعمان بن بَشير؛ فَقُتِلَ أحدُهما فَوُضِعَ رأسُهُ في حجرها.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

خَليلَيَّ لا وَاللَّهِ لا أَملِكُ البُكا إِذا عَلَمٌ مِن أرض لَيلى بَدا لِيا

خَليلَيَّ إِن بانوا بِلَيلى فَهيِّئا لِيَ النَّعشَ وَالأَكفانَ وَٱستَغفِرا لِيا

أَمَضروبَةٌ لَيلى عَلى أَن أَزورَها وَمُتَخِذٌ ذنباً عَلى أَن تَرانِيا

خَليليّ لا واللَّه ما أملِكُ الذي قَضَى اللَّه في ليلى ولا ما قضى ليا

قَضاها لغيري وابتلاني بِحُبِها فهلّا بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانِيا

[الطويل]

الشعر للمجنون. والغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر الهشاميّ أن فيه لحناً لِمَعْبَد ثقيلاً أول لا يشك فيه؛ قال: وقد قال قوم: إنَّه منحول يحيى المكيّ. وفيه لإبراهيم خَفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ أيضاً. وفيه ليحيى المكي رَمَلٌ من رواية ابنه أحمد. وفيه خفيفُ رَمَلٍ عن أحمد بن عُبيد لا يُعرف صانعه.

ومنها:

صوت

لَيتَ شِعري أَجَفوَةٌ أَم دَلالٌ أَم عَدُوٌّ أَتى بُثَينَةَ بَعدي

فَمُريني أُطِعكِ في كُلِّ أَمرٍ أَنتِ وَاللَّهِ أَوجَهُ الناسِ عِندي

[الخفيف]

الشعر لِجَميل. والغناءُ لابن مُحرز خفيفُ ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لعَلَّوَيْه خفيفُ ثقيلٍ آخر. وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيف ثقيلٍ

بالوُسطى لِمَعبد. وذكر إسحاق أن فيه رملاً بالبنصر في مجراها ولم ينسبه إلى أحد، وذكر الهشاميّ أنه لمالك. وفيه لِمتَّيم خفيفُ رَمَل. وفيه لعريبَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر. وذكر حَبَشٌ أن فيه للغريض ثقيلاً أوَّل بالبنصر. ولمعبد فيه ثقيلٌ أوَّل بالوُسطى. وذكر ابنُ المكيّ أن فيه خفيفَ ثقيلٍ لمالك وعَلَّوَيْهِ.

[غنى في زفاف ابنة عبد اللَّه بن جعفر]

أخبرني الحُسينُ بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن عَوانة بن الحكم قال: لما أراد عبد اللَّه بن جعفر إهداء[1] بنته إلى الحجَّاج، كان ابنُ أبي عَتيق عنده، فجاءه الدَّلال مُتَعَرِّضاً فاستأذن. فقال له ابنُ جعفر: لقد جِئْتَنا يا دَلَّالُ في وقت حاجتنا إليك؛ قال: ذلك قَصَدْتُ؛ فقال له ابنُ أبي عَتيق: غَنِّنا؛ فقال ابن جعفر: ليس وقت ذلك، نحن في شغل عن هذا؛ فقال ابنُ أبي عَتيق: وربِّ الكعبة لِيُغَنينّ؛ فقال له ابنُ جعفر: هاتِ، فغنَّى ونقر بالدُّفِ ـ والهوادجُ والرَّواحل قد هُيِئَت، وصُيِّرت بنت ابنِ جعفر فيها مع جواريها والمشيِّعين لها ـ:

يا صاح لو كنت عالماً خبراً ... بما يلاقي المحبُّ لم تَلُمُهْ
لا ذنبَ لي في مُقَرَّطٍ[2] حسنٍ ... أعجبني دَلُّه ومُبتَسَمُهْ
شيمتُهُ البخلُ والبِعادُ لنا ... يا حبَّذا هُوْ وحَبَّذا شِيَمُهْ
مُضَمَّخٌ بالعَبيرِ عارِضُهُ ... طُوبى لمن شمه ومن لَثَمُهْ

[المنسرح]

ـ قال: ولابن مُحرز في هذا الشعر لحنٌ أجود من لحن الدَّلال ـ فَطُرِبَ ابن جعفر وابنُ أبي عَتيق. وقال له ابن جعفر: زِدني وطرِّب؛ فأعاد اللّحن ثلاثاً ثم غنَّى:

بكر العواذلُ في الصبا ... حِ يَلُمْنَنِي وألومُهُنَّهْ
ويَقُلْن شيبٌ قد علا ... كَ وقد كَبِرتَ فَقُلْتُ إنَّهْ

[مجزوء الكامل]

ومَضَتْ بنت ابن الجعفر، فاتَّبعها يُغنِّيها بهذا الشعر ـ ولعبد آل الهُذَليّ فيه لحنٌ وهو أحسنُها:

إنَّ الخليطَ أَجَدَّ فَٱحتَمَلا ... وَأَرادَ غَيظَكَ بِالَّذي فَعَلا

---

(١) أهدى إلى الحرم هدياً وهديّاً: وهدى العروس إلى زوجها هداءً وأهداها إليه، لغة تميم هديتها بمعنى دللتها، ولغة قيس أهديتها: جعلتها هديّة.

(٢) المقرّط: المتحلي بالقرط.

فوقفتُ أنظرُ بعض شأنهِمُ[١] وَالنَّفسُ مِمّا تَأمُلُ الأَمَلا
فَإِذا البِغالُ تُشَدُّ[٢] صافنةً[٣] وَإِذا الحُداةُ قَد ٱزمعوا الرِّحَلا
فَهُناكَ كادَ الشوقُ يَقتُلُني لَو كانَ شوقاً قَبلَهُ قَتَلا

[الكامل]

فَدَمِعَت عينا عبد اللَّه بن جعفر، وقال الدلَّال: حسبك! فقد أوجعتَ قلبي! وقال لهم: امضوا في حفظ اللَّه على خير طائر وأيمن نَقيبة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بَكَرَ العواذلُ في الصباحِ يَلُمْنَنِي وألومُهُنَّهْ
ويَقُلْن شيبٌ قد علاك وقد كَبِرتَ فَقُلْتُ إنَّهْ
لا بُدَّ من شيبٍ فَدَعنَ ولا تُطِلْنَ مَلامَكُنَّهْ
يَمْشين كالبقر الثقال عمدن نحو مُراجِهنَّهْ[٤]
يَحفَيْن في المَمْشى القريبِ إذا يُرِدن صديقَهُنَّهْ

[مجزوء الكامل]

الشعر لابن قيس الرُّقيَّات. والغناء لابنَ مِسجح خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ثقيلٌ أوَّل للغريض عن الهِشاميّ. وفيه خفيف ثقيلٍ آخر بالوسطى ليعقوب بن هَبَّار عن الهِشاميّ ودَنانيرَ، وذكر حَبشٌ أنه ليعقوب.

ومنها:

صوت

إِنَّ الخَليطَ أَجَدَّ فَٱحتَمَلا وَأَرادَ غَيظَكَ بِالَّذي فَعَلا

[الكامل]

---

(١) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:
قَد كُنتُ آمُلُ طولَ مَكثِهِمُ

(٢) تشدّ: تهيأ على الرحال.

(٣) الصافن من الخيل ونحوه: القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.

(٤) المراح: مأوى الإبل والبقر والغنم.

الأبيات الأربعة[١].

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض ثقيلٌ أوَّل بالسبابة عن يحيى المكيّ. وفيه ليحيى أيضاً ثقيلٌ أوَّل بالوُسطى من رواية أحمدَ ابنه، وذكر حبشٌ أن هذا اللحن لبَسباسَة بنت معبدٍ.

[سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له]

أخبرني الحُسينُ عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفصٍ الثَّقفيّ قال: كان للدَّلال صوتٌ يُغنِّي به ويُجيده، وكان عمر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائةَ دينار ففعل، وهو قول عمر:

صوت

أَلَـم تَـسـأَلِ الأَطـلالَ وَالـمُـتَـرَبَّـعـا ... بِـبَـطـنِ حُـلَـيّـاتٍ دَوارِسَ بَـلـقَـعـا
إِلى السَّرحِ[٢] مِن وادي الـمُغَمَّسِ بُدِّلَت ... مَـعـالِـمُـهُ وَبـلاً وَنَـكـبـاءَ زَعـزَعـا
وَقَـرَّبـنَ أَسـبـابَ الـهَـوى لِـمُـتَـيَّـمٍ ... يَـقـيـسُ ذِراعـاً كُـلَّـمـا قِـسـنَ إِصـبَـعـا
فَـقُـلـتُ لِـمُـطـريـهِـنَّ في الـحُسنِ[٣] إِنَّـمـا ... ضَـرَرتَ فَـهَـل تَـسـطـيـعُ نَـفـعـاً فَـتَـنـفَـعـا

[الطويل]

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض فيه لحنان: أحدهما في الأوَّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، والآخرُ في الثالث والرابع ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وفي هذين البيتين الآخرين لابن سُرَيج ثقيلٌ أوَّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفي الأوَّل والثاني للهُذَلي خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بالوُسطى عن عمرو. وفيهما لابن جامع رَملٌ بالوسطى عنه أيضاً. وقال يونس: لمالكٍ فيه لحنانِ، ولمعبد لحنٌ واحد.

---

(١) يقصد الأبيات التالية:

قَـد كُـنـتُ آمُـلُ طـولَ مَـكـثِـهِـمُ ... وَالـنَّـفـسُ مِـمّـا تَـأمُـلُ الأَمَـلا
فَـإِذا الـبِـغـالُ تُـشَـدُّ واقِـفَـةً ... وَإِذا الـحُـداةُ قَـدِ اعـتَـبـوا الإِبِـلا
فَـهُـنـاكَ كـادَ الـحُـبُّ يَـقـتُـلُـنـي ... لَـو كـانَ حُـبٌّ قَـبـلَـهُ قَـتَـلا
إِنَّ الَّـذيـنَ رَجَـوتُ مُـكـثَـهُـمُ ... قَـد أَجـمَـعـوا لِـلـبَـيـنِ مُـحـتَـمَـلا

(٢) ورد في بعض المصادر «الشلرى» بدل «السرح».

(٣) ورد في بعض المصادر «ويحك» بدل «في الحسن».

[روى هشام بن المرية عن جرير صوتين له]

أخبرني الحُسينُ عن حمَّاد عن أبيه قال: حَدَّثني هِشام بن المُرِّيَّة قال: كُنَّا نَعْرِفُ للدَّلال صوتين عجيبين، وكان جريرٌ يُغَنِّي بهما فأعجبُ من حسنهما. فأخذتُهما عنه وأنا أُغنِّي بهما؛ فأمَّا أحدُهما فإنه يُفْرِحُ القلبَ، والآخر يُرقِصُ كلَّ من سمعه؛ فأمَّا الذي يُفْرِحُ القلب فلابن سُرَيج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو:

وَلَقَد جَرى لَكَ يَومَ سَرحَةِ مالكٍ[1] فيما تَعيَّفُ سانِحٌ وَبَريحُ
أَحوى القَوادِمِ بِالبَياضِ مُلَمَّعٌ قَلِقُ المَواقِعِ بِالفِراقِ يَصيحُ
أَلحُبُّ أَبغَضُهُ إِلَيَّ أَقَلُّهُ صَرِّح بِذاكَ فَراحَتي التَّصريحُ
بانَت عُويمةُ[2] فَالفُؤادُ قَريحُ وَدُموعُ عَيني في الرِّداءِ سُفوحُ

[الكامل]

والآخر:

كلما أبصَرْتُ وجهاً حسناً قُلْتُ خليلي
فإذا ما لم يَكُنْهُ صِحْتُ ويلي وعَويلي
فصِلي حبلَ مُحِبٍّ لكُمُ جِدٌّ وُصُولِ
وانظُري لا تخذُليه إنه غيرُ خَذولِ

[مجزوء الرمل]

نسبة هذين الصوتين

للدَّلال في الشعر الأوَّل الذي أوَّله:

وَلَقَد جَرى لَكَ يَومَ سَرحَةِ مالكٍ

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوَّل عن الهشاميّ. وقال حَبشٌ: إنَّ للدَّلال فيه لحنين: خفيفَ ثقيلٍ أوَّل وخفيفَ رملٍ. وأوَّلُ خفيف الرَّمل:

بانَت عُويمةُ فَالفُؤادُ قَريحُ

وذكر أن لحن ابن سُرَيج ثاني ثقيلٍ، وأن لابن مِسجح فيه أيضاً خفيفَ ثقيلٍ.

(١) ورد في بعض المصادر «يوم حَزم سُوَيقَةٍ» بدل «يوم سرحة مالك».
(٢) ورد في بعض المصادر «سليمى» بدل «عويمة».

والصوت الثاني الذي أوَّله:

كـلـمـا أبـصَـرْتُ وجـهـاً حـسـنـاً قُـلْـتُ خـلـيـلـي

[مجزوء الرمل]

الغناء فيه لعَطَرَّد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش، ويُقالُ إنَّه للدَّلال. وفيه ليونس خفيفُ رَمَلٍ، وفيه لإبراهيمَ الموصليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو.

[شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر]

أخبرني الحُسينُ عن حمَّاد عن أبيه عن مُصعب بن عبد اللَّه الزُّبيريّ قال: كان الدَّلال لا يشربُ النبيذَ، فَخَرَجَ مع قوم إلى متنزهٍ لهم ومعهم نَبيذٌ، فَشَرِبوا ولم يشرب منه، وسَقَوه عسلاً مجدوحاً[1]، وكانَ كُلَّما تغافل صَيَّروا في شَرابِهِ النبيذَ فلا يُنكره، وكَثُر ذلك حتى سكر وطرب، وقال: اسقُوني من شَرابِكُم، فسقَوه حتى ثمل، وغناهم في شعر الأحوص:

طـافَ الـخَـيـالُ وَطـافَ الـهَـمُّ فـاعـتَـكَـرا عِـنـدَ الـفِـراشِ فَـبـاتَ الـهَـمُّ مُـحـتَـضِـرا
أُراقِـبُ الـنَّـجـمَ كـالـحَـيـرانِ مُـرتَـقِـبـاً وَقَـلَّـصَ الـنَّـومُ عَـن عَـيـنـيَّ فـانـشَـمَـرا
مِـن لَـوعَـةٍ أَورَثَـتْ قَـرحـاً عَـلـى كَـبِـدي يَـومـاً فَـأَصـبَـحَ مِـنـهـا الـقَـلـبُ مُـنـفَـطِـرا
وَمَـن يَـبِـتْ مُـضـمِـراً هَـمّـاً كَـمـا ضَـمِـنَـتْ مِـنّـي الـضُّـلـوعُ يَـبِـتْ مُـسـتَـبـطِـنـاً غـيَـرا

[البسيط]

فاستحسنه القومُ وطربوا وشربوا. ثم غنَّاهم:

طَـرِبْـتَ وهـاجـك مـن تَـدَّكِـرْ ومـن لـسـتَ مـن حُـبِّـهِ تَـعـتَـذِرْ
فـإنْ نِـلْـتُ مـنـهـا الـذي أرتـجـي فـذاك لـعـمـري الـذي أنـتَـظِـرْ
وإلا صَـبَـرتُ فـلا مُـفـحِـشـاً عـلـيـهـا بِـسـوءٍ ولا مُـبْـتَـهِـرْ

[المتقارب]

ـ لحن الدَّلال في هذا الشعر خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن حبش. قال: وذكر قوم أنه للغريض ـ.

قال: وسَكِرَ حتى خَلَعَ ثيابَهُ ونام عُرياناً، فغطاه القومُ بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فنوَّموه وانصرفوا عنه. فأصبح وقد تقيَّأَ ولَوَّثَ ثيابَهُ بقيْئِهِ، فأنكر نفسَهُ، وحلف ألاَّ

(١) المجدوح: جدح السويق واللبن بالمجدح وهو عود في رأسه عودان معترضان يخاض به حتى يختلط.

يُغَنِّي أبداً ولا يُعاشِرَ من يشرب النبيذ؛ فوَّفى بذلك إلى أن مات. وكان يجالس المشيَخةَ والأشراف فيُفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه.

إنقضت أخبار الدَّلال.

ومما في شعر الأحوص من المائة المختارة

صـــوت

من المائة المختارة

يـا ديـنَ[1] قَـلـبِـكَ مِـنـهـا لَـسـتَ ذاكِـرَهـا ... إلاّ تَـرَقـرَقَ مـاءُ الـعَـيـنِ أَو دَمـعـا

أَدعـو إِلـى هَـجـرِهـا قَـلـبـي فَـيَـتـبَـعُـنـي ... حَـتّـى إِذا قُـلـتُ هَـذا صَـادِقٌ نَـزعـا

لا أَسـتَـطـيـعُ نُـزوعـاً عَـن مَـحَـبَّـتِـهـا ... أَو يَـصـنَـعَ الـحُـبُّ بـي فَـوقَ الَّـذي صَـنَـعـا

كَـم مِـن دَنِـيٍّ[2] لَـهـا قَـد صِـرتُ أَتـبَـعُـهُ ... وَلَـو سَـلا الـقَـلـبُ عَـنـهـا صـارَ لـي تَـبَـعـا

وَزادَنـي كَـلَـفـاً فـي الـحُـبِّ أَن مُـنِـعَـتْ ... وَحَـبُّ شَـيـءٍ إِلـى الإِنـسـانِ مـا مُـنِـعـا

[البسيط]

الشعرُ للأحوص. والغناء ليحيى بن واصلٍ المكيّ، وهو رجلٌ قليلُ الصَّنعة غير مشهور، ولا وَجَدْتُ له خَبَراً فأذكره. ولحنه المختار ثقيلٌ أوَّلُ بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر يونس أنَّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنِّسه.

[محبوبة الأحوص في كبرها]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثنا مطرَف ابن عبد اللَّه المدنيّ قال: حَدَّثني أبي عن جدِّي قال: بينا أطوف بالبيت ومعي أبي، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها الآخر، فقال لي أبي: أتعرف هذه؟ قلت: لا، ومن هي؟ قال: هذه التي يقول فيها الأحوص:

يـا سَـلـمُ لَـيـتَ لِـسـانـاً تَـنـطِـقـيـنَ بِـهِ ... قَـبـلَ الَّـذي نـالَـنـي مِـن حُـبِّـكُـم قُـطِـعـا

يَـلـومُـنـي فـيـكِ أَقـوامٌ أُجـالِـسُـهُـم ... فَـمـا أُبـالـي أَطـارَ الـلَّـومُ أَم وَقَـعـا

(١) الدين: الداء.

(٢) هو دنيء من الأدنياء وهو الرقيق الخلق الحقير. وأتى بالدنية وبالدنايا، وقد دنؤ دناءة. وتقول: أهل الدناءة، هم أهل الشناءة.

أَدعـو إِلـى هَـجـرِهـا قَـلـبـي فَـيَـتـبَـعُـنـي حَـتّـى إِذا قُـلـتُ هَـذا صَـادِقٌ نَـزعـا
[البسيط]

قال: فقلت له: يا أبتِ، ما أرى أنه كان في هذه خيرٌ قَطُّ. فَضَحِكَ ثم قال: يا بُنيّ هكذا يصنعُ الدهرُ بأهله.

حدَّثنا به وكيع قال: حَدَّثنا ابن أبي سَعد قال: حَدَّثنا إبراهيم بن المُنذر قال: حَدَّثنا أبو خُويَلد مطرِّف بن عبد اللَّه المدنيّ عن أبيه، ولم يقل عن جدِّه، وذكر الخبر مثل الذي قبله.

صوت

من المائة المختارة

كَـالـبَـيـضِ بِـالأُدحِـيِّ يَـلـمَـعُ فـي الـضُّـحـى فَـالـحُـسـنُ حُـسـنٌ وَالـنَّـعـيـمُ نَـعـيـمُ
حُـلّـيـنَ مـن دُرِّ الـبُـحـورِ كَـأَنَّـهُ فَـوقَ الـنُّـحـورِ إِذا يَـلـوحُ نُـجـومُ
[الكامل]

الأَدْحيّ: المواضع التي يبيض فيها النَّعام، واحدتها أُدْحِيَّة وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ أن الأدحيَ البَيْضُ نفسه. ويُقال فيه أدحيٌّ وأداحٍ أيضاً.

الشعرُ لِطُرَيح بن إسماعيلَ الثَّقَفيّ. والغناء لأبي سعيد مولى فائد، ولحنُهُ المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتر في مجرى الوسطى عن إسحاقَ. وفيه للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ من رواية الهِشاميّ. وقد سمعنا من يُغَنِّي فيه لحناً من خَفيف الرَّمل، ولست أعرفُ لمن هو.

ذكر طريح وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو ـ فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيد عن عمه ابن الكلبيّ في كتاب النسبِ إجازةً، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبي أيّوب المدينيّ عن ابن عائشة ومحمد بن سَلاَّم ومُصعب الزُّبيريّ، قال: ـ طُرَيح بن إسماعيل بن عُبَيد بن أَسِيد بن عِلاج بن أبي سَلمة بن عبد العُزّى بن عَنزَةَ بن عَوْف بن قَسيّ ـ وهو ثَقيف ـ بن مُنبِّه [بن بكر] بن هَوازِن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر.

[الخلاف في نسبه]

قال ابنُ الكلبيّ: ومن النسَّابين من يذكر أن ثَقيفاً هو قَسيّ بن مُنبِّه بن النَّبيت ابن منصور بن يَقدُم بن أفصى بن دُعميّ بن إياد بن نِزار. ويُقال: إنَّ ثقيفاً كان عبداً لأبي رِغال، وكان أصلُهُ من قوم نجوا من ثَمودَ، فانتمى بعد ذلك إلى قيس. ورُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه تعالى عنه وكرَّم وجهه: أنه مرَّ بثقيف، فتغامزوا به؛ فَرَجَعَ إليهم فقال لهم: يا عبيد أبي رِغال، إنما كان أبوكم عبداً له فَهَرَبَ منه، فَثَقِفَهُ[1] بعد ذلك، ثم انتمى إلى قيس.

وقال الحَجَّاجُ في خطبة خَطَبَها بالكوفة: بلغني أنكم تقولون إنَّ ثقيفاً من بقيَّة ثمود، وَيلكم! وهل نجا من ثمود إلا خِيارُهُم ومن آمن بصالح فبقيَ معه عليه السلام! ثم قال: قال اللَّه تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم: ٥١]. فبلغ ذلك الحسنَ البصريّ: فتضاحَكَ ثم قال: حَكَمَ لَكَعُ لنفسه، إنما قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ أي لم يُبْقِهم بل أهلكهم. فَرُفِعَ ذلك إلى الحَجَّاج فَطَلَبَهُ، فتوارى عنه حتى هَلَكَ الحَجَّاج. وهذا كان سببَ تواريه منه. ذكر ابن الكلبيّ أنه بلغه عن الحسن.

---

(١) ثَقِفَهُ ثَقْفاً، كسَمِعَهُ سَمْعاً: صَادَفَهُ، نَقَلَهُ الجَوْهَرِيُّ، وأَنْشَد وهو لِعَمْرٍو ذي الكَلْبِ:

فَإِمَّا تَثْقَفُونِي فَاقْتُلُونِي ... فَإِنْ أَثْقَفْ فَسَوفَ تَرَوْنَ بَالِي

أَو ثَقِفَهُ في مَوْضِعِ كذا: أَخَذَهُ، قَالَه اللَّيْثُ، أَو ظَفِرَ به، قاله ابنُ دُرَيْدٍ، أَو أَدْرَكَهُ قالَهُ ابنُ فَارِسٍ، زاد الرَّاغِبُ: بِبَصَرِهِ لِحِذْقٍ في النَّظَرِ، ثم قد يُتَجَوَّزُ به فيُسْتَعْمَلُ في الإِدْرَاكِ وإِن لم يكن معه ثَقَافَةٌ.

وكان حمَّادُ الراويةُ يذكر أن أبا رِغالٍ أبو ثقيف كُلِّها، وأنه من بقيَّة ثمود، وأنه كان ملكاً بالطائف، فكان يَظْلِمُ رعيَّتَهُ. فمرَّ بامرأةٍ تُرضِعُ صبيّاً يتيماً بلبَن عَنْزٍ لها، فأخذها منها، وكانت سنة مُجدِبة؛ فبقي الصبيّ بلا مُرضعة[١] فمات، فرماه اللَّه بقارِعةٍ فأهلكه، فَرَجَمَتِ العربُ قَبْرَهُ، وهو بين مكة والطائف. وقيل: بل كان قائد الفيل ودليلَ الحَبَشة لما غَزَوُا الكعبة، فَهَلَكَ فيمن هلَكَ منهم، فَدُفِنَ بين مكة والطائف؛ فَمَرَّ النبيّ ﷺ بقبره، فأمر برجمه فَرُجِمَ؛ فكان ذلك سُنَّةً.

قال ابن الكَلْبيّ وأخبرني أبي عن أبي صالح[٢] عن ابن عباس قال: كان ثقيفٌ والنَّخَع من إياد، فثقيف قُسِيّ بن مُنَبِّه بن النَّبيت بن يَقدُم بن أفْصى بن دُعْمِيّ بن إياد. والنَّخَّع بن عمرو بن الطُّمنان بن عبد مَناة بن يَقدُم بن أفصى[٣]، فخرجا ومعهما عنزٌ لهما لَبُونٌ يشربان لبنَها، فَعَرَضَ لهما مُصَدِّقٌ[٤] لملك اليمن فأراد أخذَها؛ فقالا له: إنَّما نعيش بدَرِّها؛ فأبى أن يَدعَها؛ فرماه أحدُهما فقتله. ثم قال لصاحبه: إنَّه لا يحملني وإيَّاك أرض. فأما النَّخَعُ فمضى إلى بيشة[٥] فأقام بها ونَزَلَ القَسِيُّ موضعاً قريباً من الطائف؛ فرأى جاريةً ترعى غنماً لعامر بن الظَّرِب العَدوانيّ، فَطَمِعَ فيها، وقال: أقتُل الجارية ثم أَحوِي الغَنَمَ. فأنكرت الجاريةُ منظرَهُ، فقالت له: إني أراك

(١) أَرْضَعَتْهُ أمُّهُ، وامرأةٌ مُرْضِعٌ، أي لها ولد تُرْضِعُهُ، فإن وصفتها بإرضاع الولد قلت مُرْضِعَةٌ. والرَّضوعَةُ: الشاةُ التي تُرْضِعُ. ويقال رَضاعٌ ورِضاعٌ، لغتان. والراضِعَتانِ: ثَنِيَّتا الصبيِّ اللتان يشرب عليهما اللبن. يقال: سقطتْ رَواضِعُهُ. وقولهم: لئيمٌ راضعٌ، أصله زعموا رجلٌ كان يَرْضَعُ إبله وغنمه ولا يحلُبها لئلا يُسْمَعَ صوتُ الشَّخْبِ فيُطْلَبَ منه. ثم قالوا رَضُعَ الرجلُ بالضم يَرْضُعُ رَضاعَةً، كأنه كالشيء يُطْبَعُ عليه. وتقول: هذا أخي من الرَّضاعةِ بالفتح، وهذا رَضيعِي كما تقول: أكيلي ورَسيلي. وراضَعَ فلانٌ ابنَه، أي دفعَه إلى الظئر.

(٢) هو أبو صالح مولى أم هانىء بنت أبي طالب ويقال له باذان أو باذام، وهو الذي يروي عنه ابن الكلبي ويروي عن ابن عباس.

(٣) النخع هو جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج.

(٤) في حديث الزكاة: لا تُؤْخَذُ في الصَّدَقةِ هَرِمةٌ ولا تَيْسٌ إلَّا أَن يشاءَ المُصَدِّقُ؛ رواه أَبو عبيد بفتح الدال والتشديد، يُريد صاحبَ الماشية الذي أُخذت صَدقةُ ماله، وخالَفه عامة الرُّواة فقالوا بكسر الدال، وهو عامل الزكاة الذي يستوفيها من أَربابها، صَدَّقَهم يُصَدِّقُهم، فهو مُصَدِّقٌ؛ وقال أَبو موسى: الرواية بتشديد الصاد والدال معاً وكسر الدال، وهو صاحب المال، وأَصله المُتَصَدِّق فأُدغمت التاء في الصاد، والاستثناءُ من التَّيْسِ خاصة، فإنَّ الهَرِمة وذات العُوَّار لا يجوز أَخذها في الصدقة إلَّا أَن يكون المال كله كذلك عند بعضهم، وهذا إنما يتجه إذا كان الغرض من الحديث النهي عن أَخذ التيس لأَنه فحل المَعَز، وقد نهي عن أَخذ الفحل في الصدقة لأَنه مُضِرٌّ برَبِّ المال لأَنه يَعِزُّ عليه إلَّا أَن يسمح به فيؤْخذ.

(٥) بيشة: وادي يصب في اليمن.

تُريدُ قتلي وأخذ الغنم، وهذا شيءٌ إن فعلتَهُ قُتلت وأخذتِ الغنمُ منك، وأظنُّك غريباً جائعاً، فدلَّتْه على مولاها؛ فأتاه واستجار به فزوَّجَهُ بنتَهُ، وأقام بالطائف. فقيل: للَّه درَّه ما أثقفه حين ثَقِف عامراً فأجاره. وكان قد مرَّ بيهودية بوادي القرى[١] حين قُتل المُصَدِّق، فأعطته قُضبانَ كَرْم فَغَرَسها بالطائف فأطعمتْهُ و نفعتْهُ.

قال ابن الكَلْبيّ في خبرٍ طويلٍ ذكره: كان قَسِيٌّ مُقيماً باليمن، فضاق عليه موضعُهُ ونبا به، فأتى الطائفَ ـ وهو يومئذ مَنازلُ فَهْم وعَدْوان ابني عمرو بن قَيْس ابن عيلان ـ فانتهى إلى الظَّرِب العَدْوانيّ، وهو أبو عامرٍ بن الظَّرِب؛ فوجده نائماً تحت شجرة، فأيقظه، وقال: من أنت؟ قال: أنا الظَّرِب، قال: علي أليَّةٌ إن لم أقتُلْك أو تُحالِفني وتُزوِّجَني ابنتك، ففعل، وانصرف الظَّرِبُ وقَسِيٌّ معه، فلقيه ابنُهُ عامر بن الظَّرب، فقال: من هذا معك يا أبتِ؟ فَقَصَّ قِصَّتَه. قال عامرٌ: للَّه أبوه! لقد ثَقِفَ أمرَه؛ فَسُمِّي يومئذٍ ثَقيفاً. قال: وعُيِّرَ الظرب تزويجَهُ قَسِيّاً، وقيل: زَوَّجَتَ عبداً. فسار إلى الكُهَّان يسألهم، فانتهى إلى شِقّ بن مصعب البَجَليّ وكان أقرَبهم منه. فلما انتهى إليه قال: إنا قد جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قَسِيّ، وقَسِيٌّ عبدُ إياد، أبَقَ ليلةَ الواد، في وَجٍّ[٢] ذات الأنداد، فوالى سَعْداً ليُفاد[٣]، ثم لَوَى بغير مَعاد، «يعني سَعد بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر». قال: ثم توَّجَهَ إلى سَطيح الذِّئبيّ، «حيٌّ من غسَّان، ويقال: إنهم حيٌّ من قُضاعة نُزولٌ في غسان»، فقال: إنا جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قَسِيٍّ، وقَسِيٌّ من ولد ثَمودَ القديم، ولدته أُمُّه بصحراء بَرِيم[٤]، فالتقطه إيادٌ وهو عديم، فاستعبده وهو مُليم[٥]. فرجع الظَّرِب وهو لا يدري ما يَصْنَعُ في أمره، وقد وَكَّدَ عليه في الحِلْف والتزويج؛ وكانوا على كفرهم يُوفُون بالقول. فلهذا يقول من قال: إن ثقيفاً من ثمود لأن إياداً من ثمود.

قال: وقد قيل: إن حرباً كانت بين إيادٍ وقيس، وكان رئيسهم عامرَ بن الظَّرب، فظفِرَتْ بهم قيسٌ، فنفتْهُم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزار.

قال: وقال عامر بن الظَّرِب[٦] في ذلك:

---

(١) وادي القرى: موضع بين المدينة والشام فيه كثير من القرى

(٢) وجّ: اسم واد بالطائف.

(٣) ليُفاد: ليطلق.

(٤) بريم: موضع بنجد وواد بالحجاز قرب مكة.

(٥) مليم: فعل ما يلام عليه.

(٦) عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان. شاعر=

قـالَـت إِيـادٌ قَـد رَأَينـا نَـسَـبـا
فـي ٱبـنَـي نـزارٍ وَرَأَينـا غَـلَـبـا
سـيـري إِيـادٌ قَـد رَأَينـا عَـجَـبـا
لا أَصـلُـكُـم مِـنّـا فَـسـامـي الـطَّـلَـبـا
دارَ ثَـمـودٍ إِذ رَأَيـتِ الـسَّـبَـبـا

[الرجز]

قال: وقد روي عن الأعمش أنّ عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه تعالى عنه، قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً: لقد هَمَمْتُ أن أضَعَ على ثقيفٍ الجِزيةَ؛ لأن ثقيفاً كان عبداً لصالح نبيّ اللَّه عليه السلام، وإنه سَرَحَهُ إلى عاملٍ له على الصَّدَقَة، فبعث العامل معه بها، فَهَرَبَ واستوطن الحَرمَ، وإنَّ أولى الناس بصالح محمد صلَّى اللَّه عليهما وسلم، وإني أُشهدكم أني قد رددتهم إلى الرِّقّ.

قال: وبلغنا أنَّ ابن عباس قال، وذُكِرَ عنده ثقيف، فقال: هو قَسِيَّ بن مُنبّه، وكان عبداً لامرأة صالح نبيِّ اللَّه ﷺ، هي الهَيْجُمانة بنت سَعْد، فوهبتْه لصالح، وأنه سَرَّحَهُ إلى عاملٍ له على الصَّدَقة؛ ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما قال عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه؛ وقال فيه: إنَّه مَرَّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أمّه فهو يَرْضَع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرها، فأخذ الشّاةَ؛ فناشده اللَّه، وأعطاه عشراً فأبى، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى. فلما رأى ذلك تَنَّحى، ثم نَثَلَ كنانته[1] فرماه فَفَلَقَ قَلْبَهُ؛ فقيل له: قَتَلتَ رسولَ رسولِ اللَّه صالح. فأتى صالحاً فقصَّ عليه قِصَّتَه؛ فقال: أبعده اللَّه! فقد كُنْتُ أنتظر هذا منه؛ فَرُجِمَ قبرُهُ، فإلى اليوم والليلة يرجم، وهو أبو رغال.

٧قال: وبلغنا عن عبد اللَّه بن عباس أنَّ رسول اللَّه ﷺ حين انصرف من الطائف

= جاهلي قديم، إمام العرب وحكمهم في سوق عكاظ، قاد معداً كلها إلى اليمن يوم البيداء (وهي وقعة بين تهامة واليمن وقيل بين حمير وكلب) فكان واحداً من ثلاثة اجتمعت عليهم معدّ في الجاهلية. تزوج بـ (ماويّة بنت عوف بنت فهر) و(شقيقة بنت معن بن مالك بن باهلة) وهي إحدى أمهات الرسول. وأبرز مآثره لعامر بن الظَّرِب هي الحكم والقضاء فقد كان إمام العرب في مواسمهم وقاضيهم في سوق عكاظ وثمة أحكام له وافقها الإسلام ومنها خلعه لابنته (فعمة) من زوجها عامر بن الحارث. وكان أول خلع في العرب وأول من قضى بأول دية مقدارها مائة ألف من الإبل! وكذلك حكمه في الخنثى. وهو أحد الذين حرّموا الخمر والأزلام في الجاهلية.

(١) نثل كنانته: نثرها. ونثلوا ركيّتهم: حفروها وأخرجوا نثيلتها: نبيثتها. ونثلوا حفرة فلان: حفروا قبره. ونثل الحافر: راث.

مرَّ بقبر أبي رِغال فقال: «هذا قبر أبي رِغال وهو أبو ثقيف كان في الحَرَم فمنعَهُ اللَّه عزَّ وجلَّ، فلما خرجَ منه رماه اللَّه وفيه عمودٌ من ذهب»[١]؛ فابتدره المسلمون فأخرجوه.

قال: ورَوى عمرو بن عُبَيد عن الحسن أنه سُئِلَ عن جُرْهُم: هل بَقِيَ منهم أحدٌ؟ قال: ما أدري، غير أنهم لم يبقَ من ثمود إلا ثَقِيف في قيس عَيْلان، وبنو لَجَأ في طَيِّىء، والطُّفاوة في بني أَعْصُر.

قال عمرو بن عُبَيد وقال الحسن: ذُكِرت القبائلُ عند النبيّ ﷺ، فقال: «قبائلُ تَنْتَمي إلى العرب وليسوا من العرب حِمْيَر من تُبَّع وجُرْهُمٌ من عاد وثقيفٌ من ثمود»[٢].

قال: ورُوِيَ عن قَتادة أن رجلين جاءا إلى عِمرانَ بن حُصَين. فقال لهما: ممن أنتما؟ قالا: من ثَقيف؛ فقال لهما: أتزعمان أنَّ ثقيفاً من إياد؟ قالا: نعم؛ قال: فإن إياداً من ثمود؛ فشقَّ ذلك عليهما؛ فقال لهما: أساءكما قولي؟ قالا: نعم واللَّه؛ قال: فإنَّ اللَّه أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه؛ فأنتم إن شاء اللَّه من ذُرِّية من آمن، وإن كان أبو رِغالٍ قد أتى ما بلغكما. قالا له: فما اسم أبي رِغالٍ؛ فإنَّ الناسَ قد اختلفوا علينا في اسمه؟ قال: قَسِيّ بن مُنَبِّه.

قال: ورَوى الزُّهْريّ أنَّ النبيّ ﷺ قال: «من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يُحبّ ثَقِيفاً، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يُبغِض الأنصار»[٣].

قال: وبَلَغَنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «بنو هاشمٍ والأنصارُ حِلْفان وبنو أُمَيَّة وثَقِيفٌ حِلْفان»[٤].

قال: وفي ثَقيف يقول حسَّان بن ثابت رضي اللَّه تعالى عنه:

إذا الـثَّـقَـفِـيُّ فـاخَـرَكُـم فَـقـولـوا ... هَـلُـمَّ نَـعُـدَّ شَـأنَ أَبـي رِغـالِ
أَبـوكُـم أَخـبـثُ الآبـاءِ قِـدمـاً ... وَأَنـتـم مُـشْـبِـهـوه عَـلـى مِـثـالِ
عـبـيـد الـفِـزْر[٥] أورثـهـم بـنـيـه ... ووَلَّـى عـنـهـم أُخـرى الـلَّـيـالـي[٦]

[الوافر]

---

(١) حديث شريف.
(٢) حديث شريف.
(٣) حديث شريف.
(٤) حديث شريف.
(٥) الفزر: أبو قبيلة من تميم وهو سعد بن زيد مناة بن تميم.
(٦) البيتان وردا في ديوان حسان بن ثابت على الشكل التالي: =

[أم طريح ونسبها]

وأم طُرَيح بنتُ عبد اللَّه بن سِباع بن عبد العُزَّى بن نَضلة بن غُبْشان من خُزاعة، وهم حُلفاءُ بني زَهْرةَ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤيّ، وسِباع بن عبد العُزَّى هو الذي قتله حَمْزة بن عبد المطلب يومَ أُحُد؛ ولما بَرَزَ إليه سِباع قال له حمزة: هَلُمَّ إليَّ يابنَ مُقَطِّعة البُظُور ـ وكانت أُمُّه تفعل ذلك وتَقْبَل[١] نساء قُرَيش بمكة ـ فَحَمِي وَحْشيٌ[٢] لقوله وغَضِبَ لِسباع، فرمى حمزةَ بِحَرْبَتِه فقتله ـ رحمة اللَّه عليه ـ وقد كُتِبَ ذلك في خبر غَزاة أُحُدٍ في بعض هذا الكتاب.

[كنيته]

ويُكنى طُرَيحٌ أبا الصَّلْت؛ كُني بذلك لابنٍ كان له اسمه صَلْتٌ. وله يقول:

يا صَلتُ إنَّ أَباكَ رَهنُ مَنِيَّةٍ ... مَكتوبَةٍ لا بُدَّ أَن يَلقاها
سَلَفَتْ سَوالِفُها[٣] بِأَنفُسِ مَن مَضى ... وَكَذاكَ يَتبَعُ باقِياً أُخراها
وَالدَّهرُ يوشِكُ أن يُفَرِّقَ رَيبُهُ ... بِالمَوتِ أَو رِحَلٍ تَشِتُّ نَواها
لا بُدَّ بَينَكُما فَتُسمِعُ دَعوَةً ... أَو تَستَجيبُ لِدَعوَةٍ تُدعاها

[الكامل]

[طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال: أخبرني أبو الحسن الكاتب: أنَّ أمّ الصّلت بن طُرَيح ماتت وهو صغير، فَطَرَحَهُ طُرَيح إلى أخواله بعد موت أُمّه. وفيه يقول:

باتَ الخَيالُ مِن الصُّلَيتِ مُؤَرِّقي ... يَفري السَّراةَ مَع الرَّبابَ المُلثِقِ[٤]

= أَبوكُم أَلأَمُ الآباءِ قِدماً ... وَأَولادُ الخَبيثِ عَلى مِثالِ
وَما لِكَرامَةٍ حُبِسوا وَلَكِن ... أَرادَ هَوانَهُم أُخرى اللَّيالي

(١) تقبل: القابلة التي تولّد الأطفال.

(٢) ورد في صحيح البخاري، ان قتل وحشيّ لحمزة إنما كان بتحريض مولاه جبير بن مطعم وذلك أن حمزة كان قتل ببدر طُعيمة بن عديّ بن الخيار عم جبير ، فقال جبير لوحشيّ: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حرّ؛ فلما بارز حمزة سباعاً وقتله كان وحشي متربصاً له تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته فأرداه.

(٣) ورد في بعض المصادر «سوابقها» بدل «سوالفها».

(٤) لثقت ثيابه نديت لثقاً. وطائر لثق الجناح. وألثقه المطر ولثّقه فتلثّق. قال امرؤ القيس:

وبات إلى أرطاة حقفٍ كأنها ... إذا لثّقتها غيبة بيت معرس

ولثق يومنا، ويوم لثقٌ إذا كان ساكن الريح كثير الندى. ولثقت الأرض لثقاً: ردغت. ومشينا في لثق: في وحلٍ، وأرض لثقة.

مـا راعَـنـي إلاّ بَـيـاضُ وُجـيْـهِـهِ تَـحـتَ الـدُّجُـنَّةِ[١] كَـالـسِّـراجِ الـمُـشـرِقِ
[الكامل]

[طائفة من أخباره]

ونَشَأَ طُرَيح في دولة بني أُمَيَّة، واستفرغ شعرَهُ في الوليد بن يزيد، وأدرك دولةَ بني العباس، ومات في أيام المهديّ[٢]؛ وكان الوليد له مُكرماً مُقَدِّماً؛ لانقطاعه إليه ولخؤولته في ثقيف.

فأخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزَّيات قال: حَدَّثني أحمد بن حمَّاد بن الجَميل عن العُتْبيّ عن سَهم بن عبد الحميد قال: أخبرني طُرَيح بن إسماعيل الثَّقفيّ قال: خُصِصْت بالوليد بن يزيد حتى صِرتُ أخلو معه؛ فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربةٍ[٣]: يا أمير المؤمنين، خالك يُحبّ أن تعلم شيئاً من خُلُقه؛ قال: وما هو؟ قُلْتُ: لم أشرَب شراباً قطُّ ممزوجاً إلا من لبن أوعسل؛ قال: وقد عَرَفتُ ذاك ولم يُباعِدك من قلبي. قال: وَدَخَلْتُ يوماً إليه وعنده الأمويّون، فقال لي: إليَّ يا خالي، وأقعدني إلى جانبه، ثم أتيَ بشراب فَشَرِبَ، ثم ناولني القَدَحَ؛ فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين قد أعلمْتُك رأيي في الشَّراب. قال: ليس لذلك أعطيتُك، إنَّما دفعته إليك لتناوِلَهُ الغلام، وغَضِبَ؛ فَرَفَعَ القوم أيديَهم كأنَّ صاعقةً نَزِلَتْ على الخِوان؛ فَذَهَبْتُ أقوم، فقال: اقعُدْ! فلما خلا البيت افترى عليّ، ثم قال: يا عاضّ كذا وكذا! أردْتَ أن تفضحني، ولولا أنك خالي لَضَرَبْتُكَ ألفَ سَوْط! ثم نهى الحاجب عن إدخالي، وقَطَعَ عنِّي أرزاقي. فَمَكَثْتُ ما شاء اللَّه. ثم دَخَلْتُ عليه يوماً مُتَنَكِّراً، فلم يشعر إلا وأنا بين يديه وأنا أقول:

يـابـنَ الـخَـلائِـفِ مـا لـي بَـعـدَ تَـقـرِبَـةٍ إلَـيـكَ أُقـصـى وَفـي حـالَـيـكَ لـي عَـجَـبُ
مـا لـي أُذادُ[٤] وَأُقـصـى حـيـنَ أَقـصِـدُكُـم كَـمـا تُـوُقِّـيَ مِـن ذي الـعُـرَّةِ[٥] الـجَـرَبُ
كَـأَنَّـنـي لَـم يَـكُـن بَـيـنـي وَبَـيـنَـكُـم إلٌّ[٦] وَلا خُـلَّـةٌ[٧] تُـرعـى وَلا نَـسَـبُ
لَـو كـانَ بِـالـوُدِّ يُـدنـى مِـنـكَ أَزلَـفَـنـي بِـقُـربِـكَ الـوُدُّ وَالإِشـفـاقُ وَالـحَـدَبُ
وَكُـنـتُ دونَ رِجـالٍ قَـد جَـعَـلـتُـهُـم دونـي إِذا مـا رَأَونـي مُـقـبِـلاً قَـطَـبـوا[٨]

(١) الدجنة: الظلام.
(٢) ويروى في أيام «الهادي».
(٣) هذا مشرب القوم ومشربتهم، ومنه قيل للغرفة: المشربة لأنهم كانوا يشربون فيها وهي مشاربهم.
(٤) أذاد: أمنع وأدفع.
(٥) ذو العرة: الجرب.
(٦) إلّ: عهد.
(٧) خلَّة: صداقة.
(٨) تقول أيضاً: قَطَبَ بين عينيه، أي جمع، فهو رجلٌ قَطوبٌ. وقَطَّبَ وجهَه تقطيباً، أي عبس.

إن يَسمَعوا الخَيرَ يُخفوه وَإن سَمِعوا شَرّاً أَذاعوا وَإن لَم يَسمَعوا كَذَبوا
رَأَوا صُدودَكَ عَنّي في اللِّقاءِ فَقَد تَحَدَّثوا أَن حَبلي مِنكَ مُنقَضِبُ
فَذو الشَّماتَةِ مَسرورٌ بَهَيضَتِنا وَذو النَّصيحَةِ وَالإِشفاقِ مُكتَئِبُ

[البسيط]

قال: فتبسَّمَ وأمرني بالجلوس فجلست ورَجَعَ إليّ وقال: إياك أن تُعاوِد. وتمام هذه القصيدة:

أَينَ الذِّمامَةُ وَالحَقُّ الَّذي نَزَلَتْ بِحِفظِهِ وَبِتَعظيم لَهُ الكُتُبُ
وَحَوكِيَ الشِّعرَ أُصْفيهِ وَأَنظِمُهُ نَظمَ القَلائِدِ فيها الدُّرُّ وَالذَّهَبُ
وَإِنّ سُخطَكَ شَيءٌ لَم أُناجِ بِهِ نَفسي وَلَم يَكُ مِمّا كُنتُ أَكتَسِبُ
لَكِن أَتاكَ بِقَولٍ كاذِبٍ أَثِمٍ قَومٌ بَغَوني فَنالوا فِيَّ ما طَلَبوا
وَما عَهِدتُكَ فيما زَلَّ تَقطَعُ ذا قُربى وَلا تَدفَعُ الحَقَّ الَّذي يَجِبُ
وَلا تُوَجِّعُ مِن حَقٍّ تَحَمَّلُهُ وَلا تَتَبَّعُ بِالتَكديرِ ما تَهَبُ
فَقَد تَقَرَّبتُ جُهداً مِن رِضاكَ بِما كانَت تُنالُ بِهِ مِن مِثلِكَ القُرَبُ
فَغَيرَ دَفعِكَ حَقّي وَٱرتِفاضِكَ لي وَطيِّكَ الكَشحَ عَنّي كُنتُ أَحتَسِبُ
أَمُشمِتٌ بِيَ أَقواماً صُدورُهُمُ عَلَيَّ فيكَ إِلى الأَذقانِ تَلتَهِبُ
قَد كُنتُ أَحسَبُ أَنّي قَد لَجَأتُ إِلى حِرزٍ وَأَلاّ يَضُرّوني وَإِن أَلبوا[1]
إِنَّ الَّتي صُنتُها عَن مَعشَرٍ طَلَبوا مِنّي إِلَيَّ الَّذي لَم يُنجِحِ الطَّلَبُ
أَخلَصتُها لَكَ إِخلاصَ ٱمرِئٍ عَلِمَ الأَقوامُ أَن لَيسَ إِلاّ فيكَ يُرتَغَبُ
أَصبَحتَ تَدفَعُها مِنّي[2] وَأَعطِفُها عَلَيكَ وَهيَ لِمَن يُجبى بِها رَغَبُ
فَإِن وَصَلتَ فَأَهلُ العُرفِ أَنتَ وَإِن تَدفَعْ يَدَيَّ فَلى بُقيا وَمُنقَلَبُ
إِنّي كَريمُ كِرامٍ عِشتُ في أَدَبٍ نَفى العُيوب وَمَلْكُ الشّيمَةِ[3] الأَدَبُ
قَد يَعلَمونَ بِأَنَّ العُسرَ مُنقَطِعٌ يَوماً وَأَنَّ الغِنى لا بُدَّ مُنقَلِبُ
فَما لُهُم حُبُسٌ في الحَقِّ مُرتَهَنٌ مِثلُ الغَنائِمِ تُحوى ثُمَّ تُنتَهَبُ
وَما عَلى جارِهِم أَلاّ يَكونَ لَهُ إِذا تَكَنَّفَهُ أَبياتُهُم نَشَبُ

(١) الفرّاء: ألَبَ الإبل يَألبها ويألُبها ألْباً: جمعها وساقها. وألَبْتُ الجَيْشَ، إذا جَمَعْتَهُ.
(٢) ورد في بعض المصادر «عني» بدل «مني».
(٣) ملك الشيمة: قوامها ومعظمها.

لا يَفرَحونَ إذا ما الدَّهرُ طاوَعَهُم يَوماً بِيُسرٍ وَلا يَشكونَ إِن نُكِبوا
فارَقتُ قَومِي فَلَم أَعتَضْ بِهِم عِوِضاً والدَّهرُ يُحدِثُ أَحداثاً لَها نُوَبُ
[البسيط]

[رواية المدائني في ذلك]

وأما المدائنيّ فقال: كان الوليد بن يزيد يُكرِمُ طُرَيحاً، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانة، وكان يُدني مجلسه، وجعله أوَّلَ داخلٍ وآخِرَ خارج، ولم يكن يصدر إلا عن رأيه. فاستفرغ مديحه كُلَّه وعامَّة شعره فيه؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد؛ وقَدِمَ حَمَّاد الراويةُ على التفئة[1] الشام، فشكوا ذلك إليه، وقالوا: واللَّه لقد ذَهَبَ طُرَيح بالأمير، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار. فقال حمَّاد: ابغوني من يُنْشِدُ الأمير بيتين من شعر، فأسقطَ مَنْزِلَتَهُ؛ فطلبوا إلى الخَصيّ الذي كان يقومُ على رأس الوليد، وجعلوا له عشرةَ آلاف درهم على أن يُنْشِدَهما الأمير في خَلوة، فإذا سألَهُ مِنْ قولِ مَنْ ذا؟ قال: مِنْ قول طُرَيح؛ فأجابهم الخصيّ إلى ذلك، وعَلَّموه البيتين. فلما كان ذات يوم دَخَلَ طُرَيح على الوليد وفُتِحَ الباب وأُذِنَ للناس فجلسوا طويلاً ثم نهضوا، وبقيَ طُرَيح مع الوليد وهو وليّ عهد؛ ثم دعا بغدائه فتغدَّيا جميعاً. ثم إنَّ طُريحاً خَرَجَ ورَكِبَ إلى منزله، وترك الوليدَ في مجلسه ليس معه أحدٌ، فاستلقى على فِرَاشِهِ؛ واغتنم الخصيّ خَلْوَتَه فاندفع ينشد:

سِيري رِكابي إلى مَنْ تَسعدين به فقد أقمتِ بدار الهونِ ما صَلَحَا
سِيري إلى سيِّدٍ سَمحٍ خلائقُه ضخم الدَّسيعة[2] قرمٍ يحمل المِدَحَا
[البسيط]

فأصغى الوليدُ إلى الخَصيّ بسمعه وأعاد الخَصيّ غير مَرَّة؛ ثم قال الوليد: وَيْحَك يا غلامُ! من قول مَن هذا؟ قال: من قول طُرَيح؛ فَغَضِبَ الوليد حتى امتلأ غَيْظاً؛ ثم قال: والهفا على أُم لم تَلِدْني! قد جعلتُهُ أوَّل داخلٍ وآخرَ خارجٍ، ثم يَزُعمُ أن هشاماً يحمل المِدَح ولا أحمِلُها! ثم قال: عليَّ بالحاجب، فأتاه؛ فقال: لا أعلم ما

(١) التفئة: الحين والزمان.
(٢) دسع البعير حرته: أخرجها إلى فيه بمرّة واحدة. ومن المجاز: دسع الرجل دسعة ودسعتين ودسعات: قاء ملء الفم. وفلان يدسع أي يجزل العطاء. وفي الحديث: «ابن آدم ألم أحملك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وتدسع فأين شكر ذلك» يقال: للملك هو يربع ويدسع أي يأخذ المرباع ويجزل العطاء، ومنه فلان ضخم الدسيعة، وإنه لمعطاء الدسائع وهي العطية الجزيلة.

أذنت لطُرَيح ولا رأيتُهُ على وجه الأرض؛ فإن حاوَلك فاخطَفْه بالسيف. فلما كان العشيُّ وصُلِّيت العصرُ، جاء طُرَيح للساعة التي كان يُؤذَن له فيها، فدنا من الباب لِيَدْخُلَ؛ فقال له الحاجب: وراءَك! فقال: ما لك! هل دخل على وليَّ العهد أحدٌ بعدي؟ قال: لا! ولكن ساعةَ وَلَّيتَ من عنده دعاني فأمرني ألا آذن لك، وإن حاولتني في ذلك خَطِفتُك بالسيف؛ فقال: لك عشرةُ آلاف وأذَنْ لي في الدخول عليه؛ فقال له الحاجبُ: واللَّه لو أعطيتَني خَراجَ العراق ما أذِنْتُ لك في ذلك، وليس لك من خير في الدخول عليه فارجَع؛ قال: وَيْحَك! هل تعلم من دَهاني عنده؟ قال الحاجب: لا واللَّه! لقد دَخَلْتُ عليه وما عنده أحدٌ، ولكنَّ اللَّه يُحدِث ما يشاء في الليل والنهار. قال: فَرَجَعَ طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لا يخلُص إليه ولا يقدِر على الدخول عليه. وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال: واللَّه إنَّ هذا لعجزٌ بي أن أرجع من غير أن ألقى وليَّ العهد فأعلمَ من دهاني عنده؛ ورأى أُناساً كانوا له أعداءً قد فرحوا بما كان من أمره، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدِّثونه ويُصدِرُ عن رأيهم؛ فلم يَزَلْ يَلْطُفُ بالحاجب ويُمَنِّيه؛ حتى قال له الحاجب: أمَّا إذ أطلتَ المُقام فإني أكرهُ أن تنصرف على حالك هذه، ولكنَّ الأميرَ إذا كان يومُ كذا وكذا دخل الحمَّامَ، ثم أمرَ بسريرِهِ فأُبْرِزَ، وليس عليه يومئذ حِجابٌ؛ فإذا كان ذلك اليومُ أعلمتُكَ فتكون قد دخلت عليه وظفرت بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذرٍ. فلما كان ذلك اليوم، دَخَلَ الحمَّام وأمرَ بسريرِه فأبْرَزَ وجَلَسَ عليه، وأَذِنَ للناس فدخلوا عليه، والوليدُ يَنْظُرُ إلى من أقبل. وبَعَثَ الحاجِبُ إلى طريح، فأقبل وقد تَتَامَّ الناس؛ فلما نَظَرَ الوليد إليه من بعيدٍ صرَفَ عنه وجهه، واستحيا أن يردَّهُ من بين الناس؛ فدنا فَسَلَّمَ فلم يردَّ عليه السلام. فقال طُرَيح يستعطفه ويتضرَّع إليه:

نامَ الخَلِيُّ مِن الهُموم وَباتَ لي ... ليلٌ أُكابِدُه وَهَمٌّ مَضلِعُ
وَسَهِرتُ لا أسري وَلا في لَذَّةٍ ... أَرَقي وَأَغفَلَ ما لَقيتُ الهُجَّعُ
أَبغي وُجوهَ مَخارِجي مِن تُهمَةٍ ... أَزَمَتْ عَلَيّ وَسُدَّ مِنها المَطلَعُ
جَزَعاً لِمَعتَبَةِ الوَليدِ وَلَم أَكُنْ ... مِن قَبلِ ذاك مِن الحَوادِثِ أَجزَعُ
يا بنَ الخَلائِفِ إنَّ سُخطَكَ لامرِىءٍ ... أَمسَيتَ عِصمَتَهُ بَلاءٌ مُفظِعُ
فَلأنزِعَنَّ عَنِ الَّذي لَم تَهوَهُ ... إن كانَ لي وَرَأَيتَ ذلِكَ مَنزِعُ
فَاعطِفْ فِداكَ أَبي عَلَيَّ تَوَسُّعاً ... وَفَضيلَةً فَعَلى الفَضيلَةِ تَتبَعُ
فَلَقَد كَفاكَ وَزادَ ما قَد نالَني ... إن كُنتَ لي بِبَلاء ضُرٍّ تَقنَعُ

سِمَةٌ لِذاكَ عَلَيَّ جِسمٌ شاحِبٌ ... بادٍ تَحَسُّرُهُ وَلَونٌ أَسفَعُ[١]
إِن كُنتَ في ذَنبٍ عَتَبتَ فَإِنَّني ... عَمّا كَرِهْتَ لَنازِعٌ مُتَضَرِّعُ
وَيَئِستُ مِنكَ فَكُلُّ عُسرٍ باسِطٌ ... كَفّاً إِلَيَّ وَكُلُّ يُسرٍ أَقطَعُ[٢]
مِن بَعدِ أَخذي مِن حِبالِكَ بِالَّذي ... قَد كُنتُ أَحسَبُ أَنَّهُ لا يُقطَعُ
فَٱربُبْ[٣] صَنيعَكَ بي فَإِنَّ بِأَعيُنٍ ... لِلكاشِحينَ وَسَمعِهِم ما تَصنَعُ
أَدفَعتَني حَتّى ٱنقَطَعتُ وَسُدِّدَتْ ... عَنّي الوُجوهُ وَلَم يَكُن لي مَدفَعُ
وَرُجيتُ وَٱتُّقِيَتْ يَدايَ وَقيلَ قَد ... أَمسى يَضُرُّ إِذا أَحَبَّ وَيَنفَعُ
وَدَخَلتُ في حَرَمِ الذِّمامِ وَحاطَني ... خَفَرٌ أَخَذتُ بِهِ وَعَهدٌ مولِعُ
أَفهادِمٌ ما قَد بَنَيتَ وَخافِضٌ ... شَرَفي وَأَنتَ لِغَيرِ ذلِكَ أَوسَعُ
أَفَلا خَشيتَ شَماتَ قَومٍ فُتَّهُمْ ... سَبْقاً وَأَنفُسُهُم عَلَيكَ تَقَطَّعُ
وَفَضَلتَ في الحَسَبِ الأَشَمِّ عَلَيهِمُ ... وَصَنَعتَ في الأَقوامِ ما لَم يَصنَعوا
فَكَأَنَّ ٱنفَهُم بِكُلِّ صَنيعَةٍ ... أَسدَيتَها وَجَميلِ فِعلٍ تُجدَعُ
وَدّوا لَو ٱنَّهُمُ يَنالُ أَكُفَّهُم ... شَلَلٌ وَأَنَّكَ عَن صَنيعِكَ تَنزِعُ
أَو تَستَليمُ[٤] فَيَجعَلونَكَ أُسوَةً ... وَأَبى المَلامَ لَكَ النَّدى وَالمَوْضِعُ

[الكامل]

قال: فقرَّبَهُ وأدناه، وَضَحِكَ إليه، وعاد له إلى ما كان عليه.

[عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد]

أخبرني حبيب بن نَصر المهلَّبيّ قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن شَبيب قال: حَدَّثنا محمد بن عبد اللَّه بن حَمزة بن عُتبة اللَّهبيّ عن أبيه: أن طُرَيحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشُّعَراء؛ فقال له: لا حيَّاك اللَّه ولا بَيَّاك[٥]! أما اتَّقيت اللَّه ـ وَيلك! ـ حيث تقول للوليد بن يزيد:

---

(١) أسفع: شاحب متغير من مقاساة المشاق. (٢) أقطع: مبتور اليد.
(٣) أربب صنيعك: زده. (٤) تستليم: تفعل ما يُستحق عليه اللوم.
(٥) قولهم: حَيَّاكَ اللَّه وبَيَّاك: معنى حَيَّاكَ مَلَّكَكَ، وبَيَّاكَ قال الأصمعي: اعْتَمَدَكَ بالتحية. وقال ابن الأعرابيّ: جاء بك. قال الأحمر: بَيَّاكَ معناه بَوَّأَكَ منزلاً، إلَّا أنَّها لما جاءت مع حيّاك تُرِكَتْ همزتها وحُوِّلَتْ واوها ياءً. وقولهم: ما أدري أَيُّ هَيِّ بن بَيٍّ هُوَ أيْ أيّ الناس هو. وهَيَّانُ بن بَيَّانَ، إذا لم يُعْرَفْ هو ولا أبوه.

لَـو قُـلـتُ لِـلـسَّـيـلِ دَع طَـريـقَـكَ وَالـمَـو جُ عَـلَـيـهِ كَـالـهَـضـبِ يَـعـتَـلِـجُ[1]
لَـسـاخَ وَٱرتَـدَّ أَو لَـكـانَ لَـهُ فـي سـائِـرِ الأَرضِ عَـنـكَ مُـنـعَـرَجُ
[المنسرح]

فقال له طُرَيح: قد عَلِمَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ أنِّي قُلْتُ ذاك ويدي ممدودة إليه عزَّ وجَلَّ، وإياه تبارك وتعالى عَنَيْتُ. فقال المنصور: يا رَبِيع، أما تَرى هذا التَّخَلُّص!

[أُدخِلَ على الوليد فمدحه فطرب وأجازه]

نَسَخْتُ من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجَريريّ روايته عنه: حَدَّثنا المدائنيّ: أن الوليد جَلَسَ يوماً في مجلس له عامٍّ، ودَخَلَ إليه أهلُ بيته ومَواليه والشعراءُ وأصحابُ الحوائج فقضاها، وكان أشرفَ يوم رُئي له؛ فقام بعضُ الشعراء فأنشد، ثم وَثَبَ طُرَيح، وهو عن يسار الوليد، وكان أهلُ بيته عن يمينه، وأخواله عن شِمالِه وهو فيهم، فأنشده:

صوت

أَنـتَ ٱبـنُ مُـسـلَـنـطِـحِ[2] الـبِـطـاح وَلَـم تُـطـرِقْ عَـلَـيـكَ الـحُـنِـيُّ وَالـوُلُـجُ
طـوبـى لِـفَـرعَـيـكَ مِـن هُـنـا وَهُـنـا طـوبـى لأَعـراقِـكَ الَّـتـي تَـشِـجُ
لَـو قُـلـتُ لِـلـسَّـيـلِ دَع طَـريـقَـكَ وَالـمَـو جُ عَـلَـيـهِ كَـالـهَـضـبِ يَـعـتَـلِـجُ
لَـسـاخَ وَٱرتَـدَّ أَو لَـكـانَ لَـهُ فـي سـائِـرِ الأَرضِ عَـنـكَ مُـنـعَـرَجُ
[المنسرح]

[ولاؤه وكان مغنياً وشاعراً]

فَطُرِبَ الوليدُ بن يزيد حتى رُئِيَ الارتياحُ فيه، وأمرَ له بخمسين ألفَ درهم، وقال: ما أرى أحداً منكم يجيئني اليومَ بِمِثْل ما قال خالي، فلا يُنشدني أحدٌ بعده شيئاً؛ وأمرَ لسائر الشعراء بِصِلات وانصرفوا، واحتبس طُرَيحاً عنده، وأمر ابنَ عائشة فغنَّى في هذا الشعر.

نسبة هذا الصوت

أَنـتَ ٱبـنُ مُـسـلَـنـطِـحِ الـبِـطـاح وَلَـم تُـطـرِقْ عَـلَـيـكَ الـحُـنِـيُّ وَالـوُلُـجُ
[المنسرح]

---

(١) يعتلج: يرتطم.
(٢) المُسْلَنْطِح: الفضاء الواسع.

الأبيات الأربعة. عروضه عن المنسرح. غنَّاه ابن عائشة، ولحنُهُ رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى الوُسطى عن إسحاق.

المسلنطح من البطاح: ما اتسع واستوى سطحه منها. وتُطرِق عليك: تُطْبِقُ عليك وتُغطِّيك وتُضيِّق مكانَكَ؛ يُقالُ: طَرَقَت الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتت بأمر ضيِّق مُعْضِل. والوَشيج: أصول النبت؛ يقال: أعراقُك واشجةٌ في الكَرَمِ، أي نابتة فيه. قال الشاعر[١]:

وَهَـل يُـنـبِـتُ الـخَـطِّـيَّ إلاّ وَشـيـجُـهُ وَتَـثْـبُـت إلاّ فـي مَـغـارِسِـهـا الـنَّـخـلُ[٢]

[الطويل]

يعني أنه كريم الأبوين من قُرَيش وثَقيف. وقد ردَّد طُرَيح هذا المعنى في الوليد، فقال في كلمةٍ له:

وَاعـتـامَ[٣] كَـهـلُـكَ مِـن ثَـقـيـفٍ كُـفـأَهُ فَـتَـنـازَعـاكَ فَـأَنـتَ جَـوهَـرُ جَـوهَـرِ

فَـنَـمَـتْ فُـروعُ الـقَـريَـتَـيـنِ قُـصَـيُّـهـا[٤] وَقَـسِـيُّـهـا بِـكَ فـي الأَشَـمِّ الأَكـبَـرِ

[الكامل]

والحُنيّ: ما انخفض من الأرض، والواحدةُ حَناً، والجمع حُنِّي مثل عَصاً وعُصِيّ. والوُلجُ: كلّ متَّسَع في الوادي، والواحدة وَلَجَةٌ[٥]، ويقال: الوَلَجاتُ بين الجبال مثل الرِّحاب. أي لم تكن بين الحُنِّيِّ ولا الولج فيَخْفى مكانُك، أي لستَ في موضع خفيٍّ من الحسب. وقال أبو عُبيدة: سَمِعَ عمرُ بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه رجلاً يقول لآخر يَفْخَرُ عليه: أنا ابن مُسلَنْطِح البطاح، وابنُ كذا وكذا؛ فقال له عمر: إن كان لك عقلٌ فلك أصلٌ، وإن كان لك خلقٌ فلك شَرَفٌ، وإن كان لك تقوى فَلَكَ كَرَمٌ، وإلا فذاك الحمارُ خَيرٌ منك، أحَبُّكم إلينا قبل أن نراكم أحسنُكُم سَمتاً[٦]، فإذا تكلَّمْتُم فأبينُكُم مَنْطِقاً، فإذا اختبرناكم فأحسنُكُم فِعْلاً.

---

(١) وهنا زهير بن ابي سلمى.

(٢) ورد في بعض المصادر «مَنابِتِها النَّخلُ» بدل «مغارسها النخل».

(٣) اعتام: اختار.

(٤) قصي: أبو عدة بطون من قريش.

(٥) وقال ابن الأعرابي: أولاجُ الوادي: معاطفه وزواياه، واحدتها وَلَجَة، وتُجمع: الوُلُج وأنشد ابن الأعرابي:

أَنْـتَ ابـنُ مُـسْـلَـنْـطِـحِ الْـبِـطـاحِ ولَـمْ تَـعْـطِـفْ عـلـيـك الْـحُـنِّـيُّ والْـوُلُـجُ

(٦) السمت: حسن النحو.

وقوله: «لو قُلْتَ للسيل دَعْ طريقك» يقول: أنت مِلك هذا الأبطح والمُطاعُ فيه، فكل من تأمره يُطيعك فيه، حتى لو أَمَرتَ السيلَ بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك. وإنَّما ضرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً، لأنه لا شيء أشد تعذّراً من هذا وشبهه، فإذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر. وقوله: «لساخ» أي لغاض في الأرض. «وارتد» أي عدل عن طريقه، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً كان له مُنْعَرجٌ عنك إلى سائر الأرض.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّادٍ عن أبيه قال إسحاق وحدَّثني به الواقِديّ عن أبي الزِّناد عن إبراهيمَ بن عطيَّة: أن الوليد بن يزيد لما وَلي الخلافةَ بَعَثَ إلى المغنِّين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه، وأمرهم أن يتفرَّقوا ولا يدخلوا نهاراً لئلا يُعرَفوا، وكان إذ ذاك يتستَّر في أمره ولا يظهره، فسبَقَهُم ابنُ عائشة فَدَخَلَ نهاراً وشُهر أمرهُ، فحبسه الوليد وأمر به فَقُيِّدَ، وأذن للمُغَنِّين وفيهم معبدٌ، فدخلوا عليه دَخَلات، ثم أنه جمعهم ليلةً فغنَّوا له حتى طَرِبَ وطابت نفسُهُ. فلما رأى ذلك منه معبدٌ قال لهم: أخوكم ابن عائشة فيما قد علمتم، فاطلبوا فيه؛ ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مَجلِسَنا هذا؟ قال: حسناً لذيذاً. قال: فكيف لو رأيت ابنَ عائشة وسَمِعْتَ ما عنده! قال: فعليّ به. فطلع ابنُ عائشة يَرسُفُ في قيده. فلما نَظَرَ إليه الوليد، اندفع ابنُ عائشة فغنَّاه في شعر طُرَيح، والصنعةُ فيه له:

أَنـتَ ٱبـنُ مُـسـلَـنـطِـحِ الـبِـطـاح وَلَـم تُـطـرِقْ عَـلَـيـكَ الـحُـنِـيُّ وَالـوُلُـجُ

[المنسرح]

فصاح الوليدُ: اكسِروا قَيدَهُ وفُكُّوا عنه؛ فلم يزل عنده أثيراً[1] مُكرماً.

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثنا ابن أبي سَعد عن الحِزاميّ عن عثمان بن حَفْص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يـا أَبـا الـحـارِثِ قَـلـبـي طـائـرٌ[2] فَـاتَـمِـرْ أَمـرَ رَشـيـدٍ مُـؤتَـمَـن

[الرمل]

قال: واللَّه إني لقاعدٌ مع مسلَمة بن محمد بن هِشام إذ مرَّ به ابن جُوان بن عمر بن أبي ربيعة، وكان يغني؛ فقال له: اجلس يا بن أخي غَنِّنا، فجلس فغنَّى:

أَنـتَ ٱبـنُ مُـسـلَـنـطِـحِ الـبِـطـاح وَلَـم تُـطـرِقْ عَـلَـيـكَ الـحُـنِـيُّ وَالـوُلُـجُ

[المنسرح]

(١) ورد في بعض النسخ «أسيرا» بدل «اثيراً».

(٢) ورد في بعض المصادر «هائم» بدل «طائر».

فقال له: يابن أخي، ما أنت وهذا حين تغنَّاه، ولا حظَّ لك فيه! هذا قاله طُرَيح فينا:

إذ الـــنـــاسُ نـــاسٌ والـــزمـــانُ زمـــان

ومما في المائة الصوت المختارة من الأغاني

من أشعار طريح بن إسماعيل التي مَدَحَ بها الوليدَ بن يزيد:

صـــوت

من المائة المختارة

وَيْـحـي غـداً إن غـدا عـلـيَّ بـمـا أحـذَرُ مـن لَـوْعَـةِ الـفـراق غَـدُ
وكـيـف صـبـري وقـد تـجـاوب بـالـفُـرقـة مِـنـهـا الـغـرابُ والـصُّـرَدُ[1]
[المنسرح]

الشعر لطريح بن إسماعيل. والغناء لابْن مِشْعَب الطائفي، ولحنه المختار من الرمل بالوسطى.

(١) الصُّرَدُ: طائِرٌ يصيد العصافيرَ، أكبَرُ منها شيئاً. وهو مما يتشاءم به من الطير.

ذكر ابن مشعب وأخبار

[أصله]

هو رجل من أهل الطائف مولًى لثقيف، وقيل: إنه من أنفْسهم، وانتقل إلى مكة فكان بها. وإياه يعني العَرْجِيُّ بقوله:

بِفِناءِ بَيتِكِ وَٱبنِ مُشعَبَ حاضِرٌ فِي سامِرٍ عَطِرٍ وَلَيلٍ مُقمِرِ
فَتَلازَما عِندَ الفِراقِ صَبابَةً أَخذَ الغَرِيمِ بِفَضلِ ثَوبِ المُعسِرِ

[الكامل]

[عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال: ابن مِشْعَب مُغَنٍّ من أهل الطائف، وكان من أحسن الناس غِنَاءً، وكان في زمن ابن سُرَيج والأعرج؛ وعامَّةُ الغناء الذي يُنْسَبُ إلى أهل مكة له، وقد تفرَّقَ غِناؤه، فَنُسِبَ بعضُهُ إلى ابن سُرَيج، وبعضه إلى الهُذَليِّين، وبعضه إلى ابن مُحرِز. قال: ومن غنائه الذي يُنْسَبُ إلى ابن مُحرِزٍ:

يا دارَ عاتِكَةَ الَّتي بِالأَزهَرِ(١)

[الكامل]

ومنه أيضاً:

أَقفَرَ مِمَّن يَحُلُّهُ السَّنَدُ(٢) فَالمُنحَنى(٣) فَالعَقيقُ فَالجُمُدُ(٤)(٥)

[المنسرح]

---

(١) البيت لابن مشعب، وهو على الشكل التالي:

يا دارَ عاتِكَةَ الَّتي بِالأَزهَرِ أَو فَوقَهُ بِقَفا الكَثِيبِ الأَحمَرِ

(٢) سند ماء بتهامة معروف. وقيل سَنَد ماء لبني سعد.

(٣) المنحنى: موضع من ديار غطفان وبظهر خيبر، فيما بينها وبين نجد.

(٤) الجُمُد: جبل لبني نصر بنجد.

(٥) البيت لطريح بن إسماعيل الثقفي.

أخبرني الحُسينٌ قال: قال حمَّاد وحدَّثني أبي قال: مَرِض رَجُلٌ من أهل المدينة بالشام، فعاده جيرانُهُ وقالوا له: ما تشتهي؟ قال: أَشتهي إنساناً يَضَعُ فَمَهُ على أذني ويُغَنِّيني في بَيتي العَرْجيّ:

بِفِناءِ بَيتِكِ وَٱبنُ مِشعَبَ حاضِرٌ ... في سامِرٍ عَطِرٍ وَلَيلٍ مُقمِرِ
فَتَلازَما عِندَ الفِراقِ صَبابَةً ... أَخذَ الغَرِيمِ بِفَضلِ ثَوبِ المُعسِرِ

[الكامل]

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

يا دارَ عاتِكَةَ الَّتي بِالأَزهَرِ ... أَو فَوقَهُ بِقَفا الكَثِيبِ الأَحمَرِ
بِفِناءِ بَيتِكِ وَٱبنُ مُشعَبَ حاضِرٌ ... في سامِرٍ عَطِرٍ وَلَيلٍ مُقمِرِ
فَتَلازَما عِندَ الفِراقِ صَبابَةً ... أَخذَ الغَرِيمِ بِفَضلِ ثَوبِ المُعسِرِ

[الكامل]

الشعر للعَرْجيّ. والغناء لابن مُحرِز خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بالبنصر [خفيف]، وذكر إسحاق أنه لابن مِشْعَب. وذكرَ حَبْشٌ أنَّ فيه لابن المكيِّ هَزَجاً خفيفاً بالبنصر.

وأمَّا الصوت الآخر الذي أوَّله:

أَقْفَرَ مِمَّن يَحُلُّه السَّنَدُ

فإنه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللَّحن المختار، وهو أوَّل قصيدة طُرَيح التي منها:

وَيْحي غَداً إِن غَدا عَلَيَّ بِما ... أَكرَهُ مِن لَوعَةِ الفِراق غَدُ[1]

[المنسرح]

وليس يُغنى فيه زماننا هذا. وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طُرَيحٌ الوليدَ بن يزيد، يقول فيها:

لَم يَبقَ فِيها مِنَ المَعارِفِ بَعدَ الحَيِّ إِلاّ الرَّمادُ وَالوَتِدُ
وَعَرصَةٌ[2] نَكَّرَت مَعالِمَها الرِيحُ بِها مَسجِدٌ وَمُنتَضَدُ[3]

[المنسرح]

---

(١) البيت لطريح الثقفي.
(٢) العرصة: أرض الدار وحيث بنيت. قال النضر: لو جلست في بيت من بيوت الدار كنت جالساً في العرصة بعد أن لا تكون في العلو.
(٣) انتضدوا بمكان كذا: أقاموا واجتمعوا.

[طائفة من أخباره]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدَّثني محمد بن خلف القارىء قال: أخبرنا هارون بن محمد، وأخبرنا به وكيع ـ وأظنَّهُ هو الذي كنَّى عنه يحيى بن عليّ، فقال: محمد بن خلفٍ القارىء ـ قال: حَدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدَّثني علي بن عبد اللَّه اللَّهبي قال: حدَّثنا أبي عن أبيه قال: أُنْشِدَ المنصورُ هذه القصيدةَ، فقال للرَّبيع: أسَمِعْتَ أحداً من الشعراء ذَكَرَ في باقي معالم الحيِّ المسجدَ غير طُرَيح! . وهذه القصيدة من جيِّد قصائد طُرَيح، يقول فيها:

لَم أَنسَ سَلمى وَلا لَيالينا ... بِالحَزْنِ إذ عَيشُنا بِها رَغَدُ[1]
إذ نَحنُ في مَيعَةِ الشَّبابِ وَإذ ... أَيّامُنا تِلكَ غَضَّةٌ جُدُدُ
في عِيشَةٍ كَالفِرِندِ[2] عازِبَةِ الشِّقْوةِ[3] خَضراءَ غُصنُها خَضِدُ[4]
نُحسَدُ فيها عَلى النَّعيمِ وَما ... يُولَعُ إلاّ بِالنِّعمَةِ الحَسَدُ
أَيّامَ سَلمى غَريرَةٌ[5] أُنُفٌ[6] ... كَأَنَّها خُوطُ[7] بانِةٍ رُؤُدُ[8]
وَيْحي غَداً إن غَدا عَلَيَّ بِما ... أَكرَهُ مِن لَوعَةِ الفِراق غَدُ
قَد كُنتُ أَبكي مِن الفِراقِ وَحَيّانا جَميع وَدارُنا صَدَدُ[9]
فَكَيفَ صَبري وَقَد تَجاوَبَ بِالفُرقَةِ مِنها الغُرابُ وَالصُّرَدُ
دَع عَنكَ سَلمى لِغَيرِ مَقلِيَةٍ ... وَعُدَّ مَدحاً بِيوتُهُ شُرُدُ
لِلأَفضَلِ الأَفضَلِ الخَليفَةِ عَبدِ اللَّهِ مِن دونِ شَأوِهِ صُعُدُ

---

(١) عيش رغد ورغد وراغد ورغيد: طيب واسع، وهو في رغد من العيش، وقد رغد عيشه رغداً، ورغد رغداً. وقوم رغد ونساء رغد: ذوو رغد، وقد أرغد القوم: صاروا في رغد، وأرغد اللَّه عيشهم. وانزل حيث تسترغد العيش. وتقول: الأمن في العيشة الرغيدة، أطيب من البرنيّ بالرغيدة؛ وهي الزبدة.

(٢) السيف بفرنده وإفرنده. ومن المجاز: القدر بفرندها وهو أبزارها.

(٣) عازبة الشقوة: بعيدتها.

(٤) خَضَدَ يَخْضِدُ خَضْداً إذا أكل شيئاً رطباً، نحو القثاء وغيرها.

(٥) غريرة: بلهاء لصغر سنها وقلة تجاربها.

(٦) أنف: عذراء.

(٧) قَدّ كالخوط وهو الغصن الناعم. وتقول: كم وراء هذه الحيطان، من قدود كالخيطان.

(٨) الرود الغصن الرطب أول ما ينبت فيها، وتشبه الجارية الحسنة الشباب من النعمة.

(٩) يقال: دار فلان صدد دار فلان وبصددها أي قبالتها.

فـي وَجـهِـهِ الـنـورُ يُـسـتَـبـانُ كَـمـا لاحَ سِـراجُ الـنَّـهـارِ إِذ يَـقِـدُ
يَـمـضـي عَـلـى خَـيـرِ مـا يَـقـولُ وَلا يُـخـلِـفُ مِـيـعـادَهُ إِذا يَـعِـدُ
مِـن مَـعـشَـرٍ لا يَـشَـمُّ مـن خَـذَلـوا عِـزّاً وَلا يُـسـتَـذَلُّ مَـن رَفَـدوا
بـيـضٌ عِـظـامُ الـحُـلـومِ حَـدُّهُـم مـاضٍ حُـسـامٌ وخَـيـرُهُـم عَـتَـدُ
أَنـتَ إِمـامُ الـهُـدى الَّـذي أَصـلَـحَ الـلَّـهُ بِـهِ الـنـاسَ بَـعـدَمـا فَـسَـدوا
لَـمّـا أَتـى الـنـاسَ أَن مُـلـكَـهُـمُ إِلَـيـكَ قَـد صـارَ أَمـرُهُ سَـجَـدوا
وَٱسـتَـبـشَـروا بِـالـرِّضـا تَـبـاشُـرَهُـم بِـالـخُـلـدِ لَـو قـيـلَ إِنَّـكُـم خُـلُـدُ
وَعَـجَّ بِـالـحَـمـدِ أَهـلُ أَرضِـكَ حَـتّـى كـادَ يَـهـتَـزُّ فَـرحَـةً أُحُـدُ
وَٱسـتَـقـبَـلَ الـنـاسُ عـيـشَـة أُنُـفـاً إِن تَـبـقَ فـيـهـا لَـهُـم فَـقَـد سَـعِـدوا
رُزِقـتَ مِـن وُدِّهُـم وَطـاعَـتِـهِـم مـا لَـم يَـجِـدهُ لِـوالِـدٍ وَلَـدُ
أَثـلَـجـهُـم مِـنـكَ أَنَّـهُـم عَـلِـمـوا أَنَّـكَ فـيـمـا ولِـيـتَ مُـجـتَـهِـدُ
وَأَنَّ مـا قَـد صَـنَـعـتَ مِـن حَـسَـنٍ مِـصـداقُ مـا كُـنـتَ مَـرَةً تَـعِـدُ
أَلَّـفـتَ أَهـواءَهـم فَـأَصـبَـحَـتِ الأَضـغـانُ سَـلـمـاً وَمـاتَـتِ الـحِـقَـدُ
كُـنـتُ أَرى أَنَّ مـا وَجَـدتُ مِـن الـفَـرحَـةِ لَـم يَـلـقَ مِـثـلَـهُ أَحَـدُ
حَـتّـى رَأَيـتُ الـعِـبـاد كُـلَّـهُـمُ قَـد وَجَـدوا مَـن هَـواكَ مـا أَجِـدُ

[المنسرح]

صوت

قَـد طَـلَـبَ الـنـاسُ مـا بَـلَـغـتَ فَـمـا نـالـوا وَلا قـارَبـوا وَقَـد جَـهِـدوا
يَـرفَـعُـكَ الـلَّـهُ بِـالـتَّـكَـرُّمِ وَالـتَّـقـوى فَـتَـعـلـو وَأَنـتَ مُـقـتَـصِـدُ
حَـسـبُ ٱمـرىءٍ مـن غِـنًـى تَـقَـرُّبُـهُ مِـنـكَ وَإِن لَـم يَـكُـن لَـهُ سَـبَـدُ[1]
فَـأَنـتَ أَمـنٌ لِـمَـن يَـخـافُ وَلِـل مَـخـذولِ أَودى نَـصـيـرُهُ عَـضُـدُ

[المنسرح]

ـ غنَّى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيمُ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر ـ .

كُـلُّ ٱمـرِىءٍ ذي يَـدٍ تُـعَـدُّ عَـلَـي هِ مِـنـكَ مَـعـلـومَـةٌ يَـدٌ وَيَـدُ
فَـهُـم مُـلـوكٌ مـا لَـم يَـرَوكَ فَـإِن دانـاهُـمُ مِـنـكَ مَـنـزِلٌ خَـمَـدوا

(١) السَّبَدُ: الشَّعْرُ، وقولهم: ماله سَبَدٌ ولا لَبَدٌ أي مالَه شَعْر ولا وَبَر مُتَلَبِّد، وبه سُمِّيَ سَبَداً.

تَـعـروهُـمُ رِعـدَةٌ لَـدَيـكَ كَـمـا قَـفـقَـفَ[١] تَـحـتَ الـدُّجُـنَّـةِ الـصَّـرِدُ
لا خَـوفَ ظُـلـم وَلا قِـلـى خُـلُـقٍ إِلاّ جَـلالاً كَـسـاكَـهُ الـصَّـمَـدُ
وَأَنـتَ غَـمـرُ الـنَّـدى إِذا هَـبَـطَ الـزُّوّارُ أَرضـاً تَـحُـلُّـهـا حَـمِـدوا
فَـهُـم رِفـاقٌ فَـرُفـقَـةٌ صَـدَرَت عَـنـكَ بِـغُـنـم وَرُفـقَـةٌ تَـرِدُ
إِن حـالَ دَهـرٌ بِـهِـم فَـإِنَّـكَ لا تَـنـفَـكُّ عَـن حـالِـكَ الَّـتـي عَـهِـدوا
قَـد صَـدَّقَ الـلَّـهُ مـادِحـيـكَ فَـمـا فـي قَـولِـهِـم فِـريَـةٌ وَلا فَـنَـدُ

[المنسرح]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني الحُسين بن يحيى قال: سَمِعْتُ إسحاقَ بن إبراهيمَ الموصليّ يحلفُ باللَّه الذي لا إله إلا هو أنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قطّ، ولا أفطنَ، ولا أعلمَ بكلِّ شيء، ولا أفصحَ لِسَاناً، ولا ابلغ في مكاتبةٍ. قال: ولقد كُنَّا يوماً عند الرشيد، فغنَّى أبي لحناً في شعر طُرَيح بن إسماعيل، وهو:

قَـد طَـلَـبَ الـنـاسُ مـا بَـلَـغـتَ فَـمـا نـالـوا وَلا قـارَبـوا وَقَـد جَـهِـدوا

[المنسرح]

فاستحسن الرشيدُ اللحنَ والشعرَ واستعاده وَوَصَلَ أبي عليه. وكان اللحنُ في طريقةِ خفيفِ الثقيلِ الأوَّل. فقال جعفر بن يحيى: قد واللَّه يا سيِّدي أحسنَ، ولكنَّ اللحنَ مأخوذٌ من لحن الدَّلال الذي غنَّاه في شعر أبي زُبَيد[٢]:

مَـن يَـرى الـعـيـرَ لابِـنِ أَروى عَـلـى ظَـهـرِ الـمَـرَورى[٣] حُـداتُـهُـنَّ عِـجـالُ

[الخفيف]

---

(١) قفقفت أسنانه وتقفقفت: اصطكت من البرد والخوف.

(٢) حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة يتصل نسبه بيعرب بن قحطان. شاعر جاهلي من قبيلة طيء في اليمن، هاجرت قبيلته إلى الحجاز واستولت على جبلي أجأ وسلمى فعُرفا بجبل طيء وكان جده (النعمان بن حيّة بن سعنة) قد ولي ملك الحيرة من قبل كسرى. وهو من المعمرين ويروى أنه عاش مائة وخمسين عاماً وأدرك الإسلام واسلم واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه بني طيء وفي بعض الروايات أنه بقي على النصرانية ولم يعتنق الإسلام بينما تقول روايات أخرى أنه أسلم على يد صديقه الحميم الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وكان قد رثى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. ورافق الوليد في اعتزاله علياً ومعاوية فأقام معه نديماً في الرقة ثم توفي بعده بقليل سنة ٤١هـ ودفن إلى جانبه هناك.

(٣) المرورى جمع مروراة وهي الفلاة البعيدة المستوية.

وأما الشعر فنقله طُرَيح من قول زُهَير:

سَعَى بعدهم قومٌ لكي يُدركوهمُ فلم يفعلوا ولم يُليموا[١] ولم يألوا

[الطويل]

قال إسحاق: فعجبْتُ واللَّه من علمه بالألحان والأشعار، وإذا اللحن يُشْبِهُ لحنَ الدَّلال، قال: وكذلك الشعر؛ فاغتمَمْتُ أني لم أكن فَهِمْتُ اللحنَ، وكان ذلك أشدَّ عليَّ من ذهاب أمر الشعر عليّ، وأنا واللَّه مع ذلك أُغنِّي الصوتين وأحفظ الشعرين. قال الحسين: ولحنُ الدَّلال في شعر أبي زُبيد هذا من خفيف الثَّقيل أيضاً.

[قصته مع اعرابي عاشق]

أخبرني يحيى بن علِّي بن يحيى إجازةً قال: حَدَّثني أبو الحسن البَلاذُريّ أحمد ابن يحيى وأبو أيّوب المَدينيّ، قال البَلاذُريّ وحدَّثني الحِرْمازيّ، وقال أبو أيوب وحدَّثني الحِرمازيّ قال حدَّثني أبو القَعقاع سهل بن عبد الحميد عن أبي وَرْقاء الحنفي قال: خرجت من الكوفة أريد بغداد، فلما صِرْتُ إلى أول خانٍ نزلتُهُ، بَسَطَ غلمانُنا وهيؤوا غداءهم، ولم يجيء أحدٌ بعد، إذ رمانا البابُ برجلٍ فارِهِ البِرْذَوْن[٢] حسن الهيئة، فصِحتُ بالغلمان، فأخذوا دابَّته فدفعها إليهم، ودعوت بالغَداء، فبسط يَدَهُ غير محتشم، وجعلْتُ لا أكرمه بشيء إلا قَبِلَه. ثم جاء غلمانُهُ بعد ساعة في ثَقَلٍ[٣] سَرِيّ وهيئة حسنة؛ فتناسبنا[٤] فإذا الرجل طُرَيح بن إسماعيلَ الثَّقَفِيّ؛ فلما ارتحلنا ارتحلنا في قافلةٍ غَنَّاء لا يُدْرَك طرفاها؛ قال: فقال لي: ما حاجتُنا إلى زِحام الناس ولَيْسَتْ بنا إليهم وَحْشَةٌ ولا علينا خوف! نتقدَّمُهُم بيوم فيَخْلُوا لنا الطريقُ ونصادِفُ الخاناتِ فارغةً ونُودِعُ أنفسَنا إلى أن يُوافوا؛ قلت: ذلك إليك. قال: فأصبحنا الغدَ فنزلنا الخانَ فتغدَّينا وإلى جانبنا نهرٌ ظَليل؛ فقال: هل لك أن نستنقع فيه؟ فَقُلْتُ له شأنك؛ فلما سرا[٥] ثيابه إذا ما بين عُصعُصِه إلى عُنُقِهِ ذاهبٌ، وفي جنبيه أمثالُ الجِرْذان، فوقع في

---

(١) يليموا: اي لم يأتوا ما يلامون عليه حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء لأنها أعلى من أن تبلغ، فهم معذورون في التقصير عنها والتوقف دونها، وهم مع ذلك لم يقصروا في السعي بجميل الفعل.

(٢) البِرْذَوْنُ: الدابة، معروف، وسَيْرَتُه البَرْذَنَةُ، والأُنثى بِرْذَوْنَةٌ، قال:

رأَيتُكَ، إذْ جالَتْ بكَ الخَيْلُ جَوْلةً وأَنتَ على بِرْذَوْنةٍ غيرِ طائلِ

البرذون الفاره: النشيط السريع السير.

(٣) الثقل: متاع السفر.

(٤) تناسبنا: ذكر كلّ منا نسبه.

(٥) سرا ثيابه: القاها عنه.

نفسي منه شيءٌ؛ فنظر إليّ فَفَطِنَ وتبسَّمَ، ثم قال: قد رأيْتُ ذُعْرك مما رأيْتَ؛ وحديثُ هذا إذا سِرْنا العشيَّةَ إن شاء اللَّه تعالى أحدثك به. قال: فلما رَكِبْنا قلت: الحديث! قال: نعم! قَدِمْتُ من عند الوليد بن يزيد بالدنيا، وكَتَبَ إلى يوسفَ بن عمر مع فَرَّاش فملأ يديْ أصحابي، فخرجْتُ أُبادر الطائفَ؛ فلما امتدّ لي الطريقُ وليس يصحبني فيه خَلْقٌ، عنَّ[1] لي أعرابيٌّ على بعير له، فحدَّثني فإذا هو حسنُ الحديث، ورَوَى لي الشعرَ فإذا هو راويةٌ، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر؛ فَقُلْتُ له: من أين أقبَلْتَ؟ قال: لا أدري. قلت: فأين تريد؟ فذكر قصةً يُخْبِرُ فيها أنه عاشقٌ لمُرَيئةٍ قد أفْسَدَتْ عليه عقلَهُ، وستَرها عنه أهلها[2] وجفاه أهله فإنَّما يستريح إلى الطريق ينحدر من مُنحدِريه ويصعد مع مُصعِديه، قلت: فأين هي؟ قال: غداً ننزل بإزائها، فلما نَزَلْنا أراني ظرباً[3] على يسار الطريق، فقال لي: أترى ذلك الظَّرِب؟ قلت: أراه؛ قال: فإنها في مَسقطِه. قال: فأدركَتْنِي أريحيَّةُ الشباب، فَقُلْتُ: أنا واللَّه آتيها برسالتك. قال: فَخَرَجْتُ وأتيت الظَّرِبَ، وإذا بيت حَرِيدٌ[4]، وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ، فذكرته لها، فَزَفَرَتْ زفرةً كادت أضلاعُها تَسَّاقَطُ؛ ثم قالت: أوَحَيٌّ هو؟ قلت: نعم، تركتُهُ في رَحلي وراء هذا الظَّرِب، ونحن بائتون ومُصْبِحون؛ فقالت: يا أبي أرى لك وجهاً يدلّ على خير، فهل لك في الأجر؟ فقلت: فقيرٌ واللَّه إليه؛ قالت: فالبس ثيابي وكن مكاني وَدَعْني حتى آتيه، وذلك مُغَيرِبان الشمس؛ قُلْتُ: أفعلُ؛ قالت: إنك إذا أظلمْتَ أتاك زوجي في هَجْمَةٍ[5] من إبله، فإذا بَرَكَتْ أتاك وقال: يا فاجرة يا هنتاهُ[6]، فَيُوسِعُكَ شتماً فأوسِعْهُ صمتاً، ثم يقول: اقَمَعي[7] سقاءك، فَضَع القِمَع في هذا السِّقاء حتى يُحقَّن[8] فيه، وإياك وهذا الآخر فإنَّه واهي الأسفلِ. قال: فجاءَ فَفَعَلْتُ ما أمرتني به، ثم قال: اقمَعِي سقاءك، فحيننيِ[9] اللَّه،

(١) عنّ لنا كذا عناً وهو معنّ مفنّ: عريض ذو فنون. و«لا أفعل ذلك ما عنّ في السماء نجم» أي ما عرض وظهر.
(٢) ورد في بعض المصادر «وحدّ عليها أهلها» بدل «وسترها عنه أهلها»
(٣) الظَّرِبُ، بكسر الراء: واحد الظِّرابِ، وهي الروابي الصغار.
(٤) كوْكب حَريدٌ، أي مُعْتَزِلٌ عن الكَواكِبِ. قال الأصمعي: رجل حَريدٌ: أي فَريدٌ وحيدٌ. قال: والمُنْحَرِدُ: المُنْفَرِدُ، في لغة هُذَيل.
(٥) أبو عبيد: الهَجْمَةُ من الإبل: أوَّلها الأربعون إلى ما زادت. وهُنَيْدَةُ: المائة فقط.
(٦) قيل يا هذه، وقيل: يا بلهاء.
(٧) قمع الإناء: وضع القمع في فمه ليصب فيه الدهن وغيره.
(٨) حقن اللبن: جمعه.
(٩) الحَيْنُ: الهلاكُ. حان يَحينُ حَيْناً، وكلّ شيءٍ لم يُوفَّق للرشاد فقد حان حيناً.

فتركت الصحيحَ وقَمَعْتُ الواهي، فما شَعَرَ إلا باللبن بين رِجْليه، فَعَمَدَ إلى رشاءٍ[1] من قدٍّ مَربوع، فثناه باثنين فصار على ثمانِ قُوّى، ثم جعل لا يتقي منِّي رأساً ولا رِجْلاً ولا جَنْباً، فَخَشيْتُ أن يبدو له وجهي، فتكونَ الأخرى، فألزَمْتُ وجهي الأرضَ، فَعَمِلَ بظهري ما ترى.

(١) الرشاء: الحبل.

ذكر أخبار
أبي سعيد مولى فائد ونسبه

[ولاؤه]

أبو سعيد مولى فائد، وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عَفَّان رضي اللَّه تعالى عنه. وذكر ابن خُرْداذْبَة أن اسم أبي سعيد إبراهيم. وهو يعرف [بين][1] الشعراء بٱبن أبي سنَّة مولى بني أمية، وفي المغنِّين بأبي سعيد مولى فائد. وكان شاعراً مُجيداً ومُغنِّياً، وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبولَ الشهادة في المدينة معدَّلاً. وعُمّر إلى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم بن المهديّ وإسحاق الموصليّ وذووهما. وله قصائد جِياد في مراثي بني أمية الذين قتلهم عبد اللَّه وداود ابنا عليّ بن عبد اللَّه بن العباس، يُذكر ها هنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديثُ ذكرَهُ.

[طائفة من أخباره]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عُبَيد اللَّه بن عبد اللَّه عن إسحاقَ، وأخبرني الحُسَينُ بن يحيى عن ابن أبي الأزهر عن حَمَّاد عن أبيه، واخبرنا به يحيى بن عليّ عن أخيه أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب عن أبي جعفر الأسديّ عن إسحاقَ، قال يحيى خاصّةً في خبره: قال إسحاق: حَجَجْتُ مع الرشيد، فلما قَرُبْتُ من مكة استأذنْتُهُ في التقدُّم فأذِنَ لي، فَدَخَلْتُ مكةَ، فسألْتُ عن أبي سعيد مولى فائد، فقيل لي: هو في المسجد الحَرام؛ فأتيْتُ المسجدَ فَسَأَلْتُ عنه، فدلِلْتُ عليه، فإذا هو قائمٌ يُصَلِّي، فَجِئْتُ فجلست قريباً منه؛ فلمَّا فَرَغَ قال لي: يا فتى، ألك حاجة؟ قُلْتُ: نعم، تُغَنِّيني: «لقد طُفْتُ سبعاً». هذه رواية يحيى بن عليّ. وأما الباقون فإنَّهم ذكروا عن إسحاقَ أنَّ المهديّ قال هذا لأبي سعيد وأمره أن يُغَنِّي له:

لَقَدْ طِفْتُ سَبعاً قُلْتُ لما قَضَيْتُها ألا لَيتَ هذا لا عليّ ولا ليا

[الطويل]

(١) ورد في بعض المصادر «في» بدل «بين».

وَرَفَقَ به وأدنى مَجْلِسَهُ، وقد كان نَسَكَ؛ فقال: أوَ أُغَنِّيك يا أمير المؤمنين أحسن منه؟ قال: أنت وذاك. فغنّى:

إنَّ هـذا الـطـويـلَ مِـنْ آلِ حَـفْـصٍ نَـشَـرَ الـمـجـدَ بـعـد مـا كـان مـاتـا
وبـنـاه عـلـى أسـاسٍ وَثِـيـقٍ وعِـمـادٍ قـد أثـبـتَـتْ إثـبـاتـا
مـثـل مـا قـد بَـنَـى لـه أوّلـوه وكـذا يُـشْـبِـهُ الـبـنـاةُ الـبُـنـاتـا

[الخفيف]

ـ الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ـ فأحسن، فقال له المهديّ: أحْسَنْتَ يا أبا سعيد! فَغَنِّني «لقد طفت سبعاً». قال: أو أُغَنِّيك أحسنَ منه؟ قال: أنت وذاك. فَغَنَّاه:

قَـدِمَ الـطـويـلُ فـأشـرَقَـتْ واسـتَـبْـشَـرَتْ أرضُ الـحـجـاز وبـانَ فـي الأشـجـار
إنَّ الـطـويـلَ مـن آل حـفـصٍ فـاعـلـمـوا سـاد الـحـضـورَ وسـادَ فـي الأسـفـارِ

[الكامل]

فأحسن فيه. فقال: غَنِّني «لقد طِفْتُ سَبعاً»، قال: أوَ أُغَنِّيك أحسنَ منه؟ قال: فَغِنِّني. فغنَّاه:

أيـهـا الـسـائـلُ الـذي يَـخـبِـطُ الأرضَ دَعِ الـنَّـاسَ أجـمـعـيـن وراكـا
وأْتِ هـذا الـطـويـلَ مـن آل حـفـصٍ إن تَـخَـوَّفـت عَـيْـلَـةً أو هـلاكـا

[الخفيف]

فأحسن فيه. فقال له: غَنِّني «لقد طفت سبعاً»، فقد أحسنْتَ فيما غَنَّيت، ولكنَّا نُحبّ أن تُغنِّي ما دعوناك إليه؛ فقال: لا سبيل إلى ذلك يا أمير المؤمنين؛ لأنِّي رأيْتُ رسول اللَّه ﷺ في منامي وفي يده شيءٌ لا أدري ما هو، وقد رَفَعَهُ ليضرِبَني به وهو يقول: يا أبا سعيدَ، لقد طِفْتُ سبعاً، لقد طِفْتُ سبعاً، سبعاً طفْتُ! ما صنعْتَ بِأُمَّتي في هذا الصوت! فَقُلْتُ له: بأبي أنت وأمي واغفِرْ لي، فَوَالذي بَعَثَكَ بالحقِّ واصطفاك بالنبوَّةِ لا غَنَّيْتُ هذا الصوت أبداً؛ فَرَدَّ يَدَه ثم قال: عفا اللَّه عنك إذاً! ثم انتبهْتُ. وما كُنْتُ لأعطِيَ رسولَ اللَّه ﷺ شيئاً في منامي فأرجعَ عنه في يَقْظَتِي. فبكى المهديُّ وقال: أحسَنْتَ يا أبا سعيدٍ أحسنَ اللَّه إليك! لا تَعُدْ في غنائه، وحَبَاه وكَسَاه وأمرَ بِرَدِّهِ إلى الحجاز. فقال له أبو سعيد: ولكن اسمعْهُ يا أمير المؤمنين من مَنَّةَ جاريةِ البرامكة. وأظنّ حكاية مَنْ حكى ذلك عن المهديّ غلطاً؛ لأن مَنَّةَ جاريةَ البرامكة لم تكن في أيام المهديّ، وإنَّما نَشَأَتْ وعُرِفَتْ أيام الرَّشيد.

وقد حدَّثني أحمد بن جعفر جَحظَة قال: حَدَّثني هبة اللَّه بن إبراهيمَ بن المهديّ

عن أبيه أنه هو الذي لقي أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القصة. وذكر ذلك أيضاً حمَّاد بنُ إسحاقَ عن إبراهيمَ بنِ المهديّ. وقد يجوز أن يكون إبراهيم بن المهديّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهديّ. وأمَّا خبرُ إبراهيمَ بن المهديّ خاصةً فله معانٍ غيرُ هذه، والصوتُ الذي سأله عنه غيرُ هذا؛ وسيُذكر بعد قضاء هذه الأخبار لئلاَّ تَنْقَطعُ.

وأخبرني إسماعيلُ بن يونس الشِّيعي قال: حدَّثنا عمر بن شبَّة: أن إبراهيم ابن المهدي لقي أبا سعيد مولى فائدٍ؛ وذَكَرَ الخبر بمثل الذي قبله، وزادَ فيه: فقال له: اشْخَصْ معي إلى بغدادَ، فلم يفعل؛ فقال: ما كنت لآخذك بما لا تحبّ، ولو كان غيرُكَ لأكرهتُهُ على ما أُحِبُّ، ولكن دُلَّني على ما ينوب عنك. فَدَلَّه على ابن جامِع، وقال له: عليك بِغُلامٍ من بني سَهْم قد أخذ عَنِّي وعن نُظرائي وتخرَّجَ، وهو كما تُحِبُّ. فأخذَه إبراهيم معه فأقدَمَهُ بغدادَ؛ فهو الذي كان سببَ وروده إياها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صـــوت

من المائة المختارة

لَقَدْ طِفْتُ سَبعاً قُلْتُ لما قَضَيْتُها ... ألا لَيْتَ هذا لا عليّ ولا ليا

يُسائلني صَحبي فما أعقِلُ الذي ... يقولون من ذكر لليلى أعترانيا

[الطويل]

عروضُه من الطويل. ذكر يحيى بن عليّ أن الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد، وذَكَرَ غيرُهُ أن الشعرَ للمجنون. ولحنُهُ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر وهو المختار. وذَكَرَ حَبشٌ أن فيه لإبراهيمَ خفيفَ رَملٍ آخرَ. والذي ذكر يحيى بن عليّ من أن الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح.

أخبرني عمي عن الكِرانيّ عن عيسى بن إسماعيلَ عن القَحذَميّ أنه أنشده لأبي سعيد مولى فائد. قال عمي: وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمدُ بن أبي طاهر عن أبي دِعامةَ لأبي سعيد. وبعد هذين البيتين اللّذين مضيا هذه الأبياتُ:

إذا جِئتَ بابَ الشِّعبِ شِعبِ ٱبنِ عامِرٍ[1] ... فَأَقرِىء غَزالَ الشِّعبِ مِنّي سَلامِيا

(١) شعب بني عامر: ماء أوّله الأبلة.

وَقُـل لِـغَـزالِ الـشِّـعـبِ هَـل أَنـتَ نـازِلٌ بِـشِـعـبِـكَ أَم هَـل يُـصـبِـحِ الـقَـلـبُ ثـاوِيـا
لَـقَـد زادَنـي الـحُـجّـاجُ شَـوقـاً إِلَـيـكُـمُ وَقَـد كُـنـتُ قَـبـلَ الـيَـوم لِـلـحَـجِّ قـالِـيـا[1]
وَمـا نَـظَـرَتْ عَـيـنـي إِلـى وَجـهِ قـادِمٍ مِـنَ الـحَـجِّ إِلاّ بَـلَّ دَمـعـي رِدائِـيـا
[الطويل]

في البيت الأوّل من هذه الأبيات، هو:

إِذا جِئتَ بابَ الشِّعبِ شِعبِ ٱبنِ عامِرٍ

لابن جامع خفيفُ رملٍ عن الهِشاميّ.

ومنها:

صوت

إن هـذا الـطـويـل مـن آل حـفـصٍ نـشـر الـمـجـدَ بـعـد مـا كـان مـاتـا
وبـنـاه عـلـى أسـاسٍ وثـيـقٍ وعـمـادٍ قـد أَثـبـتـت إثـبـاتـا
مـثـل مـا قـد بـنـى لـه أوَّ لـوه وكـذا يُـشـبـه الـبُـنـاةُ الـبُـنـاتـا
[الخفيف]

عروضُهُ من الخفيف. والشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد. ولحنه رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

قَـدِمَ الـطـويـلُ فـأشـرقَـتْ لـقـدومـه[2] أرضُ الـحـجـاز وبـانَ فـي الأشـجـارِ
إنَّ الـطـويـلَ مـن آل حـفـصٍ فـاعـلـمـوا سـادَ الـحـضـورَ وسـادَ فـي الأسـفـارِ
[الكامل]

الشعر والغناء لأبي سعيد.

ومنها:

---

(١) قلى: طرد وساق.

(٢) ورد في بعض المصادر «استبشرت» بدل «لقدومه».

صوت

أيُّـهـا الـطـالـبُ الـذي يَـخـبِـطُ الأرضَ دَعِ الـنـاسَ أجـمـعـيـن وراكـا
وأتٍ هـذا الـطـويـل مـن آل حـفـصٍ إنْ تَـخَـوَّفْـتَ عـيـلـةً أو هـلاكَـا
[الخفيف]

عروضُهُ من الخفيف. الشعرُ لأبي سعيد مولى فائد، وقيل: إنه للدَّارِميّ. والغناءُ لأبي سعيد خفيفُ ثقيلٍ. وفيه للدَّارِميّ ثاني ثقيل.

الطويل من آل حفص الذي عنَاه الشعراء في هذه الأشعار، وهو عبد اللَّه بن عبد الحميد بن حفص، وقيل: ابن أبي حفص بن المُغيرة المَخْزُوميّ؛ وكان مُمَدَّحاً.

[مدحه لعبد اللَّه بن عبد الحميد المخزومي]

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبي أيُّوب المَدينيّ قال: حَدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه: أن عبد اللَّه [بن عليّ] بن عبد الحميد المَخزوميّ، كان يُعطي الشعراء فَيُجْزِلُ، وكان مُوسِراً، وكان سبب يَساره ما صار إليه من أمّ سَلَمة المخزوميَّة امرأةِ أبي العبَّاس السَّفَّاح، فإنه تزوَّجها بعده، فَصَارَ إليه منها مالٌ عظيمٌ، فكان يتسمَّح به ويَتَفَتَّى[1] ويتَّسِعُ بالعطايا. وكانت أمُّ سلمة مائلةً إليه، فأعطته ما لا يدرى ما هو، ثم إنها اتَّهمته بجاريةٍ لها فاحتجَبَتْ عنه، فلم تَعُدْ إليه حتى مات. وكان جميلَ الوجه طويلاً. وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد:

إنَّ هـذا الـطـويـلَ مـنْ آل حـفـصٍ نـشـر الـمـجـدَ بـعـد مـا كـان مَـاتـا
[الخفيف]

وفيه يقول الدارميّ:

أيُّـهـا الـسـائِـلُ الـذي يَـخـبِـطُ الأرضَ دعِ الـنَّـاس أجـمـعـيـن وَرَاكـا
وأْتِ هـذا الـطـويـلَ مـن آل حـفـصٍ إن تـخـوَّفْـتَ عَـيـلَـةً أو هـلاكـا
[الخفيف]

وفيه يقول الدارميّ أيضاً:

إنَّ الـطـويـلَ إذا حَـلَـلْـتَ بِـهِ يـومـاً كـفـاك مَـؤُونـة الـثِّـقْـلِ
[الكامل]

---

(١) يتفتى: يعطي بسخاء.

- ويروى:

ابـــنُ الـــطـــويـــل إذا حـــلـــلـــت بـــه
وحـــلَـــلْـــتَ فـــي دَعَـــةٍ وفـــي كَـــنَـــفٍ رَحْـــبِ الـــفِـــنـــاء ومـــنـــزلٍ سَـــهْـــلِ
[الكامل]

غنَّاه ابن عَبَّاد الكاتب، ولَحنُهُ من الثقيل الأول بالبنصر عن ابن المَكِّي.

غناؤه في المسجد

فأمَّا خبر إبراهيمَ بن المهديّ مع أبي سَعيد مولى فائد الذي قلنا إنه يُذْكَرُ هاهُنا، فأخبرني به الحسن بن عليّ، قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزَّيَّات قال: حدَّثني القَطِرانِيّ المُغَنِّي قال: حَدَّثني ابن جبر قال: سَمِعْتُ إبراهيمَ بن المهديّ يقول: كُنْتُ بمكة في المسجد الحرام، فإذا بشيخ قد طَلَعَ وقد قَلَبَ إحدى نعليه على الأُخرى وقام يُصلِّي؛ فَسَأَلْتُ عنه فقيل لي: هذا أبو سعيد مولى فائد؛ فَقُلْتُ لبعض الغِلْمان: احصِبْه فَحَصَبَهُ؛ فأقبل عليه وقال: ما يظنُّ أحدكم إذا دخل المسجد إلاَّ أنَّهُ له؛ فَقُلْتُ لِلغلام: قُلْ له: يقولُ لك مولاي: أبلغني؛ فقال ذلك له؛ فقال له أبو سعيد: مَنْ مولاك حَفِظَهُ اللَّه؟ قال: مولاي إبراهيم بن المهديَ، فمن أنت؟ قال: أنا أبو سعيد مولى فائد؛ وقام فجلس بين يديّ، وقال: لا واللَّه ـ بأبي أنت وأمي ـ ما عرفْتُك! فَقُلْتُ: لا عليك! أخبرني عن هذا الصوت:

أَفـــاضَ الـــمَـــدامِـــعَ قَـــتْـــلَـــى كُـــدى[1] وَقَـــتْـــلَـــى بِـــكُـــثْـــوَةَ[2] لـــمْ تُـــرْمَـــسِ[3]
[المتقارب]

قال: هو لي. قُلْتُ: وربِّ هذه البَنيَّة لا تَبْرَحُ حتى تُغَنِّيَه؛ قال: وربِّ هذه البَنِيَّة لا تبرحُ حتى تَسْمَعَهُ. قال: ثم قَلَبَ إحدى نعليه وأَخَذَ بِعَقَبِ الأُخرى، وجَعَلَ يَقْرَعُ بحرفها على الأخرى ويُغَنِّيه حتى أتى عليه، فأخذتُهُ منه. قال ابن جبر: وأخذته أنا من إبراهيمَ بن المهديّ.

[ردَّ شهادته ثم قبولها]

أخبرني رِضوان بن أحمدَ الصَّيْدَلانيّ قال: حَدَّثنا يوسفُ بن إبراهيم قال: حَدَّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ قال: حَدَّثني دنية المَدَنيّ صاحب العبَّاسة بنتِ المهديّ، وكان آدبَ من قَدِم علينا من أهل الحجاز: أنَّ أبا سعيد مولى فائد حَضَرَ

(١) كُدى: موضع بأسفل مكة المكرمة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعيين/ وكدى(مثل فتى)ثنية بالطائف. وكداء: اسم لعرفات أو جبل بأعلى مكة.
(٢) كثوة: اسم موضع. (٣) البيت لابن أبي سبة العبلي.

مجلس محمد بن عمران التَّيميّ قاضي المدينة لأبي جعفر، وكان مُقدِّماً لأبي سعيد. فقال له ابن عمران التيميّ: يا أبا سعيد أنت القائل:

لَقَدْ طِفْتُ سَبعاً قُلْتُ لما قَضَيْتُها ألا لَيتَ هذا لا عليّ ولا ليا

[الطويل]

فقال: أي لعَمْرُ أبيك، وأني لأُدمِجه إدماجاً من لؤلؤ؛ فردَّ محمد بن عمران شهادتَهُ في ذلك المجلس. وقام أبو سعيد من مَجْلِسِهِ مُغضَباً وحَلَفَ أن لا يشهدَ عنده أبداً. فأنكَرَ أهلُ المدينة على ابن عمران ردَّه شهادَتَهُ؛ وقالوا: عَرَّضَتْ حقوقَنا للتَّوى[1] وأموالَنا للتلف؛ لأنا كُنَّا نُشهد هذا الرجلَ لعلمنا بما كُنْتَ عليه والقُضاةُ قبلك من الثِّقة به وتقديمه وتعديله؛ فَنَدِمَ ابنُ عِمران بعد ذلك على ردِّ شهادته، ووَّجه إليه يسأله حضورَ مجلسِهِ والشهادةَ عنده ليقضيَ بشهادتِهِ؛ فامتنع، وذَكَرَ أنه لا يقدِر على حضور مجلسه ليمينٍ لِزِمَتْهُ إن حضَرَهُ حَنِثَ. قال: فكان ابنُ عمران بعد ذلك، إذا ادَّعى أحدٌ عنده شهادةَ أبي سعيدٍ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه ويسأله عما يشْهَدُ به فيُخْبِرُهُ. وكان محمد بن عمران كثيرَ اللحم، عظيمَ البطن، كبيرَ العجيزة، صغيرَ القدمين، دقيقَ الساقين، يشتدّ عليه المشي، فكان كثيراً ما يقول: لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طِفْتُ سبعاً» وأضرَّ بي ضرراً طويلاً شديداً، وأنا رجل ثَقالٌ، بتردّدي إلى أبي سعيد لأسمع شهادتَهُ.

أخبرني عمي قال: حَدَّثنا الكِرانيّ قال: حَدَّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال: كان المُطَّلِب بن عبد اللَّه بن حَنْطَب قاضياً على مكة، فَشَهِدَ عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة؛ فقال له المطلب: وَيْحَكَ! أَلَسْتَ الذي يقول:

لَقَدْ طِفْتُ سَبعاً قُلْتُ لما قَضَيْتُها ألا لَيتَ هذا لا عليّ ولا ليا

[الطويل]

لا قَبِلْتُ لك شهادةً أبداً. فقال له أبو سعيد: أنا واللَّه الذي يقول:

كأنَّ وجوه الحنطَبيِّين[2] في الدُّجى قناديلُ تَسقيها السَّليطَ[3] الهياكلُ

[الطويل]

---

(١) قال الليث: التَّوَى ذهاب مالٍ لا يُرجى، والفعل منه تَوِيَ يَتْوَى تَوًى، أي ذهب، وأَتْوى فلان ماله فَتَوَى، أي ذهب به.

(٢) الحنطبيون: بطن من مخزوم، ينسبون إلى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشي الصحابي.

(٣) قال: واشتقاق السلطان من السليط، قال: والسَّليط ما يُضاء به، ومن هذا قيل للزيت: السَّليط. =

فقال الحَنطبيّ: إنَّكَ ما علمتُك إلا دَبَّاباً حول البيت في الظُّلَمِ، مُدْمِناً للطَّواف به في الليل والنهار؛ وقَبِل شهادَته.

نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذي في حديث

إبراهيم بن المهديّ وخبره

صوت

أفاضَ المدامِعَ قَتْلَى كُدًى ... وقتْلَى بكُثْوَةَ لم تُرْمَسِ
وقَتْلى بِوَجٍّ[1] وبالَّلابَتَينِ[2] ... من يثربٍ خيرُ ما أنفُسِ
وبالزَّابِيَيْنِ[3] نُفُوسٌ ثَوَتْ ... وأُخرى بنَهْر أبي فُطْرُسِ[4]
أولئك قومِي أناخَتْ بهم ... نوائِبُ من زَمَنٍ مُتْعِسِ
إذا رَكِبُوا زيَّنوا المَوكِبين ... وإن جَلَسُوا الزينُ في المجلسِ
هُمُ أضْرَعُونِي لِرَيْب الزمان ... وهم ألصَقوا الرغمَ بالمَعطِسِ

[المتقارب]

عروضه من المتقارب. الشعر للعَبَليّ، واسمه عبد اللَّه بن عمر، ويُكَنَى أبا عَديّ، وله أخبارٌ تذكرُ مُفردةً في موضَعِها إن شاء اللَّه. والغِناءُ لأبي سَعيدٍ مولى فائد، ولحنه من الثَّقيل الثاني بالسبَّابة في مجرى البنصر. وقصيدة العَبَليّ أولها:

تَقُولُ أُمامَةُ لَمَّا رَأَتْ ... نُشُوزِي عَنِ المَضجعِ الأنْفَسِ

[المتقارب]

= قال: وقوله: (فانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) أي حيثما كنتم شاهدتم حجة للَّه وسلطاناً يدلّ على أنه واحد قوله: (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) معناه: ذهب عني حجتي.

(١) وجّ: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن آخر وطأة للَّه بِوَجّ». وَجّ، هو الطائف. وأراد بالوطأة الغزاة هاهنا، وكانت غزوة الطائف آخر غزوات رسول اللَّه ﷺ، واسمها وَجّ.

(٢) اللابتان: تثنية لابة وهي الحرّة، وهما حرتان تكتنفان المدينة.

(٣) الزابيان: هما الزاب الأعلى الذي بين الموصل وإربل. وفيه كانت وقعة بين مروان بن محمد وبني العباس؛ والزاب الأسفل وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة وعليه مقتل عبيد اللَّه بن زياد وهو من بني أمية.

(٤) نهر أبي فطرس: نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثني عشر ميلاً من الرملة، ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس، ويصب في البحر الملح بين يدي مدينتي أرسوف ويافا؛ وبه كانت الوقعة التي بين عبد اللَّه بن العباس وبين بني أمية، فقتلهم في سنة ١٣٢هـ.

[إبكاؤه في الإنشاد]

نَسَخْتُ من كتاب الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار، وأخبرني الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ عن الزُّبير عن سليمانَ عن عَيَّاش السَّعْديّ قال: جاء عبد اللَّه بن عمر العَبَليّ إلى سُوَيقةَ[١] وهو طَرِيد بني العبَّاس؛ وذلك بعقب أيام بني أُمَيَّة وابتداء خروج مُلكهم إلى بني العبَّاس، فَقَصَدَ عبد اللَّه وحَسناً ابني الحسن بن حسنٍ بِسُوَيقةَ؛ فاستنشده عبدُ اللَّه بن حسنٍ شيئاً من شعرِهِ فأنشده؛ فقال له: أريدُ أن تُنْشِدني شيئاً مما رَثَيت به قومَكَ؛ فأنشده قولَهُ:

تَـقـولُ أمـامَـةُ لـمّـا رَأَتْ ... نُـشُـوزِي عـن الـمَـضْـجَـعِ الأَنْـفَـسِ
وقِـلَّـةَ نَـوْمِـي عـلـى مَـضْـجَـعِـي ... لـدَى هَـجْـعَـةِ الأعـيُـنِ الـنُّـعَّـسِ
أبِـي مَـا عَـراكَ؟ فـقـلـتُ: الـهُـمـومُ ... عَـرَوْنَ[٢] أبَـاكِ فـلا تُـبْـلِـسِـي[٣]
عَـرَوْنَ أبـاكِ فـحـبَّـسْـنَـهُ ... مـن الـذُّلّ فـي شـرّ مـا مَـحْـبِـسِ
لِـفَـقْـدِ الأحِـبَّـة إذْ نـالـهَـا ... سِـهَـامٌ مـن الـحَـدَثِ الـمُـبِـئـسِ[٤]
رَمَـتْـهَـا الـمَـنُـونُ بـلَا نُـكَّـلٍ ... ولا طـائِـشـاتٍ ولا نُـكَّـسِ
بـأسْـهُـمِـهـا الـمُـتْـلِـفَـاتِ[٥] الـنُّـفُـوسِ ... مَـتَـى مـا تُـصِـبْ مُـهْـجَـةً تَـخْـلِـسِ
فـصَـرَّعـنـهُـمُ فـي نـواحِـي الـبـلادِ ... مُـلـقًّـى بـأرْضٍ ولـمْ يُـرْسَـسِ[٦]
تَـقِـيٌّ أُصِـيْـبَ وأثْـوابُـهُ ... مـن الـعَـيـب والـعَـار لـم تَـدْنَـسِ
وآخَـرُ قـد دُسَّ فـي حُـفْـرَةٍ ... وآخَـرُ قـد طَـار لَـمْ يُـحْـسَـسِ
إذا عـنّ ذكْـرهُـمُ لـم يَـنَـمْ ... أبـوكِ وأوحـشَ فـي الـمـجـلـسِ
فـذاك الَّـذِي غَـالَـنـي فـاعـلـمـي[٧] ... ولا تَـسـألـي بـامـرئٍ مُـتْـعَـسِـي
وفـي ذاك أشْـيـاءُ قـد ضِـفْـنَـنـي ... ولَـسْـتُ لَـهُـنَّ بـمُـسْـتَـحْـلِـسِ

---

(١) سويقة: موضع قرب المدينة المنورة، سكنه آل علي بن أبي طالب.
(٢) عراه يعريه ويعروه: غَشيه.
(٣) أَبْلَسَ من رحمة اللَّه، أي يَئِسَ. ومنه سمِّي إبْليسُ، وكان اسمه عَزازِيلُ. والإبْلاسُ أيضاً: الإنكسار والحزن.
(٤) ورد في بعض المصادر «الحَدَثِ المُوئسِ» بدل «الحدث المُبئس».
(٥) ورد في بعض المصادر «الخالسات» بدل «الحدث المُتلفات».
(٦) الرس: الدفن.
(٧) ورد في بعض المصادر «فاصْمُتِي» بدل «فاعلمي».

أذَلُّوا قَنَاتِي لِمَنْ رَامَهَا وقد ألصقوا الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ
[المتقارب]

قال: فرأيْتُ عبد اللَّه بن حسنٍ وإنَّ دموعَه لتجري على خَدِّه.

[غناؤه الرشيد]

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيّ عن إبراهيم بن رَباح قال: عُمِّر أبو سعيد بن أبي سنة مولى بني أمية وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيام الرشيد؛ فلما حجّ أحضره فقال: أنشدني قصيدتَكَ:

تَقُولُ أمَامَةُ لَمّا رَأَتْ

فاندفع فغنَّاه قبل أن يُنْشِدَه الشعرَ لحنه في أبياتٍ منها، أوَّلها:

أفاضَ المدامِعَ قَتْلَى كُدَى

وكان الرشيد مُغضَباً فسكن غَضَبُهُ وطَرِبَ، فقال: أنشدني القصيدةَ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، كان القوم مواليّ وأنعموا عليَّ فرثيتُهُم ولم أهْجُ أحداً؛ فتركه.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حَدَّثنا الحزَنْبَلُ قال: كُنَّا عند ابن الأعرابِيّ وحَضَرَ معنا أبو هَفَّان[1]، فأنشدنا ابن الأعرابيّ عَمَّنَ أنشده قال: قال ابن أبي سبَّة العَبَليّ:

أفاضَ المَدامِعَ قَتْلَى كذا وَقَتْلَى بِكَبْوةَ لَمْ تُرْمَسِ
[المتقارب]

فَغَمَزَ أبو هَفَّان رَجُلاً وقال له: قُل له: ما معنى «كذا»؟ قال: يريد كثرتهم؛ فلما قمنا قال لي أبو هَفَّان: أسمعْتَ إلى هذا المعجب الرَّقيع! صَحِّف اسمَ الرجل. هو ابن أبي سنّة، فقال: ابن أبي سبَّة؛ وصَحَّفَ في بيتٍ واحدٍ موضعيْن؛ فقال: «قَتْلى كذا» وهو كُدى، و«قتلى بكُبْوة» وهو بكُثْوة. وأغلظُ عليَّ من هذا أنه يفسِّر تصحيفَهُ بوجهٍ وَقَاحٍ.

وهذا الشعرُ الذي غنَّاه أبو سعيد يقوله أبو عديّ عبد اللَّه بن عمر العَبَليّ فيمن قتله عبدُ اللَّه بن عليّ بنهر أبي فُطْرس أبو العبَّاس السفاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أُمَيَّة. وخبرهم والوقائعُ التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرها جدّاً. ونذكر ها هنا ما يُسْتَحْسَنُ منها.

(١) أبو هفان كنية عبد اللَّه بن أحمد المهزمي.

ذكر من قتل
أبو العباس السفاح من بني أمية

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني مُسَبِح بن حاتِم العُكْليّ قال: حَدَّثني الجَهْم بن السَّبَّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن عليّ قال: لمَّا استمرَّت الهزيمة بمروان، أقام عبدُ اللَّه بن عليّ بالرَّقَّة، وأنفذ أخاه عبدَ الصمد في طلبِهِ فصار إلى دمشق، وأتبعه جَيشاً عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قوّاد خُراسان، فَلَحِقَهُ وقد جاز مصرَ في قرية تدعى بُوصير[1]، فقتله، وذلك يومَ الأحد لثلاثٍ بقين من ذي

(١) بوصير: قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر، إليها انهزم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية فقتله عامر بن إسماعيل من أهل خراسان سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان قال حين وصل إلى بوصير: نحن ببوصير والى اللَّه المصير. وكان صالح بن علي دخل في طلب مروان ومعه عامر بن إسماعيل المذحجي فلحقوه بمصر وقد نزل بوصير فهجموا على عسكره وضربوا الطبول وكبروا ونادوا: يا ثارات إبراهيم، فظن من في عسكر مروان أن قد أحاط بهم سائر المسودة فقتل مروان، قتله عامر بن إسماعيل وأراد الكنيسة التي فيها بنات مروان ونساؤه فإذا بخادم لمروان شاهر السيف يريد الدخول عليهن، فأخذوا الغلام فسئل عن أمره فقال: أمرني مروان إذا هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلوني فإنكم واللَّه إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول اللَّه ﷺ، فقالوا له: انظر ما تقول، قال: إن كذبت فاقتلوني، هلموا فاتبعوني، فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل فقال: اكشفوا هاهنا، فكشفوا فإذا البرد والقضيب وقعب ومخصر قد دفنها مروان لئلا تصير إلى بني هاشم، فوجه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد اللَّه بن علي، فوجه بها عبد اللَّه بن علي إلى أبي العباس السفاح فتداولتها خلفاء بني العباس إلى أيام المقتدر، فيقال إن البرد كان عليه يوم قتل. ثم وجه عامر بن إسماعيل ببنات مروان وجواريه والأسارى إلى صالح بن علي، فتكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت: يا عم أمير المؤمنين حفظ اللَّه لك من أمرك ما تحب حفظه وأسعدك في الأمور كلها بخواص نعمه وعلمك بالعافية في الدنيا والآخرة، نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك فليسعنا من عدلكم ما وسعكم من جورنا، قال: إذاً لا نستبقي منكم أحداً رجلاً ولا امرأة، قالت: يا عم أمير المؤمنين فليسعنا عفوكم إذاً، قال: أما العفو فنعم قد وسعكم، فإن أحببت زوجتك من الفضل بن صالح بن علي وزوجت أختك من أخيه، قالت: يا عم أمير المؤمنين وأي أوان عرس هذا فلتلحقنا بحران، قال: أنا أفعل ذلك إن شاء اللَّه تعالى، فألحقهن بحران. واتصل بأبي العباس السفاح ما كان من عامر بن إسماعيل وقتله لمروان ببوصير وقد قيل إن ابن عم لعامر يقال له نافع قتله في تلك الليلة في المعركة وهو لا يعرفه وان عامراً لما احتز=

الحِجَّة، ووجّه برأسه إلى عبد اللَّه بن عليّ، فأنفذه عبد اللَّه بن عليّ إلى أبي العبَّاس؛ فلما وُضِعَ بين يديه خَرَّ للَّه ساجِداً، ثم رَفَعَ رَأسَهُ وقال: الحمد للَّه الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يُبْقِ ثأري قِبَلَك وقِبَلَ رَهطِك أعداءِ الدّين؛ ثم تَمثَّل قولَ ذي الإصبع العَدوانيّ[١]:

لَو يَشرَبونَ دَمي لَم يَروِ شارِبُهُم ... وَلا دِماؤُهُمُ لِلغَيظِ تُروِيني

[البسيط]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال: حدّثني محمد بن يزيد قال: نَظَرَ عبد اللَّه بن عليّ إلى فتًى عليه أُبَّهةُ الشرف وهو يقاتل مُستَنْتِلاً[٢]، فناداه: يا فتى، لك

= رأسه واحتوى على عسكره دخل الكنيسة التي كان فيها مروان فقعد على فرشه وأكل من طعامه، فخرجت إليه ابنة مروان الكبرى وتعرف بأم مروان، فقالت: يا عامر، إن دهراً أنزل أمير المؤمنين عن فرشه حتى أقعدك عليه فأكلت من طعامه واحتويت على أمره وحكمت في مملكته لقادر أن يغير مآربك، فاغتاظ السفاح من ذلك وكتب إليه: ويلك، أما كان لك في أدب اللَّه عز وجل ما يزجرك عن أن تأكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتتمكن من وساده!! أما واللَّه لولا أن أمير المؤمنين تأول ما فعلت على غير اعتقاد منك لذلك والشهوة لمسك من غضبه وأليم أدبه ما يكون لك زاجراً ولغيرك واعظاً، فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب إلى اللَّه عز وجل بصدقة تطفئ بها غضبه وصلاة تظهر بها الاستكانة وصم ثلاثة أيام ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك. فلما جيء برأس مروان ووضع بين يدي أبي العباس السفاح سجد فأطال ثم رفع رأسه فقال: الحمد للَّه الذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك، الحمد للَّه الذي أظفرني بك وأظهرني عليك، ثم قال: ما أبالي متى طرقني الموت وقد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي وقتلت مروان بأخي إبراهيم، وتمثل:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم جمعاً ترويني

ثم حول وجهه إلى القبلة فأطال السجود ثم جلس وقد أسفر وجهه وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه من أبيات له:

أيا قومنا إن تنصفونا فأنصفت ... قواطع في أيماننا تقطر الدما

تدرين من أشياخ صدق تقدموا ... بهن إلى يوم الوغى متقدما

إذا خالطت هام الرجال تركنها ... كبيض نعام في الوغى قد تحطما

(١) حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة من قيس بن عيلان. شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية، وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة قيل له ذو الإصبع لأن أفعى ضربت إبهام رجله فقطعتها. وقيل لأن له إصبعاً زائدة في رجله. وهو أحد الحكماء، عمر طويلاً حتى قيل أنه بلغ ١٧٠ سنة، توفي سنة ٢١هـ.ق، وله شعر مليء بالحكمة والعظة والفخر وهو صاحب القصيدة المشهورة:

أأَسيد إن مالاً مَلَكت ... فَسِر بِهِ سَيراً جَميلا

(٢) نتل، اسْتَنْتَلَ من الصف، إذا تقدم أصحابه. واستَنْتَلَ للأمر: استعدَّ له. والنَّتل: جَذبٌ إلى قدُمٍ. =

الأمانُ ولو كُنْتَ مروانَ بن محمد؛ فقال: إلا أكُنْه فَلَسْتُ بدونه؛ قال: فَلَكَ الأمانَ مَنْ كُنْتَ؛ فأطرق ثم قال:

أَذُلَّ الـحـيـاة وكُـرْهَ الـمـمـاتِ وكُـلّاً أرى لـك شَـرّاً وَبِـيـلاَ[1]

[المتقارب]

- ويروى:

وكُـلّاً أراه طـعـامـاً وَبِـيـلاَ

فـإنْ لَـمْ يَـكُـنْ غـيـرُ إحـداهـمـا فَـسَـيْـراً إلـى الـمـوت سَـيْـراً جـمـيـلا

[المتقارب]

ثم قاتل حتى قُتِلَ؛ قال: فإذا هو ابن مَسلَمَة بن عبد الملك بن مروان[2].

[سديف يحرض السفاح]

أخبرني عمي قال: حَدَّثني محمد بن سَعد الكِرانيّ قال: حَدَّثني النَّضر بن عمرو عن المُعَيْطِيّ، وأخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: قال أبو السائب سَلْم ابن جُنادة السُّوائيّ[3] سَمِعْتُ أبا نُعَيم الفضلَ بن دُكَيْن يقول: دَخَلَ سُدَيفٌ - وهو مولى لآل أبي لَهبٍ - على أبي العبَّاس بالحيرة. هكذا قال وكيع. وقال الكِرانيّ في خبره واللفظُ له: كانَ أبو العبَّاس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونَهُ على الكراسيّ، وبنو أُمَيَّة على الوسائد قد ثُنيتْ لهم، وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسيّ؛ فَدَخَلَ الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجلٌ حجازيّ أسود راكبٌ على نجيبٍ مُتَلَثِّمٌ يستأذنُ ولا يخبر باسمه، ويحلفُ ألا يَحسِرَ اللِّثامَ عن وجهه حتى يراكَ؛ قال: هذا مولاي سُدَيفٌ، يدخلُ، فَدَخَلَ؛ فلما نظر إلى أبي العبَّاس وبنو أُمَيَّة حولَهُ، حَدَرَ اللثام عن وجهه وأنشأ يقول:

أَصْـبَـحَ الـمُـلـكُ ثـابِـتَ الآسـاسِ بـالـبَـهـالـيـل[4] مـن بـنـي الـعـبَّـاسِ

= والنَّثْلُ أيضاً: بيضُ النَّعام يُملأ ماءً فيُدفَنُ في المفازَةِ. والنَّثَلُ بالتحريك مثله. قال الأعشى يصف مَفازة:

لا يـتـنَـمَّـى لـهـا فـي الـقـيْـظ يَـهْـبـطُـهـا إلا الـذيـن لـهـم فـيـمـا أتَـوْا نَـثَـلُ

(١) الشعر لِعقيل بن علفة المرى.

(٢) في النجوم الزاهرة لابن بردى، بعد ذكر هذين البيتين، ورد: «ثم قاتل حتى قتل، فإذا هو محمد ابن عبد الملك، وقيل: ابن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، عفا اللَّه عنه.

(٣) السوائيّ: نسبة إلى سُواءة بن عامر بن صعصعة.

(٤) البهاليل: جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل الخير، أو الحيّ الكريم.

بالصدورِ المُقَدَّمين قديماً والرؤوس القماقم الرُّؤاس[١]
يا أَمير المُطَهَّرينَ مِن الذمّ ويا رأسَ منتهى كلّ راسِ[٢]
أَنتَ مَهْدِيُّ هاشِمٍ وهُداها كَم أُناسٍ رَجَوْكَ بَعْدَ إِياسِ[٣]
لا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثاراً واقطعنْ كلَّ رقلةٍ[٤] وغِراسِ[٥]
أَنْزِلُوها بحيثُ أَنْزَلَها اللَّهُ بدارِ الهَوانِ والإِتْعَاسِ
خوفُهم أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ مِنْها وبهم منكمُ كَحَزِّ المَواسِي
أَقصِهم أيها الخليفة واحسِمْ عنك بالسيف شأفة الأرجاسِ
واذْكُرنْ[٦] مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزَيْدٍ[٧] وقَتِيلٍ[٨] بجانِبِ المِهْراسِ[٩]
والإمامِ[١٠] الذي بِحَرَّانَ أمسى[١١] رَهْنَ قَبرٍ في غُربةٍ وتَناسِ[١٢]

---

(١) الرؤاس: الولاة والحكام.
(٢) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
يا كَريمَ المُطَهَّرينَ مِن الرِّجْسِ ويا راسَ كُلِّ طَوْدٍ وراسِ
(٣) ورد في بعض المصادر «أناس» بدل «إياس».
(٤) الرَّقْلَةُ مثل الزَّعْلَة، والجمع الرِّقالُ، وهي الطِّوال من النخل.
(٥) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل:
لا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثاراً وارْمِها بالمَنُونِ والإِتْعاسِ
(٦) ورد في بعض المصادر «واذكروا» بدل «اذكرن».
(٧) هو الشهيد زيد بن علي زين العابدين بن الحسين، قتل في أيام هشام بن عبد الملك.
(٨) يعني حمزة بن عبد المطلب، الذي استشهد في يوم أحد، وقد قتله وحشيّ غلام جبير بن مطعم.
(٩) المهراس: ماء بأحد، قال ابن الزبعرى:
ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
فاسأل المهراس من ساكنه بعد أبدان وهام كالحجل
وقال شبل بن عبد اللَّه مولى بني هاشم:
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلاً بجانب المهراس
يعني حمزة بن عبد المطلب، وإنما نسب قتله إلى بني أمية لأن أبا سفيان كان رئيس الناس يوم أحد.
(١٠) ورد في بعض المصادر «القتيل» بدل «الامام»، والمقصود بالإمام هنا، ابراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية، وقد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية صبراً.
(١١) ورد في بعض المصادر «أضحى» بدل «أمسى».
(١٢) ورد العجز على الشكل التالي:
ثاوِياً بَيْنَ غُرْبَةٍ وتَناسِ

فـلـقـد سـاءنـي وسـاء سـوائـي قـربُـهـم مـن نـمـارقٍ وكـراسـي
نِـعْـمَ كـلـبُ الـهِـراشِ مَـوْلاكَ لـولا أَوَدٌ مـن حَـبـائِـلِ الإِفْـلاسِ[1]
[الخفيف]

فَتَغيَّر لونُ أبي العبَّاس وأخذه زَمَعٌ[2] ورِعْدة؛ فالتفَتَ بعضُ ولدِ سليمانَ بنِ عبد الملك إلى رَجُلٍ منهم، وكان إلى جَنْبِهِ، فقال: قتلَنا واللَّهِ العبدُ. ثم أقبل أبو العبَّاس عليهم فقال: يا بَنِي الفواعل، أرى قَتْلاكم من أهلي قد سَلَفوا وأنتم أحياءٌ تتلذَّذون في الدُّنيا! خُذوهم! فأخذَتْهم الخُراسانِيَّةُ بالكافر كوبات[3]، فأُهْمِدوا، إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنَّه استجار بداود بن عليّ وقال له: إنَّ أبي لم يكن كآبائهم وقد عَلِمْتَ صنيعتَهُ إليكم؛ فأجاره واستوهَبَهُ من السفَّاح، وقال له: قد عَلِمْتَ يا أميرَ المؤمنين صَنِيعَ أبيه إلينا؛ فوهَبَهُ له وقال له: لا تُرِيَنِّي وَجْهَهُ، وليَكُنْ بحيثُ تأمَنُهُ؛ وكَتَبَ إلى عُمَّالِهِ في النواحي بقتل بني أُمَيَّة.

[سبب قتل السفاح لبني أمية وتشفيه فيهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثني أحمد بن سَعِيد الدِّمَشقيّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار عن عمه: أنَّ سبب قتل بني أُمَيَّة: أنَّ السفَّاح أُنْشِدَ قصيدةً مُدِحَ بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا ممَّا مُدِحْتُم بِهِ! فقال: هيهات! لا يقول واللَّه أحدٌ فيكم مثلَ قول ابن قَيس الرُّقيَّات فينا:

مـا نَـقَـمـوا مـن بـنـي أُمَـيَّـة إلاّ أنـهـم يَـحـلُـمـون إن غَـضِـبـوا
وأنَّـهـم مَـعْـدَنُ الـمـلـوك ولا تَـصْـلُـحُ إلا عـلـيـهـمُ الـعَـرَبُ
[المنسرح]

فقال له: يا ماصّ كَذَا مِنْ أُمِّه! أو إنَّ الخلافةَ لَفِي نَفْسِكَ بَعْدُ! خُذُوهُم! فأُخِذوا وقُتِلوا.

أخبرني عمي عن الكِرانيّ عن النَّضر بن عمرو عن المُعَيطيّ: أنَّ أبا العباس دعا بالغَداء حين قُتِلوا، وأمر بِبِساطٍ فَبُسِطَ عليهم، وجَلَسَ فَوْقَهُ يأكلُ وهُمْ يَضطرِبون

---

(١) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
نِـعْـمَ شِـبْـلُ الـهِـراشِ مَـوْلاكَ شِـبْـلٌ لـو نَـجـا مِـن حَـبـائِـلِ الإِفْـلاسِ
(٢) أصابه زمع: رعدة من الخوف أو النشاط يقال: زمع زمعاً. ورجل زميع بين الزماع وهو الذي إذا أزمع لم يثنه شيء، وقوم زمعاء، وأزمع الأمر وأزمع عليه إذا ثبت عزمه.
(٣) الكفر كوبات، لعلَّ اسم أعجمي لآلات يُضرب بها كالعُمدِ وغيرها.

تحته. فلمَّا فَرَغَ من الأكل قال: ما أعلَمُني أكلْتُ أكلةً قطُّ أهنأ ولا أطيبَ لنفسي منها. فلما فَرَغَ قال: جُرّوا بأرجلهم؛ فَأُلقُوا في الطريق يلعنهم الناسُ أمواتاً كما لعنوهم أحياء. قال: فرأيْتُ الكلابَ تجرُّ بأرجلِهم وعليهم سَراوِيلاتُ الوَشْي حتى أَنْتَنُوا؛ ثم حُفِرَت لهم بئرٌ فألقوا فيها.

[دور ابن هرمة فيما أصاب بني أمية]

أخبرني عمر بن عبد اللَّه بن جميل العَتَكيّ قال: حَدَّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال: حَدَّثني محمدُ بن مَعْنٍ الغِفاريّ عن أبيه قال: لمَّا أَقْبَلَ داود بن عليّ من مكة أقبل معه بنو حسنٍ جميعاً وحسين بن عليّ بن حسين وعليّ بن عُمَر بن عليّ بن حسين وجعفر بن محمد والأرقط محمد بن عبد اللَّه وحسين بن زيد ومحمد بن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان وعبد اللَّه بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاصي وعُروةُ وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان، فَعُمِلَ لداود مجلسٌ بالرُّوَيثة[1]؛ فَجَلَسَ عليه هو والهاشميُّون، وجَلَسَ الأمويون تحتهم؛ فأنشده إبراهيم بن هَرْمة قصيدةً يقول فيها:

فَلا عَفا اللَّهُ عَن مَروانَ مَظلُمَةً ... وَلا أُمَيَّةَ بِئسَ المَجلِسُ النادي
كانوا كَعادٍ فَأَمسى اللَّهُ أَهلَكَهُم ... بِمِثلِ ما أَهلَكَ الغاوينَ مِن عادِ
فَلَن يُكَذِّبَني مِن هاشِمٍ أَحَدٌ ... فيما أَقولُ وَلَو أَكثَرْتُ تَعدادي[2]

[البسيط]

قال: فَنَبَذَ داودُ نحو ابن عَنْبَسة ضَحكةً كالكِشْرة؛ فلمَّا قَام عبدُ اللَّه بن حسن لأخيه حسن: أما رأيْتَ ضَحْكَتُهُ إلى ابن عَنْبَسَة! الحمدُ للَّه الذي صَرَفَها عن أخي[3]

---

(١) الرويثة: بضم أوله وفتح ثانيه وبالثاء المثلثة، قرية جامعة بينها وبين المدينة سبعة عشر فرسخاً، وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: إن رسول اللَّه ﷺ كان ينزل تحت سرحة ضخمة عن يمين الطريق، ووجاه الطريق، في مكان سهل حتى يفضي من أكمة دون الرويثة بميلين وتكون الرويثة آهلة أيام الحاج، وفيها برك للماء يقال لها الأحساء، ومن الرويثة إلى العرج أربعون ميلاً.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن هذيل بن ربيع. ينتهي نسبه إلى الحارث بن فهر، وفهر أصل قريش، ولد سنة ٨٠هـ، وتربى في قبيلة تميم وهي من القبائل العربية الكبيرة في شرق الجزيرة، كان لها شأن في الجزيرة والإسلام. شاعر مشهور من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ذكر الأصمعي أنه رآه ينشد الشعر بين يدي الرشيد. اتفق ابن الأعرابي والأصمعي: على أن الشعر ختم بابن هرمة وبخمسة من معاصريه إلا أن الأصمعي قدمه عليهم وكان يقول: ما يؤخره عن الفحول إلا قرب عهده وقد تنقل بين المدينة ودمشق وبغداد يمدح الخلفاء. توفي سنة ١٧٦هـ، ودفن بالبقيع بالمدينة.

(٣) أخوه لأمه.

يعني العُثمانيّ، قال: فما هو إلا أن قَدِمَ المدينة حتى قَتَلَ ابنَ عَنْبَسَة.

قال محمد بن مَعْنٍ: حدَّثني محمد بن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان قال: استحلف أخي عبدُ اللَّه بن حسن، داود بن عليّ، وقد حَجَّ مَعَهُ سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بطلاق امرأته مُلَيكة بنتِ داود بن حسن ألاَّ يقتل أخويه محمداً والقاسم ابني عبد اللَّه؛ قال: فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إليه آمِناً وهو يَقْتلُ بني أُمَيَّة، وكان يَكْرَهُ أن يراني أهلُ خُراسان ولا يستطيع إليَّ سَبِيلاً ليمينه. فاستدناني يوماً فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فقال: ما أكثرَ الغَفَلَةَ وأقَلَّ الحَزَمَةَ! فأخبرْتُ بها عبدَ اللَّه بن حسن؛ فقال: يا ابن أُمّ، تَغَيَّبْ عن الرجل؛ فَتَغَيَّبْتُ عَنْهُ حتى مات.

[خبر سديف مع السفاح]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا: حَدَّثنا الحارثُ بن أبي أُسامَة قال: حَدَّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهَيْثم بن بِشر مولى محمد بن عليّ قال: أَنشدَ سُديفٌ أبا العبَّاس، وعنده رِجالٌ من بني أُمَيَّة قولَهُ:

يا ابنَ عَمِّ النَّبِيِّ أَنتَ ضِياءُ ... إسْتَبَنَّا بكَ المُبِينَ الجَلِيَّا

فلما بَلَغَ قَوْلَهُ:

جَرِّدِ السَّيْفَ، وارْفَعِ العفوَ حتَّى ... لا تَرَى فوقَ ظَهْرِها أُمَوِيَّا

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى مِن رِجالٍ ... إنَّ تحتَ الضُّلُوعِ داءً دَوِيَّا

بَطَنَ البُغْضُ في القَدِيمِ، فأَضْحَى ... ثاوِياً في قُلُوبِهِمْ مَطْوِيَّا

[الخفيف]

وهي طويلة قال: يا سُدَيف، خُلِقَ الإنسان من عجلٍ، ثم قال:

أحيا الضَّغائِنَ أباءٌ لنا سَلَفوا ... فَلَنْ تَبِيدَ ولآباءِ أبناءُ

[البسيط]

ثم أمرَ بمن عنده منهم فَقُتِلُوا.

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حَدَّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَلِي عن أبيه عن عمومته: أنهم حضروا سليمانَ بن عليّ بالبصرة، وقد حَضَرَه جماعةٌ من بني أُمَيَّة عليهم الثيابُ المُوشيَّة المرتفعة، فكأنِّي أنظر إلى أحدِهِم وقد اسودَّ شيبٌ في عارضيه من الغالية[1]، فأمَرَ بهم فَقُتِلُوا وجُرّوا بأرجلِهم، فأُلقُوا

(١) الغالية: نوعٌ من الطيب.

على الطريق، وإنَّ عليهم لَسَراويلاتِ الوَشي والكلابُ تجرّ بأرجلِهِم.

[عمرو بن معاوية يسأل الأمان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني محمد ابن عبد اللَّه بن عمرو قال: أخبرني طارِق بن المُبارَك عن أبيه قال: جاءني رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتبة، فقال لي: يقول لك عمرو: قد جاءت هذه الدولةُ وأنا حديث السنّ كثيرُ العيال منتشرُ المالِ، فما أكون في قبيلة إلا شُهِرَ أمري وعُرِفْتُ، وقد اعتزمْتُ على أن أفديَ حُرَمي بنفسي؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمان بن عليّ، فَصِرْ إليَّ؛ فوافَيْتُهُ فإذا عليه طَيْلَسانٌ[1] مُطبقٌ أبيض وسراويلُ وَشْي مَسدول، فَقُلْتُ: يا سبحان اللَّه! ما تصنع الحداثة بأهلها! أبهذا اللِّباس تَلْقى هؤلاءِ القومَ لما تريد لقاءهم فيه! فقال: لا واللَّه، ولكنه ليس عندي ثوبٌ إلا أشهر مما ترى؛ فأعطيتُهُ طَيْلَساني وأخذْتُ طَيلَسانَهُ ولَوَيْتُ سراويله إلى ركبتيه؛ فَدَخَلَ ثم خَرَجَ مسروراً؛ فَقُلْتُ له: حدَّثني ما جرى بينك وبين الأمير؛ قال: دَخَلْتُ عليه ولم نَتَراءَ قطُّ، فَقُلْتُ: أصلحَ اللَّه الأميرُ! لَفَظَتَنِي البلادُ إليك، ودَلَّني فضلُكَ عليك؛ فإمَّا قتلتَنِي غانِماً، وإمَّا رَدَدْتَنِي سَالِماً؛ فقال: ومَنْ أنت؟ ما أعرفك؛ فانتسبت له؛ فقال: مرحباً بك: أقعد فتكلّم آمناً غانماً؛ ثم أقبل عليّ فقال: ما حاجتك يابن أخي؟ فَقُلْتُ: إنَّ الحُرَمَ اللواتي أنت أقربُ الناس إليهُنَّ معنا وأولى الناس بِهِنَّ بعدنا، قد خِفن لخوفنا، ومن خاف خِيف عليه؛ فواللَّه ما أجابني إلا بدموعه على خدّيه؛ ثم قال: يابن أخي، يَحْقِن اللَّهُ دَمَك، ويحفظك في حُرَمك، ويوفّر عليك مالك، وواللَّه لو أمكنني ذلك في جميع قومك لَفَعَلْتُ، فَكُنْ متوارِياً كظاهر، وآمِناً كخائف، ولتأتِنِي رِقاعُكَ. قال: فَكُنْتُ واللَّه أَكتُب إليه كما يَكْتُبُ الرجلُ إلى أبيه وعمه. قال: فلما فرغ من الحديث رَدَدْتُ عليه طَيْلسانَهُ؛ فقال: مَهْلاً، فإنَّ ثيابَنا إذا فارقَتْنا لن ترجع إلينا.

[شعر لسديف في تحريض السفاح]

أخبرني أحمد بن عبد اللَّه قال: حَدَّثنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر ابن شَبَّة قال: قال سُديفٌ لأبي العبَّاس يَحُضُّهُ على بني أُمَيَّة ويذكر مَنْ قَتَلَ مروانُ وبنو أُمَيَّة من قومِهِ:

---

(١) الطَّيْلسَان، بفتح اللام وكسره، ولم يجيء فيعلان مكسوراً غيره، وأكثر ما يجيءُ فَيْعلان مفتوحاً أو مضموماً نحو الخيْزُران والجَيْسَمان، ولكن لمّا صارت الكسرةُ والضمّةُ أُختَين واشتركتا في مواضِعَ كثيرة دَخَلتِ الكسرةُ مَدْخَلَ الضّمّةِ.

كَـيْـفَ بـالـعـفـو عَـنْـهـمُ وقـديـمـاً قَـتَّـلـوكـم وهَـتَّـكـوا الـحُـرُمـاتِ
أيـن زيـدٌ وأيـن يـحـيـى بـنُ زيـد يـا لـهـا مـن مُـصـيـبـةٍ وتِـراتِ
والإمـامُ الـذي أُصِـيـب بَـحـرّان إمـام الـهـدى ورأس الـثِّـقـاتِ
قَـتَّـلـوا آل أحـمـدٍ لا عـفـا الـذنـب لـمـروانَ غـافـرُ الـسـيـئـاتِ
[الخفيف]

[شعر لرجل من شيعة بني العباس في التحريض على بني أمية]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمد بن يزيد لِرَجُلٍ من شِيعة بني العبَّاس يُحرِّضُهم على بني أُمَيَّة:

إيـاكُـمُ أن تَـلـيـنـوا لاعـتـذارهـمُ فَـلَـيْـسَ ذلـك إلاَّ الـخـوفُ والـطَّـمَـعُ
لـو أنَّـهـم أمِـنـوا أبْـدَوْا عـدواتَـهـم لـكـنَّـهـم قُـمِـعـوا بـالـذلّ فـانـقَـمَـعـوا
أليس في ألف شهرٍ قد مَضَت لهمُ سَـقَـوكـمُ جُـرَعـاً مـن بـعـدهـا جُـرَعُ
حـتـى إذا مـا انـقَـضَـتْ أيـامُ مـدّتـهـم مَـتُّـوا إلـيـكـم بـالارحـام الـتـي قَـطَـعـوا
هـيـهـات لا بُـدَّ أن يُـسـقَـوْا بـكـأسِـهـمُ رَيّـاً وأن يـحـصُـدوا الـزرع الـذي زَرَعـوا
إنّـا وإخـوانَـنـا الأنـصـارَ شِـيـعـتُـكُـم إذا تَـفَـرَّقَـتِ الأهـواءُ والـشِّـيَـعُ
إيـاكـمُ أن يـقـولَ الـنـاسُ إنَّـهـمُ قَـد مُـلِّـكـوا ثـم مـا ضَـرُّوا ولا نَـفَـعـوا
[البسيط]

[رواية أخرى في تحريض سديف للسفاح]

وذكر ابن المعتز: أنَّ جعفرَ بن إبراهيم حَدَّثَهُ عن إسحاق بن منصور عن أبي الخَصيب في قِصَّة سُدَيف بمثل ما ذكره الكِرانيّ عن النَّضْرِ بن عمرو عن المُعَيطيّ، إلا أنه قال فيها: فلما أنشده ذلك التفت إليه أبو الغَمْر سليمان بن هشام فَقَال: يا ماصّ بَظْرَ أُمّه! أتَجْبَهُنا بهذا ونحن سَرَوات[1] النَّاس! فَغَضِبَ أبو العَبَّاس؛ وكان سليمان بن هشام صديقَهُ قَدِيماً وحَدِيثاً يقضي حوائِجَهُ في أيامِهم ويَبَرُّهُ؛ فلم يَلْتَفِت إلى ذلك، وصاح بالخُراسانِيَّة: خُذُوهم؛ فَقُتِلُوا جميعاً إلا سليمانَ بن هشام، فأقبل عليه السَّفَّاح فقال: يا أبا الغَمْر، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً؛ قال: لا واللَّه، فقال: اقتلوه، وكان إلى جَنْبِهِ، فَقُتِلَ، وصُلِبُوا في بستانه، حتى تأذَّى جلساؤه بروائِحِهم، فكلَّموه في ذلك، فقال: واللَّه لهذا أَلَذُّ عندي من شمّ المسك والعنبر، غَيْظاً عليهم وحَنَقاً.

(١) أعلى الشيء ووسطه.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أَصْبَحَ الدِّينُ ثابِتَ الآساسِ ... بالبَهاليل من بني العبَّاسِ
بالصدورِ المُقَدَّمين قديماً ... والرؤوس القماقم الرُّؤاس

[الخفيف]

عروضُهُ من الخفيف، والشعر لِسُدَيف. والغناءُ لِعَطَرد رَمَلٌ بالبنصر عن حَبشٍ. قال: وفيه لِحَكَم الوادي ثاني ثقيلٌ وفيه ثقيلٌ أوَّلُ مجهول.

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد في قَتْلى بني أُمَيَّة وغَنَّى فيه:

صوت

بَكَيْتُ، وماذا يَرُدُّ البكاءْ ... وقلَّ البُكاءُ لِقتلى كَداءْ
أُصيبوا معاً، فتولَّوا معاً ... كذلك كانوا معاً في رَخَاءْ
بَكَتْ لهمُ الأرضُ من بعدِهِم ... وناحَتْ عليهم نجومُ السَّماءْ
وكانوا الضياء، فلما انقضى ... الزَّمانُ بقومي توَّلى الضياءْ

[المتقارب]

عَروضُهُ من المتقارب. الشعر والغناء لأبي سَعيدٍ مولى فائد، ولحنُهُ من الثقيل الأوَّل بالبنصر من رِواية عمرو بن بانة وإسحاقَ وغيرهما.

ومما قاله فيهم وغَنَّى فيه على أنه قد نُسِبَ إلى غيرِهِ:

صوت

أثَّرَ الدَّهرُ في رجالي فَقَلُّوا ... بعد جَمْعٍ فراح عَظْمي مَهيضَا[1]
ما تذكَّرْتُهُم فَتَمْلك عيني ... فيضَ غَرْبٍ وحقَّ لي أن تَفيضا

[الخفيف]

الشعرُ والغِناءُ لأبي سَعيد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المَكيّ والهِشاميّ.

(١) هاضَ العَظْمَ يَهيضُهُ هَيْضاً، أي كسره بعد الجبور، فهو مَهيضٌ. واهْتاضَهُ أيضاً فهو مُهْتاضٌ ومُنْهاضٌ. وكلُّ وجعٍ على وجعٍ فهو هَيْضٌ. يقال: هاضَني الشيءُ، إذا ردَّك في مرضك. ويقال: بالرجل هَيْضَةٌ، أي بهِ قُياءٌ وقيامٌ جميعاً.

وروى الشِّيعيّ عن عُمَر بن شَبَّة عن إسحاق أن الشعر لِسُدَيف والغناءَ للغريض؛ ولعلَّهُ وَهَمَ.

ومنها:

صوت

أُولَـئِـكَ قَـوْمِـي بـعـد عِـزٍّ وَمَـنْـعـةٍ تَـفَـانَـوْا فـإلاّ تَـذْرِفِ الـعـيـنُ أكـمَـدِ

[الطويل]

كـأنَّـهُـم لا نـاسَ لـلـمـوت غـيـرُهـم وإن كـان فـيـهـم مُـنْـصِـفـاً غـيـرَ مُـعْـتَـدي

الشعرُ والغِناءُ لأبي سَعيد. وفيه لحنٌ لمتيَّم.

[المأمون وعلوية يندب بني أمية]

أخبرني عبد اللَّه بن الرَّبيع قال: حَدَّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال: حَدَّثني عمِّي طَيَّاب بن إبراهيم قال: رَكِبَ المأمون بِدمَشق يتصيَّد حتى بلغ جَبَلَ الثلج، فوقف في بعض الطريق على بِركةٍ عظيمةٍ في جوانبها أربعُ سَرَوات[١] لم يُرَ أحسنُ منها ولا أعظَم، فَنَزِلَ المأمونُ وَجَعَلَ يَنْظُرُ إلى آثار بني أُمَيَّةَ ويَعجَبُ منها ويذكرهم، ثم دعا بِطَبَقٍ عليه بزماوَرْد[٢] ورطلِ نبيذ؛ فقام عَلَّوَيه فغنَّى:

أُولَـئِـكَ قَـوْمِـي بـعـد عِـزٍّ وَمَـنْـعـةٍ تَـفَـانَـوا فـإلاّ تَـذْرِف الـعـيـنُ أكـمَـدِ

[الطويل]

قال: فَغَضِبَ المأمون وأمرَ بِرَفْعِ الطبق، وقال: يابنَ الزانية! ألم يكن لك وقتٌ تَبْكِي فيه على قومك إلاَّ هذا الوقت! قال: نعم أبكي عليهم! مولاكم زِرياب[٣] يَرْكَبُ معهم في مائة غلامٍ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً! فقام المأمون فَركِبَ وانصرفَ

---

(١) جمع سروة، وهي نوع من الشجر قويم الساق.

(٢) الزُّمَاوَرْدُ، بالضَّمّ، وفي حوَاشِي الكَشَّافِ بالفتح: طَعَامٌ من البَيْضِ واللَّحْم، مُعَرَّبٌ ومثلُه في شِفَاءِ الغَلِيل. والعَامَّةُ يقولون بَزْمَاوَرْدُ، وهو الرِّقاقُ المَلْفُوف باللَّحْم، قال شيَخُنَا: وفي كُتب الأَدَبِ: هو طَعَام يُقَال له: لُقْمَةُ القَاضِي، ولُقْمَةُ الخَلِيفَة، ويُسَمَّى بخُرَاسَانَ نَوَالَه، ويُسَمَّى نَرْجِسَ المائِدة وميسراً ومهنأً.

(٣) زرياب: المغني عليّ بن نافع مولى المهدي ومعلم إبراهيم الموصلِي، صار إلى الشام ثم إلى المغرب حيث حلَّ على بني أمية فأكرمه عبد الرحمن الأوسط واستقبله بحفاوة، سمي زرياب لسواد لونه وفصاحة لسانه، الأمر الذي يجعله شبيها بطائر غريد يحمل هذه التسمية.

الناس، وغَضِبَ على عَلَّوَيه عشرين يوماً؛ فكلَّمه فيه عبَّاس أخو بَحْرٍ؛ فرضيَ عنه، ووصلَهُ بعشرين ألفَ درهم.

صوت

من المائة المختارة

مـهَـاةٌ لـوَ ان الـذرَّ تـمـشـي ضِـعـافُـهُ عـلـى مَـتْـنِـهـا بَـضَّـتْ[1] مَـدارِجُـهُ دمـا
فَـقُـلْـنَ لـهـا قُـومِـي فَـدَيـنـاكِ فـاركـبـي فـأومَـتْ بـلا، لا غـيـرَ أن تـتـكـلَّـمـا

[الطويل]

عَروضُهُ من الطويل. بَضَّت: سالت. يقول: لو مشى الذرّ على جلدها لجرى الدم من رقته.

وروى الأصمعي:

مُـنـعـمـةٌ لَـو يُـصـبِـحُ الـذرُّ سـاريـاً عَـلـى مـتْـنـهـا بَـضّـت مَـدارِجُـهُ دَمـا

[الطويل]

الشعر لحميد بن ثور الهلالي[2]. والغناء في اللحن المختار لِفُلَيح بن أبي العَوراء، ولحنُهُ من الثقيل الأوّل بالوسطى. وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن فُلَيح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى، وأنّ الثقيل الأول للهُذَليّ.

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة:

صوت

إِذا شِـئْـتُ غَـنَّـتـنـي بـأَجـزاعِ بـيـشَـةٍ أَو النَّخلِ من تَثليث[3] أَو من يلملما[4]

(١) الأصمعي: أبيض بض ولهق بمعنى واحد وهو الشديد البياض. وقال ابن دريد: هو الناصع اللون في سمن. وقال المبرد هو الرقيق البشرة الذي يؤثر فيه كل شيء. وامرأة غضة بضة وبضيضة، وقد بضضت بضاضة بالكسر.

(٢) حُميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، أبو المثنى. شاعر مخضرم عاش زمناً في الجاهلية وشهد حنيناً مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي ﷺ، ومات في خلافة عثمان رضي اللَّه عنه، وقيل أدرك زمن عبد الملك بن مروان. عده الجمحي في الطبقة الرابعة من الإسلاميين. وفي شعره ما كان يُتغنى به، توفي سنة ٣٠ للهجرة.

(٣) تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة.

(٤) لعلّ هذه الكلمة تعرضت لتصحيف، وأصلُها يلملم وهو جبل على مرحلتين من مكة، وفيه مسجد معاذ بن جبل.

مُـطَـوَّقـةٌ طـوقـاً ولـيـس بِـحـلـيـةٍ ولا ضـربِ صَـوّاغٍ بِـكَـفَّـيـه درهـمـا
تُـبـكِّـي عـلـى فـرخ لـهـا ثـم تَـغْـتَـدي مُـوَلَّـهـةً تـبـغـي لـهـا الـدَّهـرَ مَـطْـعَـمـا
تُـؤمَّـل مـنـه مُـؤنِـسـاً لانـفـرادهـا وتـبـكـي عـلـيـه إن زَقـا أو تـرنَّـمـا

[الطويل]

وغناه محمد الرفّ خفيف رملٍ بالوُسطى.

ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره

[نسبه وطبقته في الشعراء]

هو حُمَيد بن ثَوْر بن عبد اللَّه بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهِيك بن هِلال بن عامر بن صَعصَعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفَة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار. وهو من شعراء الإسلام. وقَرَنَهُ ابنُ سَلاَّم بِنَهْشل ابن حَرّيّ[١] وأوسِ بن مَغراء[٢].

[هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب]

وقد أدرك حُمَيدُ بن ثور عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّه عنه، وقال الشعرَ في أيامه؛ وقد أدرك الجاهلية أيضاً.

[نهى عمر الشعراء عن التشبيب]

أخبرني وكيعٌ قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سَعد وعبد اللَّه بن شَبيب قالا: حَدَّثنا إبراهيم بن المُنذِر الحِزاميّ قال: حَدَّثني محمد بن فَضالة النحويّ قال: تَقَدَّمَ عمرُ بن الخطاب رضي اللَّه عنه إلى الشعراء ألاَّ يُشبِّبَ أحدٌ بامرأة إلا جَلَدَهُ. فقال حُمَيد بن ثور:

أَبى اللَّهُ إلا أَنَّ سَرْحَةَ[٣] مالِكٍ ... عَلى كُلِّ أَفنانِ العِضاهِ[٤] تَروقُ[٥]

فَقَد ذَهَبَتْ عَرْضاً وما فوق طُولها ... مِن السَّرْحِ إلا عَشَّةٌ وسَحُوق[٦]

[الطويل]

---

(١) اعتبر ابن سلاّم حميداً ونهشلاً من شعراء الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين.

(٢) عدّه ابن سلام حميداً من الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين.

(٣) السَّرْحُ: شَجَرٌ عِظامٌ طِوال، الواحدة سَرْحَةٌ، يقال هي الآءُ.

(٤) العِضاهُ: كلُّ شجرٍ يعظم وله شوكٌ. وواحدة العِضاهِ عِضاهَةٌ، وعِضَهَةٌ، وعِضَةٌ.

(٥) أي تزيد عليها بحسنها وبهائها.

(٦) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

رَدَدنَ رَجيعَ الفَرثِ حتّى كأَنَّهُ ... حَصى إِثمَدٍ بَينَ الصَّلاءِ سَحيقُ

ـ العشة: القليلة الأغصان والورق. والسَّحُوق: الطويلة المفرطة ـ .

فَلا الظِّلَّ[١] مِن بَرْدِ الضُّحى[٢] تَستَطيعهُ وَلا الفيءَ[٣] مِن برد[٤] العشيّ تَذوقُ
فَهَل أَنا إِن عَلَّلتُ نَفسي بِسَرحَةٍ مِنَ السَّرحِ موجودٌ عَليَّ طريقُ
[الطويل]

وهي قصيدة طويلة أوَّلها:

نأَت أُمُّ عَمروٍ فالفؤادُ مَشوقُ يَحِنّ إِلَيها والِهاً وَيَتوقُ
[الطويل]

صوت

وفيها ما يُغنَّى فيه:

سَقى السَّرحَةَ المِحلالَ[٥] والأَبرَقَ[٦] الَّذي بِهِ السَّرحُ غَيثٌ دائِمٌ وَبُروقُ
وَهَل أَنا إِن عَللتُ نَفسي بِسَرحَةٍ مِنَ السَّرحِ موجودٌ عَليّ طريقُ
[الطويل]

غنَّاه إسحاقُ، ولحنه ثاني ثقيلٍ «بالوسطى».

[وفد على بعض خلفاء بني أمية]

أخبرنا الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ عن عمه قال: وفَدَ حُمَيد بن ثَور على بعض خُلفاء بني أُميَّة؛ فقال له: ما جاء بك؟ فقال:

أَتاكَ بيَ اللَّهُ الَّذي فَوقَ مَنْ تَرَى وَخَيرٌ وَمَعروفٌ عَليكَ دَليلُ

---

(١) الظل: الظِّلُّ معروف، والجمع ظِلالٌ. والظِّلالُ أيضاً: ما أظَلَّك من سحابٍ ونحوه. وظِلُّ الليل: سوادُه. يقال: أتانا في ظل الليل قال ذو الرمّة:

قد أُعْسِفُ النازِحَ المجهولَ مَعْسِفُهُ في ظِلِّ أخضرَ يدعو هامَهُ البومُ

(٢) ورد في بعض المصادر «منها بالضحى» بدل «من برد الضحى».

(٣) الفيء: شرقي ينسخ الشمس.

(٤) البرد: الظل والفيء.

(٥) المحلال: التي يكثر الناس الحلول بها.

(٦) البَرْقُ دخيل في العربية، ويجمع على بِرقان. والبَرَقُ مصدر الأَبْرَقِ من الحبال، وهو الحبل الذي أبرم بقوة سوداء وقوة بيضاء. ومن الجبال: ما فيه جدد بيض وجدد سود. والبَرْقاء من الأرض: طرائق بقعة فيها حجارة سود يخالطها رملة بيضاء.

وَمَـطـوِّيَّـةُ الأَقـرابِ[١] أَمـا نَـهـارُهـا فَـنـصٌّ[٢] وأَمـا لَـيـلُـهـا فَـذَمـيـلُ[٣]
وَيـطـوي عـلَـيّ الـلَّـيـلُ حِـضْـنَـيـه إِنَّـنـي لِـذاكَ إِذا هـابَ الـرِّجـالُ فَـعـولُ

[الطويل]

فوصله وصرفه شاكراً.

(١) الأقراب: وهو الخاصرة.
(٢) النص: أقصى السير.
(٣) الذميل: السير اللين.

أخبار فليح بن أبي العوراء

فُلَيحٌ رَجُلٌ من أهل مكة، مَوْلًى لبني مخزوم، ولم يَقَعْ إلينا اسمُ أبيه. وهو أحد مُغَنِّي الدولة العباسية، لَهُ مَحَلٌّ كبيرٌ من صناعتِهِ، وموضعٌ جليل. وكان إسحاق إذا عَدَّ مَنْ سَمِعَ من المُحْسِنين ذَكَرَهُ فيهم وبَدَأَ بِهِ. وهو أحدُ الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوتِ للرشيد.

[مدح إسحاق الموصلي غناءه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حَدَّثني ابن المكيّ عن أبيه عن إسحاق قال: ما سَمِعْتُ أحسنَ غِنَاءً من فُلَيح بن أبي العَوراء وابنِ جامع: فَقُلْتُ له: فأبو إسحاق؟ «يعني أباه»؛ فقال: كان هذان لا يُحْسِنان غيرَ الغِناء، وكان أبو إسحاق فيه مثلَهما، ويزيدُ عليهما فُنُوناً من الأدب والرِّواية لا يداخلانه فيها.

[كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا يَزيد بن محمد المهلَّبيّ قال: قال لي إسحاق: أحسنُ من سَمِعْتُ غناءً عَطَرَّد وفُلَيح.

وكان فُلَيحٌ أحد الموصوفين بِحُسنِ الغناء المسموع في أيَّامِهِ، وهو أحدُ من كان يَحْكِي الأوائلَ فَيُصِيبُ ويُحْسِنُ.

[أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزَّيات قال: حَدَّثني محمد بن محمد العَنْبَسيّ قال: حَدَّثني محمد بن الوَليد الزُّبيريّ قال: سَمِعْتُ كُثَير بن المحوِّل يقول: كان مُغَنِّيان بالمدينة يُقَالُ لأحدهما فُلَيح بن أبي العَوراء، والآخر سليمان بن سُلَيم؛ فَخَرَجَ إليهما رسولُ الرشيد يَقُولُ لِفُلَيح: غِناؤك من حَلْقِ أبي صَدَقة[1] أحسنُ مِنْهُ من حلقِكَ، فَعَلَّمَهُ إياه ـ قال: وكان يُغَنِّي صوتاً يُجِيدُهُ، وهو:

خَيرُ ما نَشْرَبُها[2] بالبُكَرْ

(١) هو أبو صدقة مسكين بن صدقة أحد مغني عصر الرشيد.

(٢) ورد في بعض المصادر «ما تشربها» بدل «ما نشربها».

ـ قال: فَقَالَ فُلَيحٌ للرسول: قُلْ له: حَسْبُك. قال: فَسَمِعْنا ضَحِكَهُ من وراءِ السِّتارة.

[كانت ترفع الستارة بينه وبين المهدي]

أخبرني رِضوانُ بن أحمد الصَّيدَلانيّ قال: حَدَّثنا يوسفُ بن إبراهيم قال: حَدَّثني أبو إسحاق إبراهيمُ بن المهديّ قال: حَدَّثنا الفَضْلُ بن الرَّبيع: أنَّ المهديّ كان يَسْمَعُ المُغَنِّين جميعاً، ويحضُرون مَجْلِسَهُ، فَيُغَنُّونه من وراء الستارة لا يرون له وجهاً إلا فُلَيح بن أبي العَوراء؛ فإنَّ عبد اللَّه بن مُصْعَب الزُّبيريّ كان يُرَوِّيه شعره ويُغَنِّي فيه في مدائِحِه للمهديِّ؛ فَدَسَّ في أضعافِها بيتين يسألُهُ فيهما أن يُنَادِمَهُ، وسألَ فُلَيْحاً أن يُغَنِّيَهما في أضعاف أغانيه، وهما:

صوت

يَا أَمِينَ الإلهِ فِي الشَّرقِ والغَرْبِ عَلَى الخَلْقِ وابنَ عَمِّ الرَّسولِ
مَجْلِساً بالعَشيّ عِندك فِي المَيْدانِ أبغِي والإذنَ لِي فِي الوُصُولِ
[الخفيف]

فَغَنَّاه فُلَيحٌ إيَّاهُما. فقال المهديّ: يا فضلُ، أجِبْ عبدَ اللَّه إلى ما سأل، وأحْضِرهُ مجلسي إذا حَضَرَهُ أهلي ومواليّ وجَلَسْتُ لهم، وزِده على ذلك أن ترفعَ بيني وبين راوِيتِهِ فُلَيح السِّتارة؛ فكان فُلَيحٌ أوَّلَ مُغَنٍّ عايَنَ وجهَهُ في مجلِسِهم.

[دعاه محمد بن سليمان أول دخوله بغداد]

أخبرني رضَوان قال: حَدَّثني يوسف بن إبراهيم قال: حَدَّثني بعد قُدومي فُسطاط مصرَ زيادُ بن أبي الخَطَّاب كاتبُ مسرورٍ خادِمِ الرشيد، قال: سَمِعْتُ محبوب بن الهَفتيّ يُحَدِّثُ أبي، قال: دعاني محمد بن سليمان بن عليّ، فقال لي: قد قَدِمَ فُلَيح من الحجاز ونَزِلَ عند مسجد ابن رَغبان[1]، فَصِرْ إليه، فأعلِمْهُ أنه جاءني قبل أن يَدْخُلَ إلى الرشيد، خَلَعْتُ عليه خَلْعَةً سَرِيَّةً من ثيابي ووَهَبْتُ له خمسة آلاف درهم؛ فَمَضَيْتُ إليه فَخَبَّرتَهُ بذلك؛ فأجابني إليه إجابةَ مَسْرُورٍ به نشيطٍ له؛ وخَرَجَ معي، فَعَدَلَ إلى حَمَّام كان بِقُربِهِ، فدعا القَيِّم فأعطاه درْهَمَين وسألَهُ أن يجيئه بشيءٍ يَأْكُلُهُ ونبيذٍ يَشْرَبُهُ؛ فجاءه برأسٍ كأنَّه رأسُ عجلٍ ونبيذٍ دُوشابيّ[2] غليظ مسحوريّ[3]

(١) مسجد في غربي مدينة بغداد.
(٢) الدوشابي: نسبة الى الدوشاب وهو نبيذ التمر.
(٣) المسحوري: الفاسد.

رديء، فَقُلْتُ لَهُ: لا تفعل، وجَهَدْتُ به ألاَّ يَأكُلَ ولا يشربَ إلا عند محمد بن سليمان؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إليّ، وأكَلَ ذلك الرأسَ وشَرِبَ من ذلك النبيذِ الغليظ حتى طابت نَفْسُهُ وغَنَّى وغَنَّى القيِّم معه مَلِيّاً؛ ثم خَاطَبَ القَيِّم بما أغضَبَهُ، وتَلاحَيا[١] وتواثبا[٢]؛ فأخذ القَيِّم شيئاً فَضَرَبَهُ به على رأسِهِ فَشَجَّهُ حتى جَرَى دَمُهُ. فلما رَأَى الدَّمَ على وجهِهِ اضطربَ وجَزِعَ وقامَ يَغْسِلُ جُرْحَهُ، ودعا بصوفة مُحرَقة وزيت، وعَصَبَه وتَعمَّمَ وقامَ معي. فلما دَخَلْنا دار محمد بن سليمان، ورأى الفرشَ والآلة وحضر الطعامُ فَرأى سَرْوَهُ[٣] وطيبه، وحَضَرَ النَّبيذ وآلته، ومُدَّت الستائر وغَنَّى الجواري، أقبل عليّ وقال: يا مجنون! سألْتُكَ باللَّه أيّما أحقُّ بالعَرْبدة وأوْلى: مجلِسُ القيّم أم مَجْلِسُ الأمير؟ فَقُلْتُ: وكأنَّهُ لا بُدَّ من عَربَدة! قال: لا! واللَّه ما لي منها بُدّ، فأخرجتُها من رأسي هناك؛ فَقُلْتُ: أمَّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجود. فسألني محمد عما كُنَّا فيه فأخبرته؛ فَضَحِكَ ضحكاً كثيراً، وقال: هذا الحديث واللَّه أظرفُ وأطيبُ من كل غِناء؛ وخَلَعَ عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

[عند يحيى بن خالد]

قال هارون بن محمد وحدَّثني حَمَّاد بن إسحاق قال: حَدَّثني أبو إسحاق القِرمِطيّ قال: حَدَّثنا مُدرِكةُ بن يَزيد قال: قال لي فُلَيح بن أبي العَوْراء: بعث يحيى ابنُ خالد إليّ وإلى حَكَم الوادي وإلى ابن جامع، فأتيناه؛ فقلت لحكم: إنْ قَعَدَ ابنُ جامع معنا فعاوِنّي عليه لِنَكْسِرَهُ. فلما صِرْنا إلى الغناء غَنَّى حَكَمٌ؛ فَصِحتُ وقُلْتُ: هكذا واللَّه يكون الغناء! ثم غَنَّيْتُ، ففعل لي حَكَمٌ مثلَ ذلك؛ وغَنَّى ابنُ جامع فما كُنَّا معه في شيء. فلما كان العشيُّ أرسل إلى جاريته دنانير: إنَّ أصحابَكَ عندنا، فهل لكِ أن تَخرُجي إلينا؟ فَخَرَجَتْ وخَرَجَ معها وصائفُ؛ فأقبلَ عليها يقولُ لها من حيث يظنّ أنّا لا نسمع: ليس في القوم أنزهُ نَفَساً من فُلَيح. ثم أشارَ إلى غُلام له: أنِ ائتِ كُلَّ إنسان بألفَيْ درهم؛ فجاءَ بِها؛ فَدَفَعَ إلى ابن جامع ألفَي درهم فأخَذَها فطرَحَها في كُمِّهِ، وفَعَلَ بِحكَم الوادي مثلَ ذلك فَطَرَحَها في كُمِّهِ، ودَفَعَ إليّ ألفين؛ فَقُلْتُ لِدنانِيرَ: قد بلغ منِّي النبيذُ، فاحبسيها لي عندك حتى تبعثي بها إليّ؛ فأخَذَتِ الدراهمَ مِنِّي وبَعَثَتْ بها إليّ من الغد، وقد زادَتْ عليها؛ وأرسَلَتْ إليّ: قد بَعَثْتُ إليك بوديعتِك وبشيءٍ أحبَبْتُ أن تُفَرِّقَه على أخَواتي (تعني جَوارِيّ).

---

(١) تلاحيا: تشاتما.

(٢) تواثبا: تعاركا.

(٣) هو سري من السراة والسروات، ومن أهل السرو وهو السخاء في مروءة.

[طلبه الفضل بن الربيع فجيء به مريضاً]

قال هارون بن محمد وحدَّثني حَمَّاد قال: حَدَّثني أبي قال: كُنَّا عند الفضل بن الرَّبيع، فقال: هل لك في فُلَيح بن أبي العَوْراء؟ قُلْتُ: نعم؛ فأرسل إليه، فجاءَ الرسول فقال: هو عَليلٌ؛ فَعَاد إليه، فقال الرسول: لا بُدَّ من أن تجيء به؛ فجاءَ به محمولاً في مِحَفة؛ فَحَدَّثنا ساعةً ثُم غَنَّى؛ فكان فيما غنَّى:

تَقُولُ عِرْسي إذ نبا المَضجَعُ ... ما بالُك الليلةَ لا تَهجَعُ

[السريع]

فاستحسنَّاه منه واستعدناه منه مِراراً؛ ثم انصرف ومات في عِلَّتِه تلك؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس.

[تبرعه بمهر لعاشق]

أخبرني أحمد بن أبي جعفر جَحظة قال: حَدَّثني محمد بن أحمد بن يحيى المَكيُّ قال: حَدَّثني أبي عن فُلْيح بن أبي العَوْراء قال: كان في المدينة فتًى يَعْشَقُ ابنةَ عمٍّ له، فوعدَتْهُ أن تزورَهُ؛ وشكا إليَّ أنها تأتيه ولا شيء عنده، فأعطيته ديناراً للنفقة؛ فلما زارته قالت له: من يُلهينا؟ قال: صديق لي، ووصَفني لها، ودعاني فأتيتُهُ؛ فكان أول ما غَنَّيْتُهُ:

مِنَ الخَفِراتِ[1] لَمْ تَفْضَحْ أخاها ... ولم ترفَع لوالدها شَنارا[2][3]

[الوافر]

فقامت إلى ثوبِها فَلَبِسَتْهُ لتنصرِفَ؛ فَعَلِقَ بها وجَهِدَ بها كُلَّ الجَهْد في أن تُقِيمَ،

(١) الخفر: الحياء الشديد.

(٢) قيل في المثل: أوفى من مكيهة وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة، كان من وفائها أن السليك بن سلكة غزا بكر بن وائل، فلم يجد غفلة يلتمسها، فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا: إن هذا الأثر قدم ورد الماء، فقصدوا له، فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها، فأدخلته تحت درعها فانتزعوا ضمارها فنادت إخوتها فجاؤوا عشرة، فمنعوهم منها. قال: وكان سليك يقول: كأني أجد خشونة شعر استها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها: وقال:

لعمر أبيك والأنباء تنمي ... لينقم الجار أخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح أخاها ... ولم ترفع لوالدها شنارا
عنيت به فكيهة حين قامت ... لدخل السيف فانتزعوا الخمارا

(٣) الشنار: العيب والعار.

فلم تُقِمْ وانصرفت. فأقبل عليّ يلومني في أن غَنَّيْتُها ذلك الصوتَ؛ فَقُلْتُ: واللَّه ما هو شيءٌ اعتَمَدْتُ به مساءَتَك، ولكنَّهُ شيء اتَّفَقَ. قال: فلم نَبْرَحْ حتى عاد رسولُها بعدها ومعه صُرَّة فيها ألفُ دينار ودَفَعَها إلى الفتى وقال له: تقول لك ابنةُ عمك: هذا مهري ادفعْهُ إلى أبي، واخطُبني؛ ففعل فتزوَّجَها.

نسبة هذا الصوت

صوت

مِنَ الخَفِراتِ لم تفضَحْ أخاها ... ولم ترفع لوالدها شَنارا
كأنَّ مَجامِعَ الأردافِ مِنْها ... نَقاً[1] دَرَجَتْ عليه الريحُ هارا[2]
يُعافُ وِصالَ ذاتِ البذلِ قلبي ... وأتَّبعُ المُمَنَّعةَ النَّوارا[3]

[الوافر]

الشعرُ لِسُلَيك بن السُّلكة السَّعْديّ. والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لابن الهُرْبِذ لَحْنٌ من رواية بَذْل، أوَّله:

يُعافُ وِصالَ ذاتِ البذلِ قلبي

وبعده:

غَذَاها قَارِصٌ[4] يَغْدُو عليها ... ومَحْضٌ حين تنتظر العِشارا

[الوافر]

[ورد دمشق يعلم جواري ابن المهدي]

أخبرني رِضوان بنُ أحمد قال: حَدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال: حَدَّثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ قال: كَتَبَ إليَّ جعفر بن يحيى وأنا عامِلٌ للرشيد على جُنْد

---

(١) النقا: الكثيب من الرمل.

(٢) هارَ الجرْفُ يَهورُ هَوْراً وهُؤوراً، فهو هائرٌ. ويقال أيضاً: جرفٌ هارٍ، خفضوه في موضع الرفع وأرادوا هائِرٌ. وهوَّرْتُهُ فَتَهَوَّرَ. وانْهارَ، أي انْهَدَمَ. وهُرْتُهُ بالشيء، أي اتَّهمته به، والاسم الهورَةُ. والتَّهَوُّرُ: الوقوع في الشيء بقلَّة مبالاة

(٣) نسوةٌ نورٌ، أي نُفَّرٌ من الريبة. وفرسٌ وَديقٌ نَوارٌ، إذا اسْتَوْدَقَتْ وهي تريد الفحلَ، وفي ذلك منها ضَعفٌ تَرْهَبُ عن صولة الناكح.

(٤) القارص: القارِصُ: اللبن الذي يَحْذي اللسان، وفي المثل: «عَدا القارِصُ فَحَزَرَ» أي جاوز إلى أن حَمِضَ.

دِمَشق: قَدْ قَدِمَ علينا فُلَيح بن أبي العَوْراء، فأفسد علينا بأهزاجِهِ وخفيفِهِ كلَّ غناء سمعناه قبله. وأنا مُحتالٌ لك في تخليصِهِ إليك، لِتَسْتَمْتِعَ به كما استمتعْنا. فلم ألبث أن وردَ عليَّ فُلَيح بكتاب الرشيد يأمُرُ له بثلاثةِ آلافِ دينار؛ فورَدَ عليَّ رَجُلٌ أذكرني لقاؤه الناسَ، وأخبرني أنه قد ناهز المائةَ، فأقام عندي ثلاثَ سنين، فأخذَ عَنْهُ جواريّ كُلَّ ما كان معه من الغناء، وانتشرَتْ أغانيه بِدِمشق: قال يوسف: ثم قَدِمَ علينا شابٌّ من المُغَنِّين مع عليّ بن زيد بن الفَرج الحَرَّاني، عند مَقْدَم عَنْبسة بن إسحاق فُسطاطَ مصر، يقال له مُونِق؛ فَغَنَّاني من غناء فُلَيح:

صوت

يَا قُرَّةَ العينِ أَقبَلي عُذرِي ضَاقَ بِهجرانِكُم صَدْرِي
لَوْ هَلَكَ الهجرُ استراح الهوى ما لقيَ الوصلُ من الهجرِ

[السريع]

ـ ولحنه خفيفُ رَمَلٍ ـ فلم أرَ بين ما غناه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً؛ فسألتَهُ مِنْ أين أخذه؟ فقال: أخذتُهُ بدمشق؛ فَعَلَمْتُ أنه مما أخذه أهلُ دمشق عن فُلَيح.

صوت

من المائة المختارة

أَفاطِمَ إنَّ النأيَ يُسلي ذَوي الهَوى ونَأيُكِ عنِّي زاد قلبي بكم وجدا
أَرى حَرَجاً ما نِلتُ مِن وُدِّ غَيرِكُم وَنافِلَةً ما نِلتُ مِن وُدِّكُم رُشدا
وَما نَلتَقي مِن بَعدِ نأيٍ وَفُرقَةٍ وَشَحطِ نَوًى إلاّ وَجَدتُ لَها بَرْدا
عَلى كَبِدٍ قَد كادَ يُبدي بِها الهَوى نُدوباً وَبَعضُ القَومِ يَحسَبُني جَلدا

[الطويل]

عروضُهُ من الطويل. النأي: البعد، ومثله الشحط. والحرج: الضيق؛ قال اللَّه تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. والنُّدُوبُ: آثارُ الجِراح، واحدُها نَدَبٌ.

الشعر لإبراهيم بن هَرْمة. والغِناءُ في اللحن المختار، على ما ذكره إسحاقُ،

ليونسَ الكاتب، وهو من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذَكَرَ يحيى بنُ عليّ بن يحيى عن أبيه مثلَ ذلك. وذَكَرَ حَبش بن موسى أن الغناء لمرزوق الصرَّاف أو ليحيى بنِ واصِل. وفي هذه الأبيات للهُذليّ لحنٌ من خفيفِ الثقيلِ الأول بالوسطى على مذهبِ إسحاقَ من رواية عمرو بنِ بانة، ومن الناس من يَنْسُب اللحنين جميعاً إليه.

ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمة بن هَرْمة بن هُذَيل، هكذا ذكر يعقوبُ بن السِّكِّيت. وأخبرني الحَرَميّ بنُ أبي العَلاء عن الزُّبير بن بَكَّار عن عمِهِ مُصْعَب، وذَكَرَ ذلك العبَّاسُ بن هِشام الكَلْبيّ عن أبيه هِشام بنِ محمد بنِ السائب، قالوا جميعاً: هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمة بن الهُذيل بن رَبيع بن عامِر ابن صُبَيح بن كِنانة بن عَدِيّ بن قيس بن الحارث بن فِهْر ـ وفهرٌ أصلُ قريش، فمن لم يكن من ولده لم يُعدّ من قريش، وقد قيل ذلك في النَّضْر بن كنانة ـ وفهر بنُ مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر. قال من ذَكَرْنا من النسَّابين: قيسُ بن الحارث هو الخُلُجُ، وكانوا في عَدْوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هَوازن. فلما استُخلِفَ عمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّه عنه أتوْه لِيَفْرِضَ لهم، فأنْكَرَ نَسَبَهم. فلما استُخْلِفَ عثمان أَتَوه فأثبتَهم في بني الحارث بن فِهْرٍ وجعل لهم معهم دِيواناً. وسُمّوا الخُلْجَ لأنَّهم اختلجوا ممن كانوا معه من عَدْوان ومن بني نصر بن معاوية. وأهل المدينة يقولون: إنَّما سُمّوا الخُلْجَ لأنَّهم نَزلوا بالمدينة على خُلْجٍ «وواحدها خليج» فَسُمُّوا بذلك؛ ولهم بالمدينة عَدَدٌ. قال مُصْعَبٌ: كان لإبراهيم بن هَرْمة عمٌّ يُقالُ لَهُ هَرْمة الأعور، فأرادت الخُلْجُ نفيَهُ منهم؛ فقال: أمسَيْتُ ألأمَ العرب دعيَّ أدعياء. ثم قال يهجوهم:

رأيْتُ بني فِهْرٍ سِباطاً[1] أكُفُّهم ... فما بالُ ـ أنبُوني ـ أكُفِّكم قُفْدَا[2]

ولم تُدرِكوا ما أدرك القومُ قبلكم ... مِنَ المَجْدِ إلا دَعْوةً[3] ألحقَتْ كَدَّا

على ذي أيادي الدَّهرِ أفلَح جَدُّهم ... وخِبْتُم فلم يَصرَع لكم جَدُّكم جَدَّا

[الطويل]

---

(١) السَّبْطُ: الشَّعر الذي لا جُعُودةَ فيه، ولغة أهل الحِجاز: رجلٌ سَبِط الشَّعر، وامرأة سَبِطة، وقد سَبُط شعرُه سُبُوطة وسَبْطاً. وإنَّه لسَبْط الأصابع أي طويلُها، وسَبْطُ اليَدَينِ أي سَمْحُ الكَفَّيْنِ.

(٢) القَفَد: ميلٌ في الكف، يريد أن يقول أنهم بخلاء.

(٣) الدعوة: الزعم.

[نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم]

وقال يحيى بن عليّ حَدَّثني أبو أيّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن أبي سَلَمة الغِفاريّ قال: نَفَى بنو الحارث بن فهرٍ بنَ هَرْمة، فقال:

أَحارِ بنَ فِهرٍ كَيفَ تَطَّرِحونَني وَجاءَ العِدا مِن غَيرِكُم تَبتَغي نَصري

[الطويل]

قال: فصار من ولد فهرٍ في ساعته.

[كان يقول أنا ألأم العرب]

قال يحيى بن عليّ وحدَّثني أحمد بن يحيى الكاتبُ قال: حَدَّثني العبَّاس بن هِشام الكَلْبيّ عن أبيه قال: كان ابن هَرْمة يقول: أنا ألأمُ العرب، دَعِيٌّ أدعياءَ: هَرْمةٌ دَعِيٌّ في الخُلْج، والخُلُج أدعياءُ في قريش.

[قصته مع أسلمي ضافه]

حَدَّثني الحَرميّ بن أبي العَلاء قال حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني عمر بن أبي بَكْر المؤمَّلي قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن أبي عُبيدة بن محمد بن عَمَّار بن ياسر قال: زُرْتُ عبد اللَّه بن حسن ببادِيَتِهِ وزاره ابنُ هرمة، فجاءه رجلٌ من أَسْلَم؛ فقال ابن هرمة لعبد اللَّه بن حسن: أصلحك اللَّه! سَلِ الأسلَمِيّ أن يأذنَ لي أن أُخْبِرَك خبري وخبرَه. فقال له عبد اللَّه بن حسن: ائذن له، فأذِنَ له الأسلميّ؛ فقال له إبراهيم بن هرمة: إنِّي خَرَجْتُ ـ أصلحك اللَّه ـ أبغي ذَوْداً[1] لي، فأَوْحَشْتُ[2] وضِفْتُ هذا الأسلميّ، فذبح لي شاةً وخَبزَ لي خُبْزاً وأكرمني، ثم غَدَوْتُ من عنده، فأقَمْتُ ما شاء اللَّه. ثم خَرَجْتُ أيضاً في بُغاء ذَوْدٍ لي، فأَوْحَشْتُ فَضِفْتُهُ فقَراني بلبن وتمر، ثم غَدَوْتُ من عنده فَأَقَمْتُ ما شاء اللَّه؛ ثم خَرَجْتُ في بُغاء ذَوْدٍ لي، فأوحشْتُ، فَقُلْتُ: لو ضِفْتُ الأسلميّ! فاللبنُ والتمرُ خيرٌ من الطِّوى؛ فَضِفْتُهُ فجاءني بلبنٍ حامض. فقال: قد أجبتُهُ ـ أصلحك اللَّه ـ إلى ما سأل، فَسَلْهُ أن يأذن لي أن أُخْبِرَكَ لم فَعَلْتُ. فقال له: ائذن له؛ فأذن له؛ فقال الأسلميّ: ضافني، فسألتُهُ من هو؟ فقال: رجلٌ من قُرَيش، فَذَبَحْتُ له الشاة التي ذَكَرَ، وواللَّه لو كان غيرُها عندي

---

(١) الذود: الذَّوْد من الإبل من الثلاث إلى العشر.

(٢) أوحش الرجلُ: جاعَ. وتَوَحَّشَ الرجلُ، أي خلا بطنُه من الجوع. يقال: تَوَحَّشْ للدواء، أي أخْلِ جوفَك من الطعام. وبات فلانٌ وَحْشاً، أي جائعاً. وبتنا أوْحاشاً. وقد أوْحَشْنا منذ ليلتينِ، أي نَفِدَ زادُنا.

لذبحتُهُ له حين ذكر أنه من قريش؛ ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحيّ فقالوا: من كان ضيفك البارحةَ؟ قُلْتُ: رجلٌ من قريش؛ فقالوا: لا واللَّه ما هو من قريش، ولكنَّه دعيٌّ فيها؛ ثم ضافني الثانيةَ على أنه دعيٌّ في قريش، فجئْتُهُ بلبن وتمر وقلت: دعيُّ قريشٍ خيرٌ من غيره؛ ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحيّ، فقالوا: من كان ضَيْفُك البارحة؟ قُلْتُ الرجل الذي زعمتم أنه دَعِيٌّ في قريش؛ فقالوا: لا واللَّه ما هو بِدَعِيٍّ في قريش، ولكنَّه دَعِيُّ أدعياءِ قريش. ثم جاءني الثالثةَ، فَقَرَيْتُهُ لبناً حامضاً، ووالله لو كان عندي شرٌّ منه لقَرَيْتُهُ إياه. قال: فانخذل ابنُ هَرْمة، وضَحِكَ عبد اللَّه وضَحِكْنا معه.

[لقاؤه ابن ميادة]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثني الزُّبيرُ قال: حَدَّثني نَوْفل بن ميمون قال: لَقِيَ ابنُ مَيَّادة ابنَ هَرْمة، فقال ابنُ ميَّادة: واللَّه لقد كُنْتُ أُحِبّ أن ألقاك، لا بُدَّ من أن نتهاجى، وقد فَعَلَ الناسُ ذلك قَبْلَنا؛ فقال ابنُ هَرْمة: بئس واللَّه ما دَعَوْتَ إليه وأحببتَهُ، وهو يظْنُهُ جاداً؛ ثم قال له ابنُ هَرْمة: أما واللَّه إنَّني لَلَّذي أقول:

إِنّي لَمَيمونٌ جِواراً وَإِنَّني ... إِذا زَجَرَ الطَّيرَ العِدا لَمشومُ
وَإِنّي لَمَلآنُ العِنانِ[1] مُناقِلٌ[2] ... إِذا ما وَنى[3] يَوماً أَلَفُّ[4] سؤومُ
فَوَدَّ رِجالٌ أَنَّ أُمّي تَقَنَّعَتْ ... بِشَيبٍ يُغَشّي الرأسَ وَهيَ عَقيمُ

[الطويل]

فقال ابن ميَّادة: وهل عندك جراء[5]؟ ثَكِلَتْكَ أُمُّك! أنت ألأمُ من ذلك! ما قُلْتُ إلا مازِحاً.

أخبرنا به وَكيع قال: حَدَّثنا محمد بن إسماعيل قال: قال عبد العزيز بن عِمران: اجتمع ابن هَرمة وابن مَيَّادة عند جُمَيْع بن عمر بن الوَليد، فقال ابنُ مَيَّادة لابن هَرْمة: قد كُنْتُ أُحِبّ أن القاك ثم ذكر نحوَهُ.

[أنكر عليه مضغه الناطف]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حَدَّثنا عليّ بن محمد بن سُلَيمان النَّوْفَليّ

(١) يُقال: ملأ فلان عنان جواده، إذا جعله يعدو وحمله على الحُضر الشديد.
(٢) المناقل: السريع والخفيف في نقل القوائم.
(٣) الوَنَى: الفترةُ في العَمَل، ومنه: التّواني، يقال: وَنَى يَني وَنْياً فهو وانٍ.
(٤) ألألف: البطيء ثقيل الحركة. (٥) الجراء: الفتوة.

قال: حَدَّثني أبو سَلَمة الغِفاريّ عن أبيه قال: وَفَدْتُ على المهديّ في جماعة من أهل المدينة، وكان فيمن وَفَدَ يوسفُ بن مَوْهَب وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل، وكان معنا ابن هَرْمة؛ فَجَلَسْنا يوماً على دُكَّان قد هُيِّىء لمسجد ولم يُسَقَّف، في عسكر المهديّ؛ وقد كُنَّا نلقى الوزراء وكُبراء السلطان، وكانوا قد عَرَفونا؛ وإذا حِيالَ الدُّكَّان رجلٌ بين يديه ناطفٌ(١) يبيعُهُ في يوم شاتٍ شديدِ البردِ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفوفاً؛ فأقبل ابن هَرْمة علينا، فقال ليوسف: يابْن عمّ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ أما معك دِرْهمٌ نأكلُ بِهِ من هذا الناطف؟ فقال له: متى عَهِدَتَني أحمِلُ الدراهم! قال: فَقُلْتُ له: لكنِّي أنا معي، فأعطيتُهُ درهماً خفيفاً(٢)، فاشترى به ناطفاً على طَبَقٍ للناطِفيّ فجاء بشيء كثير، فأقبل يتمضَّغُهُ وحدَهُ ويُحَدِّثُنا ويضحك؛ فما راعنا إلا موكِبُ أحدِ الوزيرين: أبي عبيد اللَّه أو يعقوبَ بنِ داود. ثم أقبلتِ المُطَرِّقة(٣)؛ فَقُلْنا: ما لك قاتلك اللَّه! يَهْجُمُ علينا هذا وأصحابُهُ، فيرَوْن الناطف بين أيدينا فيظنُّون أنَّا كُنَّا نأكل معك؛ قال: فواللَّه ما أحدٌ أولى بالسَّتْرِ على صِحابِهِ وتَقَلُّد البليَّة منك يابْن عمّ رسول اللَّه! فَضَعْهُ بين يديك؛ قال: اعزُبْ(٤) قَبَّحَكَ اللَّه! قال: فأنت يابْنَ أبي ذَرّ، فَزَبَرْتُهُ(٥)؛ قال: فقال: قد عَلِمْتُ أنه لا يُبْتَلى بهذا إلا دعيٌّ أدعياء عاضّ كذا من أمه؛ ثم أخذ الطبقَ في يده فحمَلَهُ وتلقَّى به الموكِب، فما مرَّ به أحدٌ له نباهةٌ إلا مازَحَهُ، حتى مضى القومُ جميعاً.

[مدح عبد اللَّه بن حسن فأكرمه]

وقال هارون حَدَّثني أبو حُذافة السَّهميُّ قال: حَدَّثنا إسحاقُ بن نِسطاس قال: كان ابنُ هَرْمة مُشتهراً بالنبيذ، فأتى عبدَ اللَّه بن حسن وهو بالسَّيالة(٦)، فأنشده مديحاً له. فقامَ عبدُ اللَّه إلى غنم كانت له، فرمى بساجةٍ(٧) عليها فافترقت فرقتين، فقال:

---

(١) الناطف: نوع من الحلواء، ويقال له القُبيِّط لأنه يتنطف قبل استضرابه أي يقطر قبل خثورته.

(٢) يريد بذلك الدراهم الصغيرة ذات الوزن الخفيف.

(٣) المُطرقة: الذين يتقدمون المواكب لكي يفسح لها الطريق.

(٤) أعْزَبَ فلانٌ حلمَهُ وعَقْلَهُ، أي: أذهبه. وعزبَ عنه حلْمُهُ، أي: ذهب.

(٥) زَبَر فلانٌ يَزْبُرُه زبراً وزبرة: انتهره وأغلظ له في القول.

(٦) السيالة: قرية جامعة بينها وبين المدينة النبوية تسعة وعشرون ميلاً على طريق مكة، وهي الروحاء وفيها أهل وسوق صغير وماؤها من الآبار، وبينها وبين ملل تسعة أميال وملل أدنى إلى المدينة، ويباع بالسيالة شواهين وصقور، ومن السيالة إلى الرويثة أربعة وثلاثون ميلاً، ومن الرويثة إلى العرج أربعون ميلاً.

(٧) السّاجُ: ضربٌ من الخشب، سُودٌ منه صنعت سفينةُ نُوحٍ عليه السلام، الواحدة: ساجةٌ.

اختر أيَّهُما شِئْتَ ـ قال: فإما أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى. قال: وكانت ثلاثمائة ـ وكتب له إلى المدينة بدنانير. فقال له: يابْن هرمة، انْقُل عيالَك إلينا يكونوا مع عِيَالنا؛ فقال: أفعل يابْن رسول اللَّه ﷺ. ثم قَدِمَ ابن هرمة المدينةَ وجَهَزَ عيالَهُ لِيَنْقُلَهُم إلى عبد اللَّه بن حسن، واكترى[1] من رجلٍ من مُزَينة؛ فبينا هو قد شدَّ مَتَاعَهُ وحَمَلَّه والكَرِيُّ[2] يَنْتَظِرُهُ أن يتحمَّلَ، إذ أتاه صديقٌ له، فقال: أي أبا إسحاق، عندي واللَّه نبيذٌ يُسْقِطُ لحمَ الوجه؛ فقال: وَيْحَك! أما ترانا على مثل هذه الحال! أعليها يمكن الشرابُ؟! فقال: إنما هي ثلاثة لا تزِدْ عليهنّ شيئاً؛ فمضى معه وهم وقوف ينظرون؛ فلم يزلْ يَشْرَبُ حتى مضى من الليل صدرٌ صالحٌ؛ ثم أُتِيَ به وهو سكرانُ، فَطُرِحَ في شقِّ المحمل وعادلتْهُ[3] امرأته ومضوا. فلما أسْحَرُوا رَفَعَ رأسَهُ فقال: أين أنا؟ فأقبَلَتْ عليه امرأته تلومُهُ وتعذُلُهُ، وقالت: قد أفسد عليك هذا النبيذُ دِينك ودُنياك، فلو تعلَّلت عنه بهذه الألبان! فَرَفَعَ رأسَهُ إليها وقال:

لا تَبتَغي لَبَنَ البَعيرِ وَعِندَنا ماءُ الزَّبيبِ وَناطِفُ المعصارِ

[الكامل]

[هو أحد من ختم بهم الشعراء في رأي الأصمعي]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال: حَدَّثنا زكريَّا بن يحيى بن خَلَّاد قال: كان الأصمعيّ يقولُ: خُتِمَ الشعراء بابن هَرْمة، والحَكَم الخُضْريّ[4]، وابن ميادة[5]، وطُفَيْل الكِنانيّ، ومكين العذري[6].

---

(١) اكترى: استأجر.

(٢) الكريُّ: الأجير الذي يحمل الأحمال، ويُقال له المكاري.

(٣) عادلته: كانت معه في الشق الآخر من المحمل.

(٤) ابن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب الخضري شاعر إسلامي، وكان مع تقدمه في الشعر سجاعاً كثير السجع، وكان هجاءً خبيث اللسان، وكان بينه وبين الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاة ومواقف كان الغلب في أكثرها على الرماح فتهاجيا زماناً طويلاً، ثم كف ابن ميادة وسأله الصلح، فصالحه الحكم.

(٥) الرمّاح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المُرّي، أبو شرحبيل، ويقال أبو حرملة. وميادة أمه وبنسبته إليها اشتهر. شاعر رقيق هجّاء، من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، قالوا: كان متعرضاً للشرّ طالباً لمهاجاة الناس وَمُسَابّةِ الشعراء، مدح من الأمويين الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومن الهاشميين المنصور وجعفر بن سليمان. وفي العلماء من يرى أنه أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام وأنه كان خيراً لقومه من النابغة، وقد أفرد الزبير بن بكار أخباره في كتاب، توفي سنة ١٤٩هـ.

(٦) مكين العذري. أدرك المهدي، قال الأصمعي رأيته في موكب المهدي على بغل له وجمته كأنها=

[رهن رداءه في النبيذ]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك: حَدَّثني أبو حُذافة السَّهميّ أحمد بن إسماعيلَ قال: كان ابن هَرْمة مُدمِناً للشراب مُغرَماً به؛ فأتى أبا عمرو بنَ أبي راشد مولى عَدوان؛ فأكرمه وسقاه أياماً ثلاثةً؛ فدعا ابنُ هَرمة؛ فقال له غلامٌ لأبي عمرو ابن أبي راشد: قد نَفَذَ نبيذُنا. فَنَزَعَ ابنُ هرمة رداءه عن ظهره فقال لِلْغُلام: اذهب به إلى ابن حونك، ـ نَبَّاذ كان بالمدينة ـ، فارْهَنْهُ عنده وأْتِنا بنبيذٍ، ففعل. وجاء ابن أبي راشد، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ؛ فقال له: أين رداؤك يا أبا إسحاق؟ فقال: نصفٌ في القدح ونصفٌ في بطنك.

[طائفة من أخباره]

قال هارون: حَدَّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهريّ قال: حَدَّثني عمي عبد العزيز بن إسماعيل قال: مَدَحَ ابنُ هَرْمة محمدَ بن عمران الطَّلْحيّ، وبعث إليه بالمديح مع ابن رُبَيح، فاحتجب عنه؛ فَمَدَحَ محمدَ بن عبد العزيز؛ وكان ابنُ هرمة مريضاً، فقال قصيدتَهُ التي يقول فيها:

إنّي دَعَوتُكَ إذ جُفيتُ وَشَفّني ... مَرَضٌ تَضاعَفَني شَديدُ المُشتَكى
وَحُبِسْتُ عَن طَلَبِ المَعيشَةِ وارتَقَتْ ... دوني الحَوائِجُ في وُعورِ المُرتَقى
فَأَجِبْ أَخاكَ فَقَد أَنافَ بِصَوتِهِ ... يا ذا الإِخاءِ وَيا كَريمَ المُرتَجى
وَلَقَد حُفيتُ[1] صَبيبَ عُكّةِ[2] بَيتِنا ... ذَوباً[3] وَمِزتُ بِصفوِهِ عَنكَ القَذى
فَخُذِ الغَنيمَةَ واغتَنِمني إِنَّني ... غُنمٌ لِمثلِكَ وَالمَكارِمُ تُشتَرى
لا تَرمِيَنَّ بِحاجَتي وَقَضائِها ... ضَرْحَ[4] الحِجابِ كَما رَمى بي مَن رَمى

[الكامل]

= قبطية قد صبغها وصفرها فدخل في الفرجة بينه وبين الجند فصاحوا به فقال المهدي دعوه من أنت، قال أنا مكين العذري.

(١) حَفِيتُ به بالكسر حَفاوَةً وتَحَفَّيتُ به، أي بالغتُ في إكرامه وإلطافه. ولعلَّ المعنى: لقد منحت خير ما نملك وهو ما في عكتنا من عسل مصفى، يكنى بذلك عن مديحه الحسن.

(٢) العكة: للسمن كالشكوة للبن. وقيل العكة أصغر من القربة للسمن وهو زقيق صغير.

(٣) الذَّوْبُ: العَسَل عامَّة؛ وقيل: هو ما في أَبياتِ النَّحْل من العَسَلِ خاصَّة؛ وقيل: هو العَسَل الذي خُلِّص من شَمْعِه ومُومِه.

(٤) الضَّرْحُ: التنحيةُ. وقد ضَرَحَه أَي نحاه ودفعه، فهو مُضْطَرِحٌ أَي رَمَى به في ناحية.

فَرَكِبَ إلى جعفر بن سليمان نصفَ النهار؛ فقال: ما نزعَك[١] يا أبا عبد اللَّه في هذا الوقت؟ قال: حاجةٌ لم أرَ فيها أحداً أكفى مِنِّي؛ قال: وما هي؟ قال: قد مدحني ابنُ هَرْمة بهذه الأبيات، فأردْتُ من أرزاقي مائة دينار؛ قال: ومن عندي مثلُها؛ قال: ومن الأمير أيضاً! قال: فجاءت المائتا الدينار إلى ابن هَرمَة، فما أنفق منها إلا ديناراً واحداً حتى مات، وورث الباقي أهلُهُ.

[إمتدح أبا جعفر المنصور]

وقال أحمد بن أبي خَيثمة عن أبي الحسن المدائنيّ قال: امتدحَ ابنُ هَرْمَة أبا جعفر فوصَلَهُ بعشرة آلاف درهم؛ فقال: لا تقع منِّي هذه؛ قال: وَيْحَك! إنها كثيرة؛ قال: إن أردت أن تَهنِئَني فأبِحْ لي الشرابَ فإنِّي مُغْرَمٌ به؛ فقال: ويحك! هذا حدّ من حدود اللَّه! قال: احتَلْ لي يا أمير المؤمنين؛ قال: نعم؛ فكتب إلى والي المدينة: مَنْ أتاك بِٱبن هرمة سكران فاضربه مائةً واضرِب ابنَ هرمةَ ثمانينَ. قال: فجعل الجِلْواز[٢] إذا مرَّ بِٱبن هَرْمَة سكرانَ، قال: مَنْ يشتري الثمانين بالمائة!

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثني أبو زيد عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثنا أبو سَلَمة الغِفاريّ قال أخبرنا ابن رُبَيح راويةُ ابن هرمة: أصابت ابنَ هرمة أزْمَةٌ؛ فقال لي في يوم حارٍّ: اذهب فتكارَ حمارين إلى ستةِ أميال، ولم يُسَمِّ موضِعاً. فَرَكِبَ واحداً ورَكِبْتُ واحداً، ثم سِرْنا حتى صِرْنا إلى قصور الحسن بن زيد بِبَطحاءِ ابنِ أزْهر، فدخلنا مَسْجِدَهُ، فلما مالت الشمس خرجَ علينا مُشْتَمِلاً على قميصِهِ[٣]، فقال لمولى له: أذِّنْ فأذَّنَ، ولم يُكَلِّمنا كلمةً؛ ثم قال له: أقِمْ فأقام، فصلَّى بنا، ثم أقبل على ابن هَرمة فقال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، حاجَتُك؟ قال: نعم، بأبي أنت وأُمِّي، أبياتٌ

---

(١) نَزَعَ الشيءَ يَنْزِعُه نَزْعاً، فهو مَنْزُوعٌ ونزِيعٌ، وانْتَزَعَه فانْتَزَعَ: إقْتَلَعَه فاقْتَلَعَ، وفرّق سيبويه بين نَزَعَ وانْتَزَعَ فقال: انْتَزَعَ اسْتَلَبَ، ونزَع: حوّل الشيء عن موضعه وإن كان على نحو الاسْتِلاب. وانْتَزَعَ الرمحَ: إقْتَلَعَه ثم حَمل. وانتزَع الشيءُ: انقلَع. ونزَع الأَمِيرُ العامِلَ عن عمله: أَزالَه، وهو على المثَل لأَنه إذا أَزالَه فقد إقْتَلَعَه وأَزالَه.

(٢) عن بعض العرب: لا تنكحن حنانةً ولا منّانةً ولا ذات جلاوزة، أي امرأة تحن إلى زوجها الأول ولا ذات مُوَيْلٍ تتطاول به عليك ولا ذات أولاد. وسمّي الجلواز لجلوزته، وهي شدة سعيه وذفيفه بين يدي أميره.

(٣) لعلّ من الأفضل القول «بقميصه» لأنَّ هذا الفعل يتعدى بالباء.

قُلْتُها ـ وقد كان عبدُ اللَّه وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعَدُوه شيئاً فأخلَفُوه ـ فقال: هاتها. فقال:

أَمَّا بَنو هاشِمٍ حَولي فَقَد قَرَعُوا[١] نبلَ الضِّبابِ[٢] الَّتي جَمَّعتُ في قَرَنِ
فَما بِيَثرِبَ مِنهُم مَن أعاتِبُهُ إلاّ عَوائِدَ أَرجوهُنَّ مِن حَسَنِ
وَاللَّهُ أعطاكَ فَضلاً مِن عَطِيَّتِهِ عَلى هَنٍ وهنٍ فيما مَضى وَهِنِ[٣]

[البسيط]

قال: حاجتُكَ! قال: لابن أبي مُضَرِّس عليَّ خمسون ومائةُ دينار؛ قال: فقال لمولى له: يا هَيْثَم، اركب هذه البغلة فأْتني بابن أبي مُضَرِّس وذِكرِ حقه[٤]. قال: فما صَلَّينا العصر حتى جاء بِهِ؛ فقال له: مرحباً بك يابْن أبي مُضَرِّس، أمعك ذكرُ حقَّكَ على ابن هرمة؟ قال: نعم؛ قال: فامحُه، فمحاه. ثم قال: يا هَيْثَم، بِعِ ابنَ أبي مُضَرِّس من تمر الخانقين[٥] بمائة وخمسين ديناراً وزِدْهُ على كُلِّ دينار ربعَ دينار، وكِلِ ابنَ هرمة بخمسين ومائة دينار تمراً، وكِلِ ابنَ رُبيح بثلاثين ديناراً تمراً. قال: فانصرفنا من عنده؛ فلقيه محمدُ بن عبد اللَّه بن حسن بالسَّيالة، وقد بلغه الشعرُ، فَغَضِبَ لأبيه وعُمومته فقال: أي ماصَّ بَظرِ أُمّه! أنت القائل:

عَلى هَنٍ وهنٍ فيما مَضى وَهَنِ

فقال: لا واللَّه! ولكنِّي الذي أقول لك:

لا وَالَّذي أَنتَ مِنه نِعمَةٌ[٦] سَلَفَتْ نَرجو عَواقِبَها في آخِرِ الزَّمَنِ
لَقَد أَتَيتُ بِأَمرٍ ما عَمَدْتُ لَه وَلا تَعَمَّدَهُ قَولي وَلا سُنَنِي
فَكَيفَ أَمشي مَعَ الأَقوامِ معتدلاً وَقَد رميتُ بريءَ العُودِ بالأَبَنِ[٧]

(١) ورد في بعض المصادر «فزعوا» بدل «قرعوا».
(٢) الضِّباب. ووقعنا في مَضابَّ مُنْكَرَة، وهي قِطع من الأرض كثيرة الضِّباب، والواحد مَضَبَّة. والمُضَبِّب: الحارشُ الذي يصب الماءَ في جحره حتّى يخرج ليأخذه. والضَبُّ: الحِقد، تقول: أضبَّ فلان على غِلٍّ في قلبه، أي أضمره.
(٣) هن: كلمة يُكنى بها عن اسم الانسان. وقد تكررت في البيت ثلاثاً لأنه أراد ثلاثة أشخاص.
(٤) يُقالُ: لي على هذا الأمر ذكر حق أي صك، ولي عليه ذكور حق أي صكوك.
(٥) الخانقان: موضع في المدينة المنورة فيه مجمع أوديتها الثلاثة: بطحان والعقيق وقناة.
(٦) ورد في بعض المصادر «رحمة» بدل «نعمة».
(٧) أبن: قضيب كثير الأبن وهي العقد. ومن المجاز: بينهم أبن أي عداوات وإحن، وفي حسبه أبن أي عيوب. ومنه الحديث: لا تؤبن فيه الحرم يقال أبنه إذا عابه.

مـا غـيَّـرَتْ وَجـهَـهُ أُمٌّ مُـهـجِّـنـةٌ إِذا الـقَـتـامُ[١] تَـغَـشَّـى أَوجُـهَ الـهُـجُـنِ[٢]

[البسيط]

قال: وأمّ الحسن أم ولد.

قال هارون: فحدَّثني حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيوبَ بن عباية قال: لما قال ابن هَرمة هذا الشعر في حسن بن زيد، قال عبد اللَّه بن حسن: واللَّه ما أراد الفاسقُ غيري وغيرَ أَخَوَيّ: حسن وإبراهيم. وكان عبد اللَّه يُجري على ابن هرمة رِزْقاً فَقَطَعَهُ عنه وغَضِبَ عليه؛ فأتاه يَعْتَذِرُ، فَنُحِّيَ وطُرِدَ؛ فسأل رجالاً أن يُكَلِّموه، فردَّهم؛ فَيَئِسَ من رضاه واجتنبه وخافه. فمكث ما شاء اللَّه، ثم مرَّ عَشِيَّةً وعبدُ اللَّه على زَرْبِيَّة[٣] في ممرِّ المنبر، ولم تكن تُبْسَطُ لأحدٍ غيره في ذلك المكان. فلما رأى عبدَ اللَّه تضاءل وتَقَنْفَذَ[٤] وتصاغر وأسرع على المشي. فكأنَّ عبد اللَّه رَقَّ له، فأمر به فَرُدَّ عليه، فقال: يا فاسقُ، يا شاربَ الخَمرِ، على هَنٍ وهَنٍ! أتُفَضِّلُ الحسنَ عليّ وعلى أخويّ! فقال: بأبي أنت وأُمّي! وربّ هذا القبر ما عَنَيْتُ إلا فرعون وهامانَ وقارونَ، أفتغضَبُ لهم! فَضَحِكَ وقال: واللَّه ما أحسَبُكَ إلا كاذباً؛ قال: واللَّه ما كَذَبتُك. فأمر بأن تُردّ عليه جِرايتُهُ.

[قصيدة له خالية من الحروف المعجمة]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: أخبرني أبو أيُّوب المدينيّ عن مُصْعَب قال: إنما اعتذر ابنُ هَرْمة بهذا إلى محمد بن عبد اللَّه بن حسن. قال يحيى: وأخبرني أبو أيُّوب عن عليّ بن صالح قال: أنشدني عامرُ بن صالح قصيدةً لابن هَرْمة نحواً من أربعين بيتاً، ليس فيها حرف يُعْجَم؛ وذكر هذه الأبيات منها؛ ولم أجد هذه القصيدةَ في شعر ابن هَرْمة، ولا كُنْتُ أظن أن أحداً تقدم رُزَيناً العَرُوضِيَّ إلى هذا الباب. وأوَّلها:

---

(١) قتم: لون قاتم وأقتم: أغبر يعلوه سواد، وقد قتم يقتم قتوماً، وقتم يقتم قتماً وقتمةً. وبلد قاتم، وبلاد قواتم. قال رؤبة:

وقـاتـم الأعـمـاق خـاوي الـمـخـتـرق

وبازٍ أقتم الريش. وارتفع القتام، حتى خفيت الأعلام؛ أي الغبار.

(٢) الهَجينُ: ابن العربيّ من الأمَةِ الرّاعية الّتي لا تُحْصَن، فإذا حُصِنَتْ فليس ولدُها بهَجينٍ، والجميع: الهُجَناء.

(٣) الزِّرْبيَّةُ: الطِّنْفِسةُ، وقيل: البِساطُ ذو الخَمْلِ، وتُكْسَرُ زايُها وتفتح وتضم، وجمعها زَرابيُّ. والزِّرْبِيَّةُ: القِطْعُ الحِيريُّ، وما كان على صَنْعَتِه.

(٤) كناية عن الغضب الشديد، الذي جعله كالقنفذ.

أَرَسْمُ سَوْدَةَ أمسى دارِسَ الطَّلَلِ مُعَطَّلاً رَدّهُ الأَحْوالُ كالحُلَلِ

[البسيط]

هكذا ذكر يحيى بن عليّ في خبره أن القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً، ووجدْتُها في رواية الأصمعيّ ويعقوب بن السِّكيت اثني عشر بيتاً، فنسخْتُها ها هنا للحاجة إلى ذلك؛ وليس فيها حرف يُعْجَم إلا ما اصطلح عليه الكتَّاب من تصييرهم مكان ألفٍ ياءً مثل «أعلى» فإنَّها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء، ومثل «رأى» ونحو هذا، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف، وإنَّما اصطلح الكُتَّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه. والقصيدة:

أَرَسْمُ سَوْدَةَ مَحْلٌ دارِسُ الطَّلَلِ مُعَطَّلٌ رَدّهُ الأَحْوالُ كالحُلَلِ
لَمّا رأى أَهْلَها سَدّوا مَطالِعَها رامَ الصُّدودَ وَعادَ الوُدُّ كالمهلِ[1]
وَعادَ وُدُّكَ داءً لا دَواءَ لَهُ وَلَو دَعاكَ طَوالَ الدَّهرِ لَلرَّحَلِ
ما وَصْلُ سَوْدَةَ إِلاّ وَصْلُ صارِمَةٍ أَحَلَّها الدَّهرُ داراً مأكَلَ الوَعِلِ[2]
وَعادَ أَمواهُها سُدْماً[3] وَطارَ لَها سَهمٌ دَعا أَهْلَها لِلصّرمِ وَالعِلَلِ
صَدّوا وَصَدَّ وَساءَ المَرءَ صَدُّهُمُ وَحامَ لِلوِردِ رَدْهاً حَومَةَ العَلَلِ

[البسيط]

ـ حَوْمَةُ الماء، كثرتُهُ وغمْرتُهُ. والعَلَلُ: الشّربُ الثاني. والرَّدْهُ: مُسْتَنْقَعُ الماء ـ :

وَحَلّؤُهُ رِداهاً ماؤُها عَسَلٌ ما ماءُ رَدهٍ لَعَمرُ اللَّهِ كالعَسَلِ
دَعا الحَمامُ حَماماً سَدَّ مَسمَعَهُ لَمّا دَعاهُ رآهُ طامِحَ الأَمَلِ
طُموحَ سارِحَةٍ[4] حَوْمٍ[5] مُلَمَّعَةٍ وَمُمرِعٍ[6] السِّرِّ[7] سَهلٌ ماكِدُ[8] السَّهَلِ

---

(١) المهل: قال تعالى: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾، يقال: هو النحاسُ المُذابُ. وقال أبو عمرو: المُهْلُ: دُرْدِيُّ الزَّيْتِ. قال: والمُهْلُ أيضاً: القَيْحُ والصَّديدُ. وفي حديث أبي بكر: «ادْفِنوني في ثَوْبَيَّ هذين، فإنَّما هما للمُهل والترابِ».

(٢) الوَعِلُ وجمعه الأوعال، وهي الشّاءُ الجبلية. وقد استوعلتْ في الجبال، ويقال: وَعِل ووَعل. ولغة العرب: وُعِل بضمّ الواو وكسر العين من غير أن يكونَ ذلك مُطّرِداً، لأنه لم يجيء في كلامهم: فُعِل اسماً إلا دُئل، وهو شاذّ.

(٣) السدم التغيير، يُقال: قوم السادِمُ معناه المتغير العقل من الغَمّ، وأَصله من قولهم ماء سُدُمٌ. ومياه سُدْمٌ وأَسْدامٌ إذا كانت متغيرة.

(٤) سارحة: ماشية.

(٥) الحوْمُ: القطيعُ الضَّخم من الإبل.

(٦) الممرع: المخصب.

(٧) السِّر: بطن الوادي وأكرم موضع فيه.

(٨) الماكد: الناقة التي نقص لبنها بسبب طول عهدها.

وَحـــاوَلـــوا رَدَّ أَمـــرٍ لا مَـــرَدَّ لَـــهُ ... وَالـصُّـرمُ داءٌ لأهـلِ الـلَّـوعَـةِ الـوُصُـلِ
أَحَـلَّـكَ الـلَّـهُ أَعـلـى كُـلِّ مَـكـرُمَـةٍ ... وَالـلَّـهُ أَعـطـاكَ أَعـلـى صـالـحِ الـعَـمَـلِ
سَـهـلٌ مَـوارِدُهُ سَـمـحٌ مَـواعِـدُهُ ... مُـسَـوَّدٌ لِـكِـرامٍ سـادَةٍ حُـمُـلِ(١)
[البسيط]

[هجاؤه المسور بن عبد الملك]

قال يحيى بن عليّ وحدَّثني أبو أيّوب المدينيّ عن أبي حُذَيفة قال: كان المُسَوَّر بن عبد الملك المخزوميّ يَعِيبُ شعرَ ابن هَرمة، وكان المسوَّر هذا عالماً بالشعر والنسب؛ فقال ابن هرمة فيه:

إيّاكَ لا أُلْزِمَن لـحـيَـيـكَ مِـن لُـجُـمـي ... نَـكـلاً(٢) يُـنـكِّـلُ قَـرّاصـاً(٣) مِـن الـلُّـجُـم
يَـدُقُّ لـحـيَـيـكَ أَو تَـنـقـادُ مُـتَّـبِـعـاً ... مَـشـيَ الـمُـقـيَّـدِ ذي الـقِـردانِ(٤) وَالـحَـلَـم
إِنّـي إِذا مـا امـرُؤٌ خَـفَّـت نَـعـامَـتُـهُ(٥) ... إِلَـيَّ وَٱسـتُـحـصَـدتْ مِـنـه قُـوى الـوَذَم(٦)
عَـقَـدتُ فـي مُـلـتَـقـى أَوداجِ لُـبَّـتِـهِ ... طَـوقَ الـحَـمـامَـةِ لا يَـبـلـى عَـلـى الـقِـدَم
إِنّـي امـروءٌ لا أَصـوغُ الـحـلـيَ تَـعـمَـلُـهُ ... كَـفَّـايَ لَـكِـن لِـسـانـي صـائِـغُ الـكَـلِـم
إِنَّ الأَديـمَ(٧) الَّـذي أَمـسـيـتَ تَـقـرِظُـهُ(٨) ... جَـهـلاً لَـذو نـغَـلٍ(٩) بـادٍ وَذو حـلَـم(١٠)
وَلا يَـئِـطُّ(١١) بـأَيـدي الـخـالِـقـيـنَ وَلا ... أَيـدي الـخَـوالـقِ إِلاّ جَـيِّـدُ الأَدَم
[البسيط]

[هجاؤه عبد اللّه بن مصعب]

قال يحيى وحدَّثني أبو أيوب عن مُصْعَب بن عبد اللّه عن أبيه قال: لقيني ابنُ

---

(١) الحمل: الشديد التحمل.
(٢) النِّكْلُ بالكسر: القَيْدُ. والنِّكْلُ أيضاً: حديدةُ اللِّجام. وقال أبو عبيد: النِّكْلُ لِجامُ البَريد.
(٣) القرّاص: وصف من القرص ويروى قراضا وهو القَطاع.
(٤) القردان: جمع قردة وهي دويبة تتعلق بالبعير.
(٥) زعموا أنّ ابن النَّعامة من الطُّرُقِ كأنّه مركبُ النَّعامة. قال:
ويـكـون مـركـبُـكِ الـقَـعـودُ ورَحْـلُـهُ ... وابـنُ الـنَّـعـامَـةِ عـنـدَ ذلـك مـركـبـي
ويقال: ليس ابنُ النَّعامةِ ههنا الطريق، ولكنّه صدرُ القَدَم. وهو الطّريقُ أيضاً.
(٦) الوَذَم: الوَذَمة الواحدةُ: من السُّيُور التي تُشَدُّ بها عُروة الدَّلْوِ.
(٧) الأديم: الجلد. (٨) تقرظه: تدبغه بالقرظ لإصلاحه.
(٩) النَّغَلُ: الجلد الفاسد في دباغه، ونَغِلَ نَغَلاً. (١٠) عَناقٌ حَلِمةٌ وتِحْلِمَةٌ: أفسَدَ جِلدَها الحَلَمُ.
(١١) يئط: يصوّت.

هرمة فقال لي: يٰابنَ مُصْعَب، أتُفَضِّل عليّ ابن أُذَينة! أما شكرت قولي:

فما لك مُختَلّاً عَلَيكَ خَصاصَةٌ كَأَنَّكَ لَم تَنْبُتْ بِبَعضِ المَنابِتِ
كَأَنَّكَ لَم تَصحَبْ شُعَيبَ بنَ جَعفَرٍ وَلا مُصعَباً ذا المَكرُماتِ ٱبنَ ثابِتِ

[الطويل]

ـ يعني مصعب بن عبد اللَّه ـ قال: فقلت: يا أبا إسحاق، أقِلني ورَوِّني من شعرك ما شِئْتَ؛ فإني لم أروِ لك شيئاً. فروَّاني عَبَّاسيَّاته[1] تلك.

[أكرم من رأى]

قال يحيى: وأخبرني أبو أيوب المدينيّ عن مُصْعَب بن عبد اللَّه عن مُصْعَب ابن عثمان قال: قال ابن هرمة: ما رأيْتُ أحداً قطُّ أسخى ولا أكرمَ من رجلين: إبراهيمَ بنَ عبد اللَّه بن مُطِيع، وإبراهيمَ بن طلحة بن عمرو بن عبد اللَّه بن مَعمر. أمَّا إبراهيم بن طلحة فأتيتُهُ فقال: أحسِنوا ضيافةَ أبي إسحاق، فأُتِيْتُ بِكُلِّ شيء من الطعام، فأرَدْتُ أن أنشِدَه؛ فقال: ليس هذا وقتَ الشعر. ثم أخرج الغلام إليّ رُقعةً فقال: ائْتِ بها الوكيلَ، فأتيتُهُ بها، فقال: إن شِئْتَ أخَذْتُ لك جميع ما كُتِبَ به، وإن شِئْتَ أعطيتُك القيمة؛ قلت: وما أمَرَ لي به؟ فقال: مائتا شاةٍ بِرِعائها وأربعةُ أجمالٍ وغلامٌ جَمَّال ومِظَلَّةٌ وما تحتاج إليه، وقوتُك وقوتُ عيالك سنةً؛ قُلْتُ: فاعطني القيمةَ؛ فأعطاني مائتي دينار. وأما إبراهيم بن عبد اللَّه فأتيتُهُ في منزله بِمُشاش[2] على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عَفَّان؛ فدخل إلى منزله ثم خَرَجَ إليَّ بِرُزمة من ثياب وصُرَّةٍ من دراهم ودنانيرَ وحُليّ، ثم قال: لا واللَّه ما بَقَّينا في منزلنا ثوباً نواري به امرأةً، ولا حَلْياً ولا ديناراً ولا درهماً.

وقال يمدحُ إبراهيم:

أَرَّقَتني تَلومُني أُمُّ بَكرٍ بَعدَ هَدْءٍ وَاللَّومُ قَد يؤذيني
حَذَّرَتني الزَّمانَ ثُمَّتَ قالَت لَيسَ هَذا الزَّمانُ بِالمأمونِ
قُلتُ لَمّا هَبَّت تُحَذِّرُني الدَّهرَ دَعي اللَّومَ عَنكِ وَٱستَبقيني
إِنَّ ذا الجودِ وَالمَكارِمِ إبراهيمَ يَعنيهِ كُلُّ ما يَعنيني
قَد خَبَرناهُ في القَديمِ فَألفَينا مَواعيدَهُ كَعَينِ اليَقينِ

(١) لعلَّه يقصد قصائده التي مدح بها بني العباس
(٢) مشاش: موضع بين ديار بني سليم وبين مكة وبينه وبين مكة نصف مرحلة.

قُلتُ ما قُلتُ لِلَّذي هُوَ حَقٌّ مُستَبينٌ لا لِلَّذي يُعطيني
نَضَحَتْ أَرضَنا سَماؤُكَ بَعدَ الجَدْبِ مِنها وَبَعدَ سوءِ الظُّنونِ
فَرَعَينا آثارَ غَيثٍ هَراقَتْهُ يَدا مُحكَمِ القُوى مَيمونِ
[الخفيف]

وقال هارون حدَّثنا حَمَّاد عن عبد اللَّه بن إبراهيم الحَجَبيّ: أن إبلاً لمحمد بن عمران تحمل علفاً مَرَّت بمحمد بن عبد العزيز الزُّهريّ ومعه ابن هَرْمة، فقال: يا أبا إسحاق، ألا تستعلف محمد بن عمران! وهو يريد أن يعرضه لمنعِهِ فيهجوه. فأرسل ابن هَرْمة في أثر الحَمولة رسولاً حتى وقف على ابن عمران!، فأبلغه رسالته؛ فردَّ إليه الإبلَ بما عليها، وقال: إن احتجْتَ إلى غيرها زدناك. فأقبل ابنُ هَرْمة على محمد بن عبد العزيز، فقال له: اغسِلْها عنِّي، فإنه إن عَلِمَ أني استعلفْتُهُ ولا دابّة لي وقعْتُ منه في سَوْءة. قال: بماذا؟ قال: تُعطيني حمارَك؛ قال: هو لك بسرجه ولجامه؛ فقال ابنُ هرمة: مَنْ حَفَرَ حُفْرَةَ سوءٍ وقع فيها.

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء قال: حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثنا أبو يحيى هارون بن عبد اللَّه الزُّهريّ عن ابن زُرَيق، وكان مُنْقَطِعاً إلى أبي العبَّاس بن محمد[١] وكان من أرْوَى الناس، قال: كُنْتُ مع السَّريّ بن عبد اللَّه باليمامة، وكان يتشوَّقُ إلى إبراهيم بن عليّ بن هرمة ويُحبّ أن يفد إليه؛ فأقول: ما يمنعك أن تكتب إليه؟ فيقول: أخاف أن يُكَلِّفني من المؤونة ما لا أُطيقُ؛ فَكُنْتُ أكتُبُ بذلك إلى ابن هرمة، فكرِه أن يَقدمَ عليه إلا بكتاب منه؛ ثم غُلِبَ فشخص إليه، فَنَزلَ عليَّ ومعه راويتُهُ ابن رُبَيح؛ فَقُلْتُ له: ما منَعَكَ من القدوم على الأمير وهو من الحرص على قدومك على ما كتبْتُ به إليك؟ قال: الذي منعه من الكتاب إليّ. فَدَخَلْتُ على السريّ فأخبرْتُهُ بقدومِهِ؛ فَسُرَّ بذلك وجلس للناس مَجْلِساً عامّاً، ثم أَذِنَ لابن هَرْمة فَدَخَلَ عليه ومعه راويته ابن رُبَيح، وكان ابنُ هَرمة قصيراً دميماً أريمصَ[٢]، وكان ابن رُبَيح طويلاً جسيماً نقيّ الثياب؛ فَسَلَّمَ على السَّريَّ ثم قال له: أصلحك اللَّه! إنِّي قد قُلْتُ شعراً أثنَيْتُ فيه عليك؛ فقال: أَنشِدْ؛ فقال: هذا يُنْشِدُ؛ فَجَلَسَ فأنشده ابن رُبَيح قصيدَته التي أوَّلها:

عُوجا عَلى رَبعِ لَيلى أُمِّ مَحمودِ كيما نسائِلَهُ من دونِ عبُّودِ[٣]

(١) أبو العباس بن محمد: عبد اللَّه السفاح أول خلفاء بني العباس.
(٢) الرَّمَصُ: غَمَصٌ أبيضُ تَلْفِظُه العَيْنُ فتوْجَع له. وعينٌ رَمْصاءُ وقد رَمِصَتْ رَمَصاً اذا لَزِمَها ذلك.
(٣) عبود: جبل ما بين المدينة والسيالة.

عَـن أُمِّ مَـحـمـود إِذ شَـطَّ الـمَـزارُ بِـهـا ... لَـعَـلَّ ذَلِـكَ يَـشـفـي داءَ مَـعـمـودِ[١]
فَـعَـرَّجـا بَـعـدَ تَـغـويـرٍ[٢] وَقَـد وَقَـفَـتْ ... شَـمـسُ الـنَّـهـارِ وَلاذَ الـظِّـلُّ بـالـعـودِ
شَـيـئـاً فَـمـا رَجَّـعَـتْ أَطـلالُ مَـنـزِلَـةٍ ... قَـفـرٍ جَـواباً لَـمـحـزونِ الـجَـوى مُـودي[٣]
[البسيط]

ثم قال فيها يمدح السَّريّ:

ذاكَ الـسَّـريُّ الَّـذي لَـولا تَـدَفُّـقُـهُ ... بِـالـعُـرفِ مِـتـنـا حَـلـيـفَ الـمَـجـدِ وَالـجـودِ
مَـن يَـعـتَـمِـدكَ ابـنَ عَـبـدِ الـلَّـهِ مُـجـتَـديـاً ... لِـسَـيـبِ عَـرفِـكَ يَـعـمِـدْ خَـيـرَ مَـعـمـودِ[٤]
يـاْبـنَ الأُسـاةِ الـشُّـفـاةِ الـمُـسـتَـغـاثِ بِـهِـم ... وَالـمُـطـعِـمـيـنَ ذُرى الـكـومِ[٥] الـمَـقـاحـيـدِ[٦]
وَالـسـابـقـيـنَ إِلـى الـخَـيـراتِ قَـومَـهُـمُ ... سَـبـقَ الـجِـيـادِ إِلـى غـايـاتِـهـا الـقُـودِ[٧]
أَنـتَ ابـنُ مُـسْـلَـنـطِـحٍ[٨] الـبَـطـحـاءِ مَـنـبَـتُـكُـم ... بَـطـحـاءُ مـكّـةَ لا روسُ الـقَـراديـدِ[٩]
لَـكُـم سِـقـايَـتُـهـا[١٠] قِـدْمـاً وَنَـدوَتُـهـا[١١] ... قَـد حـازَهـا والِـدٌ مِـنـكُـم لِـمَـولـودِ
لَـولا رَجـاؤُكَ لَـم تَـعـسِـفْ[١٢] بِـنـا قُـلـصٌ[١٣] ... أَجـوازَ مَـهـمَـهَـةٍ قَـفـرِ الـصُّـوى[١٤] بِـيْـدِ
لَـكِـن دَعـانـي وَمَـيـضٌ لاحَ مُـعـتَـرِضـاً ... مِن نَحوِ أَرضِكَ في دُهمٍ[١٥] مَناضيدِ[١٦]
[البسيط]

---

(١) المعمود: الذي يهدّه العشق.
(٢) التغوير: النزول وقت القائلة.
(٣) المودي: الهلاك.
(٤) معمود: مقصود. يقال: عمده يعمده إذا قصده.
(٥) الكوم: الناقة العظيم السنام.
(٦) المقاحيد: الناقة الباقية اللبن.
(٧) قُدْتُ الفرسَ وغيرَه أقودُهُ قَوْداً ومَقادَةً وقَيْدودةً. وفرسٌ قَؤُودٌ: سَلِسٌ مُنْقادٌ. واقْتادَهُ وقادَهُ بمعنًى. وقَوَّدَهُ، شدد للكثرة. والقُوْدُ: الخيلُ. ويقال: مرَّ بنا قَوْدٌ. وأَقَدْتُكَ خيلاً، أي أعطيتك خيلاً تَقودُها. والانْقِيادُ: الخضوعُ. تقول: قُدْتُهُ فانْقادَ لي، إذا أعطاك مَقادَته.
(٨) المسلنطح: المتسع.
(٩) القردود: ما ارتفع من الأرض، فعلى هذا لا معنى لقول سيبويه: إن القراديد: جمع: قردد.
(١٠) السقاية: ما كانت قريش تسقيه الحجاج من النبيذ المنبوذ بالماء.
(١١) الندوة: هي دار الندوة بمكة وهي التي بناها قصي، سميت بذلك لاجتماعهم فيها.
(١٢) العَسْفُ: الأخذُ على غير الطريق.
(١٣) القلص: الصغار.
(١٤) الصُّوى: الأعلام من الحجارة، الواحدة صُوَّةٌ. وفي الحديث: «إنَّ للإسلام صُوّى ومَناراً كمنار الطريق». ومنه قيل للقبور: أَصْواءٌ. وكان الأصمعيّ يقول: الصُّوى: ما غلُظ وارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً.
(١٥) دهم: سود.
(١٦) المناضيد: متراكبة بعضها فوق بعض.

وأنشده أيضاً قصيدة مدحه فيها، أوّلها:

أَفي طَلَلٍ قَفرٍ تَحَمَّلَ آهِلُهْ ... وَقَفتَ وَماءُ العَينِ يَنهَلُّ هامِلُهْ
تُسائِلُ عَن سَلمى سَفاهاً وَقَد نَأَتْ ... بِسَلمى نَوًى شَحطٌ فَكَيفَ تُسائِلُهْ
وَتَرجو وَلَم يَنطِقْ وَلَيسَ بِناطِقٍ ... جَواباً مُحيلٌ[1] قَد تَحَمَّل آهِلُهْ
وَنؤيٌ كَخَطِّ النونِ ما إِن تَبينُهُ ... عَفَتْهُ ذُيولٌ[2] مِن شَمالٍ تُذايلُهْ[3]

[الطويل]

ثم قال فيها يمدح السري:

فَقُل لِلسَريِّ الواصِلِ البرِّ ذي النَّدى ... مَديحاً إِذا ما بُثَّ صُدِّقَ قائِلُهْ
جَوادٌ عَلى العِلّاتِ يَهتَزُّ لِلنَّدى ... كَما اهتَزَّ عَضبٌ أَخلَصَتهُ صَياقِلُهْ
نَفى الظُّلمَ عَن أَهلِ اليَمامَةِ عدلُهُ ... فَعاشوا وَزاحَ[4] الظُّلمُ عَنهُم وَباطِلُهْ
وَناموا بِأَمنٍ بَعدَ خَوفٍ وَشِدَّةٍ ... بِسيرَةِ عَدلٍ ما تُخافُ غَوائِلُهْ[5]
وَقَد عَلِمَ المَعروفُ أَنَّكَ خِدنُهُ[6] ... وَيَعلَمُ هَذا الجوعُ أَنَّكَ قاتِلُهْ
بِكَ اللَّهُ أَحيا أَرضَ حَجرٍ[7] وَغَيرَها ... مِنَ الأَرضِ حَتّى عاشَ بِالبَقلِ آكِلُهْ
وَأَنتَ تُرَجّى لِلَّذي أَنتَ أَهلُهُ ... وَتَنفَعُ ذا القُربى لَدَيكَ وَسائِلُهْ

[الطويل]

وأنشده أيضاً ممَّا مدحه به قوله:

عُوجا نُحَيِّ الطُّلولَ بِالكَثَبِ[8]

[المنسرح]

يقول فيها يمدحه:

دَع عَنكَ سَلمى وَقُل مُحَبَّرَةً[9] ... لِماجِدِ الجَدِّ طَيِّبِ النَّسَبِ

---

(١) المحيل: الذي أتت عليه أحوال فغيرته.
(٢) ذيل الريح: ما انسحب منها على الأرض. (٣) ما تتركه الريح من أثر في الرمل.
(٤) زاح: ذهب. (٥) الغوائل: الأخذ من حيث لا يدري.
(٦) الخِدْنُ والخَدينُ: الصديق. يقال: خادَنْتُ الرجل. ومنه خدنت الجارية. قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾. ورجلٌ خَدَنَةٌ: يُخادِنُ الناس كثيراً.
(٧) أرض اليمامة.
(٨) الكثب: موضع بديار بني طيء.
(٩) حبر الشعر والكلام: حسنَّه وأجاده.

مَـحـضٍ مُـصَـفّـى الـعُـروقِ يَـحـمَـدُهُ فـي الـعُـسـرِ وَالـيُـسـرِ كُـلُّ مُـرتَـغِـبِ
ألـواهِـبِ الـخَـيـلَ فـي أَعِـنَّـتِـهـا وَالـوُصَـفـاءِ الـجِـسـانِ كـالـذَهَـبِ
مَـجـداً وَحَـمـداً يُـفـيـدُهُ كَـرَمـاً وَالـحَـمـدُ فـي الـنـاسِ خَـيـرُ مُـكـتَـسَـبِ
[المنسرح]

قال: فلما فرغ ابن رُبَيح، قال السَّريّ لابن هَرمة: مرحباً بك يا أبا إسحاق! ما حاجتك؟ قال: جئتك عبداً مملوكاً؛ قال: لا بل حرّاً كريماً وابنَ عم، فما ذاك؟ قال: ما تركْتُ لي مالاً إلا رهنْتُهُ، ولا صديقاً إلاَّ كَلَّفْتُهُ ـ قال أبو يحيى: يقول لي ابن زُرَيق: حتى كأن لي دَيَّاناً وعليه مالاً ـ فقال له السَّريّ: وما دَيْنُكَ؟ قال: سبعمائة دينار؛ قال: قد قضاها اللَّه عزَّ وجلَّ عنك. قال: فأقام أياماً، ثم قال لي: قد اشتقْتُ؛ فَقُلْتُ له: قل شعراً تَشَوَّق فيه؛ فقال قصيدته التي يقول فيها:

أَأَلـحـمـامَـةُ[1] فـي نَـخـلِ ابـنِ هَـدّاجِ هـاجَـت صَـبـابَـةَ عـانـي الـقَـلـبِ مُـهـتـاجِ
أَم الـمُـخَـبِّـرُ أَنَّ الـغَـيـثَ قَـد وَضَـعَـتْ مِـنـهُ الـعِـشـارُ تَـمـامـاً غَـيـرَ إِخـداجِ[2]
شَقَّتْ[3] سَوائِفُها[4] بالفَرْشِ[5] مِن مَلَلٍ[6] إِلـى الأَعـارِفِ[7] مِـن حَـزْنٍ[8] وَأَولاجِ[9]
حَـتّـى كَـأَنَّ وَجـوهَ الأَرضِ مُـلـبَـسَـةٌ طَـرائِـفـاً مِـن سَـدى عَـصـبٍ وَديـبـاجِ
[البسيط]

وهي طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدح السَّريّ:

أَمّـا الـسَّـريُّ فَـإِنّـي سَـوفَ أَمـدَحُـهُ ما الـمـادِحُ الـذاكِـرُ الإِحـسـانَ كـالـهـاجـي
ذاكَ الَّـذي هُـوَ بَـعـدَ الـلَّـهِ أَنـقَـذَنـي فَـلَـسـتُ أَنـسـاهُ إِنـقـاذي وَإِخـراجـي

(١) ورد في بعض المصادر «إن الحمامة» بدل «أألحمامة».
(٢) ناقة خادج: ألقت ولدها قبل الوقت وإن تم خلقه، ومخدج جاءت به ناقص الخلق وإن كان لوقته، ومخداج ذلك عادتها، وهي ذات خداج، وولد مخدج وخديج.
(٣) شقت: انفطرت عن النبات.
(٤) السوائف: السَّائفةُ: أَرض بين الرَّمل والجَلَد. قال أَبو زياد: السائفةُ: جانِبٌ من الرمل أَلينُ ما يكون منه، والجمع سَوائفُ.
(٥) الفرش: وادٍ بين غميس والحمام وملل.
(٦) ملل: موضع بين الحرمين لا يبلغه المرء إلا بعد ملل وجهد.
(٧) الأعارف: جبل في اليمامة.
(٨) الحَزْنُ: ما غلُظَ من الأرض. وفيها حُزونَةٌ. قال الأصمعي، الحُزَنُ الجبالُ الغلاظ، الواحدة حُزْنَةٌ. والحَزونُ: الشاةُ السَّيئةُ الخُلُقِ.
(٩) الأولاج: الغامض من الأرض.

لَـيـثٌ بِـحَـجـرٍ إذا مـا هـاجَـهُ فَـزَعٌ هـاجَ إِلَـيـهِ بـإِلـجـامِ وَإِسـراجِ
لأحـبُـوَنَّـكَ مِـمّـا أَصـطَـفـي مِـدَحـاً مُـصـاحِـبـاتٍ لِـعُـمّـارٍ وَحُـجّـاجِ
أَسـدى الـصَّـنـيـعَـةَ مِـن بِـرٍّ وَمِـن لَـطَـفٍ إِلـى قَـروعٍ لِـبـابِ الـمُـلـكِ وَلاّجِ
كَـمْ مـن يـدٍ لـك فـي الأقـوام قـد سَـلَـفَـتْ عـنـد امـرئٍ ذي غِـنًـى أو عـنـد مـحـتـاجِ

[البسيط]

فأمَرَ له بسبعمائة دينار في قضاء ديْنِهُ، ومائةِ دينارٍ يتجَهَزُ بها، ومائةِ دينارٍ يُعرِّض بها أهله، ومائة دينارٍ إذا قَدِمَ على أهله.

قوله: «يُعرِّض بها أهله» أي يُهدي لهم بها هدية، والعُراضةُ: الهديةُ؛ قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك:

كـانَـتْ عُـراضَـتُـكَ الـتـي عـرَّضـتـنـا يـوم الـمـديـنـة زَكْـمَـةً وسُـعـالا

[الكامل]

[إنكاره شعراً له في بني أُميّة خوفاً من العباسيين]

أخبرني الحرمي قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: حَدَّثني نَوفَل بن ميمون قال: أخبرني أبو مالك محمد بن عليّ بن هَرْمة قال: قال ابن هرمة:

وَمَـهـمـا أُلامُ عَـلـى حُـبِّـهـم فَـإِنّـي أُحِـبُّ بَـنـي فـاطِـمَـهْ
بَـنـي بِـنـتِ مَـن جـاءَ بـالـمُـحـكَـمـات وَبـالـديـنِ وَالـسُـنَّـةِ الـقـائِـمَـهْ

[المتقارب]

فلقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله: مَنْ قائلها؟ فقال: مَنْ عَضَّ بَظْرَ أمّه؛ فقال له ابنه: يا أبت، ألستَ قائلَها؟ قال: بلى؛ قال: فلم شَتَمْتَ نفسك؟ قال: أليس أن يَعَضَّ المرء بَظْرَ أمّه خير من أن يأخذَهُ ابن قحطبة[1]!

[خبره مع رجل يتاجر بعرض ابنتيه]

أخبرنا الحَرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثنا جعفر بن مُدْرِك الجَعديّ قال: جاء ابنُ هَرْمة إلى رجل كان بسوقِ النَّبَط، معه زوجةٌ له وابنتان كأنهما ظبيتان يقود عليهما، بمال فدفعه إليه، فكان يشتري لهم طعاماً وشراباً؛ فأقام ابن هَرْمة مع ابنتيه حتى خَفَّ ذلك المال؛ وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ؛ فأخبرهم بمكان ابن هَرْمة؛

(١) حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن جعدان الطائي. ولي مصر من قبل أبي جعفر المنصور بعد عزل محمد بن الأشعث في أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة، كان من المقربين إلى بني العباس، جضر الكثير من الوقائع، مات في خلافة المهدي سنة ١٥٩هـ.

فاستثقلوه وكَرِهُوا أن يعلمَ بهم؛ فأمر ابنتيه، فقالتا له: يا أبا إسحاق، أما دَرَيْتَ ما الناسُ فيه؟ قال: وما هم فيه؟ قالتا: زُلزِل بالرَّوْضةِ، فتغافلهما؛ ثم جاء أبوهما مُتفازعاً فقال: أي أبا إسحاق، ألا تَفْزَعُ لما الناسُ فيه! قال: وما هم فيه؟ قال زُلزل بالرَّوْضة. قال: قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معه مالٌ، وقد نَفَضتُ ما جئتكم به وثَقُلَتْ عليه؛ فأردت إدخالَه وإخراجي؛ أيُزَلْزَل برَوضةٍ من رياض الجنَّة ويُترك منزلُكَ وأنت تجمع فيه الرجالَ على ابنتيك! واللَّه لا عُدْتُ إليه! وخرج من عنده.

ورَوَى هذا الخبرَ عن الزُّبير، هارون بن محمد الزَّيَّات فزاد فيه، ثم خرج من عندهم. فأتى عبدَ اللَّه بن حسن، فقال: إني قد مَدَحْتُك فاستمع منِّي؛ قال: لا حاجةَ لي بذلك، أنا أُعطيك ما تريد ولا أسمع؛ قال: إذاً أسقُط ويَكسُدُ سوقي؛ فَسَمِعَ منه وأمر له بمائتي دينار؛ فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال: قد جِئْتُك بما تُنْفِقُهُ كيف شئت؛ ولم يزل مُقيماً عنده حتى نَفِذَت.

[قصته مع محمد بن عبد العزيز]

قال الزُّبيرُ: وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن عبد العزيز قال: حدَّثني عمي عِمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: وافينا الحجَّ في عامٍ من الأعوام الخالية، فأصبحْتُ بالسَّيالة، فإذا إبراهيمُ بن عليّ بن هَرْمة يأتينا؛ فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فَأَذِنَ لَهُ؛ فدخل عليه فقال: يا أبا عبد اللَّه، ألا أُخْبرُك ببعض ما تَسْتَظْرِف؟ قال: بلى، ورُبما فعلت يا أبا إسحاق؛ قال: فإنه أصبح عندنا ها هنا منذُ أيَّام محمدُ بن عمران وإسماعيلُ بن عبد اللَّه بن جُبَير، وأصبح ابن عِمران بجملين له ظالعيْن[1]، فإذا رسوله يأتيني أن أجِبْ؛ فَخَرَجْتُ حتى أتيتُهُ، فأخبرني بظلْع جمليْه، وقال لي: أرَدْتُ أن أبعثَ إلى ناضحَين[2] لي بِعَمْقٍ[3] لعلِّي أوتي بهما إلى ها هنا لأمضي عليهما، ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما؛ فَفَرِّغْ لنا دارَكَ واشترِ لنا عَلَفاً واستَلِنْه بِجهدِك؛ فإنا مقيمون ها هنا حتى تأتينا جِمالُنا؛ فَقُلْتُ: في الرَّحبِ والقُرب، والدَّارُ فارغةٌ، وزوجتُهُ طالقٌ إن اشتريْتُ عُودَ عَلَفٍ، عندي حاجتُكَ منه؛ فأنزلْتُهُ ودَخَلْتُ إلى السوق، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسلٍ[4]

(١) ظلعت تظلع ظلعاً، كقولك: منعت تمنع منعاً، وأدبر مطيته وأظلعها: أعرجها.

(٢) الناضِحُ: جَمَلٌ يُسْتَقَى عليه الماء للقِرَى في الحَوض، أو لِسَقْي أرضٍ وجَمعُه النَّواضِح. والفَرَس يَنْضَحُ: أي يعْرَقُ.

(٣) بعمق: ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز.

(٤) الرَّسْلُ: الذي فيه استرسال وليِنٌ. وناقة رَسْلةُ القوائم أي سَلِسَةٌ لَيِّنَةُ المَفاصِل.

ولا جداءٍ[١] ولا طرفةٍ[٢] ولا غير ذلك إلا ابتعْتُ منه فاخِرَهُ، وبَعَثْتُ به إليه مع دَجاج كان عندنا. قال: فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف عليّ عبدٌ لإسماعيل بن عبد اللَّه يُساوِمُني بحمل علفٍ لي. فلم أزَل أنا وهو حتى أخذه مني بعشرة دراهم، وذهب به فطَرَحَهُ لظَهْرِه. وخَرَجْتُ عند الرواح أتقاضى العبد ثمنَ حِملي، فإذا هو لإسماعيل بن عبد اللَّه ولم أكن دَرَيْتُ؛ فلما رآني مولاه حيَّاني ورَحَّبَ بي، وقال: هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق؟ فأعلمه العبدُ أن العلفَ لي؛ فأجلسني فتغدَّيْتُ عنده، ثم أمر لي مكانَ كل درهم منها بدينار، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عَبَّاد، فبعثَتْ إليَّ بخمسة دنانير. قال: وراحوا، وخَرَجْتُ بالدنانير ففرَّقتها على غُرَمائي، وقُلْتُ: عند ابنِ عِمران عِوضٌ منها. قال: فأقام عندي ثلاثاً، وأتاه جَمَلاه، فما فعلَ بي شيئاً، فبينا هو يترحَّلُ وفي نفسه منِّي ما لا أدري به، إذ كَلَّمَ غُلاماً له بشيءٍ فلم يَفْهَمْ. فأقبل عليَّ فقال: ما أقدِرُ على إفهامه مع قُعودك عندي، قد واللَّه آذيتني ومنعتني ما أرَدْتُ؛ فَقُمْتُ مُغتماً بالذي قال؛ حتى إذا كنت على باب الدار لَقِيَني إنسانٌ فسألني: هل فعل إليك شيئاً؟ فَقُلْتُ: أنا واللَّه بخير إذ تَلِفَ مالي وَرَبِحْتُ بدني. قال: وطلع عليّ وأنا أقولها، فشتمني واللَّه يا أبا عبد اللَّه حتى ما أبقى لي، وزعم أن لولا إحرامُهُ لضربني؛ وراح وما أعطاني درهماً؛ فَقُلْتُ:

يا مَن يُعينُ عَلى ضَيفٍ أَلَمَّ بِنا ... لَيسَ بِذي كَرَمٍ يُرجى وَلا دينِ
أَقامَ عِندي ثَلاثاً سُنَّةً سَلَفَتْ ... أَغضيتُ مِنها عَلى الأَقذاءِ وَالهونِ
مَسافَةُ البَيتِ عَشرٌ غيرُ مُشكِلَةٍ ... وَأَنتَ تأتيهِ في شَهرٍ وَعشرينِ
لَستَ تُبالي فَواتَ الحَجِّ إِن نَصبتْ ... ذاتُ الكَلالِ وَأَسمَنتَ ابنَ حِرقينِ
تَحَدَّثَ الناسُ عَمّا فيكَ مِن كَرَمٍ ... هَيهاتَ ذاكَ لِضَيفانِ المَساكينِ
أَصبَحتَ تخزُنُ ما تَحوي وَتجمَعُهُ ... أَبا سُلَيمانَ مِن أَشلاءِ قارونِ
مِثلُ ابنِ عُمرانَ آباءٌ لَهُ سَلَفوا ... يَجزونَ فِعلَ ذَوي الإِحسانِ بالدونِ
أَلا تَكونُ كَإِسماعيلَ إِنَّ لَهُ ... رَأياً أَصيلاً وَفِعلاً غَيرَ مَمنونِ
أَو مِثلَ زَوجَتِهِ فيما أَلَمَّ بِها ... هَيهاتَ مِن أُمِّها ذاتِ النِّطاقَينِ[٣]

[البسيط]

(١) الجَديُ: الذَّكرُ من أولاد المِعز، ويُجمع على: أجدٍ وجِداء.
(٢) الطرفة: ما يُطرِف به الرجل صاحِبُه ويتحفه به.
(٣) ذات النطاقين: أسماء بنت الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه.

فلما أنْشدَها قال له محمد بن عبد العزيز: نحنُ نُعينُكَ يا أبا إسحاق؛ لقوله: «يا من يعين». قال: قد رفعك اللَّه عن العَوْن الذي أُريدُه، ما أردْتُ إلاَّ رَجُلاً مثل عبد اللَّه بن خِنزيرة وطلحة أطباء الكلبة يُمْسِكونه لي وآخذ خُوطَ سَلَمٍ فأُوجِعُ به خواصرَه وجَواعِرَه. قال: ولما بلغ في إنشاده إلى قوله:

مِـثْـلُ ابـنِ عِـمـرانَ آبـاءٌ لَـهُ سَـلَـفـوا

أقبل عليّ، فقال: عُذْراً إلى اللَّه تعالى وإليكم! إني لم أعْنِ من آبائه طلحة بن عُبيد اللَّه. قال: ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان عندنا، فلم يُكَلِّمْهُ حتى ضرب أنفَهُ، وقال له: فَعَنَيْتَ من آبائه أبا سليمانَ محمد بن طلحة يا دعيّ! قال: فَدَخَلْنا بينهما. وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّديق رضي اللَّه عنه إلى ابن هرمة يدعوه، فذهب إليه؛ فقال له: ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان! واللَّه لا أرضى حتى تَحلِفَ ألاَّ تقول له أبداً إلا خيراً، وحتى تلقاه فَتَرضَّاه إذا رجع، وتحتمل كلّ ما أنزل إليك وتمدحه؛ قال: أفعل، بالحبِّ والكرامةِ؛ قال: وإسماعيل بن جعفر لا تَعْرِضْ له إلا بخير؛ قال: نعم. قال: فأخذ عليه الأيمان فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها. قال: واندفع ابنُ هرمة يَمْدَحُ محمد بن عِمران:

أَلَـم تَـرَ أَنَّ الـقَـولَ يَـخـلُـصُ صِـدقُـهُ وَتـأبـى فَـمـا تَـزَكـو لـبـاغٍ بـواطِـلُـهْ
ذَمَـمـتُ امـرَأً لـم يَـطـبَـعِ الـذَّمُّ عـرضَـهُ قَـلـيـلاً لَـدى تَـحـصـيـلِـهِ مَـن يُـشـاكِـلُـهْ
فَـمـا بـالـحِـجـازِ مِـن فَـتًـى ذي إِمـارَةٍ وَلا شَـرَفٍ إلاّ ابـنُ عـمـرانَ فـاضـلُـهْ
فَـتًـى لا يَـطـورُ[1] الـذَّمُّ سـاحَـةَ بَـيـتِـهِ وَتَـشـقـى بِـهِ لَـيـلَ الـتَّـمـامِ[2] عَـواذِلُـهْ

[الطويل]

[خبرُهُ مع ابن عمران]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال حَدَّثنا أحمد بن عمر الزُّهريّ قال: حَدَّثنا أبو بكر بن عبد اللَّه بن جعفر المِسوَريّ قال: مَدَحَ إبراهيم بن هرَمة محمد بن عمران الطَّلحيّ، فألفاه راويتُهُ وقد جاءته عِيرٌ له تحمل غَلّةً قد جاءته من الفُرْع[3] أو خَيْبَر؛ فقال له رجل كان

(١) الطَّوار: ما كان على حَذْو الشَّيء أو بحِذائه. يقال: هذه الدّارُ على طَوارِ هذه الدّار.
(٢) الليل في أطول أوقاته؛ أي الليل في الشتاء.
(٣) الفُرع: قرية من نواحي الرَّبذة عن يسار السُّقيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة.

عنده: أعلم واللَّه أنَّ أبا ثابت [بن] عِمرانَ بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضِرٌ عنده وأخبره بِعِيرِك هذه؛ فقال: إنَّما أراد أبو ثابت أن يُعرِّضني للسانه، قُودوا إليه القِطارَ، فَقِيدَ إليه.

[خبره مع عمر بن القاسم]

أخبرنا الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حدَّثني يحيى بن محمد عن عبد اللَّه ابن عمر بن القاسم قال: جاء أبي تمرٌ من صَدَقة عمر؛ فجاءه ابنُ هَرمة فقال: أمتع اللَّه بك! أعطِني من هذا التمر؛ قال: يا أبا إسحاق لولا أنِّي أخافُ أن تعمَلَ منه نبيذاً لأعطيتُكَ؛ قال: فإذا عَلِمْتَ أنِّي أعملُ منه نبيذاً لا تعطيني؛ قال: فخافه فأعطاه؛ فلقيه بعد ذلك؛ فقال له: ما في الدنيا أجودُ من نبيذٍ يجيء من صَدَقة عمر؛ فأخجله.

[سمع جرير شعره فمدحه]

أخبرنا الحَرَميّ قال: أخبرنا الزُّبير قال: حَدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: قَدِمَ جريرٌ المدينة، فأتاه ابنُ هَرمة وابن أُذَينة فأنشداه؛ فقال جريرُ: القرشيّ أشعرُهما، والعربيّ أفصحهما.

[مدحه المطلب بن عبد اللَّه وهو غلام]

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً قال: حَدَّثني حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن محمد: أنَّ ابنَ هرمة قالَ يَمْدَحُ أبا الحَكَم المُطَّلب بن عبد اللَّه:

لَمّا رأَيتُ الحادِثاتِ كَنَفنَني ... وَأَورَثنَني بُؤسى ذَكَرتُ أَبا الحَكَمْ

سَليلُ مُلوكٍ سَبعَةٍ قَد تَتابَعوا ... هُمُ المُصطَفَونَ وَالمُصَفَّونَ بالكَرَمْ

[الطويل]

فلاموه وقالوا: أَتَمْدَحُ غُلاماً حَدِيْثَ السنِّ بمثل هذا! قال: نعم! وكانت له ابنةٌ يُلَقِّبُها «عُيَيْنة» ـ وقال الزُّبيرُ: كان يُلَقِّبُها «عينة» ـ فقال:

كانَت عُيَينَةُ فينا وَهيَ عاطِلَةٌ ... بَينَ الجَواري فَحَلّاها أَبو الحَكَم

فَمَن لَحانا عَلى حُسنِ المَقالِ لَهُ ... كانَ المُليمَ وَكُنّا نَحنُ لَم نُلَم[1]

[البسيط]

(١) لم نلم: لم نأت ما نلام عليه.

[شكايته لعبد العزيز بن المطلب]

قال يحيى وحدَّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيريّ عن نَوْفَل بن ميمون قال: أرسل ابنُ هرمة إلى عبد العزيز بن المُطَّلِب بكتابٍ يشكو فيه بعضَ حاله؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً؛ فَمَكَثَ شهراً ثم بعث يَطْلُبُ منه شيئاً آخر بعد ذلك؛ فقال: إنَّا واللَّه ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحكمُ بن المُطَّلب؛ وكان عبد العزيز قد خَطَبَ إلى امرأة من ولد عُمر فَرَدَّتْهُ، فخَطَبَ إلى امرأة من بني عامر بن لُؤَيّ فزوجوه؛ فقال ابن هرمة:

خَطَبتَ إلى كَعبٍ فَردُّوكَ صاغِراً ... فَحَوَّلتَ مِن كَعبٍ إلى جِذمِ[1] عامِرِ
وَفي عامِرٍ عِزٌّ قَديمٌ وَإِنَّما ... أَجازَكَ فيهِم هَزلُ أَهلِ المَقابِرِ

[الطويل]

وقال فيه أيضاً:

أَبالبُخلِ تَطلُبُ ما قَدَّمَتْ ... عَرانينُ جادَتْ بِأَموالِها
فَهَيهاتَ خالَفتَ فِعلَ الكِرامِ ... خِلافَ الجِمالِ بِأَبوالِها

[المتقارب]

[خبره مع امرأة تزوجها]

وقال هارون بن محمد: حَدَّثني مُغيرةُ بن محمد قال: حَدَّثني أبو محمد السَّهميّ قال: حَدَّثني أبو كاسب قال: تَزَوَّجَ ابنُ هَرْمة بامرأة؛ فقالت له: أعطِني شيئاً؛ فقال: واللَّه ما معي إلا نعلاي، فدفعهما إليها، ومضى معها فتورَّكها مِراراً. فقالت له: أحفَيتَني[2]؛ فقال لها: الذي أحفى صاحبَهُ مِنَّا يَعَضُّ بَظْرَ أُمّه.

[جود الحكم بن المطلب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن أبيَ سَعْد قال: حَدَّثني المُسَيَّبيّ محمد بن إسحاق قال: حَدَّثني إبراهيم ابن سكرة جارُ أبي ضَمرة قال: جَلَسَ ابن هَرْمَة مع قوم على شراب، فَذَكَرَ الحكمَ ابن المُطَّلِب فأطنب في مدحِهِ؛ فقالوا له: إنَّك لَتُكْثِر ذكرَ رجلٍ لو طَرَقْتَهُ الساعةَ في شاةٍ يُقالُ لها «غرَّاء» تسأله إيَّاها لردّك عنها! فقال: أهو يفعل هذا؟ قالوا: إي واللَّه. وكانوا قد عرفوا أنَّ الحكم بها مُعْجَبٌ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحْلَبُ؛ فَخَرَجَ وفي رأسِهِ

(١) جِذمُ القوم: أصلُهم.
(٢) أحفَيتني: أجهدتني.

ما فيه، فَدَقَّ البابَ فَخَرَجَ إليه غُلامُهُ؛ فقال له: أعلم أبا مروان بمكاني ـ وكان قد أمرَ ألاَّ يُحْجَب إبراهيم بن هَرْمة عنه ـ فأعلمَهُ به، فَخَرَجَ إليه مُتَّشِحاً فقال: أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق! فقال: نعم جُعِلْتُ فداك، وُلد لأخ لي مولود فلم تَدِرّ عليه أُمّه، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا لها شاةً عندك يقال لها «غَرَّاء»، فسألني أن أسألكها؛ فقال: أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاةٍ واحدةٍ! واللَّه لا تبقى في الدار شاةٌ إلا انصرفْتَ بها، سُقْهنّ معه يا غلام، فساقهن. فَخَرَجَ بِهُنَّ إلى القوم، فقالوا: وَيحك! أيّ شيء صَنَعْتَ! فقصَّ عليهم القصة. قال: وكان فيهِنّ واللَّه ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثرُ من عشرة.

[لما سمع بقتل الوليد أنشد]

قال هارون وحدَّثني حَمَّاد بن إسحاق قال: ذَكَرَ أبي عن أيّوب بن عَباية عن عمر بن أيّوب اللَّيثيّ قال: شَرِبَ ابنُ هرمة عندنا يوماً فَسَكِرَ فنام. فلما حَضرَتِ الصَّلاةُ تَحَرَّك أو حَرَّكتهُ، فقال لي وهو يتوضأُ: ما كان حديثكم اليوم؟ قُلْتُ: يزعمون أنَّ الوليد قُتِلَ؛ فَرَفَعَ رأسه إليَّ وقال:

وَكانَت أُمورُ الناسِ مُنبِتَةَ القوى ... فَشَدَّ الوَليدُ حينَ قامَ نِظامَها

خَليفَةُ حَقٍّ لا خَليفَةُ باطِلٍ ... رَمى عَن قَناةِ الدينِ حَتّى أَقامَها

[الطويل]

ثم قال لي: إياك أن تذكُرَ من هذا شيئاً؛ فإنِّي لا أدري ما يكون.

[رأي ابن الأعرابي فيه]

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال: حَدَّثنا أبو العبَّاس الأحول عن ابن الأعرابيّ: أنه كان يقول: خُتِمَ الشعراءُ بابن هرمة.

[خبر سكره]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البَلاذُرِيّ: أنّ ابنَ هَرمة كان مُغْرَماً بالنبيذ، فَمَرَّ على جيرانِهِ وهو شديد السكر حتى دخل منزله؛ فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها؛ فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أما سمعتم قولي:

أَسألُ اللَّهَ سَكرَةً قَبلَ مَوتي ... وَصِياحَ الصبيانِ يا سَكرانُ

[الخفيف]

قال: فنفضوا ثيابَهم وخرجوا، وقالوا: ليس يُفلح واللَّه هذا أبداً.

[جنازته]

أخبرني الحَرْمِيّ بن أبي العَلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: أنشدني عَمِّي لابن هَرمة:

مـــا أَظُـــنُّ الـــزَّمـــانَ يـــا أُمَّ عَـــمـــروٍ تـــارِكـــاً إِن هَـــلَـــكـــتُ مَـــن يَـــبـــكـــيـــنـــي

[الخفيف]

قال: فكان واللَّه كذلك؛ لقد مات فأخبرني من رأى جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر، حتى دُفِنَ بالبقيع.

[مولده]

قال يحيى بن عليّ ـ أراه عن البلاذريّ ـ : وُلِدَ ابنُ هَرْمة سنةَ تسعين، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها:

إِنَّ الـــغَـــوانـــيَ قَـــد أَعـــرَضـــنَ مَـــقْـــلِـــيَـــةً لَـــمـــا رَمـــى هَـــدَفَ الـــخَـــمـــســـيـــن مـــيـــلادي

[البسيط]

قال: ثم عُمِّر بعدها مدّة طويلة.

ذكر أخبار يونس الكاتب

[نسب يونس الكاتب ومن أخذ عنهم]

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شهرَيار، من ولد هُرْمُز، وقيل: إنه مولًى لعمرو بن الزُّبير ومنشؤه ومنزله بالمدينة. وكان أبوه فقيهاً، فأسلمه في الديوان فكان من كُتَّابه. وأخذ الغناءَ عن مَعبَدٍ وابن سُرَيج وابن مُحرِز والغريض، وكان أكثرُ روايته عن معبد؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذقُ ولا أقومُ بما أخذ عنه منه. وله غناء حسن، وصنعة كثيرة، وشِعْرٌ جيد. وكتابه في الأغاني ونسبها إلى من غنّى فيها هو الأصلُ الذي يُعْمَلُ عليه ويُرْجَعُ إليه؛ وهو أوّل من دوَّن الغِناء.

[شعر مسعود بن خالد في مدحه]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال: حَدَّثنا حَمَّاد بن إسحاقَ قال: حَدَّثني أبي قال: أنشدني مسعود بن خالد المُورِياني[1] لِنَفْسِهِ في يونس:

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ ... طابَ لنا اليومَ بِكَ المجلسُ
إنَّ المُغَنِّين إذا ما هُمُ ... جارَوْك أخنى بهم المقبسُ
تَنْشُرُ ديباجاً وأشباهَهُ ... وهم إذا ما نشروا كَرْبَسوا[2]

[السريع]

[خبره مع بعض الفتيان في وادي دومة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: ذَكَرَ إبراهيمُ بن قُدامة الجمحيّ قال: اجتمع فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يُغنِّي، فخرجوا إلى وادٍ يقال له دُومة من بطن العَقيق، في أصحاب لهم فَتَغَنَّوا،

(١) الموريان: قرية بالأهواز منها أبو أيوب سليمان بن مخلد، وقيل سليمان بن داود المورياني وزير أبي جعفر المنصور، وقيل إنه مولاه اشتراه بالجزيرة إذ كان يليها لأخيه أبي العباس، ولأبي جعفر المنصور والمورياني قصة عجيبة بسببها قتل المنصور المورياني.

(٢) كربسوا: الكِرْباسُ: فارسيٌّ معرب، بكسر الكاف. والكِرْباسَةُ أخصُّ منه. والجمع الكَرابيسُ، وهي ثيابٌ خشنةٌ.

واجتمع إليهم نساء أهل الوادي ـ قال بعضُ من كان معهم: فَرَأَيْتُ حولنا مثلَ مُراح الضأن ـ وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له؛ فلما رأى جماعةَ النساء عندهم حسدهم، فالتفت إلى صاحبه فقال: أما واللَّه لأُفرِّقنّ هذه الجماعة! فأتى قصراً من قصور العَقيق، فَعَلا سطحه وألقى رداءه واتَّكأَ عليه وتغنّى:

صوت

هَـذا مـقـام مُـطَـرَّدٍ هُـدِمَـتْ مـنـازلُـهُ ودُورُه
رَقَّـى عـلـيـه عُـداتُـه ظُـلْـماً فـعـاقـبَـهُ أمـيـرُه

[مجزوء الكامل]

ـ الغناء لابن عائشة رملٌ بالوسطى، والشعرُ لِعُبَيد بن حُنَين مولى آل زيد بن الخَطَّاب، وقيل: إنه لعبد اللَّه بن أبي كثير مولى بني مخزوم ـ قال: فواللَّه ما قضى صوته حتى ما بَقِيت امرأةٌ مِنْهن إلا جَلَسَت تحت القصر الذي هو عليه وتفرّق عامّةُ أصحابهم؛ فقال يونس وأصحابه: هذا عملُ ابنِ عائشة وَحَسَدُهُ.

[صاحب الشعر الذي تغنى به ابن عائشة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شبَّة قال: حَدَّثنا أبو غسَّان محمد بن يحيى عن أبيه قال: تزوَّجَ عبد اللَّه بن أبي كَثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصْعَب بن الزُّبير امرأةً من بني عَبد بن بَغيض بن عامر بن لُؤَيّ[1]، فَفَرَّقَ مُصْعَبٌ بينهما؛ فَخَرَجَ حتى قَدِمَ على عبد اللَّه بن الزُّبير بمكة فقال:

هـذا مَـقَـامُ مُـطَـرَّدٍ هُـدِمَـتْ مَـنـازلُـهُ ودُورُه
رَقَّـتْ عـلـيـه عُـداتُـهُ كـذبـاً فـعـاقـبـه أمـيـرُه
فـي أنْ شَـربـتُ بِـجَـمّ مـا ءٍ كـان حِـلاّ لـي غـديـرُه
فـلـقـد قَـطَـعـتُ الـخَـرْقَ[2] بـعـد الـخـرق مُـعـتَـسِـفـاً[3] أسـيـرُه
حـتـى أتـيْـتُ خـلـيـفـة الـرحـمـن مـمـهـوداً سـريـرُه
حـيَّـيـتـه بِـتَـحِـيَّـةٍ فـي مـجـلـسٍ حـضـرتْ[4] صُـقـورُه

[مجزوء الكامل]

---

(١) بغيض بن عامر كان شريفاً، وهو الذي نقل الحطيئة إلى جواره من جوار الزبرقان. وأدرك الإسلام.
(٢) الخرق: القفر.
(٣) العَسْفُ: الأخذُ على غير الطريق، وكذلك التَّعَسُّفُ والإعتِسافُ.
(٤) ورد في بعض المصادر «حصرت» بدل «حضرت».

فَكَتَبَ عبد اللَّه بن مصعب: أن اردُدْ عليه امرأته؛ فإنِّي لا أحرِّم ما أحلَّ اللَّه عزَّ وجلَّ؛ فردَّها عليه. هذه رواية عمر بن شَبَّة.

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ عن سُحَيم بن حَفص: أن المتزوِّجَ بهذه المرأة عُبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخَطَّاب، وأن المفرّق بينهما الحارث بن عبد اللَّه بن أبي ربيعة الذي يقال له القُباع[1]؛ وذكر باقيَ الخبر مثل الأوّل.

[مع الوليد بن يزيد في الشام]

أخبرني عمي قال: حَدَّثني طَلْحة بن عبد اللَّه الطَّلْحي قال: حَدَّثني أحمد بن الهَيْثَم قال: خَرَجَ يونُس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارةٍ؛ فَبَلَغَ الوليدَ بن يزيد مكانُهُ؛ فلم يشعرُ يونس إلا برُسُلِهِ قد دخلوا عليه الخانَ، فقالوا له: أجب الأميرَ ـ والوليد إذ ذاك أميرٌ ـ قال: فَنَهَضْتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير، لا أدري من هو، إلاَّ أنه من أحسن الناس وجهاً وأنبلِهم، فَسَلَّمْتُ عليه، فأمرني بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجواري؛ فكنا يومَنا وليلتَنا في أمر عجيب؛ وغنَّيْتُهُ فَأُعْجِبَ بغنائي؛ إلى أن غَنَّيْتُهُ:

إن يَـعِـشْ مُـصْـعَـبٌ فَـنَـحـنُ بـخـيـرٍ قـد أتـانـا مِـنْ عـيـشـنـا مـا نُـرَجّـي

[الخفيف]

ثم تَنَبَّهْتُ فَقَطَعْتُ الصوت؛ فقال: ما لَكَ؟ فأخذْتُ أعتذر من غِنائي بشعرٍ في مُصْعَب؛ فَضَحِكَ وقال: إن مُصْعَباً قد مضى وانقطع أثرُهُ ولا عداوةَ بيني وبينه، وإنَّما أريد الغناء، فأمضِ الصوتَ؛ فَعُدْتُ فيه فغنَّيْتُهُ؛ فلم يزل يَستعِيدُنيهِ حتى أصبح، فَشرب مُصْطَبِحاً وهو يستعيدني هذا الصوتَ ما يتجاوزه حتى مَضَتْ ثلاثةُ أيام. ثم قُلْتُ له: جَعَلَنِي اللَّه فداء الأمير! أنا رجلٌ تاجرٌ خَرَجْتُ مع تُجَّار وأخاف أن يرتحلوا فَيَضيعَ مالي؛ فقال لي: أنت تغدو غداً؛ وشَرِبَ باقيَ ليلته، وأمرَ لي بثلاثة آلاف دينار فَحُمِلتْ إليّ، وغَدَوْتُ إلى أصحابي؛ فلما خَرَجْتُ من عنده سألْتُ عنه، فقيل لي: هذا الأمير الوليد بن يزيد وليّ عهد أمير المؤمنين هشام. فلما استُخلِفَ بَعَثَ إليّ فأتيتُهُ، فلم أزل معه حتى قُتِلَ.

---

(١) كان الحارث بن عبد اللَّه أميراً على البصرة، ولقبه أهلها القباع وذلك أنه مرّ بقوم يكيلون بقفيز، فقال: إن قفيزكم لقباع. أي كبير واسع.

صوت

من المائة المختارة

أصواته المعروفة بالزيانب:

أقـصـدَتْ زيـنـبُ قـلـبـي بـعـد مـا ذَهَـبَ الـبـاطـلُ عـنِّـي والـغَـزَلْ
وعـلا الـمَـفـرِقَ شـيـبٌ شـامِـلٌ واضـحٌ فـي الـرأس مـنِّـي واشـتَـعَـلْ

[الرمل]

الشعر لابن رُهَيمة المَدَنيّ. والغناء في اللحن المختار لِعُمَر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر في مَجراها عن إسحاق. وفيه ليونسَ الكاتب لحنان: أحدُهما خفيفُ ثقيل أوَّلٌ بالبنصر في مجرى الوسطى عن إسحاقَ، والآخر رَملٌ بالسُّبَّابة في مجرى البنصر عنه أيضاً. وفيه رملان بالوسطى والبنصر: أحدهما لابن المكيّ، والآخر لِحَكَم، وقيل: إنه لإسحاق من رواية الهشاميّ. ولحنُ يونسَ في هذا الشعر من أصواتِهِ المعروفة بالزيانب، والشعر فيها كلها لابن رُهَيمة في زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ وهي سبعة: أحدها قد مضى، والآخر:

صوت

أقـصـدَتْ زيـنـبُ قـلـبـي وسَـبَـتْ عـقـلـي ولُـبِّـي
تَـرَكَـتْـنـي مُـسْـتـهـامـاً أسـتـغـيـث الـلَّـه رَبِّـي
لـيـس لـي ذنـبٌ إلـيـهـا فَـتُـجـازيـنـي بِـذَنـبـي
ولـهـا عـنـدي ذنـوبٌ فـي تَـنـائـيـهـا وقُـربـي

[مجزوء الكامل]

غَنَّاه يونس رَملاً بالبنصر. وفيه لِحَكَمٍ هَزجٌ خفيفٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. ومنها:

صوت

وَجَـدَ الـفُـؤادُ بِـزَيـنَـبـا وَجْـداً شَـديـداً مُـتْـعِـبـا
أَصـبَـحـتُ مِـن وَجـدي بَـهـا أُدعـى سَـقـيـمـاً مُـسـهَـبـا[1]

(١) ورد في بعض المصادر «شَقِيّاً مُنصَبا» بدل «سَقيماً مُسهباً».

وَجَعلتُ زَينَبَ سُترَةً وَأَتَيتُ أَمراً مُعجِبا[1]

[مجزوء الكامل]

غَنَّاه يونسُ ثقيلاً أوّلَ مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق، وهو مما يُشَكّ فيه من غناء يونس. ولعُليَّة بنتِ المهديّ فيه ثقيلٌ أوّل آخر لا يُشكّ فيه أنه لها، كَنَّتْ فيه عن رشَإٍ الخادم ـ وذكر أحمد بن عُبَيد أن فيه من الغناء لحنين هما جميعاً من الثقيل الأوّل ليونس ـ ومن لا يعلم يزعمُ أنّ الشعر لها.

صوت

إنَّما زينبُ المُنى وهِيَ الهَمُّ والهَوَى
ذاتَ دَلٍّ تُضْني الصحيحَ وتبري من الجَوَى
لا يَغُرَّنْكِ أن دعو تِ فؤادي فما التَّوَى
واحذري هِجرةَ الحَبيب إذا مَلَّ وانزوَى

[مجزوء الخفيف]

غنَّاه يونس رملاً بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

إنَّما زينبُ هَمِّي بأبي تلك وأُمي
بأبي زينبَ لا أكْـ ـني ولكنِّي أُسَمِّي
بأبي زينب مِنْ قا ضٍ قضى عمداً بِظُلْمي

(١) هذه الأبيات، تنسب لعلية بنت المهدي. أخت هارون الرشيد، أديبة شاعرة تحسن صناعة الغناء، من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة. كان أخوها إبراهيم بن المهدي يأخذ الغناء عنها، وكان في جبهتها اتساع يشين وجهها فاتخذت عصابة مكللة بالجوهر لتستر جبينها وهي أول من اتخذها. قال الصولي لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتاً مثلها، كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة، ودرس القرآن ولزوم المحراب، فإذا لم تصلي اشتغلت بلهوها وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره وهي تأبى ذلك وتوفيه حقه. تزوجها موسى بن عيسى العباسي، وقد لا يكون من التاريخ ما يقال عن صلتها بجعفر بن يحيى البرمكي. مولدها ووفاتها ببغداد.

بـأبـي مـن لـيـس لـي فـي قـلـبـه قـيـراطُ رُحْـم

[مجزوء الرمل]

غَنَّاه يونس رملاً بالبنصر عن عمرو، وله فيه لحنٌ آخر.

ومنها:

صوت

يـا زَيْـنَـبُ الـحـسـنـاءُ يـا زيـنـبُ يـا أكـرمَ الـنـاس إذا تُـنْـسَـبُ

تَـقـيـكِ نـفـسـي حـادثـاتِ الـرَّدى والأُمّ تَـفـدِيـكِ مَـعـاً والأبُ

هَـلْ لـك فـي وُدّ امـرىءٍ صـادقٍ لا يـمـذُق[1] الـوُدَّ ولا يـكـذِبُ

لا يـبـتـغـي فـي وُدِّهِ مَـحـرَمـاً[2] هـيـهـات مـنـكِ الـعـمـلُ الأرْيَـبُ[3]

[السريع]

غَنَّاه يونسُ ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

فَلَيْتَ الذي يَلْحى على زينب المُنى تَـعَـلَّـقَـه مـمـا لَـقِـيـتُ عَـشـيـرُ

فَـحَـسْـبـي لـه بـالـعُـشْـرِ مـمَّـا لَـقِـيْـتُـهُ وذلـك فـيـمـا قـد تَـراه يـسـيـرُ

[الطويل]

غَنَّاهُ يونسُ ثاني ثقيلٍ بالوُسطى في مجراها عن الهِشاميّ.

هذه سبعة أصوات قد مَضَتْ وهي المعروفة بالزَّيانب ومن الناس من يجعلها ثمانيةً، ويزيدُ فيها لحنَ يونس في:

تَـصـابَـيـتَ أم هـاجَـتْ لـك الـشـوقَ زيـنـبُ

وليس هذا منها؛ وإن كان ليونس لحنُهُ؛ فإن شعره لَحُجَيَّة بن المُضَرَّب

---

(١) المَذيقُ: اللبن الممزوج بالماء. وقد مَذَقْتُ اللبنَ فهو ممذوقٌ ومَذيقٌ. ومنه قولهم: فلان يَمْذُقُ الودَّ، إذا لم يُخْلِصه، فهو مَذَّاقٌ، ومُماذِقٌ غير مخلص.

(٢) المحرم: الحرام.

(٣) الأريب: ذو شكّ وريب.

الكِنْدِيّ، وقد كُتِبَ في موضع آخر؛ وإنَّما الزّيانب في شعر ابن رُهَيمة. ومنهم من يعدّها تسعةً ويُضيفُ إليها:

قولا لزينب لو رأيتِ تَشوّقي لك واشترافي[1]

[مجزوء الكامل]

وهذا اللحن لِحَكَم. والشعر لمحمد بن أبي العباس السفَّاح في زينبَ بنتِ سليمان بن عليّ، وقد كتب في موضع آخر.

انقضت أخبار يونس الكاتب.

(١) الاشتراف: التطلع.

أخبار ابن رهيمة

[تشبيبه بزينب بنت عكرمة]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال: حَدَّثنا أحمد بن القاسم قال: حَدَّثني أبو هَفَّان عن إسحاق قال: كان ابن رُهَيمة يُشبِّبُ بزينب بنتِ عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ويُغَنِّي يونسُ بشعره، فافتضحَتْ بذلك؛ فاستعدى عليه أخوها، هشامَ بنَ عبد الملك، فأمرَ بضربه خمسمائة سوط، وأنْ يُباحَ دمُهُ إن وُجِدَ قد عاد لذكرها، وأن يُفْعلَ ذلك بكل من غَنّى في شيءٍ من شعرِهِ؛ فهرب هو ويونس فلم يُقدَر عليهما. فلما وَلِيَ الوليدُ بن يزيد ظَهَرا. وقال ابن رُهَيمة:

لَئِن كُنْتَ أطردتني[1] ظالماً ... لَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ ما أرهبُ
ولو نِلْتَ منّيَ ما تشتهي ... لَقَلّ إذا رَضِيَت زينبُ
وما شِئْتَ فاصنعه بي بعد ذا ... فَحُبِّي لزينب لا يذهبُ

[المتقارب]

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أبانُ بن عبد الحميد اللاَّحقيّ:

أُحبُّ من الغناء خفيفه ... إن فاتني الهزجُ
وأشنأ «ضوء برقٍ» مثل ما ... أشنا «عفا مُزُجُ»
وأبغضُ «يوم تنأى و«الزيانبُ» ... كُلُّها سُمُجُ
ويُعجبني لإبراهيم والأوتارُ تَخْتَلِجُ
«أُديرُ مُدامةً صِرْفاً ... كأن صبِيبَها وَدَجُ[2]»

[مجزوء الوافر]

يعني: أبان، لحن إبراهيم. والشعر لأبان أيضاً، وهو:

---

(١) أطردتني: جعلتني طريداً هائماً على وجهي.

(٢) الوَدَجُ: عرقٌ متصلٌ من الرأس إلى السَّحر. والجمعُ: الأوداجُ، وهي عروقٌ تكتنفُ الحُلقُوم، فإذا فصد قيل: ودج.

صوت

أُديـــرُ مُـــدامـــةً صِـــرْفـــاً كـــأنَّ صـــبِـــيْـــبَـــهـــا وَدَجُ
فَـــظَـــلَّ تَـــخَـــالَـــهُ مَـــلِـــكـــاً يُـــصَـــرِّفـــهـــا ويَـــمْـــتَـــزِجُ

[مجزوء الوافر]

الشعر لأبان، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً.

ومما في غناء يونس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب:

صوت

من المائة المختارة

ألا يـا لَـقَـوْمـي لِـلـرُّقـادِ الـمُـسَـهَّـدِ ولـلـمـاء مَـمْـنـوعـاً مـن الـحـائـم الـصَّـدي
ولـلـحـال بـعـد الـحـال يَـركَـبُـهـا الـفـتـى ولِـلْـحُـبِّ بـعـد الـسَّـلـوة الـمُـتَـمَـرِّدِ

[الطويل]

الشعر لإسماعيل بن يَسار النسائي[1] من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان؛ وذكر يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق: أنَّها للغول بن عبد اللَّه بن صَيفيّ الطائي؛ والصحيح أنها لإسماعيل؛ وأنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان ومَدْحَهُ إياه بها لِيُعلم صحةُ ذلك. والغناء ليونس، ولحنُهُ المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر. وتمام هذه الأبيات:

ولـلـمـرء لا عَـمَّـن يُـحِـبُّ بِـمُـرعَـوٍ وَلا لِـسَـبـيـلِ الـرُّشـدِ يَـومـاً بِـمُـهـتَـدي
وَقَـد قـالَ أَقـوامٌ وَهُـم يـعـذلـونَـهُ لَـقَـد طـالَ تَـعـذيـبُ الـفُـؤادِ الـمـصـيَّـدِ

[الطويل]

(١) إسماعيل بن يسار النسائي. شاعر، أصله من سبي فارس، اشتهر بشعوبيته وشدة تعصبه للعجم. يفتخر بهم في شعره على العرب، كنيته أبو فايد وكان من موالي بني تيم بن مرة (تيم قريش) وانقطع إلى آل الزبير ولما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان، وفد إليه مع عروة بن الزبير ومدحه. ومدح الخلفاء من ولده بعده، وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر أيام بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية، توفي سنة ١٣٠هـ.

أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

[خبره مع آل الزبير وعبد الملك]

حَدَّثني عَمِّي قال: حَدَّثني أحمد بن أبي خَيثَمة قال: حَدَّثنا مُصْعَب بن عبد اللَّه الزُّبيري قال: كان إسماعيل بن يَسارٍ النِّسائيّ مولى بني تَيْم بن مُرَّة: تَيْم قريش، وكان مُنْقَطِعاً إلى آل الزُّبير؛ فلما أفضت الخلافةُ إلى عبد الملك بن مروان، وَفَدَ إليه مع عُرْوة بن الزُّبير، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده، وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخرَ سلطان بني أمية، ولم يدرك الدولة العبَّاسية. وكان طيِّباً مليحاً مُندِراً[١] بَطَّالاً[٢]، مليح الشعر، وكان كالمنقطع إلى عُروة بن الزُّبير، وإنما سُمِيَ إسماعيلُ ابن يسار النِّسائيَّ، لأن أباه كان يصنع طعام العُرس ويبيعُهُ، فيشتريه منه من أراد التعريس من المُتَجَمِّلِين وممن لم تبلغ حاله اصطناعَ ذلك.

[سبب تلقيبه بالنسائي]

وأخبرني الأسديّ قال: حَدَّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطَّاح قال: إنَّما سُمِّيَ إسماعيلُ بن يسار النسائي لأنَّه كان يبيعُ النَّجْدَ والفُرُشَ التي تُتَّخذ للعرائس؛ فقيل له إسماعيل بن يَسارٍ النِّسائيّ.

وأخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حَدَّثنا الخليل بن أسدٍ عن ابن عائشة: أنَّ إسماعيل بن يسار النِّسائيّ إنَّما لُقِّبَ بِذَلِكَ لأنَّ أباه كان يكون عنده طعام العُرُسات[٣] مُصْلِحاً أبداً؛ فمن طرقه وجده عنده مُعَدّاً.

[نادرة له مع عروة أثناء سفرهما]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال: حَدَّثني الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: قال مُصْعَبُ بن عثمان: لمَّا خَرَجَ عُروة بن الزُّبير إلى

---

(١) المندر: الذي يأتي بالنوادر من قول أو فعل.

(٢) التَّبَطُّلُ: فعل البطالة، وهو اتباع اللَّهو والجهالة. وبطل الشيء بُطلاً فهو باطل، وجمع البَطل أبطال وجمع الباطل بواطل وأباطيل جمع أبطولة

(٣) العُرْسُ: اسم الطعام الذي يُعْرَسُ للعّروس. والعرب تؤنث العُرْس. ويقال: العرس طعام الوليمة.

الشام يريد الوليد بن عبد الملك، أخرج معه إسماعيل بن يسار النِّسائيّ، وكان مُنْقَطِعاً إلى آل الزُّبير، فعادَلَهُ[1]؛ فقال عروة ليلةً من الليالي لبعض غِلْمَانهُ: أنظُرْ كيف ترى المحمِل؟ قال: أراه معتدلاً؛ قال إسماعيل: اللَّه أكبر، ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قطّ؛ فَضَحِكَ عروة، وكان يستخفّ إسماعيلَ ويستطيبَهُ.

[أبو قيس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن سَعيد قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدثَّني عَمِّي عن أيوب عن عباية المخزوميّ: أن إسماعيل بن يسار كان يَنْزَلُ في موضع يُقالُ له حُدَيلة[2] وكان له جلساء يتحدَّثون عنده، ففقدهم أياماً، وسَأَلَ عنهم فقيل: هم عند رجل يتحدَّثون إليه طَيِّبِ الحديث حُلوِ ظريف قَدِمَ عليهم يُسمَّى مُحمداً ويُكنى أبا قيس؛ فَجَاءَ إسماعيل فوقف عليهم، فَسَمِعَ الرجلُ القومَ يقولون: قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار؛ فأقبل عليه فقال له: أنت إسماعيل؟ قال: نعم؛ قال: رحم اللَّه أبويك فإنَّهما سمياك باسم صادِق الوعد وأنت أكذب الناس؛ فقال له إسماعيل: ما اسمك؟ قال: محمد؛ قالَ: أبو مَنْ؟ قال: أبو قيس. قال: لا! ولكن لا رحم اللَّه أبويك؛ فإنهما سمَّياك باسم نبيٍّ وكنَّياك بكُنيةِ قرد؛ فأفحم الرجلُ وضَحِكَ القومُ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل.

[خبره مع الغمر بن يزيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز قال: حَدَّثنا المدائنيّ عن نُمَير العُذْرِيّ قال: إستأذن إسماعيلُ بن يَسار النِّسائيّ على الغَمْرِ بن يزيد بن عبد الملك يوماً، فَحَجَبَهُ ساعةً ثم أَذِنَ له، فدخل يبكي؛ فقال له الغَمْرُ: ما لك يا أبا فائد تبكي؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا على مَرْوانِيَّتي ومَرْوَانِيَّةَ أبي أُحجَبُ عنك! فَجَعَلَ الغَمْر يَعْتَذِرُ إليه وهو يبكي؛ فما سَكَتَ حتى وصله الغَمْر بِجِمْلَة لها قَدْر. وخَرَجَ من عنده، فَلَحِقَهُ رجلٌ فقال له: أخبِرْنِي ويلك يا إسماعيل، أيّ مَرْوانيَّة كانت لك أو لأبيك؟ قال: بُغْضُنا إيَّاهم، امرأته طالقٌ إن لم يكن يَلْعَنُ مروانَ وآله كلّ يوم مكانَ التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت، فقيل له: قُلْ لا إله إلا اللَّه، فقال: لَعَنَ اللَّه مروانَ، تَقَرُّباً بذلك إلى اللَّه تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامةً له مُقامه!

---

(١) عادله: ركب في الجهة المقابلة من المحمل.

(٢) حديلة: محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان.

[شعره الذي يفخر به بالعجم على العرب]

أخبرني عمي قال: حَدَّثني أبو أيّوب المَدينيُّ قال: حَدَّثني مُصْعَبٌ قال: قال إسماعيل بن يسار النِّسائيّ قصيدتَهُ التي أولها:

ما عَلى رَسمِ مَنزِلٍ بِالجَنابِ ... لَو أَبانَ الغَداةَ رَجعَ الجَوابِ
غَيرتهُ الصَّبا وَكُلُّ مُلِثٍّ[1] ... دائِمِ الوَدقِ[2] مُكفَهِرِّ السَّحابِ
دارَ هِندٍ وَهَل زَماني بِهِندٍ ... عائِدٌ بِالهَوى وَصَفوِ الجَنابِ
كَالَّذي كانَ وَالصَّفاءُ مَصونٌ ... لَم تَشُبْهُ بِهِجرَةٍ وَاجتِنابِ
ذاكَ مِنها إِذ أَنتَ كَالغُصنِ غضّ ... وَهيَ رؤدٌ[3] كَدُمِيَةِ[4] المِحرابِ
غادَةٌ تَستَبي العُقولَ بِعَذبٍ ... طَيِّبِ الطَّعمِ بارِدِ الأَنيابِ
وَأَثيثٍ[5] مِن فَوقِ لَونٍ نَقِيٍّ ... كَبَياضِ اللُّجَينِ في الزِّرياب[6]
فَأَقِلَّ المَلامَ فيها وَأَقصِرْ ... لَجَّ قَلبي مِن لَوعَةٍ وَاكتِئابِ
صاحِ أَبصَرتَ أَو سَمِعتَ بِراعٍ ... رَدَّ في الضَّرعِ ما قَرى[7] في العِلابِ[8]
إِنقَضَت شِرَّتي وَأَقصَرَ جَهلي ... وَاستَراحَت عَواذِلي مِن عِتابي

[الخفيف]

وقال فيها يَفْخَر على العرب بالعجم:

رُبَّ خالٍ مُتَوَّجٍ لي وَعَمٍّ ... ماجِدٍ مُجتَدًى كَريمِ النِّصابِ
إِنَّما سَمّي الفَوارِسُ بِالفُرسِ مُضاهاةَ رِفعَةِ الأَنسابِ
فَأَتركي الفَخرَ يا أُمامُ عَلَينا ... وَأَتركي الجَورَ وَانطِقي بِالصَّوابِ

---

(١) أصابنا وَلْثٌ من مطرٍ، أي قليلٌ منه. والوَلْثُ: العهد من القوم يقع من غير قصدٍ، أو يكون غير مؤكَّد. يقال: وَلَثَ له عَقْداً. ومنه قول عمر رضي اللَّه عنه للجاثَليقِ: «لولا وَلْثُ عَقْدٍ لضربت عنقك». ووَلَثَهُ بالعصا يَلِثُهُ وَلْثاً، أي ضربه.

(٢) الوَدْقُ: المطرُ. وقد وَدَقَ يَدِقُ وَدْقاً، أي قَطَرَ.

(٣) الرؤد: الصبية الجميلة الحسنة.

(٤) الدمية: الصورة.

(٥) شعر أثيث: كثير عظيم.

(٦) الزرياب: الذهب، أو الأصفر من كل شيء.

(٧) قرى الماء: جمعه.

(٨) قيل: العِلَابُ: جفان تحلب فيها الناقة، قال:

صَاحِ يا صَاحِ هَلْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ ... رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرَى في العِلَابِ

ويروى: في الحلاب. وعَلَبَ الشيء يَعْلُبُهُ عَلْباً وعُلُوباً: أثر فيه.

وَٱسـأَلـي إِن جَـهـلـتِ عَـنّـا وعَـنـكُـم كَـيـفَ كُـنّـا فـي سـالِـفِ الأَحـقـابِ
إِذ نُـرَبّـي بَـنـاتِـنـا وَتـدسّـونَ سَـفـاهـاً بَـنـاتِـكُـم فـي الـتُّـرابِ
[الخفيف]

فقال رجل من آل كثير بن الصَّلت: إنَّ حاجتنا إلى بناتنا غيرُ حاجتكم؛ فأفحمه. يريدُ: أنَّ العجم يُربُّون بناتهم لِيَنْكِحُوهنّ، والعرب لا تفعل ذلك. وفي هذه الأبيات غِناءٌ، نِسْبَتُهُ:

صوت

صـاحِ أَبـصَـرتَ أَو سَـمِـعـتَ بـراعٍ رَدَّ فـي الـضَّـرعِ مـا قَـرى فـي الـعِـلابِ
إِنـقَـضَـتْ شِـرَّتـي وَأَقـصَـرَ جَـهـلـي وَاسـتَـراحَـتْ عَـواذِلـي مِـن عِـتـابـي
[الخفيف]

الشعر لإسماعيل بن يسار النِّسائيّ. والغناء لمالك خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذَكَرَ عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنَّ فيه للغَريض خفيفَ ثقيل بالبنصر، وذكر في نسخته الثانية أنه لابن سُرَيج. وذكر الهشاميّ أنَّ لحن ابن سُرَيج رملٌ بالوسطى، وأن لحن الغريض ثقيلٌ أول.

[كان شعوبياً[1] شديد التعصب للعجم]

وحدَّثني بهذا الخبر عَمِّي قال: حَدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثمة عن مُصْعب قال: إسماعيلُ بن يسار يُكنى أبا فائد، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً، وهم من سَبْي فارس، وكان إسماعيل شعوبياً شديد التَّعَصُّب للعجم، وله شعرٌ كثير يفخرُ فيه بالأعاجم. قال: فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعبُ قوله:

إِذ نُـرَبّـي بَـنـاتِـنـا وَتـدسّـونَ سَـفـاهـاً بَـنـاتِـكُـم فـي الـتُّـرابِ
[الخفيف]

فقال له أشعب: صَدَقْتَ واللَّه يا أبا فائد، أراد القوم بناتِهم لغير ما أردتموهن له؛ قال: وما ذاك؟ قال: دَفَنَ القوم بناتِهم خوفاً من العار، وربَّيتموهن لتنكحوهنّ؛ قال: فَضَحِكَ القومُ حتى استغربوا[2]، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل.

(١) الشعوبية: فرقة تفضل الحضارة الفارسية القديمة على الحضارة العربية.
(٢) استغربوا: ضحكوا حتى بالغوا بالضحك.

[خبره مع الوليد بن يزيد]

أخبرني الجَوْهريّ قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا أبو عاصم الأسلمي قال: بينا ابن يسار النسائي مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد إلى مولى له يقال له عبد الصمد، فدفع ابن يسار النسائي في البركة بثيابه؛ فأمر به الوليد فأخرج. فقال ابن يسار:

قُـل لِـوالـي الـعَـهـدِ إن لاقَـيـتَـهُ ... وَوَلِـيُّ الـعَـهـدِ أَولـى بِـالـرَّشَـد
إِنَّـهُ وَالـلَّـهِ لَـولا أَنـتَ لَـم ... يَـنـجُ مِـنّـي سـالِـماً عَـبـدُ الـصَّـمَـد
إِنَّـهُ قَـد رامَ مِـنّـي خُـطَّـةً ... لَـم يَـرُمْـهـا قَـبـلَـهُ مِـنّـي أَحَـد
فَـهـوَ مِـمّـا رامَ مِـنّـي كَـالَّـذي ... يَـقـنُـصُ الـدُّراجَ[1] مِـن خـيـسِ الأَسَـد[2]

[الرمل]

فبعث إليه الوليدُ بخلعةٍ سنيةٍ وصِلَةٍ وتَرَضَّاه. وقد رُوِيَ هذا الخبرُ لسعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت في قصة أخرى، وذُكِرَ هذا الشعر له فيه.

[خبره مع بعض الطالبيين]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمَّاد قَرَأْتُ على أبي: حدَّثني مُصْعَب بن عبد اللَّه قال سمعْتُ إبراهيم بن أبي عبد اللَّه يقول: رَكِبَ فُلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّه بإسماعيل بن يسار النَّسائيّ حتى أتى به قُباءَ؛ فاستخرج الأحوصَ فقالَ لَهُ: أنشدني قولَكَ:

مـا ضَـرَّ جـيـرانَـنـا إِذِ انـتَـجَـعـوا ... لَـو أَنَّـهُـم قَـبـلَ بَـيـنِـهِـم رَبَـعـوا

[المنسرح]

فأنشدَهُ القصيدةَ فأُعجِبَ بها، ثم انصرف؛ فقال له إسماعيل بن يسار: أما جِئْتَ إلا لما أرى؟ قال: لا؛ قال: فاسمع، فأنشده قصيدتَهُ التي يقول فيها:

مـا ضَـرَّ أَهـلـكِ لَـو تَـطَـوَّف عـاشِـقٌ ... بِـفِـنـاءِ بَـيـتِـكَ أَو أَلَـمَّ فَـسَـلَّـمـا

[الكامل]

فقال: واللَّه لو كُنْتُ سَمِعْتُ هذه القصيدة أو عَلِمْتُ أنك قُلتَها لما أتيتُهُ. وفي أبياتٍ من هذا الشعرِ غِنَاءٌ نِسْبَتُهُ:

---

(١) الدُرَّاجُ والدُرَّاجَسُ: ضربٌ من الطَّير، للذكر والأنثى، حتَّى تقولَ الحَيْقُطانُ، فيختصّ بالذكر. وأرضٌ مَدْرَجَةٌ، أي ذات دُرَّاج.

(٢) الخِيسُ بالكسر: الشجر الملتفّ. وموضع الأسد أيضاً خيسٌ.

صوت

يا هِندُ رُدّي الوَصلَ أَن يَتَصَرَّما ... وَصِلي اِمرأً كَلِفاً بِحُبِّك مُغرَما
لَو تَبذُلينَ لَنا دَلالَكِ مَرَّةً ... لَم نَبغِ مِنكِ سِوى دَلالِكِ مَحرَما
مَنعَ الزِّيارَةَ أَنَّ أَهلَكِ كُلَّهُم ... أَبدَوا لِزَورِكِ غِلظَةً وَتَجَهُّما
ما ضَرَّ أَهلَكِ لَو تَطَوَّف عاشِقٌ ... بِفِناءِ بَيتِكَ أَو أَلَمَّ فَسَلَّما

[الكامل]

الشعر لإسماعيل بن يسار النِّسائيّ. والغناءُ لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أول بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه إبراهيم المَوصليّ رملٌ بالبنصر عن حَبش.

[سمع زبان السواق شعره فبكى]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حَدَّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال: أنشدَ رجلٌ زبَّان السواق قول إسماعيل بن يسار:

ما ضَرَّ أَهلَكِ لَو تَطَوَّف عاشِقٌ ... بِفِناءِ بَيتِكَ أَو أَلَمَّ فَسَلَّما

[الكامل]

فبكى زبَّان، ثم قال: لا شيء واللَّه إلا الضجر وسوء الخلق وضيق الصدر، وجعل يبكي ويمسح عينيه.

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النحويّ صُهْر المُبَرِّد قال: حَدَّثني طَلْحة ابن عبد اللَّه بن إسحاق الطَّلْحيّ قال: حَدَّثني الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني جعفر بن الحسين اللهبيّ قال: أنشدْتُ زبان السَّواق قولَ إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ:

صوت

إِنَّ جُملاً وَإِن تَبَيَّنتُ مِنها ... نَكَباً عَن مَوَدَّتي وَاِزوِرارا
شَرَدَت بِاِدِّكارِها النَّومَ عَنّي ... وَأُطيرَ العَزاءُ مِنّي فَطارا
ما عَلى أَهلِها وَلَم تَأتِ سوءاً ... أَن تُحَيّا تَحِيَّةً أَو تُزارا
يَوم أَبدَوْا لِيَ التَّجَهُّمَ فيها ... وَحَمَوْها لَجاجَةً وَصِرارا

[الخفيف]

فقال زبَّان: لا شيء وأبيهم إلا اللَّحَز[١] وقِلَّة المعرفة وضِيق العَطَن[٢]؛ فصاحَ عليه أبو المُعَافى وقال: فعلى مَنْ ذاك ويلك! أعليك أو على أبيك أو أمك؟ فقال له زبَّان: إنما أُتِيْت يا أبا المعافى من نفسك، لو كُنْتَ تفعل هذا ما اختلفْتَ أنت وابنك. فوثب إليه أبو المعافى يرميه بالتُّرابِ ويقول له: ويَحْكَ يا سفيه! تحسن الدِّياثة! وزبَّان يَسعى هَرَباً منه.

الغناء في هذه الأبيات لابن مِسجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ وحَمَّاد، وذكر الهشاميّ وحَبشٌ أنه لابن مُحرِز، وأن لحن ابن مسجح ثاني ثقيل.

[طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني إسحاق الموْصِليّ

قال: غُنِّي الوليدُ بن يزيد في شعرٍ لإسماعيل بن يسار، وهو:

حَتّى إذا الصُّبحُ بَدا ضَوؤُهُ ... وَغارَتِ الجَوزاءُ وَالمِرزَمُ[٣]

خَرَجتُ وَالوَطءُ خَفِيٌّ كَما ... يَنسابُ مِن مَكمَنِهِ الأَرقَمُ[٤]

[السريع]

فقال: من يقول هذا؟ قالوا: رجلٌ من أهل الحجاز يُقالُ لَهُ إسماعيل بن يسار النسائيّ؛ فكتب في إشخاصه إليه؛ فلما دَخَلَ عليه استنشده القصيدة التي هذان البيتان منها؛ فأنشده:

كُلثُمُ أَنتِ الهَمُّ يا كَلثَمُ ... وَأَنتُمُ دائي الَّذي أَكتُمُ

أُكاتِمُ الناسَ هَوًى شَفَّني ... وَبَعضُ كِتمانِ الهَوى أحزمُ

قَد لُمتِني ظُلماً بِلا ظِنَّةٍ ... وَأَنتِ فيما بَينَنا أَلومُ

أُبدي الَّذي تُخفينَهُ ظاهِراً ... أرتَدُّ عَنهُ فيكِ أَو أُقدِمُ

إِمّا بِيَأسٍ مِنكِ أَو مَطمَعٍ ... يُسدي بِحُسنِ الوُدِّ أَو يلحمُ

لا تَتركيني هَكذا مَيِّتاً ... لا أُمنَحُ الوُدَّ وَلا أُصرَمُ

---

(١) اللحز: الشح والبخل.

(٢) ضيق العطن: كناية عن الحمق وضيق الصدر.

(٣) المِرْزَمانِ: مِرْزَما الشِّعْرَيَيْنِ، وهما نجمانِ أحدهما في الشِّعْرى والآخر في الذِّراع.

(٤) الأَرْقَمُ: الحيَّةُ التي فيها سوادٌ وبياضٌ.

أَوْفِي بِما قُلتِ وَلا تَندَمي ... إِنَّ الوَفِيَّ القَولِ لا يَندَمُ
آيَةُ ما جِئتُ عَلى رقبَةٍ ... بَعدَ الكرى وَالحَيُّ قَد نَوَّموا
أُخافِتُ المَشيَ حِذارَ العِدا ... وَاللَّيلُ داجٍ حالِكٌ مُظلِمُ
وَدونَ ما حاوَلتُ إِذ زُرتُكُم ... أَخوكِ وَالخالُ مَعاً وَالعَمُ
وَلَيسَ إِلاّ اللَّهُ لي صاحِبٌ ... إِلَيكُم وَالصّارِمُ اللَّهذَمُ
حَتّى دَخَلتُ البَيتَ فَٱستَذرَفَتْ ... مِن شَفَقٍ عَيناكِ لي تَسجُمُ
ثُمَّ ٱنجَلى الحزنُ وَرَوعاتُهُ ... وَغُيِّبَ الكاشِحُ وَالمُبرِمُ
فَبِتُّ فيما شِئتُ مِن نعمَةٍ ... يَمنَحُنيها نَحرُها وَالفَمُ
حَتّى إِذا الصُّبحُ بَدا ضَوؤُهُ ... وَغارَتِ الجَوزاءُ وَالمِرزَمُ
خَرَجتُ وَالوَطءُ خَفِيٌّ كَما ... يَنسابُ مِن مَكمَنِهِ الأَرقَمُ

[السريع]

قال: فَطُرِبَ الوليد حتى نَزِلَ عن فَرْشِهِ وسريرِهِ، وأمر المُغَنِّين فَغَنَّوه الصوتَ وشَرِبَ عليه أقداحاً، وأمر لإسماعيل بِكُسْوَةٍ وجائزة سَنِيَّةٍ، وسَرَّحَهُ إلى المدينة.

نسبة هذا الصوت

الشعرُ لإسماعيل بن يسار النِّسائيّ. والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ.

[سمع شيخ قينة تغني بشعره فألقى بنفسه في الفرات إعجاباً به]

حَدَّثنا أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عَمَّار قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثنا إسحاق الموصليّ قال: حَدَّثنا محمد بن كُناسة قال: اصْطَحَبَ شيخٌ وشبابٌ في سفينة بالكوفة؛ فقال بعض الشباب للشيخ: إنَّ مَعَنَا قَيْنَةً لنا، ونحنُ نُجِلُّك ونُحِبُّ أن نسمع غناءها؛ قال: اللَّه المستعان؛ فأنا أرقى على الأطلال وشأنَكُم. فَغَنَّتْ:

حَتّى إِذا الصُّبحُ بَدا ضَوؤُهُ ... وَغارَتِ الجَوزاءُ وَالمِرزَمُ
أقبلتُ وَالوَطءُ خَفِيٌّ كَما ... يَنسابُ مِن مَكمَنِهِ الأَرقَمُ

[السريع]

قال: فألقى الشيخ بنفسه في الفُرات، وجعل يخبطُ بيديه ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فأدركوه وقد كاد يَغْرَقُ؛ فقالوا: ما صَنَعْتَ بنفسِكَ؟ فقال: إني واللَّه أعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون.

[مدح عبد اللَّه بن أنس فلم يكرمه فهجاه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرُويه قال: حَدَّثني أبو مُسْلِم المُسْتَمْلي عن المدائنيّ قال: مَدَحَ إسماعيلُ بن يسار النِّسائيّ رَجُلاً من أهل المدينة يُقَالُ له عبد اللَّه بن أنَس، وكان قد اتَّصلَ ببني مروان وأصاب منهم خيراً، وكان إسماعيل صديقاً له؛ فَرَحَلَ إلى دمشق إليه، فأنشدَهُ مَدِيحاً له ومَتَّ إليه بالجوار والصداقة؛ فلم يُعْطِهِ شيئاً. فقال يهجوه:

لَعَمرُكَ ما إلى حسنٍ رَحَلنا ... وَلا زُرنا حسيناً يا ٱبنَ أنسِ

يعني الحسن والحسين رضي اللَّه تعالى عنهما.

وَلا عَبداً لِعَبدِهِما فَنَحظى ... بِحُسنِ الحَظِّ مِنهُم غَيرَ بَخسِ
وَلَكِن ضَبَّ جَندَلَةٍ[1] أتينا ... مُضِبّاً[2] في مكامنه يفَسّي
فلمّا أن أتيناه وَقُلنا ... بِحاجَتِنا تَلَوَّن لَونَ وَرسِ[3]
وَأَعرَضَ غَيرَ مُنبَلِجٍ لِعُرفٍ ... وَظَلَّ مُقَرطِباً[4] ضِرساً بِضرسِ[5]
فَقُلتُ لِأَهلِهِ أبهِ كُزازٌ[6] ... وَقُلتُ لِصاحِبي أَتُراهُ يُمسي
فَكانَ الغُنمُ أَن قُمنا جَميعاً ... مَخافَة أَن نُزَنَّ[7] بِقَتلِ نَفسِ

[الوافر]

[رثاؤه لمحمد بن عروة]

حدَّثني عمي[8] قال: حَدَّثنا أحمد بن زهير قال: حَدَّثنا مصعب بن عبد اللَّه

---

(١) الجَندل: الحجارة قدر ما يرمى بالمقذاف. وهو الجِلمد أيضاً، قال:

إذا أنت لم تُحبِب ولم تدر ما الهوى ... فكن حجراً من يابس الصَّخر جَلمدا

ورجلٌ جَلمدٌ وجُلمُدٌ، وهو الشّديد. وقال بعضهم: الجُلمُودُ أصغر من الجندل.

(٢) أضب في المكان: لازمه ولم يبارحه.

(٣) الوَرْس: صِبغٌ، وفِعلُهُ: التَّوْريس. والوارسُ: نَبْتٌ أَصفَرُ كأنّه لَطْخٌ يَخْرج على الرِّمْث بين آخِرِ الشِّتاء، إذ أصاب الثَّوْبَ لَوَّنَهُ، وقد أَوْرَسَ الرِّمْثُ فهو مُورسٌ. والوَرْسيُّ من الأَقْداحِ النُّضار: من أجودها.

(٤) المُقَرْطِبُ: الغضبان. وقَرْطَبَ: غضب. قال:

إذا رآني قد أتيت قَرْطَبا ... وجال في جحاشه وطربا

المُطَرْطِبُ: الذي يدعو الحمر.

(٥) الضرس: العضّ الشديد.

(٦) الكزاز: داء يأخذ من شدة البرد وتعتري منه رعدة.

(٧) نزن: نتهم.

(٨) هو الحسن بن محمد عمّ صاحب الأغاني.

قال: وَفَدَ عُروة بن الزُّبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ، فمات في تلك الوِفادة محمد بن عُروة بن الزُّبير، وكان مُطَّلِعاً على دوابِّ الوليد بن عبد الملك، فَسَقَطَ من فوق السطح بينها. فجعلت تَرْمَحُهُ[١] حتى قطَّعَتْهُ، كان جميلَ الوجه جواداً؛ فقال إسماعيل بن يسار يرثيه:

صَلّى الإِلَهُ عَلى فتًى غادَرتُهُ ... بِالشامِ في جَدَثِ الطَّويِّ[٢] المُلحدِ[٣]
بَوّأتُهُ بِيَدَيَّ دارَ إقامةٍ ... نائي المَحَلَّةِ عَن مزارِ العُوَّدِ
وَغَبَرتُ أُعولُهُ[٤] وَقَد أَسلَمتُهُ ... لصفا[٥] الأَماعِزِ[٦] وَالصَّفيحِ[٧] المُسنَدِ[٨]
مُتَخَشِّعاً لِلدَّهرِ أَلبسُ حُلَّةً ... في النّائِباتِ بِحسْرةٍ وَتَجَلُّدِ
أَعني ٱبنَ عروة إِنَّهُ قَد هَدَّني ... فَقدُ ٱبنِ عُروَةَ هَدَّةً لَم تَقصدِ
فَإِذا ذَهَبتُ إِلى العَزاءِ أَرومُهُ ... لِيَرى المُكاشِحُ بِالعَزاءِ تَجَلُّدي
مَنع التَّعَزّي أَنَّني لِفِراقِهِ ... لبسَ العَدوّ عَلَيَّ جِلدَ الأَربَدِ[٩]
وَنَأى الصَّديقُ فَلا صَديقَ أُعِدُّهُ ... لِدِفاعِ نائِبَةِ الزَّمانِ المُفسِدِ
فَلَئِن تَرَكتُكَ يا مُحَمَّدُ ثاوِياً ... لَبِما تَروحُ مَعَ الكِرامِ وَتَفتَدي
كانَ الَّذي يزع العَدوّ بِدَفعِهِ ... وَيَرُدُّ نَخوَةَ ذي المِراحِ[١٠] الأَصيَدِ[١١]
فَمَضَى لِوجهَتِهِ وَكُلُّ مُعَمّرٍ ... يَوماً سَيُدرِكُهُ حِمامُ المَوعِدِ

[الكامل]

[دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه]

حَدَّثني عمي قال: حدَّثني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال: حَدَّثنا مُصْعب بن عبد اللَّه عن أبيه: أن إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مروان لما أفضى إليه الأمر

(١) رمح: ضرب الحصى برجله.
(٢) ورد في بعض المصادر «الضريح» بدل «الطّويّ».
(٣) ألحد القبر: عمل له لحداً وقبراً.
(٤) أعول: أندب وأرفع الصوت بالبكاء عليه.
(٥) الصفا: الحجر الصلب الصلد الضخم الذي لا ينبت عليه.
(٦) الأماعز: وهو المكان الذي يمتاز بكثافة الحصى.
(٧) الصفيح: الحجارة العريضة.
(٨) المسند: الحجارة التي تتراكم فوق بعضها.
(٩) الأربد: الأسد.
(١٠) المراح: الأشر والنشاط.
(١١) الأصيد: الذي يرفع رأسه كبراً.

بعد مقتل عبد اللَّه بن الزُّبير، فَسَلَّمَ ووقفَ موقفَ المُنْشِد واستأذن في الإنشاد. فقال له عبد الملك: الآن يابْن يَسار! إنَّما أنت امرؤٌ زُبَيْريٌ، فبأيِّ لسان تُنْشِدُ؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا أصغرُ شأناً من ذلك، وقد صَفَحْتَ عن أعظمَ جُرْماً وأكثر غناءً لأعدائك منِّي، وإنَّما أنا شاعر مُضحِك، فتبسَّم عبد الملك؛ وأومأ إليه الوليد بأن يُنْشِدَ. فابتدأ فأنشد قوله:

أَلا يـا لَـقَـومـي لِـلـرُّقـادِ الـمُـسَـهَّـدِ ... وَلِـلـماءِ مَـمـنـوعـاً إِلـى الـحـائِـمِ الـصَّـدي
وَلـلـحـال بَـعـد الـحـالِ يَـركَـبُـهـا الـفَـتـى ... وَلـلـحُـبِّ بـعـد الـسَّـلـوَةِ الـمُـتَـمَـرِّدِ
ولـلـمرء يُـلحى في التَّصابي وقبلَهُ صبا ... بـا لـغـوانـي كُـلُّ قـرمٍ مُـمـجَّـدِ
وَكَـيـفَ تَـنـاسِـي الـقَـلـبِ سَـلـمـى وَحُـبُّـهـا ... كَـجَـمـرِ غَـضًـى بَـيـنَ الـشَّـراسـيـفِ[1] مـوقـدِ

[الطويل]

حتى انتهى إلى قوله:

إِلَـيـكَ إِمـامَ الـنـاس مِـن بَـطـنِ يَـثـرِبٍ ... وَنِـعـمَ أَخـو ذي الـحـاجَـةِ الـمُـتَـعَـمَّـدِ
رَحَـلـنـا لِأَنَّ الـجـودَ مِـنـكَ خَـلـيـقَـةٌ ... وَأَنَّـكَ لَـم يَـذمُـمْ جَـنـابَـكَ مُـجـتَـد
مَـلَـكـتَ فَـزِدتَ الـنـاسَ مـا لَـم يَـزِدهُـمُ ... إِمـامٌ مِـنَ الـمَـعـروفِ غَـيـرِ الـمُـصَـرَّدِ[2]
وَقُـمـتَ فَـلَـم تَـنـقُـض قَـضـاءَ خَـلـيـفَـةٍ ... وَلَـكِـن بِـمـا ساروا مِـنَ الـفِـعـلِ تَـقـتَـدي
وَلَـمّـا ولـيـتَ الـمُـلـكَ ضـارَبـتَ دونَـهُ ... وَأَسـنَـدتَـهُ لا تَـأتَـلـي خَـيـرَ مُـسـنَـدِ
جَـعَـلـتَ هِـشـامـاً وَالـوَلـيـدَ ذَخـيـرَةً ... وَلِـيَّـيْـنِ لِـلـعَـهـدِ الـوَثـيـقِ الـمُـؤَكَّـدِ

[الطويل]

قال: فَنَظَرَ إليهما عبد الملك متبسماً، والتفت إلى سليمان فقال: أخرجك إسماعيل من هذا الأمر. فَقَطَّبَ سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظرَ مُغضَب. فقال إسماعيل: يا أمير المؤمنين، إنَّما وزن الشعر أخرجه من البيت الأول، وقد قُلْتُ بعده:

وأمـضَـيْـتَ عَـزْمـاً فـي سـلـيـمـانَ راشـداً ... ومـن يَـعْـتَـصِـمْ بـالـلَّـه مـثـلـك يَـرْشُـدِ

فأمر له بألفي درهم صلةً، وزاد في عطائه، وفَرَضَ له، وقال لولده: أعطُوه؛ فأعطُوه ثلاثة آلاف درهم.

(١) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن.
(٢) صرد له العطاء: قلله.

[مع هشام بن عبد الملك]

أخبرني عمي قال: حَدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمة قال: ذكر ابن النطَّاح عن أبي اليَقْظان: أن إسماعيل بن يَسار دَخَلَ على هشام بن عبد الملك في خلافتِهِ وهو بالرُّصافة[١] جالسٌ على بركةٍ له في قصره، فاستنشده وهو يرى أنه يُنْشِدُهُ مديحاً له؛ فأنشده قصيدَتَهُ التي يفتخر بها بالعجم:

يا رَبع رامَة[٢] بِالعَلياءِ مِن ريم[٣] هَل تَرجِعَنَّ إِذا حَيَّيتُ تَسليمي
ما بالُ حَيٍّ غَدَت بُزلُ[٤] المَطِيِّ بِهِم تَخدي[٥] لِغُربَتِهِم سَيراً بِتَقحيم[٦]
كَأَنَّني يَومَ ساروا شارِبٌ سَلَبَتْ فُؤادَهُ قَهوَةٌ مِن خَمرِ داروم[٧]

[البسيط]

حتى انتهى إلى قوله:

إِنّي وَجدّك ما عودي بِذي خَوَرٍ عِند الحِفاظِ وَلا حَوضي بِمَهدوم
أَصلي كَريمٌ وَمَجدي لا يُقاسُ بِهِ وَلي لِسانٌ كَحَدِّ السَّيفِ مَسموم
أَحمي بِهِ مَجدَ أَقوامٍ ذَوي حَسَبٍ مِن كُلِّ قرمٍ بِتاجِ المُلكِ مَعموم
جَحاجِحٍ[٨] سادَةٍ بُلجٍ مَرازِبَةٍ[٩] جُردٍ عِتاقٍ مَساميخٍ مَطاعيم
مَن مِثلُ كِسرى وَسابور الجُنودِ مَعاً وَالهُرمُزانِ[١٠] لِفَخرٍ أَو لِتَعظيم

---

(١) الرصافة: كثيرة منها رصافة هشام بن عبد الملك بالشام، وهي قصور وحولها مساكن وقرى عامرة وأسواق وبيع وشراء وأخذ وعطاء، وهي قنسرين وفيها توفي هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة وفيها بويع الوليد بن يزيد بعد هشام، ورصافة أخرى بشرقي بغداد، فيها اختط المهدي قصره إلى جانب المسجد الجامع الذي في الرصافة وحفر نهراً يأخذ من النهروان سماه نهر المهدي، وفيها تربة الخلفاء العباسيين. ورصافة أخرى بالأنبار بناها أبو العباس، وقال لعبد اللَّه بن الحسن ادخل فانظر.

(٢) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة. وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة.

(٣) ريم أو رئم: واد لمزينة قرب المدينة، وقيل على ثلاثين ميلاً من المدينة.

(٤) بزل: الناقة في تاسع سنها وليس بعده سن تسمَّى.

(٥) خدي البعير يخدي براكبه. (٦) طيّ المنازل وعدم النزول بها.

(٧) داروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر. الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر فرسخاً.

(٨) جحاجح: جمع جحجح، والجحجح: السيد الكريم.

(٩) المرازبة: جمع مرزبان وهو رئيس الفرس.

(١٠) الهرمزان: الكبير من ملوك العجم.

أُسـدِ الـكَـتـائِـبِ يَـومَ الـرَّوعِ إِن زَحَـفـوا وَهُـم أذلّـوا مُـلـوكَ الـتُّـركِ وَالـرّوم
يَـمشـونَ فـي حَـلَـقِ[١] الـمـاذِيِّ[٢] سـابِـغَـةً مَـشـيَ الـضَّـراغِـمَـةِ الأُسـدِ الـلَّـهـامـيـم[٣]
هُـنـاكَ إِن تَـسـأَلـي تُـنـبـي بِـأَنَّ لَـنـا جُـرثـومَـةً قَـهَـرَت عـزَّ الـجَـراثـيـم[٤]

[البسيط]

قال: فغضب هشامٌ وقال له: يا عاضَّ بظرَ أمّه! أعليّ تَفْخَرُ وإياي تُنْشِدُ قصيدةً تمدح بها نفسك وأعلاجَ قومك!! غُطُّوه في الماء فغطُّوه في البركة حتى كادت نفسُهُ تخرج، ثم أمر بإخراجه وهو بشرٌ ونفاه من وَقْتِهِ، فأُخْرِجَ عن الرُّصافة منفياً إلى الحجاز. قال: كان مُبْتلى بالعصبيَّة للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً.

[مدح الوليد والغمر ابني يزيد فأكرماه]

أخبرني عمي قال: حدَّثني أحمد بن أبي خَيْثَمَة قال: قال ابن النطَّاح وحدَّثني أبو اليَقظان: أن إسماعيل بن يَسار وفد إلى الوليد بن يزيد، وقد أسنَ وضَعُفَ، فتوسَّل إليه بأخيه الغَمْر ومدحه بقوله:

نَـأَتـكَ سُـلَـيـمـى فَـالـهَـوى مُـتَـشـاجِـرُ وَفـي نَـأيـهـا لِـلـقَـلـبِ داءٌ مُـخـامِـرُ
نَـأَتـكَ وهـام الـقَـلـبُ نَـأيـاً بِـذِكـرِهـا ولـجّ كَـمـا لَـجَّ الـخَـلـيـعُ الـمُـقـامِـرُ
بـواضـحـة الأَقـرابِ[٥] خَـفّـاقَـةِ الـحَـشـى بـرهـرَهـةٍ[٦] لا يَـجـتَـويـهـا[٧] الـمُـعـاشِـرُ

[الطويل]

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد:

إِذا عَـدَّدَ الـنـاسُ الـمَـكـارِمَ وَالـعُـلا فَـلا يَـفـخَـرَنْ يَـومـاً عَـلـى الـغَـمـرِ فـاخِـرُ

---

(١) الحلق: الدرع.
(٢) الماذي: الدروع السهلة اللينة أو البيضاء.
(٣) اللهاميم: السابق من الجياد والناس.
(٤) جرثومة: أصل.
(٥) القُربُ: من لدن الشاكلة إلى مراق البطن، ومن الرفع إلى الإبط من كل جانب. وفرس لاحق الأقراب، يجمعون القرب، وإنما للفرس قربان، ولكن لسعته، كما يقولون: شاة عظيمة الخواصر، ولها خاصرتان كما قال: لأبيض عجلي عظيم المفارق جمعه لسعته.
(٦) أقمت عنده برهة من الدهر، وأقام عندنا بريه بريهة: يريد مصغر إبراهيم على الترخيم حكي عن الفراء. وأبره فلان: جاء بالبرهان، وبرهن مولد. والبرهان بيان الحجة وإيضاحها من البرهرهة وهي البيضاء من الجواري، كما اشتق السلطان من السليط لإضاءته. وتقول: لا تشبه العدلية بالمشبهه، وافصل بين إبراهيم وأبرهه.
(٧) يجتويها: يكرهها

فما مر من يوم على الدهر واحدٍ ... على الغمر إلا وهو في الناس غامر
تراهُم خشوعاً حينَ يَبدو مَهابَةً ... كَما خَشَعَتْ يَوماً لِكِسرى الأَساوِرُ
أغَرّ بِطاحِيٌّ[1] كَأَنَّ جَبينَهُ ... إذا ما بَدا بَدرٌ إذا لاحَ باهِرُ
وَقى عِرضَهُ بِالمالِ فَالمالُ جُنَّةٌ ... لَهُ وَأَهانَ المالَ وَالعِرضُ وافِرُ
وَفي سَيبه لِلمُجتَدينَ عِمارَةٌ ... وَفي سَيفِهِ لِلدّينِ عِزٌّ وَناصِرُ
نَماهُ إلى فَرعَي لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ ... أَبوهُ أَبو العاصي وَحَربٌ وَعامِرُ
وَخَمسَةُ آباءٍ لَهُ قَد تَتابَعوا ... خَلائِفُ عَدلٍ مُلكُهُم مُتَواتِرُ
بِهاليلُ سَبّاقونَ في كُلِّ غايَةٍ ... إذا ٱستَبَقَتْ في المَكرُماتِ المَعاشِرُ
هُمُ خَيرُ مَن بَين الحجونِ إلى الصَّفا ... إلى حَيثُ أَفضَتْ بِالبِطاحِ الحَزاوِرُ[2]
وَهُم جَمَعوا هَذا الأَنامَ عَلى الهدى ... وَقَد فرقَتْ بَينَ الأَنامِ البَصائِرُ

[الطويل]

قال: فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم.

أخبرني عمّي قال: حَدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مُصعَبٍ قال: لما مات محمد بن يسار، وكانت وفاتُهُ قبل أخيه، دخل إسماعيل على هشام بن عُرْوة، فجلس عنده وحدَّثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يَرْثيه:

عيلَ العَزاءُ وَخانَني صَبري ... لَمّا نَعى الناعي أَبا بَكرِ
وَرَأَيتُ رَيبَ الدَّهرِ أَفرَدَني ... مِنهُ وَأَسلَمَ لِلعِدا ظَهري
مِن طَيِّبِ الأَثوابِ مُقتَبِلٍ ... حُلوِ الشَّمائِلِ ماجِدٍ غَمرِ[3]
فَمَضى لِوجهَتِهِ وَأَدركَهُ ... قَدَرٌ أُتيحَ لَهُ مِنَ القَدرِ
وَغَبَرتُ[4] مالي مِن تَذَكُّرِهِ ... إلاّ الأَسى وَحَرارَةُ الصَّدرِ
وَجَوًى يُعاوِدُني وَقَلَّ لَهُ ... مِنّي الجَوى وَمَحاسِنُ الذِّكرِ
لَمّا هَوَت أَيدي الرِّجال بِهِ ... في قَعرِ ذاتِ جَوانِبٍ غُبرِ

(١) البطاح: وهي الأرض التي كان ينزلها قريش البطاح، وهم اشرف قريش واكرمهم.
(٢) الحَزْوَرَةُ والحَزْورُ: الرابيةُ الصَّغِيرَةُ، كالحِزْوارَةِ، بالكَسْر. وقيل: هو التَّلُ الصَّغِير، ج حَزَاوِرُ وحَزَاوِرَةٌ وحَزَاوِيرُ. وقال أَبو الطَّيِّب اللُّغَوِيُّ: والحزَاوِرَةُ الأَرضُوان ذَوَاتُ الحِجَارِةِ، جمْع حَزْوَرَةٍ.
(٣) الغمر: الواسع، وثوبٌ غمرٌ أي واسع، ورجل غمر الرداء. وليل غمرٌ أي شديد الظلمة.
(٤) غبر: مكث وبقي.

وَعَـلِـمـتُ أَنّـي لَـن أُلاقِـيَـهُ ... فـي الـنـاسِ حَـتّـى مُـلـتَـقـى الـحَـشْـرِ
كـادَت لِـفُـرقَـتِـهِ وَمـا ظـلـمَـتْ ... نَـفـسـي تَـمـوتُ عَـلـى شَـفـا الـقَـبـرِ
وَلَـعَـمـرُ مَـن حُـبِـسَ الـهَـدِيُّ لَـهُ ... بِـالأَخـشَـبَـيـنِ[1] صَـبـيـحَـةَ الـنَّـحـرِ
لَـو كـانَ نَـيـلُ الـخُـلـدِ يُـدرِكُـهُ ... بَـشَـرٌ بِـطـيـبِ الـخـيـم[2] وَالـنَّـجـرِ[3]
لـغـبـرتَ لا تـخـشـى الـمـنـونَ ولا ... أودى بِـنَـفـسِـكَ حـادِثُ الـدَّهـرِ
وَلَـنِـعـمَ مَـأوى الـمُـرمِـلـيـنَ إِذا ... قـحـطـوا وَأَخـلَـفَ صـائِـبُ الـقَـطـرِ
كَـم قُـلـتُ آوِنَـةً وَقَـد ذَرَفَـتْ ... عَـيـنـي فَـمـاءُ شُـؤونـهـا يَـجـري
أَنّـى وَأَيُّ فَـتًـى يَـكـونُ لَـنـا ... شَـرْواكَ[4] عِـنـدَ تَـفـاقُـمِ الأَمـرِ
لـدِفـاعِ خَـصـمٍ ذي مُـشـاغـبَـةٍ ... وَلَـعـائِـلٍ تَـرِبٍ أَخـي فَـقـرِ
وَلَـقَـد عَـلِـمـتُ وَإِن ضُـمِـنـتُ جَـوًى ... مِـمّـا أُجِـنُّ كَـواهِـجَ الـجَـمـرِ
مـا لامـرِئٍ دونَ الـمَـنِـيَّـةِ مـن ... نَـفَـقٍ فَـيُـحـرزُهُ وَلا سِـتـرِ

[أحذّ الكامل]

قال: وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبير، فقال له: أحسنت وأسرفْتَ في القول، فلو قُلْتَ هذا في رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيراً؛ فزجره هشام، وقال: بئس ما واجهت به جليسك؛ فشكره إسماعيل، وجزاه خيراً. فلما انصرف تناول هشامٌ الرجلَ الزُّبيريّ وقال: ما أردْتَ إلى رجلٍ شاعر ملك قوله فصرف أحسنه إلى أخيه! ما زدت على أن أغريته بعِرْضِكَ وأعراضنا لولا أني تلافيتُه. وكان محمد بن يسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقة أخيه؛ وله أشعار كثيرة. ولم أجد خبراً فأذكره. ولكن له أشعار كثيرة يُغنَّى فيها. منها قوله في قصيدة طويلة:

صوت

غَـشِـيـتُ الـدارَ بـالـسَّـنَـدِ ... دُوَيْـنَ الـشِّـعْـبِ مـن أُحُـدِ

(١) الأخشبان: جبلا مكة ويقال إن جبل أبي قبيس أحد الأخشبين، وفي الحديث قال جبريل عليه الصلاة والسلام: يا محمد إن شئت جمعت الأخشبين عليهم، فقال ﷺ: «دعني أنذر أمتي»، وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا كنت بين الأخشبين من منى ـ ونفح بيده نحو المشرق ـ فإن هناك وادياً يقال له السرر، به سرحة سرّ تحتها سبعون نبيّاً».

(٢) الخيم: الطبيعة والسجية.

(٣) النجر: القاعدة والأصل.

(٤) شرواك: مثلك.

عَـفَـتْ بـعـدي وغـيّـرهـا تـقـادُم سـالـف الأبَـدِ
[مجزوء الوافر]

الغناء لحكم الوادِي خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشاميّ.

ولإسماعيل بن يَسار ابنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضاً، وهو القائل:

مَضى الجهل عنك إلى طِيَّتهْ وآبك حلمُك من غَيْبتهْ
وأصبحتَ تَعْجَب مما رأيت من نَقْض دهرٍ ومن مِرَّتهْ
[المتقارب]

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهتُ الإطالة بذكرها.

إنقضت أخباره.

صوت

من المائة المختارة

كُليبٌ لَعَمرِي كانَ أَكثَرَ ناصِراً وَأَيسَرَ جُرماً مِنكَ ضُرِّجَ بِالدَمِ
رَمى ضَرعَ نابٍ فَٱستَمرَّ بِطَعنَةٍ كَحاشِيَةِ البُردِ[1] اليَماني المُنَمنَمِ[2][3]
[الطويل]

عَرُوضُه من الطويل. الشعر للنابغة الجَعْديّ. والغناء للهُذَليّ في اللحن المختار، وطريقتُهُ من الثقيل الأول بإطلاق الوَتَر في مجرى البنصر عن إسحاق. ونذكرُ ها هنا سائرَ ما يُغنَّى به في هذه الأبيات وغيرها من هذه القصيدة وننسبه إلى صانعه، ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره. فمنها على الولاء سوى لحنِ الهُذَليّ:

كُليبٌ لَعَمرِي كانَ أَكثَرَ ناصِراً وَأَيسَرَ جُرماً مِنكَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ
رَمى ضَرعَ نابٍ فَٱستَمرَّ بِطَعنَةٍ كَحاشِيَةِ البُردِ اليَماني المُسَهَّمِ
أَيا دارَ سَلمى بِالحَرُورِيَّةِ[4] ٱسلَمي إِلى جانِبِ الصَّمّانِ[5] فَالمُتَثَلَّمِ[6]

(١) البرد المسهم: المخطط.
(٢) ورد في بعض المصادر «المسهم» بدل المنمنم».
(٣) المنمنم: الموشى.
(٤) الحرورية: ربما هي رملة وعثة بالدهناء، أو موضع بظاهر الكوفة نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن ابي طالب، فنسبوا اليه.
(٥) جبل أحمر ينقاد ثلاث ليال، وهو بلد لتميم أرضه صلبة صعبة الموطىء.
(٦) المتثلم: موضع بأول أرض الصمان.

أَقـامَـت بِـهِ الـبَـردَيـنِ ثُـمَّ تَـذَكَّـرَت مَـنـازلَـهـا بَـيـنَ الـدَّخُـولِ فَـجُـرثُـم[١]
وَمَسكنها بَينَ الغُروبِ[٢] إِلى اللِّوى إِلـى شُـعَـبٍ تَـرعـى بِـهـنَّ فَـعَـيـهَـم[٣]
لَـيـالـيَ تَـصـطـادُ الـرِّجـالَ بِـفـاحِـمٍ[٤] وَأَبـيَـضَ كَـالإِغـرِيـضِ[٥] لَـم يـتَـثَّـلَـم

[الطويل]

في البيت الأول والثاني لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ آخرُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاقَ ويونسَ. وفيهما لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. ولِلْغريض في الثالث والرابع والأول والثاني ثقيلٌ أول بالسبَّابة في مجرى الوسطى. ولإسحاق في الثالث والأول ثقيل أول بالوسطى، ذكر ذلك أبو العبيس والهشامي. وللغريض في الرابع ثم الأول خفيف ثقيل بالوسطى في رواية عمرو بن بانة. ولمعبد فيهما وفي الخامس والسادس خفيف ثقيلٍ من رواية أحمد بن المكي. ولابن سريج في الخامس والسادس ثقيلٌ أول بالبنصر من رواية علي بن يحيى المنجم، وذكر غيره أنه للغريض. ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي، وذكر حبشٌ أنه لمعبد. ولابن محرز في الأول والثاني والثالث والرابع هزج، ذكر ذلك أبو العبيس، وذكر قمري أنه لأبي عيسى بن المتوكل لا يشك فيه. وللدلال في الخامس والسادس ثاني ثقيلٍ عن الهشامي، وذكر أبو العبيس أنه للهذلي. ولعبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر في الرابع خفيف رملٍ. ولإسحاق في الثالث والرابع أيضاً ماخُوريّ، ولمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى فيهما، وقيل: إنه لحنه الذي ذكرنا متقدماً، وإنه ليس في هذا الشعر غيره. وذكر حبشٌ أن في هذه الأبيات التي أولها: «كليبٌ لعمري» خفيف رملٍ بالوسطى، وللهذلي خفيف ثقيلٍ بالبنصر، وللدلال رملٌ؛ فذلك ثمانية عشر صوتاً. وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أن له فيهما أعني الأول والثاني خفيفاً بالوسطى.

(١) جرثم: ماء من مياه بني أسد تجاه الجواء.
(٢) الغروب: موضع.
(٣) عيهم: موضع على طريق اليمامة إلى نجد.
(٤) الفاحم: الشعر الأسود الحسن.
(٥) الإغريض: الطلع حين ينشق عنه كافوره.

فهرس المحتويات

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره ٥
اسمه ولقبه وكنيته ونشأته ٥
مناحيه الشعرية ٥
سبب كنيته ٦
بلده الكوفة وبها مولده ٦
استعداؤه مندل بن علي وأخاه ٧
مولد أبي العتاهية وصنعته ٧
فاخره رجل من كنانة فقال شعراً ٨
آراؤه الدينية ٨
مناظرته لثمامة بن أشرس في العقائد بين يدي المأمون ٩
خبره مع المخنثين ٩
محاورته بشر بن المعتمر ٩
تستره بالحجامة ١٠
سُئِلَ عن خلق القرآن فأجاب ١٠
أوصافه وصناعته ١٠
كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابي ١١
هجاء والبة بن الحباب ١١
قصته مع النوشجاني ١٢
رأي مصعب بن عبد اللَّه في شعره ١٢
استحسان الأصمعي لشعره ١٣
قول سلم الخاسر هو أشعر الجن والإنس ١٣
ثناء جعفر بن يحيى على شعره ١٤
مهارته في الشعر ١٤

نظم شعراً للرشيد وهو مريض ١٤
إعجاب ابن الأعرابي به وإفحامه من تنقص شعره ١٥
قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حي ١٦
بخله ١٦
بخله، ونوادر مختلفة في ذلك ١٧
سُئِلَ عن أحكم شعره فأجاب ١٩
عتاب ١٩
فارق أبا غزية في المدينة وأنشده شعراً ٢٠
طالبَهُ غلام من التجار بمال فقال فيه شعراً أخجله ٢٠
حجبه حاجب عمرو بن مسعدة فقال فيه شعراً ٢١
قصيدته في هجو عبد اللَّه بن معن وما كان بينهما ٢١
خبره مع سعدى ٢٣
ضربه عبد اللَّه بن معن فهجاه ٢٤
توعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه ٢٤
مصالحته أولاد معن ٢٤
رثاؤه زائدة بن معن ٢٥
فكان ابن معن يخجل إذا لبس السيف ٢٥
مناظرته مسلم بن الوليد في قول الشعر ٢٦
تقارض هو وبشار الثناء على شعريهما ٢٧
مع محمد بن الفضل الهاشمي ٢٧
حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه ٢٨
غَضِبَ عليه الرشيد وترضاه له الفضل ٢٩
رثاء الصديق ٣٠
إعجاب بشار بشعره ٣٠
إتّهامه بالزّندقة ٣١
الوشاية به إلى حمدويه صاحب الزنادقة ٣٢
قال شعراً يدلُ على توحيدِهِ ليتناقَلَهُ الناس ٣٢

أرجوزته المشهورة وقوة شعرها ٣٣
برمه بالناس وذمهم في شعره ٣٤
مدح عمرو بن العلاء فأجازه ٣٤
تفضيله على أبي نواس ٣٥
الشعر في عرض الكلام ٣٥
وصف الأصمعي شعره ٣٦
مدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه لدى المهديّ ٣٦
قدرته على ارتجال الشعر ٣٦
رأي مسلم بن الوليد بشعره ٣٧
وفوده على الرشيد ٣٨
قال شعراً في المشمر فرس الرشيد فأجازَهُ ٣٩
رثاؤه صديقه عليّ بن ثابت ٣٩
اشتمال مرثيته على أقوال الفلاسفة في موت الإسكندر ٤٠
سأله جعفر بن السحين عن أشعر الناس فأنشده من شعره ٤٠
شعره في التحسر على الشباب ٤١
كان ابن الأعرابي يعيب شعره ٤٢
أحب شعره إليه ٤٢
راهن جماعة على قول الشعر فغلبهم ٤٢
هجاه أبو حبش وذمّ شعرَه ٤٣
خروجه مع المهدي في الصيد ٤٣
في عسكر المأمون ٤٤
استنجاز وعتاب ٤٥
من شعره في الحبس ٤٦
المنصور بن عمار يرميه بالزندقة ٤٦
سأله الباذغيسي عن أحسن شعره فأجابه ٤٦
أنشد المأمون شعره في الموت فوصله ٤٧
استنجازه المأمون ٤٨

استعطافه الهادي ٤٨
مدح الهادي فأمر خازنه بإعطائه فماطله فقال شعراً ٤٩
كان الهادي واجداً عليه فلما تولى استعطفه ومدحه فأجازه ٤٩
استشفاعه بمخذول ٥٠
روحانيان يطيران بين السماء والأرض ٥٠
أفضل المحدثين ٥١
الحب فوق المال ٥٢
صار يتعشق جواري الناس ٥٣
طال وجع عينه فقال شعراً ٥٣
في خلافة المأمون ٥٥
تمثل الفضل بشعره ٥٦
تنسكه ٥٦
زبيدة تنتصر له ٥٨
سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأُعجب به ٦٠
إستعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه ٦٠
حديثه عن شعره ورأي أبي نواس فيه ٦١
كان أبو نواس يَجُلُّهُ ويُعَظِّمُهُ ٦٣
رأي بشار فيه ٦٣
عزّى المهدي في وفاة ابنته فأجازه ٦٣
حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصليّ ثم أطلقهما ٦٤
شعرُهُ في ذَمِّ الناس ٦٦
بينه وبين سلم الخاسر ٦٦
إقتص منه الجماز لخاله مسلم فاعتذر له ٦٦
غناه مخارق بشعره ٦٧
شعرُهُ في تبخيل الناس ٦٨
كان بعد تنسكه يطرب لحديث ابن مُخَارِق ٦٨
جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر ٦٩

طرائفه ٦٩
أهدى إلى الفضل نعلاً فأهداها للخليفة ٦٩
قيل إنه كان من أقل الناس معرفة ٧٠
شكا عليه بكر عن المعتمر ضيق حبسه فكتب إليه شعراً ٧٠
ذمه الخيلاء ٧١
مدح إسماعيل بن محمد شعره واستنشده إياه ٧١
شبه أبو نواس شعراً له بشعره ٧٢
سأل أعرابياً عن معاشه ثم قال شعراً ٧٢
شتمه سَلْم لما سمع هجوه فيه ٧٣
كان ابن عبد العزيز يتمثل كثيراً بشعره ٧٣
موازنة بينه وبين أبي نواس ٧٣
رأى من صالح المسكين جفوة ٧٣
إستنشده مساور شعراً في جنازة فأبى ٧٤
حجبه حاجب يحيى بن خاقان فقال شعراً ٧٥
كان بينه وبين أبي الشمقمق شر ٧٥
إستنشد ابن أبي أمية شعره ومدحه ٧٦
لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدي ٧٧
ابنه شاعر ٧٧
أخبار متفرقة ٧٧
عاتب مجاشع بن مسعدة فرد عليه من شعره ٧٨
بينه وبين ابن مناذر ٧٩
قصته في السجن مع الداعية عيسى بن زيد ٨٠
كان خلفا في شعره له منه الجيد والرديء ٨٢
في متكبر ٨٣
اعترض عليه في بخله فأجاب ٨٤
عتاب واسترضاء ٨٤
التأديب بشعره ٨٥

تمثل المعتصم عند موته بشعر له ٨٦
عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره ٨٦
عزاؤه صديقاً ٨٧
وعظ راهب رجلاً عابداً بشعره ٨٨
فضله العَتَّابي على أبي نواس ٨٨
لام أبا نواس في استماع الغناء ٨٩
بلغه أن إبراهيم بن المهدي رماه بالزندقة ٨٩
أخبار متفرقة ٩٠
هجاء سجان ٩١
ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد ٩٢
مع الرشيد ٩٣
يعظ الرشيد ٩٣
مناظرة ٩٤
مع مخارق ٩٤
أمنية محتضر ٩٦
آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه ٩٦
أمر بنته أن تندبه بشعر له ٩٧
تاريخ وفاته ومدفنه ٩٧
الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره ٩٧
رثاه ابنه بشعر ٩٨
أنكر ابنه أنه أوصى بذلك ٩٨
أخبار فريدة ٩٩
أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها ٩٩
بعض الشعر الذي لها في صنعته ٩٩
سأل صالح بن حسان الهيثم بن عديّ عن بيت نصفه بدوي والآخر حضري
ثم ذكره ١٠٠
أخبار فريدة المحسنة ١٠٠

قَدَّمَت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء ١٠١
أهداها ابن بانة للواثق ١٠١
سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة ١٠١
تزوّجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت ١٠١
نقل ابن بسخنر قصة لها مع الواثق وغيرته من جعفر المتوكل ١٠٢
قصتها مع المتوكّل بعد الواثق ١٠٣
محمد بن عبد الملك وغناء فريدة ١٠٤
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه ١٠٥
ذكر أميّة بن أبي الصّلت ونسبه وخبره ١٠٦
نسبه من قبل أبويه ١٠٦
أولاد أمية ١٠٦
كان يستعمل في شعره كلمات غريبة ١٠٧
من أشعر ثقيف بل أشعر الناس ١٠٨
طمعه بالنبوة ١٠٨
كان يحرّض قريشاً بعد بدر ١٠٨
أسِفَ الحجاجُ على ضياع شعره ١٠٩
كان يتحسس أخبار نبيّ العرب فلما أخبر ببعثته تكدّر ١٠٩
أخبره راهب أن ليست فيه أوصاف النبيّ ١٠٩
حديثه مع أبي بكر ١١٠
سأل أبا سفيان عن عتبة بن ربيعة ١١٠
زعم أنه فهم ثغاء شاة ١١٠
قال الأصمعي كل شعره في بحث الآخرة ١١٠
رؤى حالم ١١٠
خبره مع ركب الشام ١١١
خبر الطائرين ١١٢
تصديق النبيّ له في شعره ١١٣
أنشد النبيّ بعض شعره فقال «إن كاد أمية ليسلم» ١١٤

شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه ١١٤
محاورة في شعره ١١٥
تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية ١١٥
أحاديثه وأحواله في مرض موته ١١٦
لغة الغربان ١١٦
من المائة المختارة ١١٧
أخبار حسّان بن ثابت ونسبه ١١٨
نسبه من قبل أبويه وكنيته ١١٨
عاش حسان مائة وعشرين سنة ١١٨
كان يخضِبُ شاربه وعنفقته بالحناء ١١٩
فضل الشعراء بثلاث ١١٩
أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر ١٢٠
سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه فأجابه ١٢٠
كان أحد ثلاثة عارضوا شعراء قريش ١٢٠
استأذن النبيّ في هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر ١٢١
لما بلغ قريشاً شعره اتهموا أبا بكر ١٢١
خبره مع ابن الزبعري وضرار ١٢٢
شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث ١٢٣
أعانه جبريل في مديح النبي ١٢٤
مَدَحَهُ النبيُ وكعباً وابن رواحة ١٢٤
أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيده ١٢٤
إستنشده النبيّ وجعل يصغي إليه ١٢٤
انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول ١٢٥
انشاد في المسجد ١٢٥
مدحه الزُّبيرُ ١٢٥
تقدم هو وكعب وابن رواحة فاختاره النبيّ ١٢٦
سَبَّهُ قومٌ في مجلس ابن عباس فدافع عنه ١٢٧

قدم وفد تميم فأمره النبيّ أن يجيب شاعرهم ١٢٧
إسلام وفد تميم وإكرام النبيّ لهم ١٣١
مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم ١٣١
شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل ١٣٢
أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها ١٣٢
أُخْبِرَ بوقعة صفين قبل وقوعها ١٣٣
سمعه المغيرة ينشد شعراً فبعث إليه بمال ١٣٤
إستجار الحارث بن عوف من شعره بالنبي ١٣٤
أنشد شعراً بلغ النبي فآلمه ١٣٥
قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل لضربه له ١٣٦
إيراد ما تقدم برواية أخرى مفصلة ١٣٧
مدح عائشة والاعتذار عما رماها به ١٣٩
مدح واعتذار ١٤٠
هجاه رجل بما فعل به ابن المعطَّل ١٤٠
سبَّهُ أناس فدافعت عنه عائشة ١٤١
افتخاره بلسانه ١٤٢
خبره يوم الخندق ١٤٢
حديث ابن الزبير عن يوم الخندق ١٤٣
كان حسان مقطوع الأكحل ١٤٣
أنشد النبيّ شعراً في شجاعته فضحك ١٤٤
قول النابغة فيه ١٤٤
مع الحطيئة ١٤٤
إتهمه أعشى بكر عند خمار بالبخل ١٤٤
تعييره الحارث بن هشام بفراره ١٤٦
تمثل رتبيل بشعر حسان ١٤٦
ذكر الخبر عن غزاة بدر ١٤٨
إستنفار أبي سفيان لقريش ١٤٨

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ١٤٨
خروج قريش ١٥٠
رجع الحديث إلى وقعة بدر ١٥١
ابن أبي معيط و أمية بن خلف ١٥١
تخوّف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم ١٥١
خروج النبيّ وعدد جيشه ١٥٢
إستشارة النبيّ لأصحابه ١٥٢
رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ١٥٣
نزول النبي قريباً من بدر ١٥٤
إرساله نفراً من أصحابه إلى بدر ١٥٤
قدوم أبي سفيان إلى بدر متجسساً ١٥٥
رؤيا جهيم بن أبي الصلت ١٥٦
رجوع بني زهرة ١٥٧
إتهام قريش لبني هاشم ١٥٧
رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ١٥٧
نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي ١٥٧
عرض خفاف بن إيماء معونته على قريشٍ ١٥٩
بعثت قريش عمير بن وهب متجسساً ١٥٩
حكيم بن حزام يقص حديث بدر لمروان ١٦٠
نصح عتبة بن ربيعة قريشاً بالرجوع فأبى أبو جهل ١٦١
أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل ١٦٢
دعاء النبي يوم بدر ١٦٣
رجع الحديث إلى حديث ابن أبي إسحاق ١٦٤
إلتقاء الفريقين وهزيمة المشركين ١٦٤
نهى النبيّ عن قتل جماعة خرجوا مستكرهين ١٦٥
سبب نهي النبي عن قتل أبي البختري ١٦٥
عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف ١٦٦

مقتل أمية بن خلف وابنه ١٦٧
قتال الملائكة في غزوة بدر ١٦٧
لباس الملائكة يوم بدرٍ وحنين ١٦٨
مقتل أبي جهل بن هشام ١٦٨
تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم ١٧٠
إختلاف المسلمين على الفيء ١٧٠
مقتل النضر بن الحارث ١٧١
تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أسر وعتاب النبي لها في ذلك ١٧١
إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر ١٧١
أبو لهب وتخلفه عن الحرب ثم موته ١٧٢
العباس وتألم النبي لأسره ١٧٣
فدت زينب زوجها أبا العاصي فرد عليها النبيّ الفداء ١٧٤
رثاء الأسود بن المطلب لأولاده ١٧٤
رثاء هند بنت عتبة أباها ١٧٤
معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما ١٧٥
أريحية الغناء ١٧٦
من المائة المختارة ١٧٧
عمر بن أبي ربيعة ونعم ١٧٧
نسب علس ذي جدن وأخباره ١٨١
قبره وآثاره: ١٨١
أخبار طويس ونسبه ١٨٣
أول من صنع الهزج والرمل ١٨٣
غنى أبان بن عثمان بالمدينة ١٨٣
أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين ١٨٤
مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر ١٨٥
من المائة المختارة ١٨٥
ذكر الأحوص وأخباره ونسبه ١٨٧

اسم الأحوص ولقبه ونسبه ١٨٧
سبب تسمية جده عاصم حمي الدبر ١٨٧
قصة وفد عضل والقارة ١٨٨
رواية أخرى عن البعث ومصيره ١٩٠
شعر لعاصم بن ثابت ١٩١
كنية الأحوص واسم أمه ١٩٢
رأي الفرزدق في شعره ١٩٢
هجاؤه لابنه ١٩٣
طبقته في الشعر ١٩٣
جلده ١٩٤
فخرت سكينة بالنبيّ ففاخرها بجده وخاله ١٩٤
هجاؤه لابن حزم عامل المدينة ١٩٤
وفد على الوليد وتعرض للخبازين فأمر عامل المدينة بجلده ١٩٥
شعره الذي أنشده حين شهر به ١٩٦
شعره في هجو ابن حزم ١٩٦
دفع عنه بنو زريق فمدحهم ١٩٨
نفاه ابن حزم إلى دهلك وشعره في ذلك ١٩٨
أخبار متفرقة ١٩٩
هجاآته ٢٠٠
خبره مع أم الليث والأنصارية الجميلة ٢٠٣
عتابه الخليفة ٢٠٦
الخليفة يعجب بشعره ٢٠٨
كيده لابن حزم ٢٠٩
بهو أدبي ٢١٠
رأي أبي الفرج ٢١٢
رأي الفرزدق وجرير في نسيبه ٢١٢
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ٢١٥

سألت امرأة ابناً للأحوص عن شعر له ٢١٦
ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص ٢١٦
معشوقة الأحوص ٢١٧
أخبار متفرقة ٢١٧
نسبة هذا البيت وما غني فيه من الشعر ٢١٧
تفضيل حماد له ٢١٨
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ٢١٩
أنشد أبو السائب شعراً له فطرب ومدحه ٢١٩
أنسب الشعراء ٢٢٠
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني ٢٢١
حديث ابن سلاَّم عن كثير وجميل ٢٢١
حديث ابن مصعب الزبيري عن كثير ٢٢٢
ذكر كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب ٢٢٢
مرض موته ٢٢٣
ذكر الدلال وقصته حين خصي ومن خصي معه والسبب في ذلك وسائر أخباره . ٢٢٤
اسمه وكنيته وولاؤه ٢٢٤
كان ظريفاً صاحب نوادر ٢٢٤
كان أهل المدينة يفخرون به ٢٢٥
كان يلازم النساء ٢٢٥
سبب لقبه، وتوسطه بين الرجال والنساء ٢٢٥
سبب الخصاء ٢٢٥
رواية أخرى في سبب خصي المُخَنَّثين ٢٢٦
أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدَّلال ٢٢٩
أسف الماجشون لذلك ٢٣٠
أضحك الناس في الصلاة ٢٣٠
طرب شيخ في مجلس ابن جعفر ٢٣٠
غَنَّى الدلال الغمر بن يزيد فَطُرِبَ ٢٣١

احتكم إليه شيعي ومرجىء ٢٣٢
هربه من المدينة إلى مكة ٢٣٣
كان الماجشون يستحسن غناءه ٢٣٣
خبره مع مُخَّة المخنث ٢٣٤
إضحاكه الناس في الصلاة ٢٣٤
أخبار متفرقة ٢٣٤
سكر مع فتية ٢٣٥
شهادة معبد فيه ٢٣٦
المخنثون ٢٣٦
استدعاء الخليفة له ٢٣٧
قصته مع شامي من قواد هشام ٢٣٨
نسبة ما عرفت نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر ٢٤١
غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته ٢٤٢
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني ٢٤٣
غنى في زفاف ابنة عبد اللَّه بن جعفر ٢٤٤
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ٢٤٥
سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له ٢٤٦
روى هشام بن المرية عن جرير صوتين له ٢٤٧
نسبة هذين الصوتين ٢٤٧
شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر ٢٤٨
ومما في شعر الأحوص من المائة المختارة ٢٤٩
من المائة المختارة ٢٤٩
محبوبة الأحوص في كبرها ٢٤٩
من المائة المختارة ٢٥٠
ذكر طريح وأخباره ونسبه ٢٥١
نسبه ٢٥١
الخلاف في نسبه ٢٥١

أم طريح ونسبها ٢٥٦
كنيته ٢٥٦
طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمه ٢٥٦
طائفة من أخباره ٢٥٧
رواية المدائني في ذلك ٢٥٩
عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد ٢٦١
أُدخِلَ على الوليد فمدحه فطرب وأجازه ٢٦٢
ولاؤه وكان مغنياً وشاعراً ٢٦٢
نسبة هذا الصوت ٢٦٢
ومما في المائة الصوت المختارة من الأغاني ٢٦٥
من المائة المختارة ٢٦٥
ذكر ابن مشعب وأخبار ٢٦٦
أصله ٢٦٦
عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له ٢٦٦
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني ٢٦٧
طائفة من أخباره ٢٦٨
قصته مع اعرابي عاشق ٢٧١
ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه ٢٧٤
ولاؤه ٢٧٤
طائفة من أخباره ٢٧٤
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني ٢٧٦
من المائة المختارة ٢٧٦
مدحه لعبد اللَّه بن عبد الحميد المخزومي ٢٧٨
غناؤه في المسجد ٢٧٩
ردَّ شهادته ثم قبولها ٢٧٩
نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذي في حديث ٢٨١
إبكاؤه في الإنشاد ٢٨٢

غناؤه الرشيد ٢٨٣
ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية ٢٨٤
سديف يحرض السفاح ٢٨٦
سبب قتل السفاح لبني أمية وتشفيه فيهم ٢٨٨
دور ابن هرمة فيما أصاب بني أمية ٢٨٩
خبر سديف مع السفاح ٢٩٠
عمرو بن معاوية يسأل الأمان ٢٩١
شعر لسديف في تحريض السفاح ٢٩١
شعر لرجل من شيعة بني العباس في التحريض على بني أمية ٢٩٢
رواية أخرى في تحريض سديف للسفاح ٢٩٢
نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء ٢٩٣
المأمون وعلوية يندب بني أمية ٢٩٤
من المائة المختارة ٢٩٥
ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره ٢٩٧
نسبه وطبقته في الشعراء ٢٩٧
هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب ٢٩٧
نهى عمر الشعراء عن التشبيب ٢٩٧
وفد على بعض خلفاء بني أمية ٢٩٨
أخبار فليح بن أبي العوراء ٣٠٠
مدح إسحاق الموصلي غناءه ٣٠٠
كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن ٣٠٠
أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له ٣٠٠
كانت ترفع الستارة بينه وبين المهدي ٣٠١
دعاه محمد بن سليمان أول دخوله بغداد ٣٠١
عند يحيى بن خالد ٣٠٢
طلبه الفضل بن الربيع فجيء به مريضاً ٣٠٣
تبرعه بمهر لعاشق ٣٠٣

نسبة هذا الصوت ٣٠٤
ورد دمشق يعلم جواري ابن المهدي ٣٠٤
من المائة المختارة ٣٠٥
ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه ٣٠٧
نسبه ٣٠٧
نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم ٣٠٨
كان يقول أنا ألأم العرب ٣٠٨
قصته مع أسلمي ضافه ٣٠٨
لقاؤه ابن ميادة ٣٠٩
أنكر عليه مضغه الناطف ٣٠٩
مدح عبد اللَّه بن حسن فأكرمه ٣١٠
هو أحد من ختم بهم الشعراء في رأي الأصمعي ٣١١
رهن رداءه في النبيذ ٣١٢
طائفة من أخباره ٣١٢
إمتدح أبا جعفر المنصور ٣١٣
قصيدة له خالية من الحروف المعجمة ٣١٥
هجاؤه المسور بن عبد الملك ٣١٧
هجاؤه عبد اللَّه بن مصعب ٣١٧
أكرم من رأى ٣١٨
إنكاره شعراً له في بني أُميّة خوفاً من العباسيين ٣٢٣
خبره مع رجل يتاجر بعرض ابنتيه ٣٢٣
قصته مع محمد بن عبد العزيز ٣٢٤
خبرُهُ مع ابن عمران ٣٢٦
خبره مع عمر بن القاسم ٣٢٧
سمع جرير شعره فمدحه ٣٢٧
مدحه المطلب بن عبد اللَّه وهو غلام ٣٢٧
شكايته لعبد العزيز بن المطلب ٣٢٨

خبره مع امرأة تزوجها ٣٢٨
جود الحكم بن المطلب ٣٢٨
لما سمع بقتل الوليد أنشد ٣٢٩
رأي ابن الأعرابي فيه ٣٢٩
خبر سكره ٣٢٩
جنازته ٣٣٠
مولده ٣٣٠
ذكر أخبار يونس الكاتب ٣٣١
نسب يونس الكاتب ومن أخذ عنهم ٣٣١
شعر مسعود بن خالد في مدحه ٣٣١
خبره مع بعض الفتيان في وادي دومة ٣٣١
صاحب الشعر الذي تغنى به ابن عائشة ٣٣٢
مع الوليد بن يزيد في الشام ٣٣٣
من المائة المختارة ٣٣٤
أخبار ابن رهيمة ٣٣٨
تشبيبه بزينب بنت عكرمة ٣٣٨
من المائة المختارة ٣٣٩
أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه ٣٤٠
خبره مع آل الزبير وعبد الملك ٣٤٠
سبب تلقيبه بالنسائي ٣٤٠
نادرة له مع عروة أثناء سفرهما ٣٤٠
أبو قيس ٣٤١
خبره مع الغمر بن يزيد ٣٤١
شعره الذي يفخر به بالعجم على العرب ٣٤٢
كان شعوبياً شديد التعصب للعجم ٣٤٣
خبره مع الوليد بن يزيد ٣٤٤
خبره مع بعض الطالبيين ٣٤٤

سمع زبان السواق شعره فبكى ٣٤٥
طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز ٣٤٦
نسبة هذا الصوت ٣٤٧
سمع شيخ قينة تغني بشعره فألقى بنفسه في الفرات إعجاباً به ٣٤٧
مدح عبد اللَّه بن أنس فلم يكرمه فهجاه ٣٤٨
رثاؤه لمحمد بن عروة ٣٤٨
دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه ٣٤٩
مع هشام بن عبد الملك ٣٥١
مدح الوليد والغمر ابني يزيد فأكرماه ٣٥٢
من المائة المختارة ٣٥٥
فهرس المحتويات ٣٥٧